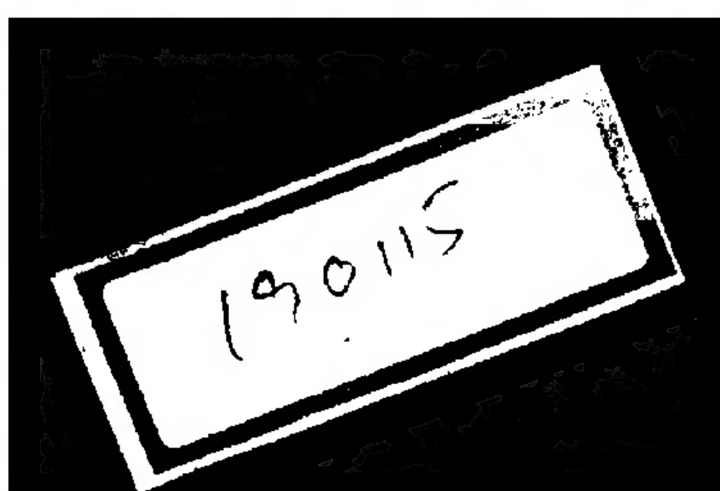

190115

تحفة الزائر

في مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر

الجزء الثاني

﴿ سيرته القلميـة ﴾

قال ابو تمام

مِنَ النَّاسِ مَيْتٌ وَهُوَ حَيٌّ بِذِكْرِهِ * وَحَيٌّ سَلِيمٌ وَهُوَ فِي النَّاسِ مَيِّتُ

بالمطبعة التجارية ــ غرزوزي وجاويش ــ بالاسكندرية
سنة ١٩٠٣

كتاب

تحفة الزائر

في مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر

الجزوء الثاني

﴿ سيرته القلمية ﴾

قال ابو تمام

من الناس ميت وهو حي بذكره ❊ وحي سليم وهو في الناس ميت

بالمطبعة التجارية — غرزوزي وجاويش — بالاسكندرية
سنة ١٩٠٣

﴿ فهرست الجزء الثاني من كتاب تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر ﴾

﴿ واخبار الجزائر ﴾

(ركوب الامير البحر الى طولون وما اتفق له مع فرانسا)



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ذكر ركوب الامير البحر ووصوله الى طولون وما اتفق له مع دولة فرانسا ﴾

انه في ثالث يوم وصوله الى جامع الغزوات سار باهله ومن تبعه الى المرسى والناس على اليمين والشمال يبكون وينتحبون ولم يزالوا على ذلك الى ان ركب البابورة الحربية المعدة لركوبه واسمها احموده وتوجه نحو فرانسا ولسان الحال ينشد قول ابن ابي لبانة شاعر ابن عباد

تبكي السماء بمزن رائح غادي ... على البهاليل من ابناء عبادي
على الجبال التي هدت قواعدها ... وكانت الارض منهم ذات اوتاد
عريسة دخلتها النائبات على ... اساود لهم فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تخدمها ... فاليوم لا عاكف فيها ولا باد
يا ضيف اقفر بيت المكرمات وخذ ... في ضم شملك واجمع فضلة الزاد
ويا مؤمل واديهم ليسكنه ... خف القطين وجف الزرع بالواد
وانت يا فارس الخيل التي جعلت ... تختال في عدد منها واعداد
الق السلاح وخل المشرفي فقد ... اصبحت في لهوات الضيغم العادي
لما دنا الوقت لم تخلف له عدة ... وكل شيء لميقات وميعاد
ان يعلبوا فبنو العباس قد غلبوا ... وقد خلت قبل حمص ارض بغداد
نسيت الا غداة النهر كونهم ... في المنشئات كاموات بالحاد
والناس قد ملؤا العبرين واعتبروا ... من لؤلؤ طافيات فوق ازباد
حان الوداع فضجت كل صارخة ... وصارخ من مفدات ومن فاد
سارت سفائنهم والنوح يصحبها ... كانها ابل يحدو بها الحادي
كم سال في الماء من دمع وكم حملت ... تلك القطائع من قطعات اكباد

ثم ان المسلمين صاروا آسفين تتصعد زفراتهم وتنسكب عبراتهم لا سيما شيعته واهل محبته كيف لا وقد طار من بينهم من كانوا يستمطرون خيره ويقيهم اعتداء العدو وشره ويحيطهم من كل مكروه وينيل كل واحد منهم ما يؤمله ويرجوه

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا اهلها فابادنا صروف الليالي والجدود العواثر

وقد تذكرت هنا ما قاله خاتمة ادباء الاندلس صالح بن شريف

لكل شيء اذا ما تم نقصان فلا يغرّ بطيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول ولا يدوم على حال لها شان
اين الملوك ذوو التيجان من يمن واين منهم اكاليل وتيجان
واين ما شاده شدّاد من ارم واين ما ساسه في الفرس ساسان
واين ما حازه قارون من ذهب واين عاد وشدّاد وقحطان
اتى على الكل امر لا مردّ له حتى قضوا فكان القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على دارا وقاتله وامّ كسرى فما آواه ايوان
كانما الصعب لم يسهل له سبب يوماً ولا ملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر انواع منوّعة وللزمان مسرات واحزان
وللمصائب سلوان يهونها وما لما حل بالاسلام سلوان
دها الجزيرة خطب لا عزاء له ثوى له احد وانهد ثهلان

ولما شاع تسليم الامير عند اهل الجزائر عظم الخطب عليهم واشتغلت المنادب في المدن والقرى والبوادي وكثر النواح من النساء في ولاية وهران فاخبر الحاكم وطلب منه منع ذلك فاجاب الجنرال دعهم يبكون فان هذا عزنا وعزهم قد ذهب فانني حضرت من فرنسا ضابطاً صغيراً فترقيت الى هذه الرتبة بواسطة حروب الامير ومثلي كثير ولولاه لما تحصلت على هذه الرتب والنياشين وفي الرابع والعشرين من محرم سنة اربع وستين واول يناير سنة ثمانية واربعين ارست البارجة في مرسى طولون وكان ابن الملك عين مع الامير الكرونيل لورو وموسيو روسو ترجماناً واخبره ان البارجة تمر على هذه المرسى فبينما الامير ينتظر اقلاعها ومسيرها الى الشرق اذ دخل عليه حاكم طولون واخبره انه مامور بنزوله في برج لاملاك الى ان ياتي الامر من باريس فحينئذ احس الامير بالخديعة ولم يسعه الا النزول ثم جاءه الحاكم ولاطفه وآنسه واخبره ان الاقامة هنا لاجل

المخابرة مع الدولة العثمانية وصاحب مصر في شانك وبينما هو ينتظر انجاز الوعد اذ جاءه الكرونيل دوماس معيناً من قبل الملك الاقامة عنده ولاول وصوله اليه اظهر له ما جاء لاجله واخبره ان كافة فرنسا عارضت في اتمام ما وقع التعهد به من بعثكم الى الشرق فلذلك يعتذر لكم الملك في عدم الوفاء والذي يحسن عنده ان تسكن بلاد فرنسا وتعالى اماكن مناسبة لمقامك العالي ويرخص لاهل محبتك من اهل الجزائر في الحضور عندك والسكنى معك فاجابه الامير اني لا اقبل هذا ولو فرشت لي سهول فرنسا ومسالكها بالديباج وها انا بين ايديكم فافعلوا ما بدا لكم ولا يمكن ان اترك طلب الوفاء بالعهد ما دمت حياً ومن عجيب ما يسمع انني كنت ارى نفسي ضيفكم فجعلتموني اسيركم واخذتم تعددون عليّ اموراً قمت بواجبها ذباً عن ديني وحماية لبلادي ولا زال التفاخر بها وبامثالها قديماً وحديثاً فان القيام بها دليل على كمال الرجولية والعدول عنها برهان على ضعف الانسانية وعلى كل حال فالعار والعيب عليكم لا عليّ ولو لم الق بنفسي اليكم ما وصلتم الى التحكم في امري والتحير في شاني والامر لله ثم عرض عليه التوجه الى باريس كما قصدها ابراهيم باشا خديوي مصر فقال ان ابراهيم باشا يرى باريس وغيرها من امصار فرنسا متنزهاً له يمرح فيه كيف شاء واما انا فلا ارى فرنسا الآن الا سجناً لي ولمن معي فلا فرق عندي بين طولون وباريس. ثم كتب الى ابن الملك الدوك دومال يخبره بما ارتكبته دولتهم من عدم الاعتناء بايفاء العهد وانجاز الوعد وان من اكبر العار عليها غدرها بمن سلم نفسه اليها على ان هذا مخالف للمروءة مجانب للدين لم يسمع بمثله في اساطير الاولين والآخرين ولو كنا نعلم ان الحال يؤول الى ما اليه آل لم نترك القتال حتى تنقضي منا الآجال فاجابه ابن الملك بما نصه

(الى) حضرة الامير عبد القادر بن محيي الدين ارشده الله آمين

السلام عليك ورحمة الله وبركاته اما بعد فقد وصلني كتابك وقرأته وفهمت فحواه ومسني اهتمام لاهتمامك ومن حقك توسع بالك ولا تضيق خاطرك عن شيء لا يدوم ولو فرض انه لم يعجبك الم تعلم ان الفرنسيس جنس قوي وسلطانه صاحب حسنة وعدل مقيم فلا تندم على رأيك حيث سلمت نفسك لديه وفوضت امرك اليه وقد شهدت فضله واحسانه عليك فلا بد ان تكون مطمئن القلب سلي البال كما تسلى اصحابك وكل من معك وما يكون الا الخير والسعادة ان شاء الله وها اني بعثت لك كتابين ردا عليّ من ابيك ودمت بخير والسلام حرر في يوم السبت اواسط صفر الخير سنة اربع وستين ومائتين والف

(قال) بعض مؤرخي الفرنسيس ان الامير لما تعين الكرونيل دوماس لمرافقته انس به لانه كان ايام معاهدة تافنا بين الامير وفرنسا وكيلاً عنده في عاصمته معسكر وكان الامير يحسن السلوك مع رفقائه ويسليهم ويتلطف معهم في سائر الامور ويخالطهم بنفسه ويوءثرهم عليها بكل ما كان يخص به من لذائذ الاطعمة ونفائس الالبسة فقيل له في ذلك فقال الحال التي نحن فيها تقضي عليَّ بذلك وعلى هذا كان اسلافي مع من يساكنهم ويصاحبهم فلا يقول احدهم حصاني وبرنسي ومالي بل يقول حصانا وبرنسنا ومالنا ولا اريد ان اخالف اسلافي في شيء وقد دخل عليه الكرونيل دوماس في يوم شديد البرد فلم يجد عنده ناراً فسأله عن ذلك فاجابه ان ما كان عندنا من الحطب قد نفد من امس ولا اريد ان اضيق على رفقائي باخذ ما عندهم منه فقال الكرونيل الذي اراه انك لا تشبه روءساء اهل ملتك الذين اجتهدوا في هدم احوال الامم

(لطيفة) ــ دخل عليه الكرونيل وهو يضحك وقال له ان احد القسيسين السذج في ماكون طلب مني ان يقابلك لكي يعرض عليك الديانة المسيحية وقد تعهد لي بفرح شديد على اقناعك وفي اقرب وقت يدعك تعتنق المذهب الكاثوليكي فقال له الامير يقتضي ان يكون هذا الرجل من اصحاب الخير لان له مقاصد صالحة فقل له انه يأتي وانا ارشده الى الدين القويم ويعدُّ لي ظفراً ان اقنع رئيس ديانة مسيحية ان يتدين بديني · قال بعض المؤرخين و بالحقيقة لم يكن الكاهن المذكور اكثر خلوصاً في ايمانه من الامير عبد القادر في ايمانه فالذي يكون نظير الامير متعمقاً في الديانة لا يكون منهجه في حياته السياسي الا نفس منهجه الديني وكان يفتكر دائماً في استمالة العرب الى المبادي الاسلامية واستدعائهم الى فضائل اهل القرون الاولى للهجرة وايقاظهم من الغفلة ولولا محاربة دولة فرنسا لتمم مقاصده انتهى · ثم اتى لزيارته وتفقد احواله الكرنيل بوفورت نيابة عن الدوك دومال حاكم الجزائر واخبره ان الملك عزم على الوفاء بالشروط تماماً

وبعد ايام بلغه ان قضيته رفعت الى مجلس الامة ابحث فيها فحصل بين رجاله اختلاف كبير وقال البعض ان الامير قد خرج عن الطرق المرعية بين التخابر بين بقتله الاسرى صبراً فلا عهد له عندنا يجب علينا الوفاء به فاعرض اهل المجلس عنه وفي اول ربيع الاول سنة اربع وستين وستة ايام من فبراير سنة ثمان واربعين تكلم وزير الخارجية في مجلس الامة فقال لو فرضنا باننا لا نتمكن من ارسال الامير الى عكا لكون الدولة العثمانية لا تعترف باستيلائنا

علي بلاد الجزائر فاننا نتمكن من ارساله الى الاسكندرية فاجابه كبير الوزراء ان المخابرة جارية بيننا وبين محمد علي باشا صاحب مصر وقد طلبنا منه الكفالات اللازمة لذلك فلما اتصلت هذه الاخبار بالامير سكن روعه وهدأ فكره ثم جاء الجواب من محمد علي باشا بعدم قبوله اقامة الامير في القطر المصري (وقال) ابن عمنا العلامة السيد الطيب ابن المختار مادحًا الامير ومتحسرًا ·

بكم السماحة والمروءة البست ... ثوب البها يا بضعة المختار
وتشرفت وتنورت وتزخرفت ... احوالكم يا نخبة الاخيار
وترونقت وتزينت بمحاسن ... وتملكت وتزودت بفخار
وتطهرت وتطيبت بل اشرقت ... وتلألأت كتلألؤ الاقمار
واذا فقدتم من لنا من بعدكم ... ومن الخليفة بعدكم في الدار
جاوزتم في المجد حد ذوي النهى ... وسموتم في رفعة المقدار
ونحوتم آثار قوم قبلكم ... بتهجد وتلاوة الاذكار
وملكتم فزهدتم وقدرتم ... نعفوتم يا قاهري الكفار
عوفيتم وشفيتم وكفيتم ... وسلمتم دومًا من الاضرار
وحرستم ومنعتم وكنفتم ... بقدس متكبر جبار
كم بالزمان ادبتم واذيتم ... فصبرتم لتلاعب الاقدار
ولطالما غلبتم وظفرتم ... ونصرتم بتناصر الانصار
ولطالما اعطيتم ومنعتم ... وبذلتم بقرارة الاكدار
جاهدتم في الله حق جهاده ... حتى الامان اضا كشمس نهار
دار السلامة والمبرة والبقا ... لكم وللاعداء دار بوار
مذ غبتم احبابنا ونأيتم ... يا حيرتي والدمع كالانهار
واحسرتي وكآبتي وصبابتي ... وشكايتي للمالك القهار
وتاسفي وتكنفي وتعففي ... وتلطفي صبرًا على التعار
جودوا بوصلكم الجميل فان لي ... فيه الحياة مدى الزمان الجاري

﴿ ذكر قيام الجمهور في فرنسا على الملكيين وما لحق ﴾
﴿ الامير من سوء المعاملة ﴾

وبعد برهة يسيرة قام حزب الجمهور طالبًا ادالة الملكية بالجمهورية واضطرمت نار الفتنة لذلك في سائر بلاد فرنسا ولما راى الملك تفاقم الامر خرج من باريس مختفيًا ولحق بلوندره عاصمة الانكليز وانتصر حزب الجمهورية ونشرت راياتها في سائر مدن فرنسا وامصارها وحدث للامير من سوء معاملة الحكومة ما اثار حزنه وهيج كربه لانهم نظروا في امر الامير فخافوا ان ينصب لهم حزب الملكية مكيدة به فيحملونه الى الجزائر وبذلك يسون في ارتكاب عظيم من امرهم فبينما الامير ورفقاؤه ينتظرون ما يراد بهم اذ جاء الموكلون بهم وحملوهم من البرج الى قلعة طولون والجنود محيطة بهم واظهروا لهم غاية الوحشة وسوء المعاملة والامير مظهر التجلد الى رفقائه آمر لهم به ثم دخل عليه الكرونيل دوماس واخذ يسليه ويخفف عنه فقال له نحن لا نحتاج الى هذا وانظر الى سلطانكم فانه كان ذا قوة وسطوة كم امر ونهى وعزل وولى واقام واقعد وعاقد وعاهد وها هو الآن قد انحط وعن عرشه سقط ونحن ما بذلنا انفسنا واموالنا طلبًا للدنيا وحرصًا عليها وانما كان ذلك امتثالاً لامر الله تعالى لنا بالجهاد لحماية الدين والوطن . وبعد ايام ارسلت الحكومة الجديدة الكرونيل اوليفيان ليستطلع احوال الامير فهش له وبش واظهر له السرور بقدومه عليه وقبل رجوعه الى باريس دخل عليه واطال الجلوس معه وظهر له ان الحكومة لا تابى ان تطلق سراحه الى الاماكن التي طلبها غير انها تخشى من نقض عهده ورجوعه الى الجزائر فاجابه الامير ليس في وسعي ان اعطي ميثاقًا للحكومة اقوى من الميثاق الذي اعطيته للجنرال لاموريسير واكدته للدوك دومال ابن الملك والملك ايضًا ولو لم ارد التسليم والنزول عن الامارة ما كنت اليوم هنا عندكم في حال اسير مقهور (فقال) اوليفيان كلامك ايها الامير مقبول ولا ضرر عليك اذا انت حلفت للحكومة بالقرآن على انك لا ترجع الى الجزائر ولا تتداخل في مصالح فرنسا بوجه من الوجوه بنفسك ولا بواسطة فاجابه الامير الى ذلك وقال ان دعتني الحكومة اليه لا اتوقف في اجرائه فقال له اكتب اذًا مكتوبًا للحكومة يشعر بهذا فكتب ما معناه .

الحمد لله الواحد الاحد الذي لا يزول ملكه مدى الابد الى اركان المشيخة المستولين على زمام ملك فرنسا اما بعد فقد حضر عندي رسولكم الكرونيل اوليفيان واخبرني

بان الفرنسيس اتفقت كلمتهم على ابطال الملك الاستبدادي وادالته بحكومة جمهورية شورية فسرني هذا الخبر لما اعلمه من ان المراد بهذا الامر نزع الظلم ومنع التسلط . وبناء على ذلك ارجو ان تكشفوا عني ما انا فيه من البلاء فانكم بنيتم امركم على دعائم العدل والانصاف والوفاء بالعهد والصدق في الوعد وان تقدمتم على ما جرى بيني وبينكم من الحروب التي اتصلت عدة سنين فما اظن ان احدا ممن على وجه الارض من البشر ينكره عليّ او يذمني به لانني رجل اوجب عليّ ديني ان ادافع عنه وعن ارض اهله المتمسكين بعروته الوثقى فقمت بذلك وبذلت وسعي فيه ما استطعت ولما ظهر لي انتهاء اجل قيامي بهذه العبادة التي حزت بها ولله الحمد شرف الدنيا والآخرة وتلاشت الهمم وتقاعدت العزائم ونفد ما كان عندي من المواد والاسباب التي كان القيام بها سلمت وقلت ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده فهو اقامني حيث شاء واقعدني حيث شاء ثم اني طلبت من رئيس جيوشكم التي كانت تترصدني وتتوقع وقوعي النائب عنكم في الجهة الغربية الجنرال لامورسير عهدا وميثاقا على اني ان سلمت في امري الذي كنت قائما به فانه بالنيابة عنكم يحملني انا ومن معي الى الاسكندرية او الى عكا فاجاب الى ذلك وقبله واعطاني العهد والميثاق على ذلك وحرره وامضاه بخطه وختمه كما اني اعطيته عهدا وميثاقا على ان لا ارجع الى الجزائر ولا اتعرض للفرنسيس في شيء بوجه من الوجوه وبعد الوثوق منه ومني جئت باهلي واولادي ومن اتبعني من خاصتي الى مرسى الغزوات واجتمعت بالجنرال لامورسير حاكم الجزائر الدوك دومال ابن الملك والجنرال كافنياك ثم حملونا في الباخرة الحربية من مرسى الغزوات على ان يمروا بطولون لحمل لوازم الباخرة ثم يجددون السير بنا الى المشرق فلما وصلنا الى طولون انزلونا الى البلد وتصرفوا فينا بما شاؤا وكيف شاؤا وها نحن على ذلك ننتظر الفرج من الله تعالى فلعله يجريه على يدكم فتحوزون به الفخر العظيم والذكر الجميل في العالم باسره اذا فالوفاء بالعهود وانجاز الوعود من خصال اهل الكمال ونعوت ذوي الفضل والافضال وان امرتم باني اقسم لكم بالقرآن العظيم اني لا انقض لكم عهدا ولا اخلف وعدا ولا اتعرض لكم في شيء فلا يثقل عليّ ذلك بل اقسم لكم بما تريدون فيما تريدون كتب هذا عبد القادر بن محيي الدين في اول ربيع الاول سنة اربع وستين وستة من شهر فبراير سنة ثمان واربعين فاخذ اوليفيان هذا المكتوب ورجع الى باريس وبقي الامير ينتظر الجواب بما يسره فاذا بخطابه احدث في الجمهورية نفارا وكان جوابهم ان الجمهورية لا ترى نفسها مرتبطة بعهد مع الامير عبد القادر بل ترى انه اخذ اسيرا تتركه كما تركته الحكومة السالفة فاشتد كرب

الامير لذلك فاخذ الكرونيل دوماس يلاطفه في الكلام ويوءنس وحشته فاجابه الامير اذا طال الامر على هذه الحال يموت اكثرنا حزناً بلا ريب واكون انا السبب الوحيد في ذلك اذ لم يستحسن المجيء الى الفرنسيس غيري والذي غرني واوقعني في يدهم دعواهم انهم قوم لا ينقضون العهد ولا يخلفون الوعد فاذا بهم لا عهد لهم ولا ميثاق بل عهدهم مكيدة وخديعة ولو علمت ان في فرنسا محكمة شرعية او سياسية تسمع دعوى المظلوم وتنصفه من خصمه ولو كان ملكاً ذا سلطة لرفعت اليها قضيتي نعساها ان تاخذ بيدي وتقوم بناصري فلم يكن من الكرونيل الا اظهار الاسف والتوجع والامر لله

﴿ ذكر اخبار اخوة الامير وحملهم الى طولون ﴾

وقد كان اخوة الامير معه في الدائرة ولما اقبلت الجيوش المراكشية زاحفة اليه استولى عليهم الخوف فاستامن منهم السيد مصطفى والسيد حسين الى الجنرال لامورسير فامنهما وكتب لهما في ذلك ووعدهما ان يحملهما الى المشرق فارتحلا من الدائرة ليلاً ولحقا بارض الفرنسيس وبعد اجتماعهما بالجنرال قلبهما الى تسالمت قرب وهران واما اخوهم الاكبر السيد محمد سعيد فانه لم يفارق الامير الا في ليلة عجرود وكان معه ابنتا الامير وهما زوجتان لولديه فحالت شدة الهول تلك الليلة دون اجتماعهم وبقي السيد محمد سعيد في قرية ابن ميره من قرى مسيرده ثم نقل الى تلمسان والحق باخويه في تسالمت ثم امر الحاكم العام ان يجمعهم باخيهم وفي الحال يحملون الى الجزائر ومنها الى طولون ولما اتصل خبرهم بالامير ازداد كربه وغمه وبعد وصولهم وصل بعض اعيان فرنسا الى طولون واجتمع بالامير وكان الكرونيل دوماس حاضراً فتكلم الامير معهما في شان اخوته وقال ان حضور اخوتي الى هنا ليكونوا اسرى معي قد زادني غماً لانهم لم يحاربوا معي جيوش فرنسا ولا شاركوني في الوقائع فلا يستوجبون الاسر فان وجدتم سبيلاً للكلام في شانهم مع الحكومة فافعلوا فلعل ان تترك سبيلهم وتحملهم الى الاسكندرية فوعدوه بذلك ثم جاء الامر بعزل من في معية الامير عنه سوى اخوته وخليفتيه السيد مصطفى بن احمد التهامي والسيد قدور بن علال وبعض الاتباع وحملهم الى سنت ماكريت وهو موضع اقامة الاسرى فجاء الموكلون بتنفيذ هذا الامر بشرذمة من العسكر الى القلعة وعزلوا نحو المائة والخمسين نفساً ثم ساقوهم الى الباخرة المعدة لحملهم فعظم الكرب لهذا الامر الفظيع الذي لا داعي له الا اوهام واهية قال بعض موءرخيهم والباعث على ذلك ان وزراء الحكومة لما اتفقت كلمتهم على نقل الامير من قلعة طولون الى بو وفي

مدينة شهيرة وفي وسطها سراية عظيمة لاحد ملوكهم في تخوم فرنسا مما يلي بلاد اسبانيا وقع في قلوبهم انه ربما يخرج من السراية بالقوة اكثرة رجاله ويلحق ببلاد اسبانيا فقصدوا بما فعلوه ضعف قوّته وقلة عدده

﴿ ذكر نقل الامير الى بو ثم الى امبواز ﴾

ثم نقلوه بمن بقي معه الى سراية بو فوصل بها في السابع عشر من جمادى الاولى والواحد والعشرين من ابريل وابدل الكرونيل دوماس بالقبطان بواسوني ولم تمض ستة اشهر من وصوله الى سراية بو حتى بلغهم ان رجالاً من الانكليز ينتظرون سنوح الفرصة للتمكن من الفرار به الى بلادهم وانهم في اكثر الاوقات يقابلونه من جهة المنافذ على بعد ويشير اليهم ويشيرون اليه فاضطرب رايهم واتفق ان الامير قعد ليلة في احد المنافذ يقرأ القرآن فرآه الطوف ولما اصبح جعلوا عسساً مستمراً تحت المنفذ وزادوا في عدد الحرس وبعد هذا لم يهدأ روعهم الى ان قرّ قرارهم على نقله الى سراية امبواز التابعة لمقاطعة اورليان فحملوه بمن معه الى بوردو وهي من اعظم مدنهم الواسعة على شاطئ البحر المحيط وقبل وصوله اليها استقبله اسقفها دو بيش المشهور بغاية الاحترام والاكرام لانه كان من المحامين عن الامير ولم ينس الاكرام الذي اكرمه به الخليفة السيد محمد بن علال حينما زاره بولايته وقد اشرنا الى ذلك سابقاً ولما سافرت الى باريس سنة ثلاث وثمانين ومائتين ومنها الى بوردو ونزلت بفندقها الكبير المشهور واحضر لي خادمه صباحاً فنجاناً من الشاي والحليب على حسب العادة رأيت كتابة على الفنجان والصحن ترجمها لي القبطان الذي عينته الحكومة ترجماناً معي وهي ان الامير عبد القادر نزل بهذا الفندق سنة اربع وستين ومائتين وشرب القهوة في هذا الفنجان ثم ان رئيس الفندق طلب مني ان اكتب تحت الكتابة ان محمدا ولده الاكبر نزل في هذا الفندق سنة ثلاث وثمانين ومائتين وشرب القهوة في هذا الفنجان فشكرت له ما ابدوه من اهتمامهم باحوال الامير وتدوينها حتى على الفناجين . ثم سافروا منها الى نانت ثم الى تور ومنها الى امبواز ولما دخل السراية قال له الضابط الآن قد استرحت وامنت عليك لانه لا تخلو عائلة من فرنسا الا ولها ثار عليك ولذلك كلما وصلنا لبلد تحاط بك العساكر خشية من بعض من لهم ثار عليك ان يقتلوك . وامبواز مدينة في وسطها سراية لملوكهم الاقدمين حصينة ذاهبة في الجو مشرفة على بسائط وبطاح يشق البلد

نهر عظيم واسع الاطراف تسير فيه المراكب الشراعية فاقام فيها اربع سنين لا يروع وان لم يكن آمناً ولم يتجدد له كرب وان كان في باطنه كامناً ولسان حاله يقول

الدهر خلخلني مثل النساء وكم شنفت من قبل ذا آذان اكفائي

قال شرشل في تاريخه عند ذكره هذا الخبر ما معناه ان الامير عبد القادر ما زال ذا همة عالية لم تؤثر فيه شدة المشاق التي احاطت به من كل ناحية ولو المت بغيره لاذلته اذلالاً واعدمته الصبر والتجلد تفصيلاً واجمالاً ثم قال وكان الناس يتقاطرون اليه من جميع انحاء فرنسا وغيرها لمشاهدة حاله في اسره فكانوا يعجبون من سمو همته وبعده عن اظهار الضجر وتسليمه لتصاريف القضاء والقدر ولا شك ان من كان مثله في القوة الفاضلة لا يبالي بالشدائد النازلة وقد قيل له في ذلك فقال

تعودت مس الضر حتى الفته واسلمني طول البلاء الى الصبر

وكان كثيرون من اصحاب المناصب وذوي السياسية وقواد الحرب يسابق بعضهم بعضاً لاظهار الاحترام والاعظام لذلك الامير الهمام وكان يصرف ساعات كثيرة في مقابلة اولئك القاصدين والذي كان يدهشهم على الاكثر تظاهره بالبشر والافراح مع ما احاط به من المحن والاتراح وكان السنيور دوبيش اسقف الجزائر كتب الى الكرونيل دوماس بعد ان ترقى الى الجنرالية يهنيه ويخبره بعزمه على زيارة الامير فكتب اليه الجنرال المذكور يقول انك ايها الاسقف المحترم ذاهب لترى الامير الاسير وحقاً ان سفرك هذا لايذهب عبثاً ولا يخفى انك قد عرفت الامير عبد القادر حينما كان السعد خديمه والعز رفيقه وكانت بلاد الجزائر كلها تعترف بسيادته وسطوته وستجده الان من حيث عزة النفس وقوة الجاش اعظم واكثر مما كان في زمان اقباله وستجده ايضاً ليناً ودوداً بشوشاً في وجه من يزوره حزماً صابراً لا يظهر الضجر عاذراً لاعدائه متغافلاً عن اساءتهم لا ينطق في جهتهم بسوء وبالجملة ستزداد علماً ومعرفة به فوق ما امتازت به حياتك . وكان هذا الاسقف ايام الحرب يكاتب الامير ويظهر التودد اليه وكان الامير كثيراً ما يستشيره في امور سياسية فيجيبه بما يطابق الواقع من غير حيف ولا مكر وقد كتب اليه الامير من بو ما نصه من عبد القادر بن محيي الدين الى محبه الاسقف دوبيش منذ ثلاث سنين كنت احارب الفرنساوية وليس لي امل ان ارى نهاية حميدة لي في هذه الحرب

التي ابتدئت من ستمبر سنة ثلاث وثلاثين مع اني كنت معتقداً اني لم اقم بالواجب الديني وحفظ بلادي واخشى ان اتلقى شبه الملامة من قومي الذين وثقوا بي وحلفوا ان لا يتركوني وفي هذه المدة عرضت الفرنساوية عليَّ مقدمات كثيرة وهي ترك السلاح مقابل شروط . وزيادة على ذلك كان قد عرض عليَّ المارشال بيجو بالواسطة مليونًا لاترك السلاح فلم اقبل ذلك منه محافظة على عهدي وديني وقبل ذلك كتب لي خليفتي السيد احمد بن سالم عند سفره الى بلاد الشرق على باخرة افرنسية بعد تسليمه الاجباري واكد لي انه كتب له من قبل الحاكم العام الذي كنت عارفًا باستقامته وشجاعته باني اذا قطعت الامل واتبعته في عمله لاعامل باقل رعاية منه واجابة لطلبه تحمل على بواخركم الى بلاد بعيدة تقربها الوحدة الدينية الينا وقد بلغوه اني اذا كرهت السفر على باخرة مسيحية يستاجرون لي باخرة اسلامية ونفقتها على اسم فرانسه على انه كان لي ثقة بعدالة الفرنسويين وانها تفي بما وعدتني به مقابل تركي السلاح وما ينشأ عنه من السلام العام وليس لي امل اذا استمررت على الحرب بالظفر لعلمي بنتيجته لكن حلفت ان ادافع عن ديني واحافظ على بلادي الى حد تضعف دونه قوتي واظن اني لم اعمل القدر الكافي ومع ذلك كان مركزي بالدائرة اواخر سنة ١٨٤٧ خطرًا وخيمًا فتحرك عليَّ حاكم مراكش واظهر ما عنده من الحنق واظنه يعقبني ويحاربني فصرت احسب من قبائل الريف المتوحشين اكثر من الفرنسويين الذين قوتهم كانت تزداد يومًا فيومًا مع ازدياد خوفي وقلقي ومع هذا كله لم يخطر بفكري ان اعقد الصلح مع الفرنسويين لكني لما رأيت اهلي في معسكر الدائرة على خطر عظيم من الجنرال اوست قررت ما يلزم ان اعمل محافظة عليهم من التعب على اني كنت قادرًا على التخلص رغماً بهمة من كان حولي من الفرسان الصناديد الاشداء على الاعداء الامناء على الولاء وان اضايق الفرنسويين مدة طويلة آويًا الى قبائل الصحراء الذين لا يبخلون عليَّ بقليل من الشعير والحليب وكان في استطاعتي ان انهزم على حصاني الى المدن المقدسة لكني تركت ذلك حبًا لراحة اهلي والجرحى وضعفاء اصحابي وكتبت الى الجنرال لامورسيير بان الحكومة الفرنساوية اذا كانت باقية على نواياها لي مما طالما حدثوني به وانها تاذن لي اذا تركت السلاح بالذهاب الى الشرق الذي هو مطمح انظاري تركت لها سلاحي فارسل لي لامورسيير سيفه وخاتمه عهدًا على انجاز جميع ما طلبته منه باسرع وقت فطلبت منه تامينًا بالكتابة والا فلا فكان الجواب منه كالاول فعرفته ثالثة اذا لم اكن على ثقة من عهده فاني اسلم امري الى الله ولا يتم بيننا عقد اتفاق فبعث لي بالتامين الخطي ممضيًا باسمه الفرنساوي مختومًا بخاتمه بالعربي فاطمأننت لذلك

قلبي حيث انه وكيل الحكومة الفرنساوية وان كلامها اكيد يعمل به ولو كان صادرًا من اقل رجل من رجالها وحينئذ وصلت الى معسكره وبالوقت ذاته حضر الدوك دومال الى جامع الغزوات فاستقبلني بكل لياقة وقال لي ان ما فعله قائمقامي وتعهد لك به فاني اجريه عند اللزوم واذا رغبت فاني اعاهدك بكلامي الملوكي ان كلما صار الاتفاق عليه يتم فقدمت له حينئذ آخر ما ركبت من الخيل ايام حروبي فقال لي الى اين قررت الذهاب ومن سيكون معك فاجبته الى القسطنطينية از عكا او الاسكندرية والذي يصحبني اهلي والبعض من ضباطي وكان عدة من اراد ان يرافقني نحو المائة ولم يكن في وسعي ان ارد امامهم في الذهاب معي فاجاب ابن الملك بانه لا يوافقني على الذهاب الى القسطنطينية ولكن عند وصولنا الى المرسى الكبيرة يرسلني الى الاسكندرية اجابة الى طلبي ووفاء بوعده فقط ان السفينة التي اركب فيها ستقف قليلاً امام طولون فقبلت منه ذلك ولم ادرك له معنى الا ان السفر يقتضي ذلك ولما وصلنا الى طولون اخرجونا من السفينة واودعونا في السجن وا أسفاه كنت اظن ان نذهب الى محل الراحة والسعادة لا الى الحبس والشقاوة حيث اني استحصلت على العهد الوثيق والوعد الاكيد من ابن الملك الدوك دومال والجنرال لامورسير وكان الغالب على ظني ان دولة فرنسا لا تخلف وعدها ولا تنقض عهدها لزعمها انها من اعظم الدول المحافظة على العدل والاستقامة بل كنت اقول في نفسي اذا اسرني الفرنساويون في الحرب لا انال منهم الا كل رعاية لانهم ذوو شهامة يعرفون قدر الغالب والمغلوب فكيف اذا سلمت نفسي اليهم عن طيب خاطر وكيف يكون اذا كان التسليم على عهد ووعد اكيد ونظرًا لما اتأكده من كمال حبك وعقلك اخبرتك بالواقع لتفرق بين الاخلاق العربية والافعال الفرنساوية وتحكم بما تراه ولما زاره اسقف مدينة تور في فصل الشتاء قال ايها الامير اخشى عليك من شدة برد اقليمنا فاجابه نعم ان اقليمكم بارد لكن حرارة عنايتكم دفعت البرد عنا . وزاره بعض القواد الفرنساويين الذين افنوا شبابهم في حروبه وعرفه بنفسه فبش في وجهه ولاطفه قائلاً قد سررت ايها الكرونيل بزيارتك وزيارة رفقائك وتذكرت الحروب التي جرت بيننا في بلادي وان تضع اوزارها الا بما قضى الله بهذا الانقلاب العجيب ولا شك ان اكثر اصحاب الوظائف الحربية يعترفون بشدة مقاومتي لهم ويشكرون فعلي حيث كنت سببًا لارتقائهم الى الرتب السامية وحصولهم على النياشين العالية ويغلب على ظني انهم لا ينسون ايامي معهم ولما تقلد الجنرال لامورسير وزارة الحرب واتصل خبره بالامير وهو في بو سر بذلك ظنًا منه انه يوفي بعهده فكتب اليه يهنيه ويذكره بالميثاق والقيام بواجب الوفاء ومن

جملة ما كتبه . ان كثيرًا ممن لا المام لهم بما وقع بيني وبينك يعتقدون انك غلبتني في الحرب واجبرتني على التسليم والقاء السلاح فينبغي لك ان توضح لهم القضية وتوقفهم على ما جهلوه من امرنا وبذلك تجد منهم من يسعفك ويأخذ بيدك في الوفاء بعهدك الذي هو في الحقيقة عهد دولة فرنسا بل الشعب كله لكونك كنت وقتئذ رئيس جيوشهم ونائب ملكهم في كل ما تجريه وبالجملة فان وفيتم فانكم تنالون فخرًا كبيرًا بين الامم والدول وان نقضتم واخلفتم فلا شك انكم ترتكبون في ذلك امرًا شنيعًا يسقط به قدركم ويقبح بارتكابه ذكركم في العالم كله حرر في سابع شعبان سنة خمس وستين ومائتين والسابع والعشرين من يونيه سنة تسع واربعين وثمانمائة فحرك هذا المكتوب من دي لامور سير سواكن الاحن فامر بنقل الامير من بو الى امبواز فسار الحرس به وبمن كان معه الى مدينة بوردو ومنها حمل في البحر الاوقيانوس الى مدينة تانت وفي اثناء الطريق اظلهم العيد فاخبر الامير بذلك قبطان المركب في مذاكرة كانت بينهما فلما كان صباح العيد امر القبطان بزينة المركب واطلاق المدافع تطييبًا لخاطر الامير وبعد وصوله الى امبواز جاء امر وزير الحرب دي لامورسير للموكلين بهم ان لا يكون للامير ولا لاحد من رفاقه علاقة مع احد من الخارج لا لسانية ولا قلمية وان لا يجتمع الامير باحد من الزوار وان طلب احدهم مواجهته فلا تاذنوا له بدون رخصة من وزارة الحرب فانظر الى هذه الافعال والاقوال المنافية للشرف والانسانية وكان هذا الجنرال قد وقع عليه اللوم والتبكيت في مجلس النواب في قبوله تسليم الامير وخطؤوه على ختم الشروط متعللين بامكان جعله اسير حرب فقال الجنرال ان هذا اللوم الشديد قد وقع عليّ بجنحي للسلم في موضع يجب فيه الحرب بزعمكم وانا اتحقق اني لو ركبت الخطر بالزحف على عبد القادر ما رجعت الا بخيبته ومجادره وانه ليذهب الى الصحراء بحيث لا يمكنني ان اصل اليه وهذا اكد عندي من ان يقع في يدي لان عبدالقادر ذو قوة وصلابة في دينه مشتهر بالصدق والامانة في وطنه شديد التمسك بباديه وهذا الامر الاوحد والسبب الاعظم الداعي لاجتماع القلوب عليه وان مبدأه الفريد هو الذي اشهره في جميع الجهات ولا شك ان الظفر الذي حصل للرجل الذي حاربناه في وقائعه هو ثمرة ما قررناه ومن كان هذا شانه وسيره فلا بد وان يحدث خطرًا عظيمًا ان ترك في بلاده واظن اني ما سلكت الا جادة الصواب ومع هذا فارجعوه الى محله مع القوة التي كانت معه فقط وامسكوه عنوة وانا والحاكم العام ما قبلنا تسليمه على شروطه الا اننا اخترنا راحة فرنسا وعساكرها التي اضنكها التعب وكثرة المصارف

من غير طائل تحصل عليه من جهة الامير وانقبض عليه فسكتوا وانفض المجلس فاقام الامير بامبواز وهو مستمسك بعرى الصبر متجلد لنوائب الدهر قائم بواجب العبادة وكان مطران امبواز عند الاجتماع للوعظ في الكنيسة يقول لهم الا تنظرون الى الامير عبد القادر وجماعته في بلدتكم متمسكين بدينهم مواظبين على صلواتهم الا تسمعون نداء قره محمد في كل اوقات صلواتهم ليلاً ونهاراً لان السراية كنت عالية على البلد وقره محمد جهور الصوت فكان اذانه يسمع من بعيد . وداوم الامير في تلك المدة على تدريس العلم وافادة الطلبة من جماعته نقرأ الصغرى للسنوسي في علم الكلام ورسالة الامام محمد بن ابي زيد القيرواني في الفقه على مذهب الامام مالك وغيرهما من المصنفات المفيدة ثم سلك اخوه الكبير السيد محمد سعيد واخوه السيد مصطفى وخليفته السيد مصطفى بن التهامي جادته وافادوا الطلبة افادته واجتمعوا لقراءة البخاري على نية تفريج كربهم وكتاب الشفاء للامام عياض على تلك النية واستمروا على التدريس الى ان انتهى اجل الاكدار والاتراح وجاء البشير بطاق السراح على ما نذكره في محله ان شاء الله تعالى ثم ان بعض امراء الفرنساوية تذاكروا في الحضر والبدو فبعضهم فضل الحاضرة وبعضهم فضل البادية ثم اتفقوا على ان يحكموا الامير فيما بينهم لانه ممن سكن الحضر والبدو فحكم لفضل البادية واجابه بقوله

يا عاذراً لامرىءٍ قد هام في الحضر ... وعاذلا لمحب البدو والقفر
لا تذممنَّ بيوتاً خف محملها ... وتمدحنَّ بيوت الطين والحجر
لو كنت تعلم ما في البدو تعذرني ... لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر
او كنت اصبحت في الصحراء مرتقياً ... بساط رمل به الحصباء كالدرر
او جلت في روضة قد راق منظرها ... بكل لون جميل شيق عطر
تستنشقن نسيماً طاب منتشقا ... يزيد في الروح لم يمرر على قذر
او كنت في صبح ليل هاج هاتنه ... علوت في مرقب او جلت بالنظر
رايت في كل وجه من بسائطها ... سرباً من الوحش يرعى اطيب الشجر
فيالها وقفة لم تبق من حزن ... في قلب مضنى ولا ضنكاً لذي ضجر
نباكر الصيد احياناً فنبغته ... فالصيد منا مدى الاوقات في ذعر
فكم ظلمنا ظليماً مع نعامته ... وان يكن طائراً في الجو كالصقر
يوم الرحيل اذا شدت هوادجنا ... شقائق عمها مزن من المطر
فيها العذارى وفيها قد جعلن كوى ... مرقعات باحداق من الحور

تمشي الحداة لها من خلفها زجل ... اشهى من الناي والسنطير والوتر
ونحن فوق جياد الخيل نركضها ... شليلها زينة الاكفال والخصر
نطارد الوحش والغزلان نلحقها ... على البعاد وما تنجو من الضمر
نروح للحي ليلاً بعد ما نزلوا ... منازلا ما بها لطخ من الوضر
ترابها المسك بل انقى وجاد بها ... صوب الغمائم بالآصال والبكر
نلقى الخيام وقد صفت بها فغدت ... مثل السماء زهت بالانجم الزهر
فان الاولى قد مضوا قولاً يصدقه ... نقل وعقل وما للحق من غير
الحسن يظهر في بيتين رونقه ... بيت من الشعر او بيت من الشعر
انعامنا ان اتت عند العشي تخل ... اصواتها كدوي الرعد بالسحر
سفائن البر بل انجى لراكبها ... سفائن البحر كم فيها من الخطر
لنا المهارى وما للريم سرعتها ... بها و بالخيل نلنا كل مفتخر
فخيلنا دائمًا للحرب مسرجة ... من استغاث بنا بشره بالظفر
نحن الملوك فلا تعدل بنا احداً ... واي عيش لمن قد بات في خفر
لا نحمل الضيم ممن جار نتركه ... وارضه وجميع العز في السفر
فان اساء علينا الجار عشرته ... نبين عنه بلا ضر ولا ضرر
تبيت نار القرى تبدو لطارقنا ... فيها المداوات من جوع ومن خصر
عدونا ما له ملجا ولا وزر ... وعندنا عاديات السبق والظفر
شرابها من حليب ما يخالطه ... ماء وليس حليب النوق كالبقر
اموال اعدائنا في كل آونة ... نقضي بقسمتها بالعدل والقدر
ما في البداوة من عيب تذم به ... الا المروءة والاحسان بالبدر
وصحة الجسم فيها غير خافية ... والعيب والداء مقصور على الحضر
من لم يمت عندنا بالطعن عاش مدى ... فنحن اطول خلق الله في العمر

(ثم) ان الحكومة الجمهورية ارسلت الى حكام الجزائر ينظرون من يصلح لمؤانسة الامير ومجالسته من علماء تلك البلاد فوقع اختيارهم على العلامة الشيخ محمد الشاذلي القسنطيني فحمل الى امبواز فلما وصلها اكرم الامير وفادته واجزل حرمته نظرًا لعلمه فانتج حسن السلوك بينهما مودة استحكمت نواحيها وشدت اواخيها واستمر الامر بينهما على ذلك الى ان نعق في افقهما غراب البين وعادا ما كانا عليه اثرًا بعد عين وقد وقفت لسيدي الوالد رحمه الله على رسالة اثبت فيها احاديث ائتلافهما وما جرى

بينهما من النظم ايام اجتماعهما قال قدس الله روحه الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وارض اللهم عن الصحابة اجمعين وعن الائمة الراشدين اما بعد فهذا تقييد يشتمل على بعض ما كتبناه وكتبه الينا اخونا في الله العالم المتفنن السيد محمد الشاذلي القسنطيني ايام صحبته لنا في فرنسا وورود علينا للتأنيس فكان لنا خير انيس واحسن جليس ننس من همومنا بلطائفه وطرائفه ما لا تنفسه الصبا واجلى من احزاننا ما لا تجليه الصهبا

فكنت به اجلي همومي واجتلي   زماني طلق الوجه ملتمع الضيا
ارى قربه قربي ومغناه غنيتي   ورؤيته ريا ومحياه لي حيا

ولما نعق غراب البين وصار الاجتماع اثراً بعد عين انشدت قول بعضهم

وجدت مصيبات الزمان جميعها   سوى فرقة الاحباب هينة الخطب

وقول الآخر

وقفنا ساعة ثم افترقنا   وما يغني المشوق وقوف ساعة
كأن الشمل لم يك ذا اجتماع   اذا ما فرّق البين الجماعة

نسأل الله ان يجمعنا في الجنة جمعاً لا نخاف بعده بالفراق محنة وان يجعلنا من المتحابين فيه الذين يظلهم في ظله يوم لا ظل الا ظله وان يستعمل قلوبنا وجوارحنا فيما يحبه ويرضاه ويلطف بنا فيما قدره وامضاه وان يختم لنا بالسعادة التي ختم بها لاوليائه ويجعل خير ايامنا واسعدها يوم لقائه وان يفك الاسرى ويعقب الشدة بيسرا متوسلاً في حصول ذلك كله بخير خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين له من امته الفائزين بقربه آمين فمن ذلك ما كتبته اليه حين الملاقاة لاول وصوله الينا نزل الحبيب ومقدمة التناجي والتقريب

اهلاً وسهلاً بالحبيب القادم   هذا النهار لديّ خير مواسم
جاء السرور مصاحباً لقدومه   وانزاح ما قد كان قبل ملازمي
افديك بالنفس النفيسة زائراً   من غير ما منّ ولست بنادم
طالت مسائلتي الركاب تشوقاً   لجمال رؤية وجهك المتعاظم
لا غرو ان احببتكم من قبل ما   شاهدتكم انتم جمال العالم
كانت على سمعي تغار نواظري   حتى رأتك وانت انت مكالمي
عندي الايادي البيض حيث اريتني   ما كان قبلاً في يقين العالم
والآن صرت من اليقين بحقه   وبعينه ان السرور منادمي

اسميّ قطب العارفين لك العلا — متبوءًا منه اجلّ معالم
انت الذي في الفضل اصبح مفردًا — لعلاه ما من مدعي ومزاحم
لا زلت ميمون النقيبة طالعًا — بالسعد ذا فضل وخدن مكارم

فلما اطلعته على هذه الابيات وجدته قد كتب قوله

سلام عليكم طال شوقي اليكم — وقلبي سواكم في البرية ما احب
سلام يفوق المسك نشر عبيره — يعمكم والآل يا سادة العرب
اتيتكم عمدًا لقصد زيارة — لعلي اوءدي ما عليَّ لقد وجب
فمنوا على العبد الذليل بدعوة — ينال بها حسن الختام مع الارب
وكان مرادي ان الاقيكم على — بساط عزيز الملك والحرب في نشب
وما كان في ظني ارى سيدي كما — رأيت ألا لله ما تصنع النوب
فصبرًا لحكم الله راج ثوابه — فان ثواب الله ياتي على التعب

وكتب الاخ المذكور يدعوني للمسامرة

ايا سيدًا فاق الكرام بمجده — وخلق كريم لم يزل طيب النشر
تراه يريح الهم حسن حديثه — ويبرئ مكلوم الفوءاد من الفكر
الا سمر منكم بذا الليل عندنا — فالفاظكم اشهى اليَّ من القطر
وان كان عذرًا لتخلف منكم — فحسبي من اوصافكم طيب الذكر
عليك سلام الله ما قلب عاشق — لوصل حبيب راح يهوى مدى الدهر

فاجبته بقولي

نعم ولكم فضل باشرف دعوة — غدوت بها يا صاح منشرح الصدر
وقد قيل لا يابى الكرامة غير من — له عرق لوءم لم يزل في الخنا يسري
لمجلسكم اعلى الكرامة عندنا — ولفظكم اشهى الينا من الدر
ورؤيتكم اجلى لهمي وانني — غنيت بها عن طلعة الشمس والبدر
عليك تحيات القبول تكرمًا — ايا واحدًا عندي يعدّ بذا العصر

ومن ذلك ما كتبته اليه لما مرض وعدته صباحًا ولم اره مساء

خليلي قل لي كيف امسيت انني — تحملت حزنًا منك يعيى له رضوى
لقد مرضت ارواحنا وجسومنا — لشكواكم ياليت لا كانت الشكوى
فلا تبغ اتلافي فما لي طاقة — على الصبر ياروحي ولست لما اقوى
واني لارجو الله ينعم بالشفا — عليك لتحظى بالسرور كما نهوى

فاجابني بقوله

بخير لقد امسيت والقلب شيق للقاكم شوق المحب لمن يهوى
احن لرؤياكم وضري مانعي وذكراكم انساني الضر والبلوى
لئن كان جسمي في الفراش فهمتي بساحتكم يامن هو الغاية القصوى
سألت الهي ان يخفف ضرنا ويجمعنا فيكم ويكشف ذا الشكوى

ومن ذلك ما بعثت به اليه صباحاً سائلاً عن حاله في ليلته

ياقرة العين قل لي كيف بت فقد والله بت وقلبي في لظى الحزن
مما عراكم عسى فيه اقاسمكم او حمله كله لو كان يمكنني
حتى يتم لنا من وصلكم غرض قد كنت آمله من سالف الزمن

فاجابني بقوله

ياقرة العين عني ان سألت جوى قد بت في الم من شدة الوهن
اكابد الضر والاجفان ساهرة هيهات ما ذاق طرفي لذة الوسن
والآن لم اك مثل الليل ياسندي الحمد لله ربي واهب المنن
جزاكم الله عنا كل مكرمة من فضله ووقاكم سائر المحن

ومن ذلك ما كتبه لاخواني يعاتبهم في تاخرهم عن عيادته

مرضت غريباً بين قوم اعزة فكلهم عن زورتي متمنع
كانهم في غنية عن ثوابها او الطرق لم يعرف لها الدهر مهيع
اذا كنت مصحوب السلامة أقبلوا وان كنت في سقم فربعك بلقع
فهذي خصال البعض عند مريضهم فمن لي عند القوم بالعود يشفع
ولولا اصطباري واحترامي اليهم لكنت لهم افعى بشعري ألسع
ولولا احترامي الامير وآله لكان كلامي للجبال يزعزع

فاجبته عنهم

فديناك لا تعجل بلومك واصطبر وحقك ان العتب للقلب اوجع
لعل لنا عذراً يدافع عتبنا وصدرك في تلك المعاذير اوسع
وان من الاعذار ما ليس ذكره يليق ومنه مهجتي تتقطع
ولست غريباً بين قوم احبة مكانك فيهم من بني الدهر ارفع
فكم من حزين من بلائك واله يبيت على فرش الضنى يتوجع
وجمعي بكم يبقون جمع سلامة بدار بها ما للتفرق منزع

وجئت بلولا فاعلا لجوابها على انها في النحو قد قيل تمنع
وان كنت لساعاً فكن غير حية وكن نحلة ترياقها السم يدفع

فاجاب معتذراً

سلام يفوق المسك والند عرفه يعم حمى قوم كرام المحافل
كرام اذا ما العبد بينهم جنى حبوه بعفو شامل ومآمل
بقدر عظيم الذنب يعظم عفوهم فأكرم بهم قوماً كرام الشمائل
على قدر نقصي عاملوني بفضلكم ايا كاملين الوصف لست بكامل
ندمت على ما كان مني ونادم عقيب وقوع الفعل ليس بفاعل
على ان عقل المرء يذهب للقضا فذو العقل ذو علم وليس بجاهل

فكتبت اليه مجيباً عن اعتذاره

خليلي لاتندم على العتب للحب فان خفيف الحب انفع بالطب
فما ذاك مكروه ولا بمحرَّم بشرع الهوى بل ذاك فرض على الصب
سبيل الهوى هجر ووصل وفرقة وجمع وخلف في الزيارة والعتب
وهذي دواع للعتاب كثيرة لذا كان طول العتب الزم للحب
وقد قيل يبقى الود ما العتب قد بقي فالله ما احلى مقال ذوي الاب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى فاين حلاوات الرسائل والكتب
واطيب ايام الهوى يومك الذي تروّع بالتعنيف فيه وبالسب

ومن ذلك ما كتبته اليه ايام شكواه وقد خرج للتنزه ولم اشعر به

يا ملولاً لا يمل كيف كان اليوم حالك
يا كثير البعد عنا كان كالغدر ارتحالك
كنت من ذا في امان فبدا اليوم تحالك

فاجابني بقوله

لا امل الحب ان كان بعيداً او قريب لست انساه
ليس يرضى الحب بالغدر ولم يهوَ قلبي غيركم قط حبيب
حالكم والحال مني واحد وعليكم سادتي مني رقيب

وقد كنا عودناه طعاماً فحصل ما اوجب قطعه عنه فكتب لي في ذلك مداعباً

فرضتم عليكم للمتيم سنة تؤدونها بعد الفراغ من الفجر
طابتم بها خيراً ولا رمت نفعها واحسنتم والحسن من شيم الحر

وبعد فترتم والفتور مخالف طباع كريم خصه الله بالاجر
رزقتم منا كم لم ترومون قطعه ونظمي له لاشك احسن في الشعر

فاجبته بقولي

سلامٌ عليكم دائم متتابع له نفحة من دونها المسك والعطر
وبعد لعذر قد قطعنا عوائدا تعودتها يا ايها الماجد الحر
والا فاتيات الرغائب شرعنا نرى تركها ذنباً له يطلب الغفر
ولو انني قاسمتكم كل ما لنا كما قاله الانصار والفاضل الحبر
لما جئت في معشار عشر حقوقكم ولا كان ذا شيء لايؤدى به شكر

ومن ذلك ما كتبته اليه استدعاء للاكل عندما يئسنا منه الصحة فانه لما مرض ترك الاكل وكنت اواكله فيما نصنع له من الطعام الذي نعده لانفسنا كرامة وايناساً

اما آن للخل المريض بان يبرا فان صحيح الجسم منه شكى الضرا
توالت عليه جوعة بعد جوعة اخوكم لها قد صار كالقلم المبرا
به وكل الجوع المضعف للقوى فلله ما انكاه فينا وما اجرى
اذا نمت امسى لي ضجيعاً ملازماً وان قمت اضحى كالغريم بنا مغرا
وقد عشت اياماً بظل جنابكم فلله عيش ما الذ وما امرا
الى ان دهانا الدهر يوماً بجده بعادات بين ما احدٌ وما افرا
ففرقنا جمعاً وكدر صفونا وجوّعنا جوعٌ فقدنا له الصبرا
فان شئت فلتبرأ لعلك مدركي والا فان الجوع قد هيأ القبرا
بهذا اشار الناصحون لعلكم ترقون او تاتي لنا منكم البشرى

فاجابني بقوله

خليليَّ لا تجزع من الجوع انه الى كل معتل هو الغاية الكبرى
لانك مصدوع وان بت آكلاً يثير صداعاً ذلك الاكل والصفرا
وعبدك ان يشفيه مولاه في غد سياكل اكل الفيل فاهنأ بها بشرى
ليقضي الذي قد فات اذ كان واجباً وفي الشرع تقضى كل فائتة قسرا

ومن ذلك ما كتبه اليَّ

ايا اهل فن الطب بالله خبروا ايوجدُ للصب النحيل دواء
نهكت سقاماً لم اجد لي شافيا وقلبي من غير الخليل هواء
كلفت بها وهي الفريدة والتي تجمع فيها الحسن وهي ضياء

ولا عيب فيها غير فرط دلالها ... وفي القلب منها للتباعد داءُ
اريد وصالاً وهي تقصد ضده ... ايمكن للضدين ثم لقاءُ
واسأل من ربي اللقاء فانه ... قدير ولي في ذي الجلال رجاءُ

فاجبته

سألت رجال الحب اخبر كلهم ... وهم اهل تجريب واهل ذكاءُ
بان سقيم الحب هيهات ما له ... دواءٌ اذا ما الحب اصبح ناءُ
عسى ولعلّ الله ان يبرد الاسى ... فان رجاء الوصل بعض دواءُ
ولو لم يكن للعاشقين تقرّب ... لوقت وصال ما بقوا لمساءُ
وان دام هجر الحب او زاد بينه ... فذلك داءٌ لم يزل بشفاءُ
وفيمن مضوا في شرعة الحب والهوى ... له اسوة فليصبرن لبلاءُ

كتب هذا خادم المجاهدين عبد القادر بن محيي الدين كان الله له ولاحبته في الدنيا و يوم الدين معتذرًا لمحبه ومنتصلاً من ذنبه عمدًا كان او غلطاً آتيًا او فرطاً هذا واني اعترف باني ما اعطيت لاخي المذكور حقه ولا وفيت له مستحقه اذ ليس عندي لاخوتي من الحقوق مع الاخ المذكور الا ما للاناث مع الذكور فانه لازمني ايام نفور الحميم والقريب وآنسني حين لا انيس لي من الجنس او غريب وتجشم شقة دونها اكبر مشقة في مكان لا يقتحمه الاسد الهصور بل تنقطع دونه اجنحة النسور وكنا قبل وروده علينا نناغي الحائم ونسامر الفرقدين والحمائم وان كنت الحمائم اذا صدحت لا تفهمنا وتجيبنا بالشجى فتدننا كما قيل

رب ورقاء هتوف في الضحى ... ذات شجو صدحت في فنن
ذكرت الفًا وعهدًا في الحمى ... فبكت حزنًا فهاجت حزني
فبكائي ربما ارّقها ... وبكاها ربما ارّقني
ولقد اشكو فما افهمها ... ولقد تشكو فما تفهمني
غير اني بالجوى اعرفها ... وهي ايضًا بالجوى تعرفني

ويرحم الله ابا فراس الحمداني احد الادباء الشجعان وكان اسره الروم مرتين حيث قال

اقول وقد ناحت بقربي حمامة ... ايا جارتا هل تشعرين بحالي
معاذ النوى ما ذقت طارقة النوى ... ولا خطرت منك الهموم ببالي
ايا جارتا ما انصف الدهر بيننا ... تعالي اقاسمك الهموم تعالي
تعالي تري روحًا لديّ ضعيفة ... تردد في جسم يعذب بالي

اضحك ماسور وتبكي طليقة ويسكن محزون ويندب سالي
لقد كانت اولى منك بالدمع مقلتي ولكن دمعي في الحوادث غالي

قال المحقق التفتازاني كان بنو حمدان ملوكاً وجوههم للصباحة والسنتهم للفصاحة وايديهم للسماحة وابو فراس واحدهم بلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة حتى قال الصاحب بن عباد بدا الشعر بملك وختم بملك يعني امرأ القيس وابا فراس وقد ادركته حرفة الادب واصابته عين الكمال فاسرته الروم في بعض وقائعها فازدادت روميته رقة ولطافة فمنها ما قال وقد سمع حمامة قريبة منه تنوح وهي على شجرة عالية اقول وقد ناحت الابيات وهو القائل ايضاً

اسرت وما قومي بعزل لدى الوغى ولا فرسي مهرٌ ولا ربه غمر
ولكن اذا حم القضاء على امرئ فليس له برٌ يقيه ولا بحرُ

انتهى وقد رأيت للسيد محمد الشاذلي المذكور بعض ابيات فمنها ما عزى به الامير في موت احدى سراريه وولدها وهو قوله

خليلي ان تجزع فحق لك الجزعُ بسرد مصيبات لها صدرنا انصدع
حليلتكم ماتت كذا النجل بعدها وسجن بارض الكفر كل لكم قرع
مصائب جلت بعضها يذهب النهى ويفقد معهُ الصبر كيف بها جمع
ولكن قضاء الله يلزمهُ الرضى وحيلته صبرٌ يدوم بلا جزع
وان جل خطب المرء فالله مفزع فما خاب ذو خطب الى ربه فزع
اعزيكم والصبر فيكم جبلةٌ رزقتم عظيم الاجر والفوز بالورع

وقال مداعباً الامير حيث لم يحضر للعشاء معه لامر اوجب التخلف عنه

تعشيتم من غير رعي لحاجتي وما ذاك الا حيث لم تكُ لي عرسُ
ولو حضرت عرسي لما بت طاويا وتصنع لي والله ما تشتهي النفسُ
سألت الهي ان يساوي بيننا ويجمعنا حيث المسرة والانسُ

وقال وقد اكثر يوماً من اكل صفار البيض مع الامير فاثر فيه يقظة ومناماً

ايا معشر الغراب اصغوا لناصحٍ شفوقٍ عليكم الامور تجربُ
واياكم اكل الصفار فانهُ يهيج طبعاً للنفوس معذبُ
يحرك عضواً لا يطاق دفاعهُ اذا لم يلن صبرٌ وذاك مجربُ

والشيخ الشاذلي المتقدم ذكره هو العالم الفاضل الشيخ محمد بن محمد بن ابراهيم ابن احمد الصوى النسب كان اجداده يسكنون طولقه من اعمال الزاب في ولاية

قسنطينه فارتحل جده الى قسنطينه وسكنها ولد سنة اثنتين وعشرين ومائتين واشتغل في تحصيل العلوم على مشايخ افاضل اجلاً وتوفى رحمه الله في سنة اربع وتسعين ومائتين ودفن في تربة اسلافه وفي التاسع والعشرين من صفر سنة خمس وستين ومائتين والرابع والعشرين من دسمبر سنة ثمان واربعين وثمانمائة انعقد مجلس خصوصي للنظر في امر الامير وكان رئيس هذا المجلس البرنس لويس نابليون الثالث رئيس الجمهورية والمارشال بيجو وشانكرني من اعضاء المجلس فتكلموا في قضية الامير واختلفت الاراء واظهر البرنس نابليون ميله الى صحة العهد ووجوب الوفاء به فايده المارشال بيجو في جماعة من الاعيان وخالفه الباقون وكانوا اكثر عدداً فلم يسع الرئيس الا السكوت ثم استحسن بعضهم ان تكتب الحكومة الى الامير في تغيير شروطه التي اشترطها على الجنرال لامورسير وقبلها ثم ايدها حاكم الجزائر الدوك دومال ووافق عليها والده فاستحسنوا ذلك وامروا المارشال بيجو بان يتولى هذا الامر فكتب ما ملخصه « الى » الامير عبد القادر كان مرادي التوجه الى حضرتك لافاوضك في امرك الذي انت فيه ولكن منعني اضطراب الاحوال وحيث ان الكتاب قد يقوم مقام كاتبه فيما يرومه فاني اقول انك قد قاسيت اهوالاً عظيمة وبسببك احتملت بلاد الجزائر مصائب جمة ولحق فرنسا منها اوفر نصيب ومن حين القيت بنفسك وتبن معك الى العساكر الفرنساوية وصرتم في قبضتها حدث في فرنسا اضطراب لم ينقل في التاريخ مثله ولا شك ان بلادك وبلادنا استحقتا هذا القصاص لامر ما فان الله حكم عدل ولا احد يدرك ما يريد فالملك الذي سقط في الايام الماضية كان وعدني وعداً وثيقاً باطلاق سراحك وارسالك الى مكة ثم جاءت الحكومة التي قامت عليه بخلفته فنظرت في امرك وجنحت الى ما جنح اليه الملك ولكن اجبرها الصوت العمومي على ترك ذلك والآن اخبرك اخبار صاحب حقيقي لك انه ربما تمضي سنون عديدة ولا يتيسر لك التوجه الى المواضع التي طلبتها وان سليت نفسك بالاماني الباطلة فان ذاتك تصير في اشد الكدر وبناء على ذلك اشير عليك ان تكون على حسب الحال التي ابرزتها حوادث الدهر على وفق الارادة الالهية وذلك بان توطن نفسك على جعل فرنسا وطناً لك فتطلب من الحكومة ان تعطيك املاكاً جيدة في ارضها ينتج لك منها ما تعيش به كواحد من كبرائها مع مداومتك على اداء وظائفك الدينية كما تريد و بلوغ مرادك من تربية اولادك حيث اني اعلم

ان امر المعاش لا يهمك وانما يهمك مستقبل اولادك مع حقوق الجماعة الذين هم في معيتك فانك تراهم يموتون كمدًا مع انهم لو كانوا في ارض تخصهم لكانت ايامهم تمضي بكل سرور لان حراثة الارض الذ شيء عندهم ويمكنهم ان يتنزهوا ويتسلوا بالصيد متى شاؤوا فيكون لهم من رؤية اشغالهم كل يوم فرح جديد والحق تعالى لم يخلق شيئًا اعظم تسلية للانفس من منظر الاشجار والنباتات الغريبة الكون الحسنة اللون فهذا ما اشير به بحسب حقوق الانسانية وبالخصوص عليك لما الم بك من المصائب مع اتصافك بالصفات الحسنة التي وهبها الله لك راجيًا قبول تحياتي المقدمة مع الاكرام والاحترام في الخامس من ربيع واربعين الاول سنة خمس وستين ومائتين والثامن والعشرين من كانون الثاني سنة تسع وثمانمائة «فاجابه» الامير بقوله لو جمعت فرنسا سائر اموالها ثم خيرتني بين اخذها واكون عبدًا وبين ان اكون حرًّا فقيرًا معدمًا لاخترت ان اكون حرًّا فقيرًا فلا تراجعوني بمثل ذلك الخطاب فانه ليس عندي بعد هذا الخطاب جواب والى الله ترجع الامور وبيده كشف هذا الديجور «قال» بعض مؤرخيهم ومن عجيب امر هذا الامير العظيم ان هذا الخطاب المرعب المؤذن لسامعه باليأس مما ينتظره من الفرج لم يؤثر فيه ولم يصرفه عما هو عليه يعني من الاشتغال بالعلم ومطالعة فنونه وافادة طالبيه والادمان على اداء الصلوات المفروضة في اوقاتها والعكوف على تأليف الرسائل وتوضيح المسائل ومما ألفه في مدة اقامته بامبواز رسالة سماها ﴿المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الاسلام من اهل الباطل والالحاد﴾ ولما كانت هذه الرسالة عظيمة الفائدة رغبت ان اثبت ما ذكره قدس الله سره من سبب وضعها ومجمل ابوابها واذكر من الباب الثالث جملة كافية لاشتمالها على المقصود منها ليكون المطالع على يقين في الدين قال رضي الله عنه بعد الخطبة اما بعد فاني في ايام اقامتنا في امبواز عند الدولة الفرنساوية الفخيمة تكلم احد رؤساء الدين المسيحي في الاسلام وقال ان الغدر وعدم الوفاء فيه غير قبيح ولا منهي عنه فسمعه بعض من له محبة ورغبة في اظهار الحق فجاء الي والح في الطلب علي ان اضع في هذا الامر رسالة تتضمن بيان ما في شرع الاسلام مما يكذب قوله وينبذ سخفه فاعتذرت اليه بالحال التي نحن فيها ثم اعاد الطلب وشدد فيه وذلك حين افضت رئاسة الجمهورية الى فرع شجرة عظماء ملوكهم البرنس لويس نابليون بونابرت فاجبته معترفًا باني لا اصلح ان اكون تلميذًا لعلماء

الاسلام فضلاً ان اكون من جملتهم ولما كان المقصود من هذه الرسالة بيان حكم شرع الاسلام في الغدر والوفاء وذلك مستلزم لذكر كلام المشرع وكلام الله تعالى المنزل عليه وكلام التابعين له حقيقة لزمني ضرورة تقديم كلام في اثبات الالوهية ثم فى اثبات النبوة والرسالة لان هذه الامور مرتب بعضها على بعض فهي كالاساس لما نذكره وقد رتبت هذه الرسالة على مقدمة وثلاثة ابواب المقدمة في الكلام على العقل وما يتعلق به الباب الاول في اثبات الالوهية وفيه ثلاثة فصول الاول في النظر في خلق الارض وما يتولد منها والثاني في النظر في خلق السموات وما فيها من بديع الحكم الثالث في النظر في خلق الانسان الذي هو المقصود بالايجاد وكل شيء خلق لاجله الباب الثاني في اثبات النبوة مع الرّسالة وفيه فصلان الاول في اثبات الرسالة على الاطلاق والعموم والثاني في ثبات رسالة مشرّع دين الاسلام على الخصوص الباب الثالث في موضوع الرسالة وهو بيان ما ورد في الشرع من وجوب الوفاء والامر بـه وترك الغدر والنهي عنه وما يتعلق بذلك كالصدق والكذب وترتب هذه الرسالة وضعاً هو بحسب الترتيب عقلاً لان اثبات الالوهية مرتب على وجود العقل واثبات النبوة والرسالة مرتب على اثبات الالوهية وبيان ما يحمد وما يذم من الاقوال والافعال والصفات مرتب على اثبات النبوة والرسالة وسميتها ﴿ بالمقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الاسلام من اهل الباطل والالحاد ﴾ ثم اخذ في تقرير مسائل المقدمة والابواب والفصول واتى في ذلك بفوائد لم يسبق اليها وفرائد لم يتقدمه احد الى الغوص عليها وبسط الكلام في الباب الثالث وقال فيه رضي الله عنه اعلم ان شريعة محمد عليه الصلاة والسلام مشتملة على محاسن الاخلاق ومحامد الآداب وكل ما يكون به الوفاق والائتلاف والاتفاق والخلوص بين العباد وتصلح بـه المعيشة الدنيوية وتعمر به البلاد سواء في ذلك اهلها او غيرهم فدين الاسلام يحتوي على كل شيء مستحسن لم ينكر منه عدو ذو عقل سليم شيئاً بل كل جاحد له وكافر به اذا سمع ما يدعو اليه صوّبه واستحسنه دون طلب برهان عليه لوضوحه فهو دين جامع لكل ما تفرق في الاديان والشرائع السالفة كما قال المسيح عليه السلام ما جئت لابطل التوراة ولكن جئت لاكمله فكذلك محمد عليه السلام ما جاء ليبطل التوراة والانجيل ولكن جاء ليكملهما فالتوراة جاء بالقصاص النفس بالنفس والانجيل جاء بالعفو اذا لطمك اخوك على خدك الايسر ضع له خدك

الامين والقرآن جاء بالقصاص في قوله كتب عليكم القصاص في القتلى الآية وبالعفو في قوله فمن عفا واصلح فاجره على الله الى غير ذلك مما يطول تتبعه والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم بقوله انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق تعريفاً بان الانبياء قبله بعثوا بمكارم الاخلاق وبقيت عليهم بقية فبعث بما كان معهم وبتمامها قاله الحكيم الترمذي فما من خلق حسن ولا صفة حسنة سواء يدرك العقل حسنها اولا مما يحصل به طيب الحياة الدنيا الا جاء الشرع بمدحها والامر بها والوعد عليها بالجنة وما من صفة ذميمة او خصلة لئيمة مما يحصل به التنافر بين العباد الا جاء الشرع بذمها والنهي عنها والتوعد عليها بالنار وبيان ذلك في مثل الصدق والوفاء والاحسان والايثار والاقتصاد في الامور والاشتغال بعيب النفس عن عيوب الناس والانصاف من نفسك وانفاق المال لصيانة العرض والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واصلاح ذات البين واماطة الاذى عن الناس والاستشارة والادب والاحترام والاجلال لافاضل الناس وادخال السرور على الناس والارشاد لهم بالتعليم والتربية وفشاء السلام واكرام الجار واجابة السائل والاعطاء قبل السؤال واستكثار قليل الخير من الغير واحتقاره من نفسك وبذل الجاه وبذل البشاشة والبشر في وجوه الناس والتواضع والتعاون على الخير والتأني والتوادد وتنزيل الناس منازلهم والصبر والتغافل عن زلل الناس وتحمل الاذى وترك الاذى وترك الكبر وتجنب العجب وترك معاداة الرجال والجدال والتكلف وتجنب مواضع التهم وتجنب الظلم الى غير ذلك كالثبات في الامور وجلب المصالح للعباد ودفع المفاسد عنهم والحلم والحياء وحفظ الامانة والعهد وحماية العرض والصمت عما لا يعني والتعقل في المقال والتأمل فيه وحسن الظن وطيب المعاشرة وطلب المعيشة ورحمة الضعفاء والصغار والرضا بالدون من المجالس والرقة وخدمة الضيف والاصحاب والفقراء والرفق في المعيشة والرأفة والزهد في الدنيا والسخاء والسماحة والصفح عن المذنب والصدقة وصلة الرحم وطهارة الباطن والعفة والعدل والعفو وعلو الهمة والقيام بحق الحق تعالى والخلق وقبول الحق وقول الحق وقضاء حوائج الناس وكظم الغيظ والمداراة والمخاطبة بلين الكلام والمعاشرة بالمعروف ومعرفة الحق لاهله ولمن عرفه لك والمكافأة وهضم النفس وترك الحقد والحسد وحب المال وتجنب العداوة والبغضاء وترك التذلل للاغنياء وترك الشح والبخل وتجنب الغل والكذب والغدر والغش والايذاء وتجنب الظلم والجفاء والجور والطيش وترك

العجلة والبغي وتجنب الحدة وجحد الحق وانكاره وترك اثارة الفتن وتجنب ضيق الصدر وترك سوء الظن وتجنب قلة الرحمة وقلة الحياء وتجنب الحرص والحمق وترك حب الرياسة وتجنب كفران النعمة وترك طلب العلو على الناس وترك الطمع وتجنب الجهل وترك المكر والخيانة والمخادعة وغير ذلك فان الاخلاق المحمودة والمذمومة غير محصورة فيما ذكرناه ﴿واعلم﴾ ان التحلي بالصفات المحمودة والتخلي عن الصفات المذمومة هو المسمى بحسن الخلق وهو الذي عناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله البر حسن الخلق رواه البخاري ومعناه الفعل المرضي الذي هو جامع لخيري الدنيا والآخرة ﴿ثم اخذ﴾ في تعريف الخلق وتقسيمه وذكر ان امهات محاسن الاخلاق اربعة وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل وبين فروعها وثمراتها وقال بعد ان انهى الكلام فيها وفيما يتعلق بها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاخلاق المحمودة الا الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام واكملهم مشرع دين الاسلام وهو نبينا ولهذا قال انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقد شهد له القرآن بذلك قال الله تعالى مخاطبا له وانك لعلى خلق عظيم والناس متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق الحميدة فهو قريب من الله بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المسلم حقيقة وكل من فقدت منه هذه الاوصاف فهو بعيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بمسلم حقيقة فكيف يظن ظان او يتوهم متوهم فيمن خلقه الله مطبوعا على كل خلق تستحسنه العقول السليمة ان يكون فيما شرعه نقص تنكره العقول الكاملة ولا تسلمه الآراء الفاضلة فهو رحمة ارسلها الله للعباد ولذا قال عليه الصلاة والسلام انما انا رحمة مهداة الى الخلق وقال تعالى يخاطبه وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فهو رحمة لمن دخل في دينه ولمن لم يدخل فيه فان قلت هذا ينافي ما في شرع الاسلام من الجهاد والقتال فانه ليس بحسن في وضعه ولا رحمة ظاهرة فيه لانه تعذيب عباد الله وتخريب بلاده وليس ذلك بحسن قلنا انما صار حسناً بواسطة دفع الضرر عن الاسلام ودفع اذية المحاربين لان الله تعالى قدر بارادته وبما سبق في علمه ان تكون امة الاسلام اكثر الامم المخالفة لها حتى تكون نسبة كل امة اليها نسبة الجزء الى الكل والعقل حاكم من غير تردد بان رعاية الاكثر مقدمة على رعاية الاقل وبان حرمة الواحد ليست كحرمة الجماعة فالنفوس الهالكة بالقتال لقلتها ساقطة من الاعتبار فكأنها بالنسبة الى النفوس

الناجية شر قليل واقع بجنب خير كثير ولا يليق بالصانع الحكيم ترك خير كثير لشر قليل واستمر رضي الله عنه ينسج على هذا المنوال الى ان قال فماذا يقول القائل في شرع الاسلام الذي احكامه كلها جارية على ما يستحسنه كل عاقل و يستصوبه كل فاضل كامل ويتعالى و يتنزه مشرعه الذي جمع الله فيه صفات الكمال ان يكون في شرعه نقص كالغدر والكذب والخيانة والخديعة هذا من المحال قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود والعقود هي العهود الموثقة فهذا امر منه تعالى لعباده بالوفاء فيما يعقدون وقال تعالى ليس البرّ ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء و حين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون ﴿ قال ﴾ البيضاوي البر كل فعل مرضي والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها تصريحًا او ضمنًا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرًا الى ايمانه واعتقاده و بالتقوى اعتبارًا لمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق تعالى واليه اشار عليه الصلاة والسلام بقوله من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان وقال تعالى ان شرّ الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون اي لا يخافون سيئة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار وقال تعالى و بعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وقال تعالى خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين اي لا تكافئ السفهاء بمثل قولهم او فعلهم بل احلم عليهم وقال تعالى وأما تخافنّ من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين امر الله نبيه اذا عاهد قومًا من العدو وظهرت منهم علامة نقض العهد ان يطرح لهم العهد و يخبرهم اخبارًا بينًا واضحًا انه نقض العهد الذي بينه و بينهم ولا يعاجلهم بالحرب وهم على توهم بقاء العهد حتى يعلمهم و ياخذوا حذرهم و يستعدوا ومن لم يفعل هذا يكون خائنًا في العهد والله لا يحب الخائنين في العهود وقال تعالى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر كان عليه السلام قد عاهد الكفار والمشركين الى آجال معدودة فمنهم من وفى فامره الى الله

ان يتم له عهده ومنهم من نقض او قارب النقض فجعل له اربعة اشهر يسير فيها آمنًا حيث شاء وبعدها لا يكون له عهد وقال تعالى الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئًا ولم يظاهروا عليكم احدًا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فقوله ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام العهد من باب التقوى وقال تعالى انما يتذكر اولوا الالباب الذين يوفون بعهدالله ولا ينقضون الميثاق الآية وقال واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً وقال واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولاً ولم يزل على هذا الاسلوب يسرد الآيات القرآنية والاحاديث النبوية واقوال الفقهاء وحكم الحكماء يؤسس المباني ويوضح المعاني الى ان ختم الرسالة بما جبلت عليه الامة العربية من مكارم الاخلاق وذكر ما لها في مدح الوفاء والصدق وذم الغدر والكذب ثم قال وباقي الامم وان كانت تثني بالعهد وتستقبح الغدر والكذب فالامة العربية اكثر واشد من جميع الامم في ذلك فانهم في جاهليتهم كانت لهم نفوس زكية واخلاق مرضية وافعال كريمة وهمم عظيمة وعقول راجحة وآراء ناجحة وشرف صميم وانفة من كل خلق ذميم طبعوا على خصال الفضل والمروءة قبل ان تكون بينهم النبوة قال مؤلف الدر والعقيان الامام الحافظ التونسي روى عن شبيب بن ابي شيبة قال كنا في مجلس اجتمع فيه كثير من الاشراف فورد علينا ابن المقنع وكان من اشراف الفرس وحكمائها وعلمائها وعقلائها فقال لنا من افضل الامم فنظر بعضنا الى بعض وقلنا لعله يميل الى اصله فقلنا فارس فقال ليسوا هناك ملكوا كثيرًا من الارض وحووا عظيمًا من الملك ولبثوا في ذلك دهرًا فما استنبطوا بعقولهم شيئًا فقلنا الروم فقال اصحاب صنعة فقلنا الصين فقال اصحاب طرفة فقلنا الهند قال اصحاب فلسفة فقلنا السودان قال شر خلق الله فقلنا الخزر قال نعم سائمة فقلنا فمن قال العرب فضحكنا فقال ما اردت موافقتكم ولكن اذا فاتني حظي من النسب فلا يفوتني حظي من المعرفة والادب وذكر المؤرخون الاقدمون ان يزدجر بن سابور ذي الاكتاف لما ولد له ابنه بهرام جور اخبره منجموه عن مولده وسعادته وجدته ومصير الملك اليه بعد شدة ومحنة وانه ينشأ بين امة نائية ذات همم عالية وحلوم زاكية ونفوس ابية ففكر يزدجر في خصائص الامم ومزاياها فرأى ان العرب اولى الامم بتلك الاخلاق التي وصفها له المنجمون ووقع اختياره عليهم فكتب الى النعمان الاكبر ابن امرىء القيس

فاستحضره مع جماعة وافرة من رؤساء العرب وساداتها فواصلهم وبرهم وسلم اليهم ابنه بهرام جور وامرهم بكفالته فاسترضعوا له نسوة الى ان كبر وكان من امره ما يطول ذكره نقله مظفر الاندلسي في كتابه السلوانات واذا كان طبعهم ما ذكر في زمن الجاهلية فكيف بعدما هذب طبعهم الوحي والآيات القرآنية ولذا تراهم في الجاهلية والاسلام اكثر مدحهم بالصدق والوفاء واشد ذمهم بالغدر والكذب ولهم اسجاع واشعار تخرج عن حد الاحصاء (فمنها) انه قيل لبعضهم ما قيمة الصدق قال طول العمر في الدنيا قيل له فما قيمة الكذب قال موت عاجل وقيل لبعضهم ما افضل المروءة قال رغبة الرجال في الوفاء بوعده وعيده وقال بعضهم من وفا بالعهد فاز بالحمد ومن عرف بالصدق قبل كذبه ومن عرف بالكذب لم يقبل صدقه وقال بعضهم اربعة من علامات اللؤم استعمال الغدر وافشاء السر واسائة الجوار وتجنب الاخيار وقال بعضهم من النفاق غش الصديق ونقض العهود والمواثيق وقال بعضهم علامة الايمان حسن الخلق وحفظ العهود والمواثيق وعلامة النفاق نقض العهد واخلاف الوعد وقال بعضهم لاسيف مثل الحق ولا عون مثل الصدق وقال بعضهم فعل المرء يعرب عن اصله وقوله يعرب عن عقله وقال بعضهم صونوا المواعيد من الاخلاف والايمان من حنث الاوعاد والاجلاف وقال معاوية يوماً لخالد السدوسي انك تحب علي بن ابي طالب حبا مفرطا فقال احبه والله لحلمه اذا غضب وعدله اذا حكم ووفائه اذا وعد وقال بعضهم لولده يا ولدي لا خير في قول الا بفعل ولا في مال الا بجود ولا في صدقة الا بوفاء ولا في حياة الا بصحة وأمن وقال بعضهم من كذب ذهب جماله ومن ساء خلقه كثر غمه وقال بعضهم اعظم الناس قدراً رجل واحد وهو من لا يبالي بالدنيا في يد من كانت واجود الناس رجل واحد وهو من جاد عن قلة واسوأ الناس حالاً رجل واحد وهو الذي لا يثق باحد لسوء ظنه ولا يثق به احد لسوء فعله وقال بعضهم لازم الصدق جداً وهزلاً ولا ترض العبيد باسخاط المولى وقال بعضهم وجاهة العاقل اوقع في النفوس ومخالفة الفعل للقول تنكس الرؤس وقال بعضهم وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتعليل وقال بعضهم شر الناس من لايعتقد اداء الامانة ولا يجتنب الغدر والخيانة وقال بعضهم سعادة الانسان في سلامة الصدر وصدق اللسان وقال بعضهم الفاضل يعجل بالوعد قولاً ويعقبه بالانجاز فعلاً (ثم قال) بعد ان اكثر من النقل في هذا المعنى وللعرب في المدح بالوفاء والذم بالغدر اشعار كثيرة منها قول امرىء القيس في المدح

وتعرف فيه من ابيه شمائلاً ومن خاله ومن يزيد ومن حجر
سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا ونائل ذاك ذا صحاء وذا سكر

(وقول) ابن الزبعرى يمدح قوماً

الخالطين فقيرهم بغنيهم حتى يكون فقيرهم كالكاف
والقائلين بكل وعد صادق والظاعنين لرحلة الايلاف

(وقول الحسن) السبط رضى الله عنه

ولا اقول نعم يوماً فاتبعها خلفا ولو ذهبت بالمال والولد

وقول الآخر

علت مكانته فقر مكانه فتأكد التنزيه والتفضيل
يكفيكم ما قد بدا من صدقه والصدق بالعز المكين كفيل

وقول ابن الخطيب

واحكمت عقدالسلم لم تأل بعده وفاء فصح العقد واستوثق الربط
تقر لك الاملاك بالشيم العلا اذابذل المعروف او نصب القسط

وقول ابى القاسم

ولا انسى العهود ولو جفاني عليها اقاربي طراً وناسي
ولا ادرى لنفسي من كمال سوى اني لعهدك غير ناسي

وقول الآخر

ان الوفاء على الكريم فريضة واللؤم مقرون بذي الاخلاف
وترى الكريم لمن يعاشر منصفاً وترى اللئيم مجانب الانصاف

وقول الحطيئة

قوم اذا عقدوا عقداً لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا
اولئك الأنف والأذناب غيرهم ومن يساوي بانف الناقة الذنبا

وقول الآخر

اعلم بان صداقة الابرار ان تجعل الاعلان كالاسرار
ان اللسان هو الضمير فوعده ووعيده دين على الاحرار

وقول الآخر

اذا قلت في شيء نعم فاتمه فان نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا تسترح وترح بها لئلا يقول الناس انك كاذب

وقول آلاخر

انا شدكم والحر اوفى بعهده ولن يعدم الاحسان والخير جازيًا
خيالاً على بعد المزار يلم بي فيذكرني من لم اكن عنه ساليًا

وقول ابن الحباب

ففضلك مشهور ووعدك ثابت وذكرك منثور وفعلك مرتضى
فكيف يحل المبطلون بافكهم معاقد صدق احكمتها يد القضا

وقول آلاخر

لا تقولن اذا ما لم ترد ان تتم الوعد في شيء نعم
فاذا قلت نعم فاصبر لها بوفاء العهد ان الخلف ذم

وقول حسان بن ثابت

هجوت محمداً فاجبت عنه وعند الله في ذاك الجزآء
هجوت محمداً براً تقيا رسول الله شيمته الوفاء

وقول لبيد

وما حملت من ناقة فوق رحلها ابر واوفى ذمة من محمد

هذا آخر الرسالة ولولا خوف الاطالة والخروج عما اقتضته المناسبة لما نقلناه منها لاثبتناها كلها (ولما) طالت المدة وازداد الامر شدة قال مستغيثًا بحضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم

ماذا على ساداتنا اهل الوفا لو ارسلوا طيف الزيارة في خفا
يترصد الرقباء حتى يغفلوا ويكون مانع وصلنا ليلاً غفا
فاذا تمكنت الزيارة خفية ياتي مواعد وصلنا متلطفا
ويكون قبل حلوله افرشته خدي وطاء للنعال وللخفا
ويكون بيت نزوله قلبي الذي وحياتهم من حب غيرهم عفا
ضيف له نزل لدي كرامة كبد شواها البعد في جمر الجفا
يا سعد ان كنت البشير بوصله فلقد اتيت على المسرة والوفا
لو ان نفسي لي اليك بذلتها واراه بذل مقصر ما انصفا
وتكون يا سعد المساعد للذي من هجر من يهواه صار على شفا
لم يبق يوم البين والهجر الذي خلقا لتعذيب الاحبة مسعفا
الا صبابته وجسماً قد غدا ملقى كشن بالفلا ان يخصفا

زفرات قلبي جمر نار اججت | منها دموع العين فاضت ذرّفا
هل من منام للديغ بمرّة | فضلاً عن المرات او هل من غفا
بمحاجر من حاجر اقذاء قد | طردت ضيوف الطيف جاءت طوفا
مهما تالق برق سلع والحمى | كادت تفيض النفس منه تاسفا
واراه سيفًا صارمًا وسط الحشا | فعل الافاعي او شهابًا ما انطفى
يحكي زفيري رعده ورياحه | وبوبله حاكى دموعي الوكفا
واذا جرى ذكر العقيق واهله | اجرى العقيق تاسفًا وتلهفا
يا اهل طيبة ما لكم لم ترحموا | صبًا غدا لنوالكم متكففا
لا تجمعوا بين الصدود وبعدكم | حسبي الصدود عقوبة فلقد كفى
لم ادر شيئًا قبل معرفة الهوى | حبي لكم ما كان قط تكلفا
ما بالهم يا صاح لم يتذكروا | صبا كئيبًا في المحبة مدنفا
ما قيل ذاك اسيرنا وقتيلنا | بين العوادي والاعادي مثقفا
قلبي الاسير لديكم والجسم في | اسر العداة معذبا ومكتفا
حاشاكم الجميل ظني فيكم | ان تشمتوا فيّ العدوّ المرجفا
ولطالما لام العذول بحبكم | واطال عتبي ناصحًا ومعنفا
ولكم جنى كيما يصرف وجهتي | عن وجه ودكم ولم يك مصرفا
ويود لو اني سلوت هواكم | فيكون لي خلاً وفيا منصفا
قلب الشجي كما علمتم انه | لا يثني عن حبكم متخوفا
يبغي الوصال ولو تمزق تالفا | ويلذ بالتعذيب ان يك متلفا
يسري ولو ان الظلام عداته | ويسير لو كان النهار المرهفا

(ولما) انتخب لويس نابليون لرئاسة الجمهورية وثبتت قدمه فيها وجه عنايته الى الامير بالتوسعة عليه والخروج للتنزه خارج البلدة فكان الامير يخرج كل يوم خميس في العربية محفوفة بالعساكر الخيالة وبقية جماعته يخرجون مشاة مع العساكر المشاة الى الاماكن البهجة اللطيفة المنظر وعين لاجواتهم مدفنًا في طرف البستان داخل السراية ودفن فيه نحو العشرين نفسا بين ذكور واناث فيهم للامير ابنان وبنت وام ولد مولدة واخرى سودانية وجعلوا على تلك المقبرة حاجزًا من حديد وقد زرتها سنة ثلاث وثمانين ومائتين ولم تزل محفوظة الى الان

﴿ ذكر اخبار البرنس لويس نابليون وما اجراه من تسريح الامير ﴾
﴿ واستيلائه على عرش المملكة وتسميته امبراطور فرنسا ﴾

ولما تمكن البرنس لويس نابليون من زمام الاحكام واحس من نفسه القوة والترقي الى الملك انف من المساهمة واخذ يجدع انوف الاحزاب واهل العصبيات وباشر الامور بنفسه فاستمال قلوب العامة والعسكر واستجلبهم اليه بلين الجانب وحسن السياسة وكان من جملة ما دبره في قضية الامير ثم ابرزه للعيان تفريق جماعته ليسهل عليه الوصول الى وفاء العهد الذي جعله الملك فيليب ورؤساء الجمهورية في زوايا الاهمال فكتب اليه ان الانسان اذا وقع في وحل يتعين عليه في خلاصه منه ان يرفع رجلاً بعد اخرى وقد ارنا ان نطلق سراح من لهم اقارب في وطن الجزائر من جماعتك الذين هم معك في امبواز فان رجوعهم الى وطنهم اولى لهم واريح لك من القيام بشؤونهم فاجابه الامير الى ذلك ولما جاء الامر بسفرهم اخبرهم الامير بذلك فصعب عليهم فراقه وبعد سفرهم بمدة اتى امر في سفر اخوة الامير واتباعهم فاخذوا الى مدينة الجزائر ومنها الى عنابه في تخوم بلاد الجزائر من جهة تونس ولما سافر اخوة الامير من فرنسا وبقي فيها قال

الا ان قلبي يوم بنتم وسرتموا ... غدا حائما خلف الظعون يسير
يقاسي مرار الموت من الم الجوى ... فما ليَ الا انة وزفير
رحلتم ولو تدروا رحمتم فبينكم ... لخطبي يوم للبلاء عسير
وكنت ليوم البين اعددت عدة ... وفي الظن ما اعددته لكبير
فخان الذي اعددته لفراقكم ... وولت جيوش الصبر وهي غرور
فلو انكم يوم الفراق اعرتم ... قلوبكم لي انني لصبور

(وبعد) ايام كتب البرنس يعتذر الى الامير عن فصل اخوته عنه وقال انما فعلت ذلك لاختبر احوال الامة الفرنساوية من جهتكم فان سكتوا ولم يتعرضوا بعد ايام قليلة اطلق سراحكم للمشرق والا فاقول ان غريمكم والمقصود بالحكم هو نفس الامير ولا زال محبوساً ولما تبين لنا الآن رضاء الامة بما فعلناه فابشر عن قريب يحصل لك الفرج وكانت المراسلات سرية بين البرنس والامير بواسطة القبطان بواسني الموكل بامور الامير

ذكر زيارة البرنس نابوليون الثالث للامير عبد القادر في قصر امبواز

ولما سنحت الفرصة للبرنس في انجاز وعده اعتزم على الخروج من باريس يتفقد احوال الولايات فلما مر بمدينة تور بعث الى القبطان بواسني يخبره بمروره على امبواز و يامره ان يتلقاه في موقف السكة الحديدية التي تقله ويهيؤا له عجلات يتوجه فيها الى القصر ليجتمع بالامير فلما كان اليوم المعين يوم الثلاثاء ثالث المحرم سنة تسع وستين ومائتين والسادس عشر من (اكتوبر) تشرين الاول سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة خرج البرنس من تور وفي معيته المارشال سنتارنو وزير الحرب والجنرال روغو والكرونيل فلوري ولما وصل لمحطة السكة الحديدية نزل وسلم على الجمهور الذي ينتظره ومكث قليلاً ثم ركب متوجهاً الى القصر ولما قرب منه نزل الامير عند باب القصر فلما رآه البرنس نزل عن العجلة فتلقاه الامير وسلم عليه ثم مشى البرنس ويده في يد الامير الى ان دخلا القصر ولما استقر بهما المجلس في المحل المعد للاستقبال اقبل البرنس على الامير وساله عن حاله وضيق صدره وحبسه بهذا المحل اربع سنوات ثم قال انكم قد جلبتم دقة نظري واستلزمتم محبتي بما اشتهرتم به من الخصال الحميدة والبسالة والشجاعة وجميع ما ابرزتموه من انواع المدافعة عن وطنكم ولا انظر اليكم بنظر اسير بل بضيف محترم فاجابه الامير انني كنت اسمع بمحاسن اخلاقكم وعلو جنابكم المكارمين عند الجميع فتعشقتكم غيابا وتولد في قلبي لكم محبة عظيمة وبهذا اليوم قد ازداد حبي وتعظيمي لما اظهرتموه من اللطف والاحسان وانني مدة اقامتي بهذا القصر قد رأيت من اهالي فرنسا الحرمة التي لا انساها ابداً وكنت اعامل بمعاملة ضيف لا بمعاملة اسير فقال البرنس انه كان في خلدي من مدة انني لو اجد سبيلاً الى خلاصك من يد من لم يكترثوا بوفاء العهد لك ما تاخرت عن ذلك ثم ان الباري تعالى وجه قلوب الشعب الفرنساوي الي فاختاروني رئيساً لحكومتهم ولاول قبضي على زمام الاحكام صممت على اظهار ما كان في الخيال الى العيان والان صار وقته ثم اخرج ورقة من جيبه وناولها للامير وقال هذه ورقة تسريحك تعلن بوفاء عهد فرنسا لك فاخذها الامير مستبشراً بما سمعه منه ودعا له واثنى عليه ونص ما في الورقة عبد القادر انني اتيت لاعلن لك بحريتك وانك ستحمل بمن معك الى عاصمة سلطان تركيا وذلك بعد الفراغ من الترتيبات المقتضية لسفرك وستعين لك الحكومة الفرنساوية مرتباً يليق بمقامك واعلم ان سجنك قد كدرني كدراً

حقيقياً مدة طويلة وكنت احسب ان الحكومة السابقة قد قصرت جداً حيث انها لم تتمم ارتباطاتها معك وعندي ان عدم الثقة بامة عظيمة من جهة نقض عهدها يحط قدرها وشانها واخبرك بما اعتقده فيك وهو انك لا تحرك ساكناً في الجزائر لعلمي ان ديانتك توجب عليك الخضوع والتسليم لاحكام القضاء والقدر فان استيلاء فرنسا على الجزائر ما وقع الا بارادة الله تعالى . واعلم ان دولة فرنسا بل الامة كلها لا تتخلى عن ذلك الاستيلاء وآخرها يموت قبل ان يسلم فيه واذا كنت عدواً لفرنسا فلا يمنعني ذلك من ان اشكر اخلاقك الحميدة وشجاعتك وصبرك على الشدائد ولذلك افتخر باطلاقك واثقاً ثقة تامة بقولك حرر في السادس عشر من (اكتوبر) تشرين الاول سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ثم قال البرنس للامير انني بعد عشرة ايام اراك في باريس لتحضر الاحتفال المقرر اجراؤه ووجودكم بذلك الاحتفال يكون باعثاً للافتخار ثم هيئت سفرة الغدا وكان الاكل جزائرياً وبعد الفراغ من الغدا قام البرنس الى المتنزه المطل على البلد ونواحيها وعند خروجه منه تقدم له الامير والدته فقبل البرنس يدها وسألها الدعاء ثم قدم له اولاده وخليفتيه والاتباع فحيوه تحية اعظام واجلال واظهروا له السرور والحبور بما انعم على سيدهم وعليهم فقابلهم بالقبول والبشاشة واستمر ماشياً والامير معه حتى وصلا الى الموضع الذي استقبله فيه عند باب القصر قال بعض المؤرخين ولهذا القصر آثار تاريخية وهو انه كان مقراً لكثيرين من ملوك فرنسا واول من اتخذه مقراً لويس الحادي عشر الذي اصدر منه امر سن مشيل وشارل الثامن ولد وتوفي فيه وقلود دي فرانس زوجة فرانسوا الاول ولدت اكثر اولادها فيه وزاد له لويس نابليون الثالث شرفاً عظيماً حيث اعطى الحرية فيه للامير عبدالقادر

ذكر توجه الامير الى باريس ولطائف اخباره وما هبت به نسيم رحلته المعطرة بنفحات آثاره

ولما مضت تسعة ايام من الموعد جاء الامر بتوجه الامير الى باريس وشاع الخبر في فرنسا فهرع الناس الى باريس من كل فج ليحضروا احتفال دخول الامير اليها وفي اليوم الحادي عشر الذي جعل موعداً للسفر وهو الرابع عشر من المحرم سنة تسع وستين والسابع والعشرين من اكتوبر سنة اثنتين وخمسين توجه الامير وبمعيته قره محمد والسيد علال شقيق خليفته السيد قدور بن علال والقبطان بواسني الموكل بأموره من امبواز وتبعد نحو اربع ساعات عن باريس بالسكة الحديدية وكان يوم وصوله يوماً مشهوداً بالاحتفال الذي اجرته دولة فرانسا المنوله

الى عاصمتها قال بعض المؤرخين وصار للامير احتفال عظيم يستحقه مقامه السامي واستقبلته الوزراء ورجال الحكومة وغصت ازقة باريس على اتساعها بجماهير الناس ولما شاهدوه استولى عليهم الطرب قال مسيو شارل اينار الفرنساوي في بعض كتاباته على تصرفات الجنرال لاموريسير مع الامير وتقلبات الاحوال كيف جعلت الجنرال المذكور يمشي في طرقات باريس بدون ان يلتفت اليه احد وان المغلوب يعني الامير يدخلها دخول الانتصار والاهالي جميعها تزدحم لمشاهدته واتفق ان صاحب ملعب باريس الكبير كان عازماً على تشخيص يجريه تلك الليلة يحضره البرنس وسائر الوزراء ورجال الدولة فبعث وزير الحرب نائبه الكرونيل هنري الى الامير يخبره بذلك فاعتذر بالتعب من حركات سكة الحديد ولما اخبره بحضور البرنس الى الملعب اجابه الى ذلك وسار به الكرونيل الى المحل المعد له فتدافع الناس الى رؤيته واشتد ازدحامهم حتى سدوا عليه الطريق قال بعضهم ولما دخل الامير الى الملعب وجه كل من كان حاضراً فيه نظره اليه ولما بلغه حضور البرنس الى غرفته في الملعب بعث اليه يستأذنه في الاجتماع به فاذن له ولما خرج متوجهاً اليه قام ذلك الجمع الوافر رافعين البرنيطات تحية له وتلقاه البرنس عند باب الغرفة ثم اجلسه الى جانبه واخذ يساله عن احوال عائلته عموماً وعن والدته خصوصاً فكان الامير يجيبه عن ذلك مع كمال التشكر وقال له ان الوالدة كانت في خامس عشر اكتوبر تمشي متكئة على العصا وفي السادس عشر منه صارت تمشي مستقلة من غير عصا واشار بذلك الى ما كانت عليه قبل البشارة باطلاق سراحهم من الضعف والوهن وما حصل لها من النشاط والقوة بعدها ولما انتهت الفرجة اقبل البرنس على الامير وودعه واخبره انه سيتوجه في غد تلك الليلة الى الصيد وبعد يومين يرجع ويجتمع به في قصر سانكلو وفي غياب البرنس جال الامير في انحاء باريس وساحاتها ورد زيارات الوزراء ورجال الدولة وفي اليوم الثالث رجع البرنس ودعا الامير الى القصر قال بالمار في تاريخه وكانت الدولة عينته لصحبة الامير مدة اقامته في باريس بينما كنت جالساً في محل الاستقبال اذ خرج الامير من حجرته وفي يده ورقة وقال بلغني ان جرائد فرنسا ذكرت ان البرنس لما حضر الى امبواز اشترط عليّ شروطاً وعلق تسريحي على قبولها وانه استحلفني على الوفاء بها واني قد قبلت تلك الشروط وحلفت له على الوجه الذي امر به مع ان هذا لم يقع بيني وبين جلالته اصلاً غير اني لما كنت في امبواز قبل سفري هذا عزمت على ان اجدد عهدي

الذي اعطيته للجنرال لاموريس وافعل ذلك باختياري من غير ان يأمرني به احد ليعلم الناس اني افعل ما افعله واترك ما اتركه بارادتي ثم ناولني الورقة وامرني ان اطلع عليها وقال ان عثرت فيها على شيء ينافي المقصود ابدله بما يوافقه ولما اطلعت عليها وجدتها مستوفية لما يريد ثم ترجمتها بالقلم الفرنساوي ونص عبارتها الحمد لله وحده اطال الله بقاء سيد الملوك واعظمهم لويس نابليون الثالث واسعد ايامه وسدد احكامه انا المتكلم بين يديكم في هذا المجلس الموقر عبد القادر بن محي الدين جئت الى حضرتكم العلية لاجل تأدية شكري لكم وثنائي الجميل على احسانكم اليّ وامتنانكم عليّ على قدر طاقتي والا فلا اقدر ان اقابل صنعكم الجميل بشكر يوافيه ويكافيه ولو عشت الدهر كله ومما يدل على كمالكم وصدق حدسكم وصفاء طويتكم انكم لما علمتم انني لست ممن ينقض العهد ويحنث في يمينه وثقتم بي واطلقتم سراحي ووفيتم لي بعهد حله من عقده ونقضه من ابرمه وغدر فيه من اوثقه واحكمه وفعلتم ذلك من غير ان توقفوا امري على شيء وبناء على ذلك فها انا اقسم بين ايديكم في هذا المجلس الحافل بالله تعالى وصفاته اني لا افعل شيئا يخالف ثقتكم بي ولا انقض سابق عهدي الذي اعطيته ولا ارجع الى قطر الجزائر ولا اشوش على الفرنسيس فيها بفعل ولا قول فاني لما اقامني الله قمت ودافعت عن ديني ووطني على قدر ما امكنني ولما اقعدني قعدت خاضعا لاحكامه وتركت الملك وجئتكم وديني وشرفي يأمراني بوفاء العهد وصدق الوعد وهل يتصور عاقل فضلاً عن فاضل بعد ان نلت احسانكم الذي لا ينسى وانا عاجز عن مقابلته بالشكر والثناء ان اخونكم او افعل شيئا ينافي معروفكم كيف والمعروف رباط معلق باعناق اهل المروءة هذا مع كوني قد شاهدت عظم دولة فرنسا وقوة عساكرها وكثرة غناها واتساع مملكتها فمن ذا الذي يخطر في باله من العقلاء ان يقاومها ويقاتلها هذا ليس بممكن لا لله الواحد القهار الذي قدمها وملكها الآفاق والاقطار وبعد هذا فاني اؤمل من كرمكم ان تجعلوني في عدد من تحبهم وتنظر اليهم بعين الرأفة سواء كنت بعيداً عنكم او قريباً منكم فان الانسان حيث قلبه لا حيث جسمه حرر في اواسط محرم سنة تسع وستين ومائتين واواخر اكتوبر سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة (ثم) توجه الامير في الوقت المعين الى قصر سانكلو في خدمه وجماعة من الضباط الذين عينوا لخدمته وحراسته فوصل اليه قبل ان يحضر البرنس نابليون فاستقبله الجنرال دوماس وادخله الى المحل الكبير فرأى فيه ساعة كبيرة تعرف بها الاوقات في سائر البلدان الشهيرة في الدنيا فسال الجنرال عن حلول وقت

العصر في مكة المشرفة فاخبره انه قريب ولما حل الوقت اخبره فقام وصلى العصر
وهذه اول صلاة اسلامية صليت فيه ثم اقبل البرنس محاطاً بوزرائه مع اهل بيته
فدخل الامير عليه في مجلسه فاستقبله البرنس ومن معه بالاحترام والبشاشة واخذ
يلاطفه ويعرفه بالوزراء واحداً بعد آخر ثم اقبل الامير على البرنس وتكلم معه
بكلام اوضح فيه ملخص ما كتبه في الورقة المتقدم ذكرها وقال في آخر كلامه
ان هؤلاء الوزراء الذين اراهم حولي قد وعدوا وعوداً لم ينجزوها وانت تفضلت بما
لم تعد به فشكراً لكرمك وطيب محتدك ثم ناوله الورقة وقال هذا صك كتبته
باختياري على نفسي بخطي فانظره فان كان كافياً فذاك والا غيرته على الوجه
الذي يوافق مرادكم فاخذه البرنس ثم قال اعلم يا عبد القادر اني احببتك لثلاث
خصال اولاً دافعت عن دينك ووطنك ثانياً لما عجزت استسلمت للقدر وقد احسنت
بتسليمك لدولة عظيمة وان لم توف بعهدها فانا قد وفيت به وازلت عنها ذلك العار
الذي ارتكبته ثالثاً انه لما كان محجوراً عليك صبرت وتحملت واشكر الله حيث كان
محجوراً عليك وانت بين عائلتك وحشمك واما انا فكان محجوراً علي في حجرة
وحدي لا ارى الشمس الا ساعة من النهار ولذلك اثق بك كل الثقة ولا احتاج
الى هذا الصك الذي قدمته الي باختيارك ومن المعلوم اني ما طلبت منك عهداً
ولا يميناً ولا شرطت عليك شرطاً ما وحيث انك تبرعت بذلك من تلقاء نفسك
فها انا قد قبلته وسررت به ولا شك ان صنيعك هذا يبرهن للامة الفرنساوية
باني ما اخطأت في حسن اعتقادي فيك وقوة ثقتي بك ولما انفض المجلس اطلع
الامير على دوائر القصر ثم مشوا به الى الاصطبل فرأى فيه فرسا عربيا من جياد الخيل
فجعل الامير يكرر النظر فيه كالمستحسن له فقال له البرنس اعددت هذا الفرس لك لتركبه غدا
لاني قد امرت بعرض الجنود خارج باريس اكراما لك واحتفالا بقدومك وفي غد
تخرج معي الى المعرض وتشاهد حركات الجنود فرساناً ومشاة فاجابه الامير الى
ذلك مع اظهار التشكر ومن الغد قدم الفرس بسرج جزائري الى الامير فركبه
وسار مع البرنس الى الميدان فاهتزت باريس باهلها لذلك واجتمع الناس في ساحة
الميدان لمشاهدة الامير وهو راكب على الفرس العربي بهيئة جزائرية وشاهد الامير
من الجنود الفرنسوية وحركاتها العسكرية ما عجب منه واستحسنه ولما حان وقت
الظهر استأذن البرنس في اداء الصلاة في ذلك الموضع خشية فوات الوقت فاذن
له ونزل الامير وادى صلاته بمرأى ذلك الجمع ثم ركب فرسه ولم يزل ملازما

للبرنس الى ان رجع الى محل ضيافته ثم ان البرنس ادب له مادبة حافلة في قصر فرسالية حضرها سائر الوزراء فمن دونهم من اعيان الدولة قال بالمار في تاريخه ومنذ دخل الامير الى باريس صار ينتقل من مادبة يدعى اليها ومنازه تعرض عليه فيجيب لها وصناعة غريبة يطلع عليها وكان يخاطب الناس على حسب احوالهم ومشاربهم فقواد العسكر يذاكرهم في امور الحرب وما يتعلق بها من الوقائع المشهورة والعلماء يباحثهم في المسائل العلمية والوزراء ومن شاكلهم في الامور السياسية وهكذا حتى بهر العقول وملات محبته وهيبته الصدور وكان من الزائرين من يقصده لاداء التشكر على جميل صنعه معه في ايام ملكه لا سيما الذين كانوا اسارى عنده واباح لهم احسانه وقد طلب بعضهم ان يكون في عدد خدمه واتباعه اينما كان نظرا لما شاهده من كماله ونائله من افضاله والحاصل ان ما رآه اهل باريس من محاسن الامير ومكارمه وما رآه هو منهم من حسن المعاملة والمجاملة لا يصفه لسان ولا ياتي عليه قلم ومر يوما في بعض اسواق باريس والناس مصطفون عن اليمين والشمال يحيونه بتحيات التبجيل والتعظيم فقال له بعض الاعيان هؤلاء الفرنسيس الذين كانوا بالامس من اشد الاعداء لك تراهم اليوم يجلون مقامك ويتمنون طول حياتك ويتاسفون على ما تحملته من الصبر في بلادهم على الظلم الذي نالك من حكومتهم السابقة فانشرح لذلك صدر الامير وحمد الله تعالى وشكر صنيع البرنس نابليون وفي اثناء اقامته توجه الى رئيس اساقفة باريس وشكر له قيام الراهبات بخدمته وخدمة من معه في امبواز اربع سنين فارتاح الرئيس لحديث الامير وقال ان هذا نراه من الواجبات الدينية والوظائف الانسانية ثم توجه الى قبر نابليون الاول وعند الانصراف قال ان هذا الرئيس وان كان شخصه قد زال فان ذكره لا يزال ينتقل جيلا بعد جيل ثم توجه الى المارستان وعند دخوله اليه رآه رجل مسن من المرضى فتكلف القيام له فلما رآه الامير على تلك الحال تقدم اليه شفقة عليه فاخذ الرجل يده وصافحه ثم شكره ودعا له وكان هذا الرجل من الجند الذين حاربوا الامير ووقعوا في اسره وغذوا باحسانه وبره ثم توجه الى معمل المدفع وانواع السلاح ومن الغد توجه الى المطبعة الكبرى وكان البرنس بعث الصك الذي دفعه الامير اليه الى رئيسها ليطبعه فلما جاء الامير اراد الرئيس ان يظهر مهارته في شيء يعد غريبا بين يدي الامير فرسم الصك في مطبعة خط اليد فانطبع وارتسم على هيئته الاصلية وكتب على قطعة حرير ابيض ما صورته الحمد لله وحده الشريف المعظم والامير المفخم الحاج

عبد القادر اطال الله ايامه وسر حياته شرف بزيارته المباركة دار الطباعة الاميرية الفرنساوية في سنة ١٨٥٢ المطابقة ١٢٦٩ فتعجب الامير لذلك ثم اطلع على جميع اعمال المطبعة واشغالها وعند الانصراف منها ساله بعض الاعيان عما رآه فقال بالامس رأيت صناعة المدافع التي تهدم بها الحصون والقلاع وفي هذا اليوم رأيت الحروف التي تغلب بها اسرة الملوك وتخرب دولهم وهم لا يشعرون وبعد انتهاء المدة المعينة لاقامته في باريس استاذن في الرجوع الى امبواز ليتهيأ للسفر الى بروسه فاذن له البرنس ثم دعاه الى الحضور عنده وعند الدخول عليه تلقاه ببشاشة وطلاقة وجه واحسن السؤال عن احواله في باريس وعما رآه فيها من احتفال اهلها به واكرامها اياه ثم قال له ان دولة فرنسا ستعين لك مرتبًا من الدراهم شهريًا يكفي انفقاتك ويغنيك عن التناول من خزينة غيرها وقد كنت امرت ان يهيأ لك سيف يليق بمقامك والآن تبين انه لا يتم العمل فيه قبل سفرك الى تركيا بناء عليه سيصلك في بروسه على يد السفير في الاستانة واعلم انني اقدم لك هذا السيف وانا على يقين بانك لا تجرده على فرنسا فاجابه الامير انني الآن ممن يستعمل القلم لا ممن يستعمل السيف فتبسم البرنس وقال حيث انك سلمت سيفك الى قائد جيش فرنسا احببت ان تخرج من بلادها بسيف عوضًا عن سيفك قال بالماء وهذه الهدية كانت عنوانًا على ما في صدر البرنس من المودة للامير فلذلك تلقاها الامير بالقبول ونصل هذا السيف قديم وقد رسم عليه من الامبراطور نابليون الثالث الى الامير عبد القادر بن محيي الدين في شهر دسمبر سنة اثنين وخمسين وثمانمائة والف ثم ان الامير ودع البرنس وسافر الى امبواز وفي اثناء اقامته في باريس كان الاديب الشاعر احمد افندي فارس الشدياق مقيماً فيها فامتدح الامير بقوله

ما دام شخصك غائبًا عن ناظري ... ليس السرور بخاطر في خاطري
يا من على قرب المزار وبعده ... حبي له والشوق ملوء ضمائري
ان كنت لي يومًا فديتك وافيا ... ماضرني ان كان غيرك غادري
فاذا رضيت فكل سخط هين ... واذا وصلت فلم ابال بهاجري
واذا بقربك كنت يومًا نافعي ... لم اخش شيئًا بعد ذلك ضائري
يافاتني بدلاله وثماله ... وكماله وجماله ذا الزاهر
عقلي سلبت ومهجتي فارددها ... لا جيد مدح شمائل لك باهر
وليعلم العذال اني صادق ... في وصف حسن علاك وصفة شاعر

يا محرقي شوقاً بفاتر جفنه ارأيت قبلي محرقاً بالفاتر
يا بدر تم راع قلبي حبه ياشمس حسن قد تملك سائري
ياظبي انس شاق عيني شكله لكن له طبع الغزال النافر
هلا رثيت لحالتي ورفقت بي ووعدتني عدة ولو في الظاهر
كلم الحشا مني وعيدك قسوة قبل الفراق بان تكون معاشري
لو كنت تدري ما لقيت من النوى لرحمتني ووددت انك زائري
مذ غبت عنك ارتد عن طرفي الكرا من بعد ما هدي ارتداد الكافر
واهتاج وجدي واستثيرت لوعتي وبدا بحبك ما تكن سرائري
اني وحق هواك غاية مطلبي وسنا محياك الصبيح الناضر
من يوم لحت لناظري ماراقني شيء ولم يملأ جمالاً ناظري
ما كان حسن سواك يوماً شائقي كلا ولا لحظ لغيرك ساحري
اهوى لاجلك من حكاك شكله لا شكله اذ ذاك دون النادر
كيف اصطباري اليوم والاجل نقضي وابيت ارضاني بطيف زائر
وتهجتي اني اراه ساعة قبل الممات معانقي ومسامري
هبه اتى فلقد يراني ساهراً والطيف ليس براقد مع ساهر
انسيت عهدي حيث ملت مع الهوى واقد عهدتك ما ذكرتك ذاكري
اما انا فكما علمت على النوى والقرب صب فيك غير مغايري
شيئان لست اطيق صبراً عنهما ذكري لقاك ومدح عبد القادر
هو ذلك الشهم الذي شهدت له كل البرية بالفعال الفاخر
ومناقب محمودة وشمائل مرضية ومحامد ومآثر
هو ذلك المولى الممدح سعيه عند الاله وعند كل مفاخر
هو ذلك الفرد الذي افعاله امدوحة البادي وفخر الحاضر
وهو المهيب لدى الملوك نزاهة والنازح الصب الكريم الطاهر
من معشر العرب العريق نجادهم اهل المكارم كابراً عن كابر
العاملين بحكم التنزيل والـ تحريم والتحليل حزب الحاشر
الناحرين اذا غشوا واذا دعوا يا للبراز فنحرهم للناحر
الموثرين على خصاصتهم وقد نظروا الى الدنيا كشيء غابر
ولرب قوم يحبسون خلاقهم فيها وغار لهوها كالغابر

ولديهم رد التحيـة منـة | كبرى بها احياء عظم ناخر
يحيي الليالي بالدعاء تهجداً | فيديت في الاعداء اي جماهر
ويروع افئدة الرجال لقاؤه | حتى يخوروا عن نداء الناصر
في قلب كل محنك من رعبه | ما عنه يحجم كل ليث زائر
وبكل حرف من بليغ كلامه | حرف يفلهم كحرف الباتر
الفضـال شيمته وسيمته التقى | لله واستربا ح اجر الصابر
يولي الندا قبل السؤال و بشره | للزائرين منوه ببشائر
يغنيهم عن ان يمنوا عنده | بضرورة واختهم واواصر
جيد الزمان غلاوة فكيا ولم | يبرح وفيه لديه سورة آجر
ولقد يكون النسر يوما واقعا | ويعود بعد الى مطير الطائر
فالله ينصر من يغار لدينه | والله يخذل كل عات فاجر
والله عز يداول الايام ما | بين العباد لسابق ولقاصر
سكن الامير وطار في الدنيا اسمه | وروي المعالي عنه كل معاصر
فالعجم بين موقر ومبجل | والعرب بين مفاخر ومكاثر
ياناصر الدين العزيز وحربه | ياخير صبار واعظم شاكر
يا خير ناه عن تعاطي منكر | وبخطة المعروف افضل آمر
لا تخش من بأس فربك قاهر | بدعائك الميمون جيش الجائر
لك حيث كنت عناية محمدية | ترعى حماك ونصر رب قادر
كن كيف شئت فان اجرك ثابت | في اللوح وهو اجل ذخر الذاخر
فاذا مدنت فانت اعظم حاذر | واذا ذعنت فانت اكرم ساهر

﴿ وبعد ﴾ فالمرجو من كرم سيدي المكرم الامير المعظم ان يسمح لي بالمثول بين يديه ساعة من الزمان قبل سفره بالسلامة من هذا المكان فاني كثير الشوق الى تقبيل راحته والى التبرك بيمين حضرته ولولا خوفي من الملام اوافيت بهذه الابيات وقدمتها بيدي لذلك المقام لكن خشيت من اساءة الادب والجراءة على التقدوم قبل الطلب واني لامركم العالي منتظر وداع لجنابكم بالعز المستمر في اواخر نوفمبر سنة تسع وستين ومائتين والف فقابله الامير بغاية من الاكرام والاحترام وسر بقصيدته وزيارته واجزل جائزته وكنت دائماً اسمع من الامير حينما ترد عليه القصائد من الشعراء يتمثل قول القائل

اذا جهلت مكان الشعر من شرف فاي مفخرة ابقيت للعرب

و بعد وصول الامير الى امبواز اخذ يتهيأ للسفر وفي تلك الايام انعقد مجلس نوّاب الامة الفرنسوية للمذاكرة في ادالة الجمهورية بالامبراطورية وبعد الاتفاق على ذلك صدرت الاوامر الى ايالات فرنسا بالانتخاب ولما بلغ الامر الى امبواز بعث حاكمها الى الامير يقول حيث انك اقمت في هذه البلدة اربع سنين فلك حق الاشتراك مع اهلها في الانتخاب فاجابه الامير الى ذلك وكتب هو ومن معه انتخابهم للبرنس نابليون وجعلت اوراقهم في درج مخصوص وبعثها الحاكم مع اوراق اهل البلد ولما تم الانتخاب حكم المجلس للويس نابليون الثالث بالامبراطورية ونفذ الامر بذلك واصبح امبراطور فرنسا وانتشر الخبر وفي العشرين من صفر والثاني من دسمبر توجه الامير الى باريس ليؤدي مراسيم التهاني فاكرم الامبراطور وفادته واعظم تهنئته وخصه بمجلس حضرة الوزراء ورجال الدولة في قصر التيلري ولاول دخوله عليه تلقاه وصافحه وقال له ارأيت ايها الامير كيف كان صوتك ميمونًا عليّ فاجابه الامير ان صوتي قد اعرب عما في ضميري من ارادة الخير لك واني احمد الله تعالى الذي عجل لك بالجزاء عني بما تريد قبل خروجي من فرنسا فسر الامبراطور وتهلل وجهه لهذا الجواب و بعد ان تحدثا مليًا في امر السفر وما يتعلق به ودع كل منهما الآخر واقلب الامير راجعًا الى امبواز وبعد ايام كتب الى دوران دوليس وزير الخارجية فاجابه بما نصه الامير الانجد قد اتصل بيدي كتابكم الكريم واعلم انني لو بذلت جميع ما في وسعي في حصول مطالبك لا ارى اني وفيت لمقامكم العظيم حقه وعلى كل حال فاني الآن اخبركم ان الاشياء التي اشرتم بها قد اجاب اليها الامبراطور وامر بتنفيذها فاعددنا لك سائر ما يلزم لسفرك من امبواز الى مرسيليا ومنها الى بروسه والقومندان بواسني ومن معه في خدمتكم من طبيب وترجمان وغيرهم قد اجاز وزير الحرب ان يكونوا بمعيتكم ويستمروا في خدمتكم الى بروسه واقاربكم الذين حضروا من تنجه الى مرسيليا ليتوجهوا معكم وهم السيد مصطفى ابو طالب والسيد الطيب بن المختار ومن معهم قد بعثت الى حاكم مرسيليا ان يقوم بشؤونهم الى ان يجتمعوا بكم وما اشرتم به من اسعاف ام بولاد فانه حاز القبول وامر الامبراطور ان يرتب لها في كل سنة ستمائة فرنك والمكاتيب التي بعثتها الى خادمكم الحاج الحبيب بن المهر المقيم الآن في تونس قد وجهناها اليه واوعزت الى قنصل فرنسا هناك ان يسعفه بما يحتاج اليه ويحمله الى محل اقامتكم مجانًا من غير نوال وما ذكرتموه عن القسيان ميلي الذي خدمكم

في هذه المدة من كونه نصح في الخدمة وصدق فيها قد بلغته الى وزير الحرب واكتسب الفسيان بذلك رضاه ولا بد ان يعامله بما تحبون له واعلم ان السفير في اسلامبول قد اخبرنا ان حضرة السلطان امر لكم بنزل يليق بكم في بروسة فسترون هناك ما يسرُّكم ويسر من معكم وبالجملة فان مطالبكم كلها حازت القبول وكنت اتمنى ان اراكم عند السفر واجري الوداع مشافهة ولكن كثرة اشغالي حالت دون ذلك وحيث توفرت عندي اسباب المودة لكم وجب عليَّ ان اخبركم باني احبكم وان مودتي لكم تستمر دائمًا على ما هي عليه الآن فلا تبرحون من بالي وستسير روحي معكم برًا وبحرًا حرر في باريس في الثامن والعشرين من صفر سنة تسع وستين ومائتين·وفي اول ربيع الاول سافر الامير باهله ومن معه من امبواز الى الاستانة وما من بلد يمر عليها الا تلقاه اهلها بالمبرة والاجلال ولما قارب مدينة ليون الشهيرة تلقاه الجنرال مونتوبان بالكاو وكان حاضرًا يوم تسليم الامير برتبة ضابط فابدى لملاقاته الاحتفال الكامل واصطفت الجنود خارج البلدة وفي اليوم الثاني جمع الجنرال العساكر وكانت نحو العشرين الف ما بين خيالة ومشاة في سهل خارج البلد وخرج هو والامير وكنت بمعيته مع بعض جماعته وعند وصول الامير والجنرال الى مصاف العسكر سلمت عليه ثم باشرت في عمل ايقاع حربي باطلاق البواريد والمدافع وكانت تكر على بعضها وتفر وتقبل وتدبر واستقام ذلك من بعد الزوال الى قرب الغروب ثم دخلوا البلد وكانت مزينة بالمصابيح والاعلام بزينة كاملة وذلك اليوم مع ليلته كان من المواسم المعدودة وفي اليوم الثالث توجه منها في اعزاز واعظام الى ان دخل مرسيلية وقد امعن اهلها في حسن استقباله فاقام فيها الى ان تهيأ لركوب البحر وسافر في الباخرة الحربية التي اعدتها الدولة الفرنساوية لسفره وجعلت مسيرها لارادته ولما وصل الى جزيرة صقلية نزل بسيليه فتلقاه حاكمها واجل مقامه وخرج معه في جماعته الي المدينة وجال في ارجائها ثم سار على عربة الخيل وكنت فيمن كان بمعيته الى جبل النار وهو احد البراكين المشهورة وكان سيرنا ثلاثة ايام تارة على العربات وتارة على الخيل الى ان وصلناه ثم صعدنا الى اعلاه فرأينا النار ترمي بصخور موقدة امثال البخت الى اسفل ثم تصير ماء جاريًا يلتهب نارًا وهذا من اعجب ما يرى ويسمع من آثار القدرة الباهرة ثم جعلنا ننظر الى نواحي الجزيرة وسهولها الممتدة المغطاة بشجر الليمون بانواعه ومحارثها الواسعة وجبالها الشامخة المغطاة بشجر الزيتون ومناظرها الزاهية الباذخة فتذكرنا من سكنها وعمرها

من المسلمين كانهم ما برزوا في رباها ولا حلوا بمناها وهذه الجزيرة واسعة كثيرة المدن والقرى والحصون واول من غزاها من المسلمين معاوية بن خديج والي افريقية في خلافة معاوية بن ابي سفيان ولم يفتحها ثم تتابع الغزو اليها في ايام بني الاغلب من اول امارتهم الى آخرها واستولوا على اكثرها ولم يزل الفتح فيها والغزو اليها الى ان انقضت مدة بني الاغلب سنة مائتين وست وتسعين كما تقدم في اخبارهم ثم تجدد الغزو اليها والفتح في ايام الفاطميين الى ان فتحها عاملهم احمد بن الحسين سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة واستقرت في ايدي المسلمين الى ان استردها الافرنج واستولوا عليها وذلك لما ضعف امر الخلافة وركد ريحها تفرقت كلمة امراء الجزيرة واستقل كل واحد منهم في امارته فوجد الافرنج سبيلاً الاجلاب عليها واخذوا ينتزعون تلك الامارات من يد المتغلبين عليها واحدة بعد اخرى الى ان بقي بايدي المسلمين منها مدينة قصر يانه ومدينة جرجنت وهما من الامصار العظيمة فنازلها الافرنج سنة اربع وثمانين واربعمائة واتصل تضييقهم على من بهما من المسلمين شهوراً عديدة فلما اشتد عليهم الامر ولم يجدوا من ينجدهم من مسلمي وراء البحر اذعنوا للتسليم فاخذهما الافرنج منهم وصارت الجزيرة كلها بايديهم ووقع باهلها مثل ما وقع باهل الاندلس وهي الان من ممالك ايتاليا ولله الامر من قبل ومن بعد وقد وصفها وقتئذ العلامة سيدي الطيب بن المختار وذكر ما لحق بها وبمن سكنها من المسلمين من انواع النوائب وصنوف المصائب ثم تخلص الى مدح الامير . فقال

هذي صقلية لاحت معالمها ... تجر تيهاً فضول الريط من امم
دار اقرّ لها بالفضل ذو نظر ... والفضل ما شهدت فيه ذوو الهمم
كانت منار هدى كانت تطرد دى ... كانت سماء شموس الفضل والكرم
هذي منازلهم تبكي مآثرهم ... بكاء طرف قريح بات لم ينم
هذي المساجد قد دكت قواعدها ... هذي المآذن بالناقوس في سقم
هذي المحاريب قد عاد الصليب بها ... هذي منابرها قفرى من الحكم
هذي الكراسي على علم ومعرفة ... دموعها بين منهل ومنسجم
اذا رأت مسلماً قد زارها فرحت ... واستبشرت ثم باست موضع القدم
فما هي الناس بالناس الاولى عرفت ... والود يمتاز بالسيما من السلم
فانظر لارجائها تلق العجاب بها ... قد اعلنت بسرور غير مكتتم
وازدان موقعها وافتر مبسمها ... والزهر منها غدا زاهٍ على الاكم
وكيف لا وحسام الدين حل بها ... فخر الاكابر من عرب ومن عجم

صدر الافاضل في دنيا وآخرة كهف الائمة في حرب وفي سلم
عبد لقادر ما اسنى سناه وما اعلى علاه حوى العليا من الهمم
رقي مراقي لم تصعد مصاعدها اسد الحروب وان ناموا فلم ينم
اصل المروءة مبداها ومنشؤها فرع النبوة لم يخضع ولم يضم
عز الامارة مولاها ورونقها بحر السماحة كم اسدى من النعم
لم تخف شمس الضحى في الجو طالعة او تجهل النار ان لاحت على علم
فاهنأ بفضل عظيم غير منقطع ودم بلطف خفيّ غير مزدحم
اولاك ربك عزًّا غير منقطع وعز غيرك لم يثبت ولم يدم
ذكرتنا يوسفًا اذ بان امركم لا غروَ فالفضل منه غير منعدم
كذا قطر باريس حلت به مصر وقد حلها الصديق في حرم
فجرّ ذيل فخار قد سموت به وقرّ عينًا وثق بالله واعتصم
ثم احمدنه على الآلاء معترفًا بما اناك من عزّ ومن عظم
بشرى لنا يا اهيل الود ان لنا بيتًا من المجد مطويا على كرم
هذي السعادة قد لاحت بدايتها فالله يختمها في حسن مختتم

﴿ ذكر وصول الامير الى القسطنطينية ﴾

وبعد ان اخذ الامير راحته في مرسى تلك الجزيرة سار عنها واتصل سيره الى الاستانة العلية فدخلها يوم الجمعة الثامن والعشرين من ربيع الاول سنة تسع وستين وثامن يناير سنة ثلاث وخمسين واحتل بعاصمة الدولة العلية العثمانية ودار الخلافة الاسلامية

كعبة اسست على الفضل لكن كل حين لها يحج الوفود

حيث المنازل في مطالع السرور بازيه والمتنزهات باشراق سعودها متلالية ولاول وصولنا نزل الامير الى البر واستمر سائراً الى ضريح ابي ايوب خالد بن زيد الانصاري رضي الله عنه عند سور القسطنطينية وقد كان قبره مخفيا الى ان اظهره الله على ساكن الجنان السلطان الغازي محمد خان الفاتح للقسطنطينية مظهر اشارة ما رواه الامام احمد في مسنده والحاكم في صحيحه عن بشر الغنوي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لتفتحن القسطنطينية ولنعم الامير اميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش وهذه الاشارة من معجزاته صلى الله عليه وسلم وعلم من اعلام نبوته ومنقبة عظيمة لذلك السلطان

الاعظم قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه كما اظهر قبر الشيخ الاكبر والكبريت الاحمر محيي الدين بن العربي على يد السلطان الغازي سليم ياوور خان في دمشق الشام واشهر فيها قبر صلاح الدين ابن ايوب القرشي على يد مولانا السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني ايد الله ملكه وابده وبعد فراغ الامير من زيارة ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه توجه الى جامع ايا صوفيا وفي اليوم الثاني زار الصدر الاعظم المرحوم مصطفى رشيد باشا فانسه وعرض عليه النزول للبلد بجميع العائلة واعتذر اليه بمرض والدته وبعض عائلته ثم توجه لزيارة المرحوم شيخ الاسلام العالم العلامة عارف حكمت بك وسائر الوكلاء والشريف عبد المطلب ثم توجه الى سفارة فرنسا فاجتمع بالماركيز دولافاليت سفيرها وفي اليوم الثالث دعي الى المابين فتشرف بمشاهدة حضرة السلطان الغازي عبد المجيد خان فرحب به واحسن السؤال عن احواله وشكره على ما كابده في الدفاع عن الدين والوطن وحمده على صبره على ما قاساه ايام اقامته عند الفرانسيس ومدح الامبراطور نابليون الثالث على وفائه بالعهد والقيام بشأنه وكنت يومئذ في معية الوالد فرايت من تنازل حضرة السلطان وتعطفه ولين جانبه ولطفه ما يشهد له باستكماله ما كمل من الخصال الحميدة ثم تنازل الى السؤال عني فقال له هذا ولدي الاكبر وعرفه برفيقه في الجهاد وفي فرنسا الا وهو حضرة السيد قدور بن علال وبخادمه قره محمد وعند الانصراف ذكر امر السكنى في بروسة فقال له اختار ما يختاره لنا مولانا امير المومنين فاجابه بانك مختار في السكنى في اي بلد شئت من ممالكي العثمانية فشكر الامير فضله وحسن ترحيباته وخرجنا من تلك الحضرة السنية في ارتياح وانشراح تخفق على رؤوسنا الوية الحمد وتضيء علينا من سماء المكارم السلطانية كواكب المجد ثم ان الامير قدم لاعتابه السنية قوله

الحمد لله تعظيماً واجلالاً ما اقبل اليسر بعد العسر اقبالا
وما اتت نفحات الخير ماحية من المكاره انواعًا واشكالا
واشكر الله اذ لم ينصرم اجلي حتى وصلت باهل الدين ايصالا
وامتد عمري الى ان نلت من سندي خليفة الله افياءً واظلالا
فالله اكرمني حقاً واسعدني وحط عني اوزارًا واثقالا
قد طال ما طمحت نفسي وما ظفرت لكن للوصل اوقاتًا وآجالا
اسكن فؤادي وقرّ الان في جسدي فقد وصلت بحزب الله احبالا
هذا المرام الذي قد كنت تأمله فطب مآلاً بلقياه وطب حالا

وعش هنيئًا فانت اليوم آمن من ... حمام مكة احرامـًا واحلالا
فانت تحت لواء المجـد مغتبط ... في حضرة جمعت قطبًا وابدالا
وته دلالاً وهزّ العطف من طرب ... وغنّ وارقص وجرّ الذيل مختالا
امنت من كل مكروه ومظلمة ... فبح بما شئت تفصيلاً واجمالا
هذا مقام التهاني قد حللت به ... فارتع ولا تخشَ بعد اليوم انكالا
ابشر بقرب امير المؤمنين ومن ... قد اكمل الله فيه الدين اكملا
عبد المجيد حوى مجدًا وعز علا ... وجلّ قدرًا كما قد عم انوالا
كهف الخلافة كافيها وكافلها ... من لا عهدنا له في القرن امثالا
يارب فاشدد على الاعداء وطأته ... واحم حماه وزده منك اجلالا
واظهرن حزبه في كل متجه ... وسددن منه اقوالاً وافعالا
وابسط يديه على الغبراء قاطبة ... وذللن كل من في الارض اذلالا

يشير الى اهل الجزائر

فالمسلمون بارض العرب شاخصة ... ابصارهم نحوه يرجون اقبالا
كم ساهر يرتجي نومًا بسطوته ... وحائر يرتجي للحزن تسهالا
فرع الخلائف وابن الاكرمين ومن ... شادوا عرى الدين اركانا واطلالا
كم ازمة فرجوا كم غمة كشفوا ... كم فككوا عن رقاب الخلق اغلالا
هم رحمة لبني الايمان قاطبة ... هم الوقـاية اسواء واهوالا
انصار دين النبي من بعد غيبته ... في نصره بذلوا نفسا واموالا

يشير الى فتح القسطنطينية

قد خصهم ربهم في خير منقبة ... ما خصّ صحبا بها قبلاً ولا آلا
كم حاول الصحب والآل الكرام لها ... والله يختص من قد شاء افضالا
ما زال في كل عصر منهم خلف ... يحمي الشريعة مقوالا ومفعالا
حتى اتى دهرنا في خير منتخب ... من آل عثمان املاكًا واقيالا
قد كنت مضمر خفض ثم اكسبني ... رفعًا وقد عمني جودًا وافضالا
وبالاضافة بعد القطع عرفني ... وحط عني تصغيرًا واعـلالا
هذا وحق علاه كم ازاح وكم ... ازال عني بمحض الفضل اثقالا
لا زال تخدمه نفسي وامدحه ... مستغرق الدهر ابكارًا وآصالا
اهدي مديحي وحمدي ما حييت له ... افادني انعماً جلت واقبـالا

جزاه عني اله العرش افضل ما   جزى به محسنًا يومًا ومفضالا

خادم الغزاة والمجاهدين عبد القادر بن محي الدين في غرة ربيع الآخر سنة ١٢٦٩ (ثم) احتفل الصدر الاعظم وشيخ الاسلام وسفير فرنسا لضيافة الامير فابدوا واعادوا واستقصوا واجادوا وكان شيخ الاسلام عارف حكمت بك رحمه الله له علينا فضل عظيم لانه لما طلب نابليون الثالث من المغفور له السلطان الغازي عبد المجيد خان كفالة عن الامير جعل مجلسًا خاصًا لمذاكرة في امر الكفالة فقال شيخ الاسلام اذا لم تكن لمولانا السلطان حسنة مع كثرة حسناته الا هذه لكفى بان يكفل هذا الرجل المجاهد وينقذه من الاسر فحينئذ اجاب المغفور له بالكفالة ولعمري ان الله عز وجل قد حقق ما اجراه على لسان المرحوم عارف حكمت بك من قوله في مدح نفسه متفخرًا

الم تعلم بان سماء فكري   تلوح بافقه شمس المعارف
تفرس والدي في المزايا   ويوم ولدت لقبني بعارف

وكتب ناظر التياترو ميخائيل افندي نعوم يدعو الامير اليه بقوله

كريم السجايا تحتذ المجد من سما   ذرى الرتب العليا بفضل جياد
خفيرا لجاه العرب خوف ادثاره   بسطوة ماض صيقل وجلاد
سلمت مدى الايام مستوفر الثنا   وفي نعمة تبقى بغير نفاد
فانا من القوم الاولي ساقهم الى   لقائك داعي حمية وبلاد
اجابة سؤل ان تزور مشرفًا   لنزهة طرف وانشراح فؤاد

وكان الناس يزدحمون على مشاهدة الامير اثناء اقامته ورؤيته في الطرقات التي يمر بها ورحاب منازل الوزراء والعظماء التي يقصدها

﴿ ذكر وصول الامير الى بروسة ﴾

وبعد ان اقام عشرة ايام يزور ويزار ودع الصدر الاعظم فمن دونه من الوزراء والمامورين ثم ودع سفير فرنسا وتوجه الى بروسة فدخلها يوم الاثنين السابع من ربيع الثاني وتلقانا خارج البلد خليل باشا صهر السلطان مع سائر الوجوه والاعيان بغاية التبجيل والاحترام حتى نسينا بما شاهدناه منهم ما كان سبق لنا في فرنسا والاستانة من الاعذار وكان نزولنا في الدار التي اعدت لنا بالامر السلطاني بالمحلة المعروفة بمحلة المحكمة فالقينا بتلك المدينة عصا التسيار وتبوأنا منها خير دار رحمدنا

الله تعالى على هذه النعمة التي لا يحيط بوصفها فكر ولا نستطيع ان نقابلها ما حيينا بشكر اللهم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ولما نظر الامير الى موقع المدينة واحوازها قال لقد صدق الذي اخبرنا انها تشبه مدينة تلمسان ثم اخذ يشير الى وجه الشبه بين المواضع والجهات وانشد

اما الخيام فانها كخيامهم وارى نساء الحي غير نسائها

ولما استقر بنا الحال اخذنا نجول في انحائها ونتنزه في ارجائها فحصل لنا بذلك سرور وارتياح وناهيك ببلدة ازدهت ببنيان عالية ومنتزهات ومعاهد عامرة بالانس واللذات لا ترى الاكدار اسبابًا ولا للسرور حجابا وحجابًا ولاول وصول الامير الى بروسة عرض عليه واليها باذن السلطنة العظمى تعيين مرتب شهري يقوم بشؤنه فسر الامير بذلك ودعا للدولة العلية وشكرها على اهتمامها بامره الشكر الجزيل ثم قال له ان الامبراطور نابليون عين لي من النقود ما يكفيني من النفقة واما مولانا السلطان المعظم فقد تفضل علينا بما هو اعظم من الدنيا بما فيها وهو تنازل عظمته وانعامه عليّ بالكفالة عند الدولة الفرنسوية وهذه الكفالة هي السبب الاقوى في حياتنا الجديدة ولولاها ما خرجنا من قبضة الاسر وهذا الانعام لا يوازيه شيءٌ ولا يقابله شكر فنحن عبيد احسان الذات السلطانية خلد الله سلطتها وايد كلمتها وعلى كل حال فنحن مفتقرون الى مكارم مولانا ومراحمه ما دمنا وان حصل احتياج لذلك ارفعه الى الاعتاب فوقع هذا الجواب عند الوالي موقع الاستحسان ورفعه الى الاعتاب العالية وكان رضي الله عنه يصلي الصلوات الخمس في الجامع القريب من الدار المعروف بجامع العرب ويقرأ فيه الدروس نقرأنا عليه الفية ابن مالك بشرح المكودي والسنوسية بشرح المؤلف والايساغوجي للفناري ويقرأ لنا في الدار الابريز في مناقب سيدي عبد العزيز الدباغ وفي تلك الايام اشهر الحرب المعروف بحرب اقرم بين الدولة العلية والروسية فقال مستغيثًا ومادحًا مولانا السلطان عبد المجيد خان

يا رب يا رب يارب الانام ومن اليه مفزعنا سرًا واعلانا
يا ذا الجلال وذا الاكرام مالكنا يا حي يا وليًا فضلاً واحسانا
يارب ايد بروح القدس مُجانا عبد المجيد ولا تبقيه حيرانا
ابن الخلائف وابن الاكرمين ومن توارثوا الملك سلطانًا فسلطانا
احيي الجهاد انامن بعد ما درست وضاعف المال انواعًا والوانا

فانصره نصرًا عزيزًا لا نظير له — حتى يزيد العدى هماً واحزانا
واحفظ علاه وارسل يا كريم له — من الملائك حفاظًا واعوانا
وانصر به الشرع وارفع بار وأف به — عن دينك الحق لا تعدمه برهانا
واجمع الهي قلوب المسلمين على — وداده واعله واعظم له شانا
به الصواب اصب واجعل له فرجا — بطانة الخير اقطابا واركانا
واهدم وزلزل وفرق جمع شانئه — واجعل فؤادهم بالرعب ملئانا
وانصر وايد وثبت جيش نصرته — انصار دينك حقًا آل عثمانا
الباذلون بيوم الحرب انفسهم — لله كم بذلوا نفسًا وابدانا
والضاربون ببيض الهند مرهفة — تخالها في ظلام الحروب نيرانا
والطاعنون بسمر الخط عالية — اذا العدو رآها شرعت بانا
والمصطلون بنار الحرب شاعلة — مطلوبهم منك يا ذا الفضل رضوانا
والراكبون عتاق الخيل ضامرة — تخالها في مجال الحرب عقبانا
جيش اذا صاح صياح الحروب لهم — طاروا الى الموت فرسانًا ورجلانا
هم الرجال ثباتًا يوم حربهم — فصابر من عداهم صبره خانا
هم الليوث ليوث الغاب غاضبة — والليث لا يلتقي ان كان غضبانا
هم الاولى دأبهم شق الصفوف لدى — حملاتهم صار جيش الكفر دهشانا
الدافعون عن الاسلام كل اذى — بانفس قد غلت قدرًا واثمانا
كم غمة كشفوا كم كربة رفعوا — وكم ازاحوا عن الاسلام عدوانا
يارب زدهم بتاييد اذا زحفوا — واقطع بسيفهم ظلمًا وكفرانا
الق السكينة ربي في قلوبهم — وزدهم يا اله العرش ايمانا
وجهت وجهي الني ما دعوت به — باهل بدر حماة الدين اركانا
من الاله لهم قال افعلوا وذروا — ما شئتم لكم اوجبت غفرانا
اعني الذي صرح الحفاظ ذكرهم — باسمهم تاركًا من خلفهم بانا
بقطبهم احمد المختار من مضر — وسيد الخلق املاكًا وانسانا
كذا خليفته الصديق ملجأنا — واعظم الناس ايمانًا وايقانا
وبالمكنى ابي حفص الذي انفتحت — به المغالق حتى صعبها هانا
وبالخليفة ذي النورين ثالثهم — اعني بذلك عثمان بن عفانا
وبالامام اخي المختار ذاك علي — من في الوغى بالعدا تلقاه فرحانا

وبابن عثمان عبد الله سيدنا وابن البكير اياس ساد اعلانا
وحاطب وبلال ثم حمزة ذا عم النبي كريم ساد قحطانا
بسعدهم وابي طلحه وسهلهم كذا سعيد ظهير ساد عدنانا
بعتوه وعبيد الله ثم ابى حذيفة وحبيب زاد رضوانا
بابن الربيع الهي وابن رافعهم رفاعة ثم زيد سيداً كانا
وبالزبير ابي زيد كذاك ابو لبابة الخير من قد عز اخدانا
وابن عوف وعمرو عقبة وكذا عبيدة من لدين الله قد صانا
وعامر وخنيس ثم عاصمهم ثم ابن صامتهم من زان اذعانا
عويمر ثم عتبان وحق لهم سيادة ومعاذ طاب اردانا
ومعوذ واخيه ثم مسطحهم كذاك مالكهم مقدام ما شانا
قدامة وهلال لا نظير لهم مرارة وابي فضلهم بانا
اني توسلت يا رب الانام بهم ارجوك فضلاً واحساناً وغفرانا
ثم الصلاة على المختار سيدنا ما صارت الشيب يوم الحرب شبانا

خادم الغزاة والمجاهدين عبد القادر بن محيي الدين في غرة ذي الحجة سنة ١٢٦٩ (ولما) شاع في الآفاق خبر خروج الامير من فرنسا ووصوله الى بروسة اخذ المهاجرون من اهل الجزائر يقدمونه من مواضع اقامتهم في تونس ومصر والحجاز والشام ويتسابقون الى اعتابه راغبين في السكنى برحابه فقابلهم بالقبول والاكرام كما ان علماء الانحاء صاروا يتواردون على حضرته ويشدون الرحال الى زيارته ومن جملة من قصد زيارته العلامة الشيخ يوسف بدر الدين المغربي نزيل دمشق فاكرم الامير نزله وبالغ في احترامه لعلمه ورفعة مقامه وبعد ان اقام اياماً توجه الى الاستانة وكتب الى الامير ما نصه . المقام العالي بالله ذي المجاهدة والتمكين مولانا السيد عبد القادر بن محيي الدين كان الله له خير معين آمين نحمده سبحانه وتعالى وهو اهل الحمد ونشكره راضين بقضاه فله الامر من قبل ومن بعد ونصلي على النور الساطع بالآيات الباهرات . القائل انما الاعمال بالنيات . وعلى آله الكرام . وصحابته السادة الاعلام . ما اشتاق خل لخله واهدى سلام

يهدي السلام محب لم يزل ابداً يثني عليك ثناء ليس ينحصر
ويسأل الله ان يبقيك تكرمة للناس حتى بك المكسور ينجبر
ما اشرقت في المعالي شمس ذاتك يا بحر الندا وبدا من لفظك الدرر

بسم الله الرحمن الرحيم تيمنا بذكره القديم ينهي السلام محب متمسكاً من الولاء بوثيق العرى مستمسكاً بعطر الثناء الذي لا يزال الكون منه معنبراً مشوقًا للقاء الذي بالمهج يسام وبالنفوس يشترى متشوقا الى ما يرد من الانباء التي تسر خبراً وتحمد اثراً ويسأل الله ان يخلد حضرة وكفت بوابل جودها وكفت المهم بنتائج سعودها مع اهداء دعاء ذكت لطيب المسرات نفحاته وزهت في رياض البشر لمحاته واسنى تحيات يشرق على الاكوان سناء نورها و يتعطر الملوان من شذا نورها طيبها مكتسب من طيب المهدى اليه ولطفها مستفاد من لطفه كالبحر يمطره السحاب وما له فضل عليه واذكر اثنية تملي عنا رسائل الاشواق وتنبئكم عما قاسيناه من تباريح الفراق

فكل جسمي عيون ذقت لوعتها   تجري بماء كماء المزن منهمر

لا استريح نهاري مذ نأيت ولا   آنست طيب الكرى من لوعة السهر

فهي تظهر الوجد الكامن في الصدير ولا ينبئك مثل خبير تتشرف بمجالس سيدي ومولاي شقيق روحي وآسي بلطف دأبه جروحي انيس وحدتي وسبب رفعتي الناصر لدين الله البائع نفسه لاعلاء كلمة الله

كانه في لظى الهيجاء حيدرة   له مواقف حاكت يوم صفين

وعلامة اخلاصه ما بهر العقول من كيفية خلاصه فالله يثيبه على نيته ويحفظه في ذاته و ذريته بحرمة سيد بريته السيد الهمام بهجة العلماء الاعلام مظهر آثار علوم الحقيقة المنورة ومحي آثار رسوم الشريعة المطهرة مؤيد دلائل السنة بادلته القاطعة وموضح سبل الهداية بانوار علومه الساطعة كشاف اسرار المعارف الربانية وكنز دقائق اللطائف الصمدانية من تنبيات الفصاحة و بلاغة ظل اقلامه ووقفت جيوش المشكلات خاضعة تحت اعلامه الفرد الرحلة الاجل ومن عليه في هذا العصر المعوّل

دمت لولاك في الزمان اقمنا   لبس الدهر من ذويه السوادا

مركز احاطة العلوم ونقطة دائرة المنطوق والمفهوم المتقدم بالفضائل على الناس تقدم النص على القياس

اعز بني الدنيا واشرف من سما   الى رتبته العليا بدون تردد

ولا بدع ان تاهت به الايام وباهت بدحه الاقلام فهو الصدر الذي ينشرح بمحاضرته كل صدر والبحر الذي اذا املى فرائد فوائده فحدث عن البحر وبدر الكمالات التي ظهرت فلا تخفى الا على اكمه لا يعرف البدر. سلطان العارفين برهان الواصلين صفوة المقربين وارث مقام الانبياء والمرسلين الجامع لجميع المحاسن والاوصاف الذي احاطت

به الكمالات فهي لغيره لا تضاف السيد الامام والسند المقدام صاحب العز والتمكين المشار اليه علاه متع الله بوجوده الانام ونفع به الخاص والعام ولا زالت منح فوائده الجمة نوراً لابصار العارفين وملح فرائده كافية بل شافية لغال الحائنين بمحمد وآله ومن نسج على منواله

ما غردت ساجمات الورق صادحة فاظهرت من شجون القلب ما كمنا

وبعد حصول ما حصل من التقصير وابداء عذر التاخير فان هبت نسمات اللطف والقبول من تلقائكم بالسؤال عن الاحوال كما هو المامول فان المحب المخلص والداعي المتخصص مقيم على قدم العبودية وحفظ العهود في البكرة والعشية

اعد من صلواتي حسن عهدكم ان الصلاة كتاب كان موقوتا

واما الاشواق فانها لا تحصى ولا يبلغ مداها الاستقصا ولا تفي بها الارقام ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام ولو اخذ الداعي يصف شوقه لحضرتكم الشريفة وذاتكم اللطيفة لم يجد لذلك سبيلاً ووقف دون ادراك غايته جملة وتفصيلاً وماذا يصف من شوقه اليكم شوق الصادي الى الزلال والمهجور الى الوصال

وما فؤادي مشتاقاً بمفرده بل كل عضو الى رؤياك مشتاق

ولو بعثت اشواقي لركبت اليكم اعناق الرياح ولطرقت بابكم الذي هو سوق النجاح لكن الامور باوقاتها مرهونة وهي مكنونة في غيبها حتى يظهرها المولى مصونة وايضا فالعوائق جمة والحوادث لا تراقب في سيرها الاً ولا ذمة ونبتهل للكريم الخلاق بحرمة من ركب البراق واخترق السبع الطباق ان يطوي شقة الفراق ويسهل اسباب التلاق فيكون الخطاب من الشفاه الى الاسماع بدلاً من التراسل بالرقاع انه بعباده خبير بصير وهو على جمعهم اذا يشاء قدير والله يعلم ان بعد الدار عن القلوب لا يحول وصدق محبة الفقير لا يزول

ان قلت غبت فقلبي لا يصدقني اذ انت فيه مكان السر لم تغب
او قلت ماغبت قال الطرف ذا كذب فقد تحيرت بين الصدق والكذب

وكتبت هذا الكتاب ليتشرف بلثم انامل الجناب متمثلاً بقول القائل من الاماثل

كتبت كتابي يلثم اليد خدمة لعل كتابي ان يقوم مقامي
ويسجد بالباب الكريم تحية ويقرأ مني الف الف سلام

والمرجو من المولى الهمام لا زال في حرمة الملك السلام ان لا ينساني من دعائه الغيبي وخبره السار الشافي للبي لطفا بهذا الداعي بجميل المساعي فان الخبر بعض اللقاء وقد يحصل للظمآن من كثوف القراطيس الاستقاء

بالله لا تقطعوا عنا رسائلكم فان فيها شفاء السمع والبصر
وآنسونا بها ان عزّ قربكم فالانس بالسمع مثل الانس بالنظر

ولئن كان في الطلب اساءة الادب فمكاتبة العبد الى سيده مطلوبة وفي الشرع والعرف مرغوبة والسلام التام على كافة الاشبال الكرام اقرّ الله بهم العين على الدوام

سروري اذا منّ الزمان بعودة لبروسة التي خصت باسني المشاهد
امتع طرفي في محاسن روضها ومسك ختامي نظرة في المجاهد

هذا وان سالتم عن كافة الاحوال فدم على ارغد عيش وانعم بال كافة احبابكم لرؤياكم متشوقون ولروائح اخباركم متشوفون بلغهم تغيير هيئة اللباس فحصل لهم بذلك غاية الاستئناس وسر بقدومكم كافة اهل الاسلام من اهل الحجاز ومصر والعراق والشام فاشكر الله على ما اولاك لا سيما نعمة الانفكاك وبلغوا سلامنا للسيدة الوالدة حفظها الله من كل واردة كائدة وقد بلغني انه ازداد عندكم مولود فان شاء الله هو مبارك مسعود ولو عرفت مسماه لهنئناكم وارّخناه . قد كتبت شرح حال قدومكم الذي سارت به الركبان لكافة احبائك المقيمين في الشام على العهود في جواب الكتاب الوارد لبروسه من الشريف ابن الشريف المعهود ودوموا سيدي في امان الله وحسن رعايته (وكاتبه مرة اخرى واودع كتابه قوله)

الله اكبر هذا النعب يطربني من سيد بهواه كان يطربني
ومن عنائي به ناديت يا اسفي فالشوق يخاني والوصل يطربني
شوقي له جل ما باللفظ احصره ولو جمعت الوفا من دواويني
جاد الزمان بوصل ثم عاجلنا جرى على اصله في الغدر بالبين
حديثه وحديث عنه يطربني بذاك انسى وذا عنه يسليني
وكلما رمت ان القاه مجتهدا ترى موانع خير عنه تلويني
صبرًا على حكم مولى لا شريك له ما شاء كان وما لا ليس يثنيني
لكنني اتسلى بالرجا فعسى يقضي بوصل به نفسي تهنيني
وها انا صابر بين القضاء فلا ادري ألقاه بداءً او يلاقيني
انا المعنى فلا ارتاح من ولهي به نهارًا ولا زار الكرى عيني
ان قلت غبت فقلبي لا يصدقني اذ انت ثاوى به والكاف والنون
اوقلت ماغبت قال الطرف ذا كذب فقد تحيرت من حكم بضدين
نعم بدت في خيال الفكر صورته وان يكن شخصه ناء عن العين

فوجهه قبلتي والقلب مسكنه والورد ذكراه بل صلى له ديني
روحي فداه وصف ماقد حوته يدي والله بالفضل عن هذا يجزيني
ان المودة في الارواح منشئها فالروح واحدة حلت بجسمين
ودي له خالص والله اعلم بي فليسأ ان قلبه عنه ويفتيني
احبه وارى فرضا محبته هذا اعتقادي فمن ذا عنه يثنيني
وبغض اعدائه فرض بما اجترحوا فالله يكفيه من كل ويكفيني
والله لن يصلوا ادنى مراتبه وهل يضاهي الحصا مسكا بدارين
يا سيداً خصه المولى بمنقبة سماؤها ذروة العليا على الدين
والكل في غفلة عنها وقد ذهلوا اذ كلهم اعرضوا عن وحي جبرين
فاسقط الاثم عنهم حيث حث على فرض الجهاد بتدبير وتخمين
فالله يجزيه في احيائه علناً فرضاً اكيداً باجر غير ممنون
فقام لله في اعلاء كلمته لا للمباهاة بل في نصرة الدين
فكم وكم جندل الاعدا بسطوته يذيقهم كاس مر الموت في الحين
كأنه في لظى الهيجاء حيدرة له مواقف تحكي حرب صفين
سل ان جهلت وان ينكره ذو حسد مكابراً فهو من جند الشياطين
فالشمس لايبصر المكفوف بهجتها قطعاً وينظرها ذو العين بالعين
فقل له قف فان الحشر موعدنا سيظهر الله ما يخفى بلا دين
هذا هو الفخر لا شاي ولا وتر وقطع شرع وجمع بين اختين
دليل اخلاصه ما في الخلاص بدا بحكمة الله من بين الى بين
عدوه السيف اهداه له علنا مع كونه جاهداً في بذل مضنون
فاشكر المك اذ اسداك ما انبهرت منه العقول بسر الكاف والنون
وقر عينا وطب نفساً فسوف ترى ما يصنع الله بالبهم الملاعين
واشهد الله اني عبد روئيتكم اسقي عداك كؤوس الموت والبين
اني لارجوه في انجاز مسئلتي ونية الخير عند الله تنجيني
مع ان لي فكرة جاد الاله بها مع قوة العجز للخيرات تهديني
وطال ما كنت في فاس اروم اتى لكن قضاء الهي عنه يثنيني
ان قدر الله ذا مني فسوف ترى ما الله يرضى له في نصرة الدين
ان الشهادة عندي والاله لهي احلى من العيش في الدنيا على ديني

فلست احسن من صحب بها ظفروا　　في جنة الخلد بالولدان والعين
والله اسأل مع حسن الختام بها　　دفنا بطيبة فضلاً بعد تكفيني
وسيدي عارف الدنيا يبشركم　　براحة في الدنا والفوز في الدين
وكل ما تشتهي ياتي اليك فلا　　تهتم الا بذكر او بتبيين
والحبر نوري افندي قال ابلغه　　عني السلام فانت الآن تكفيني
فانني في اشتغال زائد وعنى　　عسى بحرمته المولى يهنيني
وشوق زائد يدعو لحضرتكم　　بما يسرك من خير بدارين
والسيد العلم القدسي يبلغكم　　تحية منه لا تحصى بتبيين
وكل من فيك قد صحت محبته　　فبالسلام عليك الان يوصيني
واقرأ سلامي على الاشبال قاطبة　　الله يحفظهم للنفع في الدين
محمد صاحب الساطور وهو قرى　　من كان جاري ونعم الطيب يهديني
وكم بحلوى صنيع الغرب اتحفني　　ان اشتهيت فاكل الحلو يرضيني
نعم ذا الجار يرعى الحق فيه ولا　　كاهل شام اضاعوه مجانين
فالله بالبذل يجزيه الرضاء وان　　بالعود فوراً وبالنوعين يجزيني
سلم على المصطفى نجل التهامي كذا　　نجل المبارك قدور ضيا عيني
وكل من في الورى حققت نسبته　　اليك بالحب من عال ومن دون
واسأل الله قبل الموت يجمعنا　　على لطائف ترضيه وترضيني
وعن قليل فذا الخروبي قال يجي　　نسعى به صحبة يا قرة العين
فالله يحجبنا من كل صارفة　　عن اللقاء بسر الكاف والنون

(وقد اشار) بقوله هذا هو الفخر الى آخر البيت الى المولى عبد الرحمن سلطان مراكش حيث انه اشتهر بحب الشاي وآلات الطرب واتهم بانه جمع بين الخمين من المولدات وبقوله عدوه السيف علنا الى السيف الذي اهداه له نابليون الثالث امبراطور فرنسا وبقوله وسيدي عارف الدنيا الى حضرة عارف حكمت بك شيخ الاسلام قدس الله روحه (ولما كان) الامير في باريس رأى الامبراطور نابليون يمدح الخيل العربية ويقدمها على غيرها وحين استقر في بروسة بعث الى سوريا رجلاً من اتباعه من اهل الخبرة بمحاسن الخيل يبتاع له من الخيل العربية ما يقع عليه اختياره فاشترى له ثلاثة افراس من احسن ما شوهد منها احدها كميت اغر محجل والثاني اشقر اغر محجل والثالث احمر ثم بعثهم الى الامبراطور سنة سبعين ومائتين لنظر

القائد عبد القادر بوكليخه احد اتباعه المقربين فسر بها الامبراطور ووقعت لديه موقع القبول

ذكر ما اجراه الامير في ختان اولاده وذكر حادثة الزلازل وما آل اليه الامر بعد

كان الامير كثيرًا ما يجامل اهل بروسة بحسن مجالسته ويعاملهم بلطف مؤانسته ويفيض عليهم سجال احسانه وامتنانه وفي ايا اقامته بينهم اجرى ختان اولاده واحتفل له اياماً والتمس من اعيان البلد ان يقيدوا له اولاد الفقراء المحتاجين للختان فقيدوا نحو الخمسمائة فامر بختانهم جميعًا على نفقته قال تشرشل في تاريخه وعند ما كان ختان اولاد الامير تعجب اهل بروسة لان من عادة اعيانهم يحتفلون للختان وسائر الافراح بضرب الموسيقى والطبول والزمور والامير احتفل بكثرة الصدقات والمبرات فترى جماهير الفقراء والمحتاجين حول داره يتناولون انواع الاطعمة والالبسة والدراهم وكانوا على كثرتهم يرفعون اصواتهم بالدعاء له وهو يقول اربعوا على انفسكم واشكروا الله تعالى انتهى باختصار (وبينما) الامير واهل البلد في ارغد عيش وراحة مدة اذ نزلت بهم طامة الزلزال واستولى الهدم والحريق على البيوت والمساجد والتكايا والاسواق فخرج الامير باهله ومن معه من المهاجرين الى مزرعة جاتلك قرب البلد وقد كان اشتراها للزراعة وهي تحتوي على اشجار متنوعة واكثرها شجر التوت وكان يشتغل فيه دود القز وابتنى فيها قصرًا عظيماً احضر له مهندسًا من الاستانة فعمره على هيئة قصورها وجلب لها اشجار الفواكه المتنوعة ولما تفاقم الامر وتتابعت الهزات مع تتابع الساعات ليلاً ونهارًا وخرج الاهالي الى البساتين والحدائق ومنهم من ابعد النزوح خيم الامير بتلك المزرعة وكان خليل باشا والي بروسة توجه الى الاستانة وخلفه عليا عالي باشا الشهير فكتب اليه الامير متشوقًا لما كان بينهما من شدة المواصلة

الا فاقر الخليل خليل باشا   سلاما طيبًا عبقًا نفيسا
له قل يا شقيق الروح مني   على م هجرت بلدتنا بروسا
بكم كانت تفاخر كل مصر   وتطلع من شمائلكم شموسا
فعادت بعدكم شمطا عجوزا   وكانت تجتلي بكم عروسا
وعهدي سوحها بالوفد ملأى   فاضحت بعدكم خلوا دروسا
وكنت لنا بها غيثًا هتونًا   وكهفًا مانعًا ضرا وبوسا

وكان لنا الزمان بكم ضحوكا فصار لنا بفقدكم عبوسا
فمن اعتاض عنك فدتك نفسي وكنت بقربكم فرحًا انيسا

ثم بلغ الامير ان علماء باريس تذاكروا في علماء الاسلام المشاهير وانتهى بهم الحديث الى ذكر الامير ومؤلفاته التي اتصلت بايديهم ومواعظه التي كان يلقيها على من يجتمع به منهم واجوبته على اسئلتهم التي كانوا يبعثونها اليه فوقع اتفاقهم على ان يثبتوا اسمه في ديوان العلماء من كل امة وملة من اهل القرون الماضية فاثبتوه وكتبوا اليه يخبرونه بذلك فكتب اليهم رسالة ضمنها علومًا جمة ذكر في خطبتها ما نصه الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين ورضي الله تعالى عن العلماء العاملين اما بعد فانه بلغني ان علماء باريس كتبوا اسمي في ديوان العلماء ونظموني في سلك العظماء فحمدت الله على ستره علي حتى نظر عباده بالكمال الي وقد اشار علي بعض المحبين منهم ان اكتب اليهم بعض الرسائل فكتبت هذه العجالة وسميتها ذكرى العاقل وتنبيه الغافل ورتبتها على مقدمة وثلاثة ابواب وفي كل باب فصل وتنبيه وخاتمة اما المقدمة ففي الحث على النظر وترك التقليد وذمه واما الباب الاول ففي فضل العلم والعلماء وفيه فصل في تعريف العقل الذي به ادراك العلوم وتكملة في القوى الاربع التي اذا اعتدلت في الانسان كان انسانًا كاملاً وتنبيه في فضل ادراك العقل على ادراك الحواس وفضل مدركاته على مدركاتها وخاتمة في انقسام العلم الى محمود ومذموم واما الباب الثاني ففي فضل العلم الشرعي وفيه فصل في اثبات النبوة التي هي منبع العلوم الشرعية وفيه تنبيه في معرفة النبي وما يتعلق بالنبوة وخاتمة في المكذبين الانبياء واما الباب الثالث ففي فضل الكتابة وبيان عدد كتابات الامم وفيه فصل في الكلام على كتابة الامم وواضعيها وما ينجرّ الى ذلك وتنبيه في بيان حروف الكتابة العربية وخاتمة في احتياج الناس الى التصنيف وما يتعلق به ثم شرع في تفصيل ذلك على الترتيب بما يختار عند سماعه كل عالم نحرير لبيب

(وقد مر) انه لما انتشر خبر خروج الامير من فرانسا واقامته في بروسة قصدته المهاجرون من مواضع اقامتهم فمنهم من كان يزوره ويرجع ومنهم من ينتقل اليه باهله ليقيم عنده وكان يتلقى الجميع بالبشاشة ويكرم نزلهم فمن اتى بنية الاقامة عين له ما يتعيش به على حسب عائلته ومن اتى بنية الزيارة نقطاعطاه ما يبلغه محل اقامته ومن جملة من قصده بنية الاقامة القائد الحاج عبد القادر بوكيخة الذي ارسل معه الخيل الى الامبراطور نابليون ولم يزل عند الامير قائمًا بسائر شؤنه

في بروسة الى ان توفي بها سنة احدى وسبعين ومائتين ومنهم العلامة السيد الحاج محمد الخروبي القلعي وكان كاتباً للامير في ابتداء امارته ثم جعله خليفة في ايالة صطيف ووقع في اسر الفرنسيس ثم اطلقوا سراحه ولحق بالمشرق فحج واستوطن دمشق ثم انتقل الى بروسة ولم يزل مع الامير فيها وفي دمشق الى ان توفي سنة تسع وسبعين والامير اذ ذاك في الحجاز ومنهم العالم الفاضل السيد قدور بن الرويلة وكان ممن اسر في الحروب الاخيرة واطلق الفرنسيس سراحه الى المشرق ولما بلغه وصول الامير الى بروسة جاء اليه واقام عنده في اعزاز واكرام الى توفي في بيروت يوم وصوله مع الامير اليه قاصداً دمشق ودفن في مقبرة السنطية في ربيع الثاني سنة اثنين وسبعين ثم ان الامير لما رأى رفاقه قد اشمأزت نفوسهم من الاقامة في بروسة لتوالي الزلازل فيها طمحت نفسه الى سكنى غيرها ووقع اختياره على دمشق وفي اول ذي الحجة سنة احدى وسبعين سافر الى الاستانة ثم الى باريس وفي الثامن عشر منه وصل الى مرسيلية على حين ابتداء الوباء بالفتك في اهلها فاصيب به اصابة خفيفة وكتب اليّ منها يخبرني بوصوله وبما عرض له وذيله بقوله

احباب قلبي كم بيني وبينكم … من ابحر وصفها قد صين عن حد
تحار فيها القطا والعي يدركها … حتى الجيات بها تخفى عن القصد
ما كنت ادري بان الدهر يبعدكم … عني ويتركني من بعدكم وحدي
قد خانني الصبر ما اجدى بمنفعة … سوى المدامع قد سالت على خدي
والطيف مثل لي اوصافكم فبدا … بشرى ومذ قمت غير الحزن ما عندي
هل الغزال الذي اهواه يسعفني … بالوصل يوما كما قد كان في العهد
هل النفور الذي اهواه يسعدني … بالقرب من بعد ما ابدى من الصد
ياذا النفور الذي في القلب مرتعه … ارتع به لا ترع فالصب في بعد
اني وان كنت مني نافراً فاقد … ارضى بطيف خيال منك لا يجدي

(ثم) توجه من مرسيلية الى باريس فتلقاه الامبراطور ورجال دولته بالاجلال والاكرام ووقع مجيئه الى باريس بعد ان وصل الى بلاد الاسلام موقعا حسناً عند كافة شعب فرنسا ولاول وصوله جاء خبر فتح سوا ستبول وانتصار جنود الدول المتحابة الثلاث على الروس فعظم السرور ثم انقلب راجعاً الى الاستانة ورفع امر انتقاله من بروسة الى دمشق الى الباب العالي فوافق وصدرت اوامر الدولة

العلية الى محمود نديم باشا والي دمشق ان يستعد لملاقاته واعداد محل لائق لسكناه و كتب ايام اقامته في الاستانة الى ابنة عمه والدتي قوله ·

اقول لمحبوب تخلف من بعدي عليلا باوجاع الفراق و بالبعد
اما انت حقا لو رايت صبابتي لهان عليك الامر من شدة الوجد
وقلت ارى المسكين عذبه النوى واتحله حقا الى منتهى القصد
وساءك ما قد نلت من شدة الجوى وقلت فما للشوق ارماك بالجد
فاني وحق الله دائم لوعة ونار الجوى بين الجوانح في وقد
غريق اسير السقم مكلوم الحشا حريق بنار الهجر و لوجد والصد
غريق حريق هل سمعتم بمثل ذا ففي القلب نار والمياه على الخد
حنيني انيني زفرتي ومضرتي دموعي خضوعي قد بانوا لما عندي
ومن عجب صبري لكل كريهة وحملي لاثقال تجل عن العد
ولست اهاب البيض كلا ولا القنا يوم تصير الهام للبيض كالغمد
ولا هالني زحف الدنوف وصوتها بيوم يشيب الطفل فيه مع المرد
وارجاؤه اضحت ظلاما و برقه سيوف واصوات المدافع كالرعد
وقد هالني بل قد افاض مدامعي واضنى فؤادي بل تعدى عن الحد
فراق الذي اهواه كهلا و يافعا وقلبي خلي من سعاد ومن هند
فحلت محلا لم يكن حل قبلها وهيهات ان يحلل به الغير او يجدي
وقد عرفتني الشوق من قبل والهوى كذا والبكا ياصاح بالقصر والمد
وقد كلفتني الليل ارعى نجومه اذا نامه المرتاع بالبعد والصد
فلو حملت رضوى من الشوق بعض ما حملت لذاب الصخر من شدة الوجد
الا هل لهذا البين من آخر فقد تطاول حتى خلت هذا الى اللحد
ألا هل يجود الدهر بعد فراقنا فيجمعنا والدهر يجري الى الضد
واشكوك ما قد نلت من الم وما تحمله ضعفي وعالجه جهدي
لكي تعلمي ام البنين بانه فراقك نار واقترابك من خلد

﴿ ذكر انتقال الامير الى دمشق وما صادفه من الاحتفال ﴾
﴿ فيها وفي طريقه اليها ﴾

و بعد ان اتم الامير مآربه في الاستانة اتى الى بروسة وفي خامس ربيع الآخر

سنة اثنين وسبعين ومائتين خرج من معه وكانوا مائتي نفس فركب بهم باخرة فرنساوية الى بيروت فهرعت اهاليها لاستقباله واحتفل واليها وامق باشا به احتفالاً عظيماً وطار خبره في انحاء سورية فاجتمع الامراء آل رسلان حكام الدروز ومشايخ من تلك الطائفة بالاقاته في جبل لبنان ولما بلغهم خبر خروجه من بيروت رتبوا جموعهم على الطريق التي يمر فيها ولما قرب منهم اقبلوا عليه يهرولون واكبوا على يديه ثم اخذت تلك الجموع في اطلاق البنادق وساروا عن يمينه وشماله و بين يديه يرتجزون و ينشدون المدائح على حسب عادتهم وكان الكولونيل شرشل الانكليزي اعد للامير ضيافة حافلة في تلك الليلة فنزل عليه ضيفاً كريماً و بات عنده في محله في الجبل وطلب منه امراء الدروز ان يقيم عندهم اياماً فاعتذر اليهم وشكر صنيعهم وعند الوداع قام الامير امين ارسلان حاكم الدروز وقال ايها الامير الجليل ان حسن صيتك جمل الوجود وهتف به الوالد والمولود وكانت نفوسنا ترتاح عند سماع اخبارك وذكر وقائعك وحروبك والان لله الحمد قد ابتهجت نفوسنا برؤيتك وعظم سرورنا بمشاهدتك فاجابه الامير بما ملاء صدور جمعهم حبرة وقلوبهم مسرة ثم ودعهم وودع الكولونيل وشكر صنيعه وسار في طريقه الى دمشق ووصل الخبر الى واليها محمود نديم باشا فخرج هو وعزت باشا رئيس العسكرية وغيرهما من ذوي المناصب والمأمورين واشراف البلد وعلمائها واعيانها الى قرية دمّر وهناك استقبله الجميع بالاجلال والاحترام واتصلت الجموع من اهل البلد وقراها من ذلك الموضع الى الصالحية وسار الامير في ذلك الموكب العظيم بين تلك الجموع التي يقف الناظر دونها الى ان نزل عند ضريح العارف بالله تعالى الشيخ الاكبر والكبريت الاحمر سيدي محيي الدين بن العربي رضي الله عنه و بعد ان زاره وتبرك به توجه الى المحل المعد لنزوله بدار عزت باشا الرئيس واصل هذه الدار لبيت القاضي محيي الدين ابن الزكي ولما قدم الشيخ الاكبر من بلاد الروم الى الشام نزل على بني الزكي وتزوج منهم وساكنهم في هذا البيت وتوفي فيه سنة ثمان وثلاثين وستمائة ودفن في مقبرتهم في سفح قاسيون و بالجملة فقد دخل الامير الى دمشق في يوم اخذ زينته من حسنه ولم يبقَ احد الا والمهابة ملء عينه وقد ذكر بعضهم انه لم يدخل دمشق امير عربي منذ مئين من السنين مثل ذلك الدخول وكانت الدولة العلية اصدرت امرها الى والي الشام ان يتخير للامير داراً لاقامته لائقة بمقامه فلما وصل الامير اخذ الوالي ينظر في الدور الشهيرة حتى وقع اختياره واختيار الامير معاً على داري القباقيبي محل اقامة الحكومة وهما داران متلاصقتان بينهما باب من داخلهما و بعد انتقال الحكومة منها واتمام لوازمها

سكنها الامير بعائلته وكانت ضيافة الامير وعائلته في ولايتي بيروت ودمشق جارية من الولايتين بامر الدولة العلية ثم كتب الى الصدر الاعظم مصطفى رشيد باشا يخبره بوصوله و يشكر فضل الدولة على ما حصل له من الاكرام والاحترام فاجابه بما نصه بعد حمد الله والصلاة على نبيه وعلى آله واصحابه والسلام على السيادة السنية حضرة الامير المجاهد عبد القادر فقد اخذنا بايدي الاعزاز والتكريم كتابكم الكريم بوصولكم الى دمشق الشام بخير وسلامة وتوفيق وحزنا منه على الفرح التام حيث اشتمل على اعز مقاصدنا من بقاء محبتكم وتوجهاتكم الخيرية جزاكم الله عنا خيرًا فاخرًا والسلام عليكم من مخلصكم اولاً وآخرًا في اثني عشر شوال سنة اثنين وسبعين ولما فرغ الامير من لوازم السكنى القى في دمشق عصا الترحال واتخذها دار اقامة في الحال والاستقبال وحمد الله تعالى الذي انعم عليه وجعل مآل امره الى دمشق الفيحاء فانها بلدة خيم فيها الاسلام من اول وهلة واستوعب من مواردها العذبة علّه ونهله ولما رأى اهل دمشق ما عليه الامير من العلم ومكارم الاخلاق والكرم والفضل والاحسان. ومعالي الهمم سارعوا اليه فكان يبشرهم بنجاح مقاصدهم باشارته قبل صريح عبارته واستخلص الاشراف واهل العلم لولائه وربطهم باحسانه وتوالي نعمائه فما توالت لهم في التردد عليه قدم ولا عطل لهم في مدحه والثناء الجميل عليه قلم

﴿ ذكر توجه الامير الى زيارة بيت المقدس ﴾

وبعد ان رتب شؤونه واتمها تحركت نفسه الى زيارة بيت المقدس فخرج اليها سنة ثلاث وسبعين ومائتين وكانت بمعيته وجعل طريقه على صفد بلدة نبي الله سيدنا يعقوب عليه السلام فزار آثاره فيها ووقف على جب سيدنا يوسف عليه السلام ومرّ على حطين حيث كانت الوقعة الكبرى بين صلاح الدين والصليبيين ثم توجه الى يافا اجابة لطلب مفتيها العلم العامل التقي الكامل السيد حسن الدجاني الحسيني فتلقاه اعيان البلدة خارجها ونزل في داره فحل لديه حلول صديق غائب ووقع عنده وقوع صائب فافاض الامير عليه وعلى اقاربه سوابق انعامه واراهم عجائب افضاله واكرامه وممن لازمه اذ رأى انعطافه عليه ومدح فاجاد وبلغ من الاجادة ما امل وأراد العلامة السيد حسن افندي اخو المفتي المذكور فقال

عهدنا بغرب مطالع البدر مشرقا   وانا نراه الان قد لاح مشرقا
وللغرب اصل الفضل اذ هو مطلع   وان يك بدر التم في الشرق اشرقا

رعى الله بدراً قد سرى بمحمد السرى | الى الحرم القدسي وهام تشوقا
فلله من يوم به وصل الهنا | وجاد بشير الانس بالوصل واللقا
واشرقت الدنيا بطلعته التي | بدت شمس حسن نورها قد تألقا
بروحي افدي من علقت بحبه | واضحى لديه اللب بالرهن موثقا
سما في سما العليا كمالا وبهجة | ولطفاً وظرفاً فوق عرش البها ارتقى
لطلعته تعزى المحامد مثل ما | لحضرة محيي الدين حمدي تحققا
ومرآه عيد للتهاني بقدم | لمولاي عبد القادر السامي مرتقا
امام محاريب الافاضل جامع | لكل كمال في الانام تفرقا
همام بيوم الحرب اثنت حرابه | عليه وفي المحراب اضحى موفقا
طويل نجاد وافر الفضل كامل | بسيط الندا قد فاق فهماً ومنطقا
وما هو الا سيد وابن سيد | له المحتد العالي من الدر منتقا
مليك اذا ما امّ ساحة جوده | اسير العنا في الحال منّ واعتقا
حوى البأس والمعروف والجد والذكا | وحاز المعالي والمكارم والتقى
ولا عيب فيه غير ان عطاءه | ابان لعجز الشكر لما تدفقا
سل الصارم الهندي عنه فانه | يحدث عن فضل به الضد صدقا
وليس للماضي عزمه من مضارع | لعليائه الامر انتهى وتعلقا
زهت جلق مذ رامها منزلاً له | فرد بروج البدر في السعد حاقا
واضحت دمشق مذ اناخ بسرحها | كجنة خلد نشرها قد تعبقا
وكم ما سمعنا عن مآثر فضله | فهمنا على حب السماع تعشقا
فكان عياناً فوق ما وصفوا لنا | وشاهدت فرداً بالكمال تخلقا
وحاشاه ان احصي بمدحي نعوته | وهل يحصى ودق في البرية اغدقا
وما الشعر من دأبي ولا انا اهله | وان كنت احياناً به متعلقا
ولكن اياديه التي عم فضلها | وحبي لآل المصطفى العروة الوثقى
دعاني الى هذا القريض وانني | مقرٌّ بتقصير به اطلب العتقا
امولاي محيي الدين والسيد الذي | على فضله الاجماع قام واطبقا
هنيئاً هنيئاً بالقدوم الذي به | لقد اقبل الاقبال واستدبر الشقا
ووافى الوفا يافا بكم وتشرفت | وفاقت على الامصار فخراً ورونقا
فبشراك يا بدر العلا بزيارة | بها فتح تقريب لما كان مغلقا

ولا زلت في اوج السيادة راقيًا … ودام لك الاسعاد والعز والبقا
وهاك عروسًا في مديحك قد حلا … بحلي ثناكم جيدها وتمنطقا
على خجل وافت تؤمّ رحابكم … فمنّ عليها بالقبول تصدقا
وصلي وسلم يا الهي تكرمًا … على المصطفى خير الخليقة مطلقا
وآل كرام ثم اصحاب هديه … مدى الدهر ما غصن المسرة اورقا
وما حسن نجل الدجاني قد شدا … وقال يهني من كنجم السهى رقا
واضحى ليمن بالقدوم مؤرخًا … الى المسجد الاقصى سرى يطلب التقى

١٢٧٣

(وصادف) الامير في يافا قيام اهلها ومن يليهم بمولد نبي الله روبيل عليه السلام عند مشهده الكريم على مسافة من البلد فاقام عند المفتي ثلاثة ايام ثم خرجا معًا في ذلك الجمع الغفير الى حضور المولد برسم الزيارة والتبرك واقاما يومين ثم ودع المفتي هناك وتوجه الى زيارة سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام وفي معيته السيد حسن الدجاني فتشرف بمقام ذلك النبي الجليل واقام في اعتابه ثلاثة ايام ثم توجه الى القدس الشريف لزيارة المسجد الاقصى الذي تنجلي بمشاهدته سائر الهموم وتزول بها عن القلب الغموم وينشرح فيه الصدر وتصفو به مرآة الفكر

ولما قرب من تلك البلدة المعظمة خرج اعيانها لاستقباله ونزل في دار ناظر اوقاف سيدي ابي مدين الغوث قدس الله سره واقام هناك اياما يتعاطى كؤوس العبادة رائقه وتوالت على اهل ذلك البلد الشريف هباته ومبراته وزار القيامة وبيت لحم وقبر سيدنا موسى عليه السلام ثم توجه الى بحيرة لوط لزيارة مسجد الياقين ومنها الى نابلس واستوعب من بلاد فلسطين كافة الاماكن المباركة والمعالم المقدسة ثم توجه الى الغور فزار قبر سيدنا معاذ بن جبل وقبر سيدنا ابي عبيدة بن الجراح ومن معهما من الصحابة الكرام رضي الله عنهم ومن هناك رجع الى دمشق على طريق حوران فزار قبر الامام النووي وحمد الله تعالى على هذه النعم المتوالية عليه وشكره شكر من عرف المنة فعظمت لديه وكان قبل سفره الى بيت المقدس حضر الى اعتابه الاديب المسيحي سليمن افندي الصوله وقدم الى حضرته ما نصه . الحمد لله الذي جعل مكارم الشيم داعية الفصاحة في العرب والعجم حمدًا يستحقه بعلو شانه وسبوغ احسانه وبعد فلما اجمع البشر من البدو والحضر على مدح آية الحرب والمحراب والقلم والقرضاب السيد الشريف المستغني لشهرته عن التعريف الاشهر من علم تسربل بالنار والاوضح من الشمس في رابعة النهار صاحب

الوقائع المشهورة والمآثر المخبورة والمزايا الهاشمية والمكارم الحاتمية مولانا وسيدنا الامير عبد القادر ذو السيف الباتر والفضل الباهر والحلم السافر والحزم الوافر رب المفاخر والوقار والسماح المدرار المغربي النجار والمشرقي الانوار القاطن الآن بالكنانه قمر حفه الجمال وزانه احببت ان اتشرف بمدحه السامي كما تشرف كعب بمدح جده التهامي فنظمت ما هو بالنسبة لمقامه الرفيع لا يعد الا من سقط المتاع ولكن بمدحه البديع اصبح يهدر على عواتق السماع ولعمري لا يفتخر السيف بقرابه والمرء بجلبابه انما يفخر القشر بلبابه والدن بشرابه . ولله در القائل .

ماذا يضرُّ السيف كون قرابه   رثا او البازي حقارة عشه

وهذا ما جادت به القريحة الجامدة . وتالقت به الفكرة الخامدة . قبل تحريك ركابه المنيف . لزيارة الحرم الاقصى الشريف . وتالله لقد قصرت بمدح الهمام الفاضل . واين الثريا من يد المتناول . فارجو المعذرة من ذوي البصائر . والحمد لله في الاول والآخر .

شقت دجى فرعها عن فرقها السحري   فسبحت ايكة الوادي على الشجر
واقبلت تنجلي في غلائلها   كالغصن لو يتحلى الغصن بالدرر
يزفها بليل الخلخال مبتهجاً   زف المبشر بالاقبال والظفر
تقول قد رتقت بالوصل ما فتقت   ايدي الزمان وشقت شقة الكدر
فقمت الثم موطاها ولو سمحت   بلثم اخمصها قبلت بالبصر
اقول والشمس شمس الراح باسمة   بالكاس ان التي امتدت يدا القمر
وقلت للراح لما افتر مبسمها   هذا هو الحبب الدري فاتزري
روحي الفداء لذا انثى مكرمة   تصال ناظرها امضى من الذكر
تقل بدراً على غصن يقلها   بحر من النور في زق من الحبر
رود علقت بها درم مرافقها   يكاد اوسطها يخفى عن النظر
كأن ما بين عينيها واخمصها   مد الصراط فلم نأمن من الخطر
بيضاء صبح محياها يشوقنا   للاصطباح براح المبسم العطر
ما اطلعت مثلها الجوزاء نيرة   ولا حوى مثلها الاكليل من بشر
تطال الورد في نسرين وجنتها   بآسة اللاز ورد الرطب في الشعر
ترنو بعين مهاة كحلها حور   واعين العين لا تخلو من الحور
تزهو بجيد تروق العين طلعته   كأنه جيد خشف خائف ذعر

يخشى الكمي بعيداً قوس حاجبها فرا لخيفته قوس بلا وتر
ويتقي جفنها المكسور واحربا لا يحمل الشهم سيفاً غير منكسر
علقتها هونة الاخلاق طوع يدي طوع العناق وطوع اللهو والسمر
فما ظفرت بتكدير لرقتها لكن ظفرت بصفو غير منكدر
تركت بالصرف عني الهم منصرفا فاقبل الانس يسعى سعي معتذر
وبت ما بين خلخال واسورة احاول الوصل بين الخوف والحذر
اقول هل رحمة تقضي بتكملة لاني مفتقر للوصل منتظر
لولا غرامك ما احيي الدجى طمعاً بزورة منك يؤتاها على قدر
ولا تناوم الاطياف يخدعها برقدة الزور لما خط في السحر
فوسدتني وثيرا من ترائبها هو الجبين اذا كان الجبين طري
وكان ما كان مما لست اذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر
حتى اذا انقبض الديجور وانبسط الـ شحرور وانتفض العصفور في الشجر
وبادر الصبح مختالاً بجيملة تنبه النرجس المكحول للسفر
مدت صحيفة كافور تودعني بها نخر عقيق الدمع كالاكر
فقلت للعين لما آن مرتحلي بانت سعاد ولاح الفجر فانفجري
فصير القادر الاجفان في لجج حكت ندى عبده السمح الابي مضر
الثابت العزم والابطال في قلق والبيض تقذف للجيشين بالشرر
الملهب الاملد الخطار من مهج حراء مملوءة بالحقد والاشر
المنهل السيف يوم الكر نهلته من قمة الراس او من قلة البصر
التارك البطل القمقام منعفراً بعيثر كاديم الليل معتكر
افديه من اسد للحق منتصر فخر لمفتخر غوث لمصطبر
سيف يذب عن الدين الحنيفي ولم يخش الملام فما في الدين من خفر
يغشى الوغى باسماً والخيل عابسة بصارم كقضاء الله منحدر
هتك السوابغ من عاداته خدم من نمل جوهره الآساد في حذر
وذابل ركب الموت الزؤام به سن المنون فلم يترك ولم يذر
يفتض بالفتك ابكار القلوب على كبد السوابغ فضا غير مستتر
وصافن من جياد الخيل مبتدر يقول للبرق سر مهلا على اثري
كانه تحت ملاك فوقه ملاك لا ياخذ النفس الا اخذ مقتدر

يرمي العداة بما تذري حوافره ... من الثرى فترى نبلاً من الحجر
هناك لا الخودة البيضاء تمنعه ... عن المرام ولا حمالة الدثر
تراه وهو فريد من مهابته ... بجحفل من ليوث الغاب منتشر
لا يتقي لهب البارود منحدرًا ... يفري اديم الدجى في مهمه قفر
ولا يهاب بريق البيض يتبعها ... رعد العدا ودم الابطال كالمطر
الية بالهجان الشدقمية اذ ... تفري السباسب نحو الركن والحجر
والصافنات عليها القوم يعتنقوا ... نقع الدجى لا اولي طيش ولا خور
ما اولد المجد من بكر العلا اسدًا ... سواه للدين من بدو ومن حضر
سيف سنين به سن القديم لمن ... يرجو الجهاد حديثًا طيب الخبر
قد صير الغرب شرقًا مشرقًا ابدًا ... بنور شمس افتخار غير مندثر
لاقى الخطوب بصدر العزم فانفرجت ... وقيد الحزم بالتقوى فلم يجر
حتى غدا الوحش كالاطيار في طرب ... والجن كالانس مما جال في الفكر
لم يتبع دعوة الباغي لمظلمة ... ولم يبع نصرة المظلوم بالبدر
ولم يدع برؤوس القوم من شمم ... الا جلاه جلاء السيف من وضر
بادهم طبعت فيهم سنا بكه ... ميم الممات على العادات في الطرر
كان نسر الدياجي فوق غرته ... من الاسارى قصيص الريش لم يطر
فعال اصيد قوم فاضل حكم ... وعالم عامل بالنص والخبر
فصل الخطاب له حتما وحجته ... لله بالغة في حجة الاثر
له على الفقه في التاليف خير يد ... وبالتفاسير فضل غير منحصر
علم الخليل الذي باهى بابحره ... يرى لدى علم هذا البحر كالقدر
بحر من الجود لو ضمت سواحله الا ... بحر المحيط اضحت اصفر الاكر
يجود وهو يحيينا بمنطقه ... فلا نفرق بين النطق والدرر
يا كعبة الجود من لباك فاز بما ... يرضي الاله واضحى خير معتمر
يا مكسب السيف فخرًا لا زوال له ... وصاحب القلم الامضى من القدر
يا ابن الكرام واتقى الخلق قاطبة ... يا كنز مدخر يا خير مفتخر
اليك جارية عذراء جارية ... في ساحة الحسن ترجو نقد معتبر
ترجو القبول فلا شيء يعادله ... عندي وليس لها الاه من وطر
فان سمحت به فالجود عادتكم ... وان ضننت فمن حظي وانت بري

دامت لطلعتك الاعوام باسمة　　ودمت في كل آن تاج كل سري
وجادك الحرم الاقصى بنيل منى　　ما قبل المزن وجه الروض بالمطر
ونشقتك نسيمات القبول شذا　　ريحانة الليل او نسرينة السحر

ولما رجع الامير من سفره الى دمشق قدم له قوله

من مجيري من العيون السكارى　　ونصيري على القدود العذارى
ومقيلي من البعاد بقيل　　يصرف الروع عن قلوب الحيارى
يا حداة المطي ان فؤادي　　ضالع في ظعونكم يتوارى
مائل ضاع في الرحال ولكن　　ما ارى من يعيده فتمارى
فارفقوا بالفؤاد يا مالكيه　　انما الرفق واجب بالاسارى
وارحموا من غدا وحيداً فريداً　　نازحاً نائحاً مضاما مضارى
آه من لي بوصل ربة خدر　　ريقها يترك القراح عقارا
صيرت مقلة الغزالة خالاً　　واخا طوقها الهلال سوارا
ياغواني حذار ان دموعي　　اوسعت كل عاشق انذارا
من اصب بينكم متفان　　يرسل الدمع خلفكم تيارا
من مديد البعاد وافر سقم　　غيركم كامل الملاحة مارا
اكسبت ضعفاً بالجفون انتصاراً　　اكثر الله في الجفون انكسارا
يا بدور الحمى ارفقوا باسير　　يطلق الغيث دمعه استعبارا
وانجدوا يا آل نجد ميت هواكم　　مسنى الضر بعدكم يا غيارى
واصطباري اضمحل من جل نار　　صورت في خدودكم جلنارا
ومنامي الذي عتبت عليه　　شام سهم الجفون ثار فطارا
يا لقيس من قوس حاجب ليلى　　ملكت سهمها عليّ فجارا
بدل النوم بالسهاد واهدى　　من وريدي لقوسها اوتارا
طال ليلي وهجرها وغرامي　　ومن الوصل لم اجد انصارا
طال ليلي كفرع ليلى ومالي　　عن هواها البسيط قط اقتصارا
كلما ابتعت للتصبر درعاً　　اشهرت من لحاظها بتارا
جار فينا وعاد عنا سقيماً　　بعد ما صير القلوب فجارا
قل لمن يجهل المحبة من لا　　يعرف المسك يحسب المسك قارا

نحن قوم نرى المحبة دينًا ... واللاهي عن الاحبة عارا
كل من فاز بالمحبة منا ... حبة منه ترجح القنطارا
كيف اسلو المهاة لحظًا وجيدًا ... والتفاتًا وغنة ونفارا
ارقتني وفارقتني نعيني ... ترسل الدمع بعدها مدرارا
دمع عيني اذا جرى خلت عبد الـ ... قادر السمح او رد الابحارا
الطويل النجاد سمح الايادي ... خير من ساد عنصرًا ونجارا
باسم الثغر والزمان عبوس ... والضواري من الخطوب ذعارى
فاقد الند نسد روح المعالي ... فاضل الجد امنع الخلق جارا
عقد فضل به الفضائل فازت ... بانتظام وكان فيها انتثارا
نير الفكر لو ألم بليلٍ ... صير الليل بالضياء نهارا
اكرم الصيد حل اكرم ارضٍ ... اطلقت من سماحه بحارا
ازهرت من علومه وأضاءت ... هكذا الشهب تبدع الانوارا
يا له الله من سحاب سماحٍ ... بخباب الملال لم يتوارى
امطرتني يداه درًا ثقيلاً ... صغته في مديحه اشعارا
فله الفضل لا امنُّ عليه ... بحور من كفه تتجارى
عالم عامل خبير خطير ... في ميادين فضله لا يجارى
تحسب السيف واليراع بكفيه ... خيولا الى العلا تتبارى
تحسب الطرس في يديه عيونا ... والمداد الذي عليه احورارا
نطقه حكمة وفصل خطاب ... ومناجاته تفيد افتخارا
عطر الشعر ذكره فملأنا ... بغوالي مديحه الاقطارا
وسمعنا حديثه فغدونا ... بقديم من السلاف سكارى
ماجد صير العفاف مقرا ... ومن الخير قد تخير دارا
ساد اهل الزمان خلقًا وخلقًا ... منهما الكون غدا معطارا
فاتك فاتح مغاليق رمزٍ ... من علوم تحير الافكارا
ذاته النقطة التي ارتكز المجـ ... ـد عليها وثبت الانوارا
آية الحسن والكمال عليها ... ارسل الله لطفه زخارا
لم يزل ضائري الزمان الى ان ... شام في الشام سيفه فتوارى
شام في سيفه اخضرار زعاف ... فاتقى ان يضل فيه اخضرارا

قل لمن فيه قد تباله جهلاً | ويك لا تشرق البدور سرارا
ذا الذي اشبع الوحوش لحوماً | غضة من عداه والاطيارا
احرق العتي بالجهاد واورى | بقلوب العدا من الفتك نارا
شم محياه فهو آية حسن | ابدعت من بهائه انوارا
ودع الحاسد الذي يتعامى | عن ثناه البديع او يتوارى
لا تضر الشموس عين حسود | انكرتها تمرضا وخوارا
ايها السيد الذكي الذي كا | د ذكاه يصير الماء نارا
والنبيه النبيل والحكم الفر | د الذي جل عن مقاتل دارا
يا مريش الجناح مني بارض | لم يبقني سواك منها قرارا
ان بعد المزار ابعد نومي | عن عيوني وارمد الابصارا
فازجر البين لاعدمتك عني | انه ظل كافراً جبارا
لا ندع غير سيل قربك يهمي | فوق هامي مؤبداً مدرارا
قد حبي جدك الآله باسرى اللي | ل سبحان من حباك نهارا
لاسباك الآله حلية حزم | لا يشق الهيجاء منها شعارا
وبقيت الدوام تزجي البلايا | عن ارقاك قادراً منوارا
قاتلت عبدك العيون فنادى | من مجيري من العيون السكارى

ذكر قضية مدرسة الاشرفية المعروفة بدار الحديث النووية

كان رجلاً من الاروام القاطنين في دمشق اسمه يانكو قد استولى على الدار التابعة لمدرسة دار الحديث الاشرفية ثم مد يده الى الزاوية الغربية من المسجد واقتطعها منه واعدها لوضع دنان الخمر فقام عليه العلامة الشيخ يوسف بدر الدين المغربي المتقدم ذكره ورفع امره الى الحكومة المحلية فلم تسمع دعواه فتوجه الى الاستانة وتعاطى الاسباب لانقاذه هذه البقعة المباركة وبعد الجهد التام احرز فرماناً سلطانياً في ذلك ولما قدمه الى والي دمشق طرحه في زوايا الاهمال وبقي الامر الى ان جاء الامير الى الاستانة من فرنسا فاجتمع به الشيخ يوسف وشكا اليه امره وجاء معه الى بروسة ثم توجه الى الاستانة بقصد الهجرة الى المدينة المنورة وحصلت بينه وبين الامير مكاتبات ومن جملة ما كتبه له في شأن المدرسة المذكورة قوله جناب السيد الهمام والبطل السميذع الهمام شقيق الروح وآسي الجروح

من محبتنا فيه كما يعلم الله ورسوله خالصة وهي مع البعد متزايدة غير متناقصة مولانا
السيد الشريف الامير سيدي عبد القادر بن محيي الدين لطف الله بنا وبه وكافة
المسلمين في كل سكون وحركة آمين وبعد فاهدى اوفر تسليمات زكية واسنى
تحيات متوالية الى الحضرة العلية والطلعة السنية توءم الغنى وتم المعنى هذا والمعروض
بعد اداء الدعاء المفروض انه وصلني من الجناب كتابان قرّت بكل منهما العينان
حيث استفدنا منهما صحة مزاجكم وراحة بالكم فنسال الله لكم دوام ذلك وابلاغكم
فوق ما هنالك وان يسلك بنا وبكم احسن المسالك وما تفضلتم به على سبيل
البشارة ثم توقفت في تطبيق معناها على قضيتنا باتحاد البشير والمبشر ثم خطر
بالبال المعلول انه من باب تنزيل الخلف الاعتباري منزلة الذاتي كما هو مبين
في الاصول ويمكن ان يكون من باب السراية على اعداء الزمان ثم اهم ما سرّني
عزوك مسألة عمورية الى نص القاموس. اذا قالت حزامي فصدقوها. ولا عطر بعد
عروس فاني قبل تنبيهك كنت مرتبكاً في اي النقلين هو الصواب حتى انى جواب
الجناب اكثر الله فوائدكم وادام عوائدكم وارسلت لكم سابقاً جواباً مشتملاً على
قصيدة بائية من بحر الطويل حمل عليه صدق المحبة واخبرتكم فيه اني الآن
ولله الحمد في سعة عظيمة واحوالي بفضل الله عز وجل من قبل الصحة والدنيا مستقيمة
قاصدين سكنى المدينة حتى ينزل بنا على ملة الاسلام ان شاء الله الحمام ويا سيدي
قد نصحتم واجدتم وهذا من صدق محبتكم المحققة التي لا تحتاج الى استشهاد بقول
القائل ليس يصح في الاذهان شيء. الخ فها انا ابسط عذري وهو اني قاسيت بالشام
من المصائب العظام ما لا يصدر على مثلي لو كان بين عبدة الاصنام وذلك مشهور
لدى الخاص والعام فلولا دار الحديث مدرسة اسست على تقوى وكان بها
النعل المنيفة التي مستها قدمه الشريفة صلى الله عليه وسلم وكانت محط رحال العلماء
العاملين اساطين الاسلام وائمة الدين فاولهم الحافظ بن الصلاح ثم الامام ابو شامة ثم
القطب الكبير الامام النووي الشهير ثم الحافظ المزي ثم مجتهد الدنيا في عصره
السبكي الكانس لها بلحيته وقال في شأنها وفي دار الحديث الخ الى الحافظ بن
حجر شارح البخاري بفتح الباري واضرابهم ومن البين ان التبرك بآثار الصالحين
من سنن النبيين والمرسلين وفعله صلى الله عليه وسلم ليلة مسراه باشارة سيدنا جبريل
حيث صلى في مكان سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام مع تفاوتهم
في درجات الكمال بشهادة تلك الرسل تنبيها لامته على انه سنة قديمة ليغتنموا

ثواب هذه المنقبة الفخيمة فمدرسة هذا شانها خبرها مشهور متواتر امتلأت به بطون الدفاتر قصدها الاكابر من سائر الاقطار لاغتنام بركة ما فيها من الآثار يليق ان يكون بجوارها خمارة لاجتماع الفسقة فضلاً عن كونها في قاعة درسها ودار وقفها سبحانك هذا بهتان عظيم ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم واعجب من هذا ان اهل الكتابين الذين تحت الذمة في ظاهر الحال مع نقضهم للعهود الدينية والشروط العمرية هل سمعنا او رأينا انه خربت لهم كنيسة كانت معدة لعبادتهم جعلوها خمارة او تجاسر بعض سفهائهم وشرب بها خمراً مع استحلالهم لذلك وازيد من هذا ما شهدته بعد توجهي في العام الماضي من عندك من تزوير الحجج الباطلة بعد كتب الحجة لنا ان الدار للوقف بشهادة الجم الغفير من اهل الاسلام وختم عليها رؤساء المجلس والعلماء والقاضي وادعوا ان النصراني حماية وهو رعية ووضع جزية عشر سنين الآن فما بالهم لا يرجعون الوقف الى اصله فقوم هتكوا حرمة شريعتهم وكسروا ناموس دولتهم فعلى اي حال يكون المقام بينهم ثانياً مالي بينهم معاش ولا مرتب وكلهم له ذلك وهو مع ذلك في الزيادة يرغب وكسبهم بقراءة القرآن والتهاليل ودخول المحاكم للتوكيل واصلاح بين رجلين على اي وجه كان الاكل من الطرفين وما اعتدنا ولله الحمد شيئاً من ذلك وقد عودنا الحق سبحانه وتعالى الرزق من حيث لا نحتسب وضاقت عليَّ بين اظهرهم الاحوال مع اني ببلدتهم ذو عيال فمعاشي بزولة الاسفار ومع ذلك يقول بعض سفهائهم الشيخ لا ثبات له ولا قرار راكباً في شامنا متن عين عمياء خابطاً خبط عشواء بدون بصيرة ولا استبصار وما درى الغبي اني في نفسي مهموم بشاني وشان عيالي ومن يقدم عليّ من الاحبة فاي فكرة تنقدح لادراك البديهي فضلاً عن النظري من العلوم مع انه لم يكن في البلدة عالم مستعد ولا طالب ذهن متقد ولا يشتغلون بمهمات العلوم انما يشتغلون بصغار كتب بعض الفنون بدون اتقان وتحقيق فلا حول ولا قوة الا بالله ونسأله سبحانه اللطف فيما جرت به المقادير فخرجت معتقداً ان الهجرة واجبة للمناكر الشائعة والمصائب المتعاقبة على الحال الذي رايته جنابك فصارت الدنيا في وجهي كالخاتم مع سعتها وسدت الابواب دوني الاباب من هو للانبياء ختام فتوسلت به الى الله فتخلصت ولله الحمد ببركته من كل شدة بحول الاله وعلمت ان ذلك تاديب لي منه سبحانه بتركي التشريف بجواره صلى الله عليه وسلم ونشر شريعته في بلدته على قدر عجزي حسب الامكان مع الاستراحة التامة فلما صممت العزم على ذلك تيسرت اموري كلها عامة ثم ان الحق تعالى ساق الامير الى سكنى دمشق

فرأى الامر كما بلغه فحركته الحمية الاسلامية والغيرة العلوية فاحضر الرومي عنده واشتراها منه ثم اوقفها بموجب حجة شرعية على الشيخ يوسف وعلى عقبه واذا انقطع نسلهم يرجع ريعها للمدرسة وذلك في الثاني من جمادى الاولى سنة اثنين وسبعين ومائتين والف وامر بترميم المسجد والمدرسة على نفقته وجعل الله تعالى انفاذها وتطهيرها من نجاسة الخمر على يده وهذه من اعظم المبرات ونوافل الخيرات وبعد ان اتم ترميمها واصلاحها كتب للشيخ يوسف واخبره فحضر من المدينة المنورة وسكن في الدار واستلم المدرسة وفي اول يوم من رجب سنة اربع وسبعين ومائتين افتتح الامير فيها التدريس بصحيح البخاري رواية بحضور الشيخ المذكور وكان يجلس لاقرائه بعد صلاة الظهر الى ان يصلي العصر وكان درسه منورًا مفيدًا يحضره العلماء والاذكياء من الطلبة ووافق ختامه في آخر يوم من رمضان وحضر ختمه جماعة من العلماء واجاز كل من كان حاضرًا في ختامه من طلبة العلم وفيهم الشيخ يوسف بدر الدين المغربي فقام في ذلك المجلس وانشد بين يدي الامير قوله ·

باب القبول لهذا الختم قد فتحا فلاح من يمنه بدر السعود ضحى
وهب من روضة الرضوان عارفة اضحى بها القلب مسرورًا ومنشرحا
اما ترى الا عد قد لاحت بشائره وطائر اليمن في ادواحه صدحا
وهذه اوجه الاقبال مسفرة والوقت بالبشر والآمال قد سمحا
فسل الملك ما ترجوه من امل واضرع اليه فوجه القرب قد وضحا
وابسط يديك الى مولاك مبتهلا فان من ام باب الله قد نجحا
ان البخاري معلوم الاجابة في ما امه المرء في اقرانه وشحا
فما توسل محزون به ورجا الا وابدل من احزانه فرحا
ولا تلاه لكشف الضر ذو حرج الا تباعد عنه الضر وانفسحا
ولا اتى مكروب لخالقه بسره مخلصا الا اغتدا فرحا
ولا تنفس من انفاسه ارج الا اتى فرج باللطف منفتحا
فالهج به ورواة فيه قد وصلوا به حديث رسول الله منفتحا
هم الائمة تجلى كل داجية بنورهم وهم الاقطاب والصلحا
وهم الو القرب في دنيا وآخرة والسادة القادة الهادون والنصحا
اهل الحديث حماة الدين تابعهم في متجر الحق والتحقيق قد ربحا
فازوا بدعوة خير الخلق ماوجدوا الا ونور الهدى من وجههم لمحا

رووا حديث رسول الله عن زمر ... غصنا طريا عليه الصدق متضحا
وقد نفوا كل شك عن شريعته ... فارغموا انف من للشك قد جمحا
جزاهمو الله خيرًا عن نبيهم ... ودينه وحباهم اجر من نصحا
وقد تسامى ابن اسماعيل في شرف ... بهم فنال العلا والفخر والمدحا
ادى الينا صحيحًا من حديثهم ... بجامع فاق ترتيبًا ومصطلحا
اتاه مولاه اجر المحسنين لقد ... اهدى المحدث عقدًا ما له طمحا
قد اعتنى كل ذي دين وذي رشد ... به فحاز به التقديم والمنحا
ورددوا سره في كل آونة ... يرجون من يمنه تقريب ما نزحا
وحاز قصب سباق في دراسته ... وفهمه عارف بالفضل قد رجحا
في مسجد الاشرف السلطان ما وسما ... دار الحديث بدرس ابهر الفصحا
ضبطًا وبحثًا مع الاتقان مقتفيًا ... آثار من حلها من سادة صلحا
مثل الامام النواوي والمضاهي له ... ممن على منهج الارشاد قد سجحا
فالله ينفعنا فضلاً بجاههم ... ويكشف الكرب عن ذا الجمع والترحا
مولى به ملة الاسلام باسمة ... والدين عال وحال الناس قد صلحا
فسيبه انعش المحتاج واكفه ... وسيفه اضلال الكافرين محا
وصيته البس الاسلام عزته ... وعلمه لمعاني الدين قد شرحا
نور النبوة يبدو في اسرته ... وسرها من حلى اخلاقها وضحا
قد اكسب الدين رفعًا والعلوم حلى ... فالكفر اصبح والعصيان منطرحا
وعمر العمر بالطاعات مجتهدا ... في اشهر الخير للخيرات مقترحا
ادم الهي لعز الدين عبدك من ... للقادر انضاف وانحو العلا نحا
هو الامام ابن محيي الدين من ظهرت ... منه الكمالات في الدنيا كشمس ضحى
من قام لله في امر الجهاد ومن ... غدا به صدر دين الله منشرحا
في عصرنا ما سمعنا من سواه حبي ... مثل الذي نال او طرفًا كهو لمحا
اضحى له وزرًا في كل نائبة ... تعرو وحصنًا حصينًا كلما سنحا
وجاء للدرس والاملا جهابذة ... للبحث ان عنّ او للفهم ان جنحا
قد لازموه ونالوا من معارفه ... ما يخرس اللسن او ما يبهر الفصحا
فليهناء الحاضروه نيل مقصدهم ... من الفوائد ان الباب قد فتحا
ويسال القوم ما شاؤا لانفسهم ... من فضله الجم ان الله قد منحا

والعلم افضل ما ازدان اللبيب به وخير ما اعتبق التحرير واصطبحا
واسعد الناس من كانت بضاعته علم الحديث الذي قد صح واتضحا
واسند العلم اخذاً عن ائمته فنال من علية الاسناد ما اقترحا
وللبخاري رجال يستغاث بهم في المحل ان حل اوفي الخطب ان فدحا
بجاههم اسأل الرحمن مغفرة ورحمة تذهب الاحزان والترحا
ونكبة لعدو الدين عاجلة تدير بالهلك والتدمير كل رحا
بك انتصرنا وانت الله ناصرنا فالنصر منك لمن يدعوك ما برحا
انزل بهم يا شديد البطش قارعة تكسوهم الذل والتبديد والبرحا
وامدد بنصرك والتاييد عبدك من اضفته لمجيد القدر ممتدحا
وانظم به شمل هذا الدين واكس به جماعة المسلمين الامن والفرحا
واجعل بطاعته يارب عصمتهم والف الكل واهد كل من نزحا
وزده حلما وتوفيقا وعافية واجعله افضل من امسى ومن صبحا
وارفع عماد الهدى والدين واحم به شرع النبي وخذ من زاغ او جمحا
واحفظ بطانته اركان دولته ممن اعان على خير ومن نصحا
ولا تدع لذوي التثليث قائمة وطهر الارض ممن عاث او مرحا
بخاتم الرسل المختار سيدنا محمد من به باب الهدى انفتحا
ما خاب من جعل المختار واسطة ووصلة للذي يرجوه واقترحا
فانه باب فضل الله ما برحت سحائب الجود منه تمطر المنحا
ما نال ذو مطلب دنيا وآخرة الا استمداد من المختار ما منحا
صلى عليه اله العرش ما طلعت شمس وما سار عيس بالحجيج ضحى
والآل والصحب ما انجاب الظلام وما ورق على غصن ايك ناح او صدحا
او قال يوسف بدر الدين مبتهلاً باب القبول لهذا الختم قد فتحا

وقال ايضاً يمدح الامير بهذه الابيات

بك المسرات قد نالت امانيها يا نعمة مالها شيء يدانيها
ان كان عيدا لنا تهنى بموسمه فالعيد كونك يا اقصى امانيها
يا نجل فاطمة الزهراء من فضلت طرا نساء الدنا من ذا يضاهيها
اني اهنيك بالعيد المبارك بل بكون مثلك في الدنيا اهنيها

نعم اهنى دمشق الشام اذ ظفرت   بمثلك الان تغدو في ضواحيها
لما بدا وجهك الاسهى بساحتها   ترادف الخير فيها مع نواحيها
لاسيما سيدي ما كان مدخراً   من فك دار حديث من خناقيها
بك استنارت واحيى الله مربعها   لما تلوت البخاري وسط ناديها
تلاوة ما سمعنا من تلاه بها   من عهد يحيى النواوي في مغانيها
فاشكر آلهك اذ اولاك منه يدا   ليست لغيرك جل الله معطيها
وابشر بخير فان الله ذو كرم   يخفي مقادير اشياء ويبديها
في علمه غيب اسرار اذا بلغت   آجالها فلذا المخلوق يغشيها
والله ينصركم نصراً كنصرته   اصحاب بدر الاولى ثم المضاهيها
لا زلت يا نجل محيي الدين مرتقياً   اوج الكمالات باديها وخافيها
ودام اشرافكم في افقها ولكم   باليمن ارخت عد في مغانيها

١٢٧٤

واجعل دعًا بظهر الغيب جائزتي   ولا تسل لي الدنا اذ لست ابغيها

فاجابه الامير بقوله

انت مهنئة فايهن مهديها   جلت تراكيبها دقت معانيها
تدل بالحسن والادلال حق لها   فما حوت مثلها يوماً مغانيها
ودب في الجسم من انفاسها طرب   دبيب حبي لهذا الحبر منشيها
ليهننا بك عيد انت شاهده   عيد النفوس اذا نالت امانيها
يايوسف ردلي من قربكم نظراً   كرده بقميص انت مهديها
لينشرح صدرك المملوء من حكم   وطيب النفس شهيها ومشيها
فانت بين الاخلاء لهم ارب   تبقى وان مات قاصيها ودانيها
ولتعطنا من زكاة العلم واجبه   انت المشيد دار العلم بانيها
ابقاك رب العلا اشمر حكمته   رغماً لانف معاديها وشانيها

فاجابه العلامة المذكور بقوله

تطيب نفسي يااقصى امانيها   بحكمة منك يا مولاي تشفيها
من حبها ما عن الخيرات افقدها   من المعاصي التي للنار تهديها

واحتفل الامير ايضاً لتدريس كتاب الاتقان في علوم القرآن للامام السيوطي وكتاب الابريز في مناقب سيدي عبد العزيز لسيدي احمد المبارك بمدرسة الجقمقية

وكتاب الشفا للقاضي عياض والعقائد النفسية وصحيح مسلم في المشهد الحسيني والمشهد السفرجلاني من جامع سيدي يحيى واكثر اجتهاده في ذلك حال اعتكافه فيه فانه اقام سنين يعتكف في الجامع المذكور شهر رمضان من اوله الى آخره وبعد رجوعه من رحلة الحجاز جعل التدريس في منزل الضيوف من داره وسنذكر ذلك في محله ان شاء الله تعالى

ذكر ما احدثه الامير في دمشق من الابنية وما اشتراه من الاملاك داخلها وخارجها

تقدم ان مولانا السلطان الغازي عبد المجيد خان انعم على الامير في بروسه بدار على وجه التمليك ولما جاء الى دمشق انعم عليه بالف كيس بدلا عن الدار المذكورة فاشترى في دمشق دارين واسعتين بينهما دار صغيرة ومدخل الجميع واحد في زقاق النقيب من خطة العمارة فهدم احداهن واعفى آثارها وابتنى في موضعها دارًا جميلة وفق مراده ولما تم بناؤها وتم اصلاح الدارين الملاصقتين لها انتقل من الدار التي استأجرتها الدولة العلية له الى الآن وكان العالم الفاضل حسن افندي الدجاني اليافي اذ ذاك زائراً عند الامير فقال مهنئا ومؤرخا بناء الدار الجديدة بقوله

ياحسن ما انشاه عين الاكرمين ... من دار تجد نزهة للناظرين
هو عبد مولى قادر بل سيد ... في عصره والحق في ذا مستبين
دار زهت وبها المحاسن كملت ... وغدت مطافا كعبة للقاصدين
وبدا لسان الحال منها قائلاً ... اهلا وسهلا فادخلوها آمنين
لا زال مولاها بدار سعادة ... يهنا ويهنا بالصفاء مع البنين
وحماه ربي من مكائد حاسد ... ومن الوقاية دام في حصن حصين
ما السعد قال مهنئًا ومؤرخاً ... نال الهنا فنعم دار المتقين
١٢٧٤

وقال مؤرخا له ايضاً

ان هذا بيت مجد قد حلا ... وعن المهموم غماً قد جلا
يا له مقعد صدق قد سما ... وعلى الحسن البديع اشتملا
شاد عبد لمولى قادر ... وهو مولى سيد في ذا الملا
من به قد اشرق الشرق كما ... نار فيه الغرب حقا اولا

منزل قد خيم السعد به ولمن فيه السرور اقبلا
ان يكن جدده الآن فكم سابقاً بالفضل شاد منزلا
دام بانيه بعيش رغد وملاذا للعفاة مؤملا
ما له الاقبال قال ارخوا ساد هذا سيد مأوى العلا
١٢٧٤

وارخها العالم الاديب امين افندي الجندي رئيس ديوان القلم العربي بدائرة العسكرية بقوله

دار الامير الشهم عبد القادر كهف الدخيل وملجأ للحائر
دار بها دار السرور ومنزل بالعز منزله لبدر سائر
مولى جليل القدر اوحد عصره حاز المعالي كابراً عن كابر
شمس اضاء الكون نور سنائها صبح جلا ظلمات ليل كافر
ليث الوغى يلقى الكتيبة وحده فيبيدها ضرباً بسيف باتر
في نصرة الدين المبين حروبه تذكارها سمر لكل مسامر
قد حاز كل فضيلة باقلها يسمو الفتى اقرانه بتفاخر
عين الكمال وجوده ونظيره في الكون منقود بحكم النادر
بحر العلوم فليس يدرك غوره كنز التقى علم الهدى للسائر
من آل بيت المصطفى ولجده باز الرجال اجل نجل طاهر
عرفت ملوك الارض رفعة قدره بل كل باد في الانام وحاضر
بمشاهد شهدت بقوة عزمه ومواقف وقفت بكل محاذر
قد طار بين الناس طائر صيته يرويه فينا حامد عن شاكر
لما توطن جلقا غبطت به وغدت لاهل الكون كعبة زائر
زادت به ارجاؤها شرفا كما قرت بطلعته عيون الناظر
وافاض للعافين من احسانه وندا يديه اجل بحر زاخر
احيى المساجد والمدارس بالتقى والعلم ثم ببذل مال وافر
واختار في خط العمارة منزلا لجنابه ولمنتم ومؤازر
وبنى به غرفاً زهت واماكنا بالظرف اضحت بهجة للخاطر
من تحتها الانهار تجري دائماً حول الرياض وكل غصن ناضر
والطير ساجعة على افنانها سجعاً يكاد يفوق نظم الشاعر

تثني على علياء الامير فتنثني   تهتز من طرب كحال الذاكر
مولاي يا انسان عين زمانه   واجل ناه في الانام وآمر
خذها اليك خريدة رعبوبة   بكرًا تزف بعقد دز فاخر
عربية عربا رشيقة منطق   تسبي العقول بغنج طرف ساحر
تهدى الى كفوء كريم ناقد   ترجو القبول وتنتحي تعاذر
جاءت تهنيكم بابهى منزل   كملت محاسنه بلطف ظاهر
لا زلت مرفوع المقام معظما   دنيا واخرى عند رب غافر
ما فاه باليمن الامين مؤرخًا   دار الامير الشهم عبد القادر

(وارسل) مع هذه القصيدة كتابًا نصه بسم الله الرحمن الرحيم احمد الله تعالى على آلائه واساله جزيل نعمائه . واصلي واسلم على سيد الانام وآله واصحابه الكرام ما اخلص عبد في السر والنجوى . واسس عبد بنيانه على التقوى . وبعد فالتمس يدي حضرة مولاي العالم العامل والجهبذ النحرير الكامل مجمع بحري السيف والقلم . ومطلع نيري الحكم والحكم . الكريم الماجد والامير المجاهد . الحائز فضيلتي الحسب والنسب . والفائز بجده في الدارين باسنى ما طلب . المشار اليه بالبنان في جميع الآفاق . والقامع بهمته العلية عصبة الكفر والنفاق بجد سعيه وجده باز الرجال . وبلغ الدرجة القصوى من مراتب الكمال . وشملنا بانظاره العلية . وتوجهاته السنية آمين واعرض لحضرته الشريفة . وسدته المنيفة . ان انتماء العبد الى حضرة المولى امر غني عن الاثبات بالدليل . لدخوله في عموم قضية من القلب الى القلب سبيل . ثم اني قد تجاسرت بتقديم هذا القصيد الى رحابه الكريمة . معتذرًا عن القصور الذي هو لهذا الحقير شيمة . ارجو النظر اليها بعين القبول . واسبال ذيل العفو عن عثرات الجهول . كما اني التمس لاجل حصول الافتخار والشرف . واحياء سنة الموالي ممن سلف . تنقيطها بشيء من الحلى المباح . او تقليدها بقطعة من السلاح . والحمد لله في البدء والختام . وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام

فاجابه الامير بقوله وارسل معه خاتمًا نفيسًا

احلى المديح مديح خل فاخر   اقواله تزري ببدر باهر
عما اجن من الوداد جنانه   الفاظه تترى كشهد قاطر
تكسو الملاحة والطلاوة وجهها   فالود من ارجائها كالماطر
يا صاح خاتمة الافاضل كلهم   من كل شهم كاتب او شاعر
عندي لكم بين الضلوع مودة   محفوظة ومصونة للغابر
كن كيف شئت فانت انت امينها   ما بين بادي عربها والحاضر

ما الدر الا ما اتانا منكم · انا مخلص للود اولى شاكر

فكتب اليه امين افندي مجيباً ومتشكراً

فضلك يا مولاي لا يحصر · وفي سواك المدح لا ينشر
يا كوكب الوقت ومن باسه · حدث عنه السيف والاسمر
يا شبل باز الله عالي الذرى · ومن هو السلطان والقسور
يا مركز النظرة من جده · انت الى امراره مظهر
تعنو لك الآساد من هيبة · فان رات شخصك لا تزأر
اعطيت ما لم يعطه سيد · في عصرنا ما ثم من ينكر
ما قيس في الراي وما حاتم · في الجود ما سحبان ما عنتر
صيرتهم دونك حتى ولو · جئت امام الكل لم يذكر
عن مثلك الدهر عقيم ولم · يحظ به كسرى ولا قيصر
انى لهم ذاك وهل صور الا · عقل بان ينقسم الجوهر
لا غرو فالباري له حكمة · في آل بيت المصطفى تظهر
ثم اشرف الناس بلا مرية · لهم يد المحراب والمنبر
وهم نجوم الكون اقماره · وانت انت النير الاكبر
انت لنا شمس فلا غيبت · انت لنا سيف به نقهر
انت لنا ركن اذا اقبلت · حوادث الكون له تذعر
اهديت لي دراً نظيماً به · مادمت حياً في الملا افخر
وجوهراً حلى بناني فقد · حيرتني ايهما اشكر
فلا برح الدهر في نعمة · ما كر صبح وجرى جعفر

وجاء مرة لوداع الامير فوجده نائماً فكتب قوله

جاء الامين مودعاً · ولبعض فضلك شاكرا
لكن عذر النوم قد · اضحى جمالك ساترا
ارجوك ان لا تنسني · اذ لم ازل لك ذاكرا

(ثم اشترى) على التوالي سبع دور اخرى جعل احداهن منزلاً لاضيافه ومن يقصده من اصحاب الحوائج وعدة دور في محلة العمارية البرانية جعل بعضها جنينة مقابلة للدور وبين الدور والجنينة نهر بردا واشترى مزرعة دير بجدل بارض الغوطة وهو بستان نضر وعمر به حوشاً واشترى ارضاً اخرى في قرية اشرفية

صحنايا ثم اشترى حوش البويضية وباعه واشترى قرية فرحتا ومزرعة بلاس وعمر فيها حوشاً واشتر الطاحونة المشهورة بالاحدى عشرية وخان الصعب في العمارة وارضا بوادي قرية دمر ابتنى فيها قصراً لمصيفه ولما اتم بناءه دعا اليه العلماء والاعيان وصنع لهم وليمة وبعد الاكل قرأوا شيئاً من صحيح البخاري لاجل التبرك وكان من جملة من دعى العالم الشيخ عبد الغني الرافعي الطرابلسي فانشأ بالحضرة يقول

يهنيك يافرد الزمان دار المسرة والتهان
دار السيادة والسعا دة والعبادة والقران
دار بها دار الصفا وسرى السرور بكل آن
دار تصافحها الاكف كانها الركن اليمان
ابياتها بيت القرى ودبارها دار الامان
هي جنة الدنيا التي قد اذكرت دار الجنان
حيث التفت وجدت رو ضا ناضراً او غصن بان
او جدولا او منهلاً عذب الموارد والمجان
فتبارك الله العظيـ ـم وما يشاء الله كان
عوذت رونق حسنها بالذكر والسبع المثان
واعيذ بانيها برب الناس من انس وجان
مولاي عبد القادر ال شهم السري فرد الزمان
علامة الدنيا الذي ما ان له في الكون ثان
رب المكارم والتقى بدر الكرام بلا امتنان
رب البلاغة والبرا عة والبراعة والبيان
سهل الخليقة ماجد سمح المحيا والبنان
مر المشاهد و اللقا عذب الموارد واللسان
ما ضن قط بما له اوجاهه يوماً لجان
وعلى المدا لم يستعن في حادث الا اعان
مولى اجل من ارتدى حلل الثنا والطيلسان
مولى حماه كعبة يسعى لها قاص ودان
مولى عن الاغيار بالـ اسرار والعرفان فان
لا تنكروا في بابها يوماً موافقة الحسان

من آل بيت حبهم فرض على طول الزمان
آثارهم مشهورة وبفضلهم شهد العيان
ما بين علياهم وبين الفرقدان الفرق دان
وكفاك اكبر شاهد السيد السند المصان
الفاتح الامصار باا ابطال والحرب العوان
والقاهر الاعداء باا رمح المثقف واليمان
لو شمته يوم الوغى والقرن قد قلب المجان
والطوب يرشق والرصا ص الى مدى يتجاريان
والهام شبه كرى لها ظبة المهند صولجان
والسيف والخطي في نقط وشكل كاتبان
والموت يختطف النفو س من الصدور بلا توان
والحرب تسعر نارها والجو اظلم بالدخان
لرأيت ليثاً ضارياً ثبت القوى ثبت الجنان
ينقض في الهيجاء فو ق اقب مطلوق العنان
ويخوض بحر الحرب كاا معطى من الموت الامان
خطاره وجواده نحو العدا فرسا رهان
لله ذلك كله لا للمغانم والغوان
اشهى اليه من الدمى والذ من عزف القيان
وقع الصوارم في الوغى يوم الكريهة والطعان
والكتب تدرس والكتيـ ـبة باليمين او اليمان
ولكم مشاهد قامها لله محفوظاً مصان
شيخاً وكهلاً في المواقف والصبا في العنفوان
لم يلقَ وقع اذى ولا نامت اذاً عين الجبان
واليكها عربية حوت المعاني والبيان
رقت بحسن صفاتكم معنى فما بنت الدنان
فاقبل بفضلك رقها وافتح لها باب التدان
واعذر محباً عجزه في مدح علياك استبان
ما اسطاع ذاك ولو له في كل جارحة لسان

لا زلت في اوج الفضا ئل والعلا بدر الزمان
ما امتد الاحسان في ابواب جودكم يدان
او ما بني الآمال الا قوا في جواركم الجران
او انشدت دار الصفا بيتاً حلى الاوزان زان
يسمو به التاريخ في الا حسن على عقد الجمان
ان الديار باهلها وبربه شرف المكان
١٢٨١

وانشد ايضاً

دار اليها السعد دان وحكى سناها الفرقدان
دار بدمر فالها بالخير دم مر الزمان
قد شادها مولاي عبـ ـد القادر الشهم المصان
كهف العفاة وملجاء الا قصاد من قاصٍ ودان
ولقد اتى تاريخها دار الفضائل والامان
١٢٨١

واهدى للامير ماء زهر وارسل معه قوله

ولما رمت ان اهدي اليكم قليلا من جنى بعض الجنان
تقاطر زهرها عرقاً حياء ولاح البردقان ببردقان

وارسل مرة اخرى ومعها قوله

وقائلة لما رأتني مهدياً الى البحر بحر الفضل مستقطر الزهر
سمعنا بمن يهدي الى الروض ورده ولم نر من يهدي المياه الى البحر

وقد حضر الاديب عبد المجيد افندي الخاني الى القصر في جماعة لزيارة الامير فقال

اوقاتنا بسعودكم اعياد وسرورنا بشهودكم يزداد
يا سادة ملكوا العباد بفضلهم وغدا الزمان لامرهم ينقاد
قد خصكم رب الورى بمناقب حارت بوصف جمالها الامجاد
علم وحلم نعكم ومكارم وسيادة وولاية وجهاد
ماذا اقول بنظم جوهر مدحكم ما يفعل الانشاء والانشاد
لو انفق المداح كل علومهم في حصر قدس صفاتكم ما كادوا
لله يوم ورودنا لمقامكم اذ حفنا الاقبال والامداد

في قصر دمر منشأ الافراح قد نلنا الحظوظ وعمنا الاسعاد
قصر بانواع الجمال مرونق حاز النزاهة مالها انفاد
لا زلتم شمس المعارف والعلا يهدي الخلائق منكم الارشاد
ومقامكم حرم المراد وكعبة تأوي الى امداده القصاد
وبفضلكم تحيي الانام وعزكم تسمو به الانجال والاحفاد
ما لاح كوكب سعدكم بكماله او فاح في روض الهنا الاوراد
او قال عبدك ارخوا عزاً له لا زال قصراً بالسرور يراد
١٢٨٧

وللاديب الفاضل العالم الكامل امين افندي الجندي مفتي دمشق وكان مدعوا بالقصر المذكور حين راى نوفرة بستانه النازلة من نهر يزيد الى نهر بردة

ونوفرة يرقى الى الجو ماؤها فتطحنه الارياح طحن دقيق
يعود الى حوض به كان اصلها كطالب عليا وهو غير عريق

(ولنجل الامير) اخينا محيي الدين باشا في وصفها

انظر الى فوارة في حسنها قد شابهت خوداً تمايل قدها
رقصت وقد لبست بياضاً ناصعاً من عظم ما وثبت تناثر عقدها

وطلب الامير من الاديب الشاعر محمد افندي الهلالي وصفها فاجابه ارتجالاً

انظر لنوفرة نحو السماء سعت بعزم ماء بديع الصنع للرائي
فالجو يعطي مطير الماء بركتها منه بمقدار ما اعطته من ماء

(وللامير في وصف هذا القصر وموقعه)

عج بي فديتك في اباطح دمر ذات الرياض الزاهرات النضر
ذات المياه الجاريات على الصفا فكأنها من ماء نهر الكوثر
ذات الجداول كالاراقم جريها سبحانه من خالق ومصوّر
ذات النسيم الطيب العطر الذي يغنيك عن زبد ومسك اذفر
والطير في ادواحها مترنم برخيم صوت فاق نغمة مزمر
مغنى به النساك يزهو حالها ما بين أذكار وبين تفكر
ما شئت ان تلقى بها من ناسك او فاتك في فتكه متطور
اين الرصافة والسدير وشعب بو وان اذا انصفتها من دمر

(ثم) امر الشيخ عبد الرزاق افندي البيطار والشيخ محمد افندي المبارك

بتشطيرها فقال الاديب الشيخ عبد الرزاق

عج بي فديتك في اباطح دمّر — وانظر لواديها البهيج الاخضر
وأدر لحاظك في حلا ربواتها — ذات الرياض الزاهرات النضر
ذات المياه الجاريات على الصفا — يحكي لنا امثال عقد الجوهر
فيها الشفاء لشارب من سقمه — فكانها من ماء نهر الكوثر
ذات الجداول كالاراقم جريها — وخريرها يزري بنغمة مزمر
وانظر اقدرة بارىء ذي حكمة — سبحانه من خالق ومصور
ذات النسيم الطيب العطر الذي — قد ضمخت اردانه بالعنبر
واريج ازهار بدت برياضها — يغنيك عن زبد ومسك اذفر
والطير في ادواحها مترنم — يشدو على قد الغصون السمهري
يدعو الانام لحسن طيب سماعه — برخيم صوت فاق نغمة مزمر
مغنىً به النساك يزهو حالها — لهم المنا فازوا بحظ اوفر
اوقاتهم معمورة بعبادة — ما بين اذكار وبين تفكر
ما شئت ان تلقى بها من ناسك — خوف الجحيم وهول يوم المحشر
او ذائق شهد الوجود بذاته — او فاتك في فتكه متطور
اين الرصافة والسدير وشعب بو — وان وغوطة سمرقند الاشهر
اين الرياض الزاهرات بحسن الا — وان اذا انصفتها من دمّر
قد زانها قصر الامير الفرد عب — د القادر الشهم الذي فاق السرى
قطب الهدى مردى العدا بحر الندا — يا دهر ان رمت الفخار به افخر
لو انصف المداح واقتصروا على — آلائه والى السوى لم تنظر
قسما بطلعة بدره السامي الذرى — وبجوده المزرى بفيض الابحر
ان عد سمح قبله او ماجد — ما كان الا دون هذا الحيدري
لا زال سامي الذكر تاجا للعلا — ومقامه يعلو مقام المشتري
ما دامت الدنيا وانشد منشد — عج بي فديتك في اباطح دمّر

وقال الاديب الشيخ محمد افندي المبارك في تشطيرها

عج بي فديتك في اباطح دمّر — تزهو بها طربا بابهى منظر
وندير صرف الانس في ربواتها — ذات الرياض الزاهرات النضر
ذات المياه الجاريات على الصفا — كفرائد من لوءلوء او جوهر

احلى من الضرب المصفى طعمه ... فكانها من ماء نهر الكوثر
ذات الجداول كالاراقم جريها ... وترابها في الوصف مثل العنبر
هي جنة مولاي ابدع صنعها ... سبحانه من خالق ومصور
ذات النسيم الطيب العطر الذي ... ينفي جوى المضنى بلطف المخبر
وبحسن نشر عبيره واريجه ... يغنيك عن زبد ومسك اذفر
والطير في ادواحها مترنم ... شوقا الى الوطن البهي النير
كم هيج الاشجان من اهل الهوى ... برخيم صوت فاق نغمة مزمر
مغنى به النساك يزهو حالها ... فتفوز فيه بكل حظ اوفر
اوقاتها ابدا تراها تنقضي ... ما بين اذ كار وبين تفكر
ما شئت ان تلقى بها من ناسك ... باك على تقصيره متحسر
او سالك نهج السعادة والهدى ... او فاتك في فتكه متطور
اين الرصافة والسدير وشعب بو ... وان من المغنى الزهي الانور
بل ما بها من حسن افنان والوا ... ن اذا انصفتها من دمر
ماوى تفرد بالمحاسن كيف لا ... وبه انجلا سر الولي الاكبر
بدر العلا والمجد عبد القادر ال ... حسني ذي الوجه الجميل الانضر
عين الندا علم الهدا السامي له ... روحي الفدا من جهبذ شهم سري
مولى به روض المعارف ازهرت ... فتضوعت طيباً بعرف عبهري
منه وطلعته التي في حسنها ... انفقت كنز تجلدي وتصبري
من لي بان احظى بها متمتعاً ... طول المدا منها ببدر مسفر
ابقاه ربي للوجود وصانه ... من سوء كل مروع ومكدر
ما ناح قمري وغنى بلبل ... وسر قلبي بالقبول مبشري

﴿ ذكر حوادث جبل لبنان ﴾

هذا الجبل شهير لا يحتاج الى تعريف يسكنه طوائف من المسلمين والنصارى والدروز اكثرهم النصارى واقلهم المسلمون وكان النصارى والدروز موءتلفين الى ان وقعت العداوة بين الفريقين بعهد ابراهيم باشا المصري حين تغلب على سورية وذلك انه طلب من الدروز جندا يستعمله في اموره فابوا وتعصبوا واشهروا الحرب عليه فجرت بينه وبينهم حروب عديدة في وادي التيم وجبل حوران ثم استعان عليهم بالنصارى والقى بهم الى قتالهم ودان الدروز بطاعة ابراهيم باشا فاخذ

منهم جميع اسلحتهم وقوى بها النصارى نكاية لهم ولما خرج ابراهيم باشا من سورية ورجع الامر الى الدولة العلية اظهر الدروز ما كان كامنا في ضمائرهم ووقع بينهم و بين النصارى الخلاف والشقاق وما زال يزداد و يتضاعف الى ان جرت بين الفريقين حروب عظيمة ووقائع جسيمة في سنة خمس وخمسين ومائتين واربعين وثمانمائة وبعد قبض الدولة على المير بشير الثاني وتعيين عمر باشا المجري خلفاً له على الجبل في سنة ثمان وخمسين ومايتين واثنتين واربعين وثمانمائة قويت شوكة الدروز وتغلبوا على عمر باشا واستبدوا بامور الجبل دونه فامرت الدولة العلية بالقبض على المشهورين من امرائهم فقبض عمر باشا عليهم واعتقلهم في بيروت وفي مقدمتهم الامير احمد ارسلان ثم تجددت الفتنة بينهم وبين النصارى سنة خمس وسبعين ومائتين وتسع وخمسين وثمانمائة وشبت الحرب بينهم فقام والي بيروت خورشيد باشا وتلافى امرهم واصلح ظاهر فسادهم وفي سنة ست وسبعين ومائتين وستين وثمانمائة عدا جماعة من الدروز على رئيس دير عميق وهو من القسيسين القائمين برهبنة الروم الكاثوليك فقتلوه فاهتاج لذلك غضب النصارى وشكوا امرهم الى الحكومة والى القناصل ثم عدا النصارى على درزي في خان الشياح فقتلوه وثارت الفتنة بين الطرفين واعتدى الدروز على نصراني في قرية عيناب واشتد ضرامها وسدت الطرق وعم الخوف سائر الجهات وتنادر الدروز من لبنان وحوران ووادي التيم واحواز دمشق وتجمهروا وجمع النصارى جيوشهم ووقع المصاف واضطرمت نار الحرب واتصلت ايامها فانتصر الدروز على قلة عددهم واثخنوهم قتلاً وجراحاً واحرقوا قراهم وانتهبوا اموالهم وكان الامير عندما بلغه خبر استعداد الدروز لقتال النصارى وتجمهرهم كتب اليهم يحذرهم سوء عاقبة امرهم من جهة الدولة العلية و يرشدهم الى ترك ما عولوا عليه فافضت الحال الى ما اليه الامر آل

ذكر حادثة دمشق

ثم سرى سم هذه الفتنة الى دمشق فتحركت احن المسلمين فيها على النصارى جيرانهم وتذكروا ما نالهم من حنا بك البحري وطائفته من الاعتداء ايام المصريين وصاروا يتحدثون في الاندية والجامع بما وقع في جبل لبنان وكثر اللغط والقال والقيل فخاف النصارى على انفسهم ورفعوا امرهم الى المرحوم احمد باشا وكان والياً ومشيراً للعسكر الخامس وطلبوا منه ما يؤمن خوفهم فبعث فرقة من العسكر الى محلتهم للمحافظة عليهم وفي تلك الايام اخذ صبيان المسلمين يصورون الصليب في الطرقات و يرسمونه على

الاوراق و يلقونها في المحلات القذرة ولما بلغ الامير ذلك علم ان العاقبة وخيمة واذا وقع في دمشق نظير ما وقع في لبنان يجعله الافرنج لا محالة ذريعة لخراب البلاد فتوجه الى الوالي وتكلم معه في ذلك فاجابه ان ما بلغك محض ارجاف من النصارى وكان هذا من الباشا على ما يعتقده من اذعان اهل البلد وما يتلقاه من اعيانها ثم تفاقم الامر في جبل لبنان وتغلبت طائفة الدروز على النصارى واحرقوا زحلة ودير القمر وغيرهما من القرى الشهيرة فازداد بهذا مرض قلوب سفهاء دمشق فبعثوا الى الدروز يغرونهم على نصارى بلدتهم و يعدونهم بمساعدتهم و يرغبونهم في اموالهم فوعدوهم بالاجابة بعد فراغهم من امر الجبل فاتصل هذا الخبر بالامير فوجم له ثم استاذن الوالي في طلب مشايخ الدروز الى بعض القرى خارج البلد والاجتماع بهم ليعظهم و يحذرهم سوء عاقبة ما عزموا عليه فاذن له وخرج اليهم وتكلم معهم بما اثر فيهم وجعلهم يذعنون لنصائحه و واعدوه بانهم لا يحركون في دمشق ساكنا ولا يثيرون فتنة ولما كان امر الله لا يرد وقضاؤه لا يصد قويت بواعث الفتنة ولم ينجح فيهم نهي الحكومة السنية ولا اثرت فيهم شدة انتقامها ممن يفعله وفي يوم الاثنين الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة ست وسبعين ومائتين والعاشر من يوليه سنة ستين وثمانمائة اخذ شرطي صبيا يلعب بصورة الصليب الى الحكومة فامرت بتعزيره واهانته في الاسواق فساقه الشرطي ومر به في سوق باب البريد فرآه اخوه فغاب عن احساسه ورمى بنفسه من دكانه على اخيه وقام جيرانه لقيامه واخذوا الصبي من يد الشرطي وماج الناس وكثر الصريخ واللغط في انحاء البلد وجعل السفهاء ينادون في الازقة والطرقات هلموا الى الجهاد واخذ الناس يتقاطرون الى محلة النصارى و ينسلون الى جهاتها من كل ناحية بلا تامل في العاقبة ولا روية ومدوا ايديهم الى اهلها بالقتل والى اموالهم بالنهب والى ديارهم باضرام النار فيها ولما اتصل الخبر بالامير قال هذا ما كنا نحاذره ونحذر الناس منه قد وقع انا لله وانا اليه راجعون ثم ركب الى محلة النصارى فوجدها في هرج ومرج وراى السنة اللهيب ممتدة من المنازل والغوغاء بين ناهب وقاتل فجعل ينهى و ينصح فلم تسمع له نصيحة وتمادى الدعار على ما هم عليه ولما يئس من رجوعهم عن غيهم اخذ ينقذ من النصارى من يصل اليه و يتمكن من انقاذه ثم رجع ببعض قناصل الدول وجم غفير من الاعيان وغيرهم وصار يبعث المغاربة شرذمة بعد اخرى الى المحلة واطرافها ليأتوا بكل من عثروا عليه من غير استثناء وكان الامير اخبر الباشا ان المغاربة ليس عندهم

سلاح كاف للمحافظة فوعده بان يعطيهم ما يحتاجون اليه عند اللزوم فلما كان اليوم الثاني من الواقعة بعث اليه فيما وعده به فارسل في الحال عدداً وافراً من البنادق والفشك واستقصى المغاربة بامر الامير في جمع النصارى من الكنائس والاقبية وداخل البيوت الملتهبة بالنار وفي اليوم الثالث اجتمع السفهاء من البلد والصالحية عند باب الحديد بالعمارة قاصدين الهجوم علينا فتوجه الامير اليهم والقى الله الرعب في قلوبهم عند رؤيته ورجعوا على اعقابهم ثم ذهبوا افواجاً افواجاً الى بيوت بعض الاعيان الذين اقتدوا بالامير في جمع النصارى عندهم بقصد الهجوم عليهم واخذ النصارى منهم قهراً فبعثوا الى الامير يستغيثون به فارسل اليهم فرقاً من المغاربة لحمايتهم من الذعار ولما غصت دور الامير بالنصارى مع تعددها واتساعها اخذ يرسلهم الى القلعة باذن الحكومة فاجتمع عنده وفي القلعة نحو الخمسة عشر الف نفس وكان الامير يقوم بنفقات الجميع ولما طال الامر وضاقت نفوسهم طلبوا من الامير ان يرسلهم الى بيروت فاجابهم الى ذلك وصار يبعثهم اليها فوجاً بعد آخر بمحافظة المغاربة واستمرت الفتنة قائمة ونارها موقدة اربعة عشر يوماً كل ذلك والامير مشتغل باخذ الوسائل ليتوصل الى اطفائها باذلاً جهده في حسم اسبابها ولم يدخل الى بيته في ايامها بل كان يجلس على سجادة في دهليزه لا يهجع من الليل الا قليلاً والباعث له على حمل تلك المشاق تاييد الدولة العلية والدفاع عن حوزتها اذ لو لم يقف في وجوه الغوغاء لاستأصلوا النصارى واستخدموهم وتفاقم الامر اكثر مما وقع وبذلك يحصل للدولة من الارتباك ما لا يخفى ولعناية الله تعالى بصاحب الخلافة العظمى ورعايته لسلطنته لم يقع ادنى خلل يتشبث به الاعداء لالحاق الضرر بالدولة العلية ولم يزل الامير يعاني المشاق الى ان حضر صاحب الدولة فواد باشا وزير الخارجية الى دمشق ولاول وصوله اجرى فيها حكومة عرفية خارجة عن القوانين المعتادة فقبض على الوف من اهلها حتى امتلاءت بهم السجون وامر برد المسلوبات وعين لذلك مجالس مخصوصة في محلات البلدة واخائها فجمعوا اغلبها واجرى ما امر باجرائه من امعان النظر وتحقيق الدعاوي ثم فعل ما رآه صواباً واقتضته السياسة فقتل من ثبت عليه القتل او قامت عليه البينة بانه اثار الفتنة اوافق عليها ونفى جماعة من الاعيان والعلماء لتقصيرهم عن تدارك الامر وكف ايدي الغوغاء واخص عامة الزعار ومن جرى مجراهم الى الاستانة ثم عقد مجلساً عسكرياً للنظر في امر احمد باشا وجماعة من رؤساء الجند فحكم عليهم بالقتل ونفذ امر الله فيهم وما اوقع احمد باشا شهيداً الا اغتراره باقوال من كان يستبعد ان يقع في دمشق

ما وقع في الجبل لدعوى وجود البواعث المقتضية لذلك بين اهاليه وعدمها في دمشق
وعلى كل حال فلا راد لقضآء الله ولا معقب لحكمه وقد اجرى فؤاد باشا اموراً قسرية
واحكاماً قهرية توصل بها الى تدويخ البلاد واصلاح ما فسد منها وتمكن من الاخذ بقادها
الى الطاعة والخضوع وبعد ان اتم ما اقتضته الحال في دمشق توجه الى بيروت وقبض
على امرآء الدروز ومشايخهم واعتقلهم ثم ارسلهم الى الاستانة ولاول وقوع هذه الحادثة
ارسلت دولة فرنسا عشرة الاف جندي الى بيروت تحت قيادة الجنرال بوفور وخيمت في
الحرش وارسلت بقية الدول مراكب حربية ومعتمدين ليراقبوا ما يجريه وزير الخارجية
من الاعمال وفي اثنآء وجود العساكر الفرنساوية في بيروت حصل اختلاف بين فؤاد
باشا والجنرال الفرنساوي فبعث الجنرال رسولاً مخصوصاً للامير يخبره بانه اعتمد على ضرب
دمشق من الصالحية فليخرج باهله ومتعلقاته منها فاغتم الامير لذلك وبعث للجنرال بان
يوافيه بالبقاع وعين له قرية قب الياس محلاً للاجتماع وركب معلناً توجهه الى
الاشرفية احدى قراه ومنها سار ليلاً الى البقاع واجتمع بالجنرال واظهر له سوء
عاقبة ما اعتمد عليه فاصر الجنرال على ذلك فهدده الامير وعظم له الامر حتى عدل عن
ذلك ورجع كل منهما لمحله وحفظ الله دمشق واسرها الامير في نفسه وجعلها خالصة لوجه
الله تعالى ثم ان الدولة العلية استحسنت باتفاق الدول المتحابة على وضع نظامات
وقوانين لاهل جبل لبنان وان يكون المتصرف الحاكم عليهم مسيحياً غريباً عنهم
ويخابر الباب العالي راساً فتوجهت يومئذ المتصرفية على داود باشا الارمني واستتبت
الراحة وعم الامن في سورية والهدو والسكون في سائر انحائها وارتحلت جنود
فرنسا من بيروت ولحقت ببلادها واقلعت المراكب الحربية الى مرافيها ثم ان
فؤاد باشا لما استبانت له شجاعة المغاربة وما جبلوا عليه من قوة الجاش وشدة
الاقدام فاوض الامير في ان يعين منهم كتيبة ليكونوا في خدمة الدولة العلية
فاجابه الى ذلك واختار منهم اربعمائة فارس وجعل السيد محمد بن فريحة احد
اقربائه رئيساً عليهم ولم يزل فؤاد باشا يقرر الاحكام ويرتب الشؤون الى ان
تمكن من مراده ثم اخذ السلاح من اهل دمشق ووضع عليهم الضرائب لتعويض
ما اتلفه سفهاؤهم من امتعة النصارى وما دمروه من ديارهم وخصص يوماً لتمرين
العساكر باطلاق البنادق والمدافع خارج دمشق في سهل القدم ودعا اليه وكلاء
الدول المرسلين لاجل هذه الحادثة وكان من جملة المدعوين حضرة الامير وعند
اجراء فنون الحرب من قبل العساكر خرج جميع المدعوين من خيامهم التي

اركزت لجلوسهم بذلك المحل الا الامير فانه بقي جالساً بمحله فاقبل عليه فؤاد باشا ودعاه ان يناظر التمرين الجاري فاجابه اني شاهدت ذلك فعلاً وعملاً وكنت اتلقى الرصاص والكلل بصدري فلا لذة لي الآن برؤيته تمثيلاً ولما اتصل بحضرة سيدنا ومولانا امير المؤمنين ما اتفق في هذه الواقعة الهائلة وما اجراه الامير في سبيل طاعة عظمته واداء واجب خدمته اظهر رضاه العالي بفعله وانعم عليه بالنيشان المجيدي العالي الشان من الرتبة الاولى عنوانًا على حسن توجهاته وجميل التفاته . وصورة الفرمان . قد احاط علمي الشريف السلطاني بحال الحمية الدينية الثابتة في اصل فطرة الامير عبد القادر الجزائري زيد فضله وخلوصه الاكيد الوطيد لطرف دولتي العلية وقد اضطره كل منهما لاستعمال الهمة والغيرة الكلية الفائدة في الخدمة المرغوبة وهي تخليص عدد كثير من تبعة دولتي العلية الواقعين بايدي الاشقياء الظالمين عند وقع الفتنة والعناد مؤخرًا في الشام من بعض ذوي التوحش الجاهلين بالوظائف الملية الاسلامية والاحكام الجليلة الشرعية وحيث ان حركته الحسنة قد استوجبت لدى سلطنتي زيادة المحظوظية ووقعت موقع الاستحسان ولاجل حسن توجهاتي السلطانية الحاصلة في حقه والمكافاة العلنية على خدمته الخيرية الواقعة احسنت اليه بنيشاني المجيدي الهمايوني من الرتبة الاولى واصدرت له فرماني السلطاني المعلوم المؤذن بالمكارم الملوكانية في اول صفر الخير سنة سبع وسبعين ومائتين والف . ثم حضر مكتوب من الصدر الاعظم عالي باشا وصورته لما طرق مسامع الحضرة السلطانية خبر الفتنة التي وقعت من اراذل الناس في الشام الشريف وذلك بهجومهم على الاهالي النصارى الطائعين الذين نفوسهم واعراضهم واموالهم بمقتضى الشريعة الغراء الاسلامية هي نظير نفوسنا واعراضنا واموالنا وتجاسرهم على اجراء حركات كلية قبيحة مخالفة للشرع كسفك الدماء وهتك الاعراض ونهب الاموال فالتأثر العظيم الذي طرأ على القلب الشريف الملوكي من اجراء ذلك كان في الدرجة القصوى ولذلك اقتضى الامر ارسال حضرة دولتلو ناظر الخارجية بالرخصة الكاملة والقوة الكافية ابتغاء اجراء التاديبات القانونية والشرعية وعمل ترضية للملة ولاهل الانسانية فلما وصلها نكل بهم بعون الله تعالى اي تنكيل واراهم جزاءهم الذي استحقوه وبما انه قد تحقق وشاع ان ذاتكم المتحلية بالفضيلة في اثناء اشتعال الفتنة توفقتم والحمد لله لتخليص الوف من التبعة السلطانية المظلومين من ايدي القتلة الظالمين وكانت غيرتكم التي تكرمتم بها دليلا ليس له مثيل على حميتكم الدينية وخلوصكم

لطرف السلطنة السنية فاستحقيتم لدى الحضرة الملوكية على وجه الجد والحقيقة فرط المحظوظية والتحسين ولذلك جعلت علامة علنية لهذا التحسين و برهانا جليا على التوجهات السنية بحق حضرتكم فجادت عليكم باحسان الوسام المجيدي الهمايوني من الرتبة الاولى وقد ارسل لطرفكم الشريف وصحبته الفرمان المنيف ومن ثم بمقتضى مودتي القديمة لطرف سيادتكم قد غدوت بغاية الممنونية لوجودي واسطة لتبليغ المكافاة السنية وعلاوة على ممنونيتي فانني اختم مقالتي بالتهنئة الخالصة والتامينات الاحترامية افندم في السابع من صفر سنة سبع وسبعين ومائتين والف فسر الامير بهذا الانعام السلطاني غاية السرور ثم رفع الى الاعتاب عريضة العبودية وصورتها . احمدك اللهم حمد معترف بالتقصير عن شكر ما اوليت من النعم . واصلي واسلم على نبيك سيدنا محمد افضل العرب والعجم . وعلى آله واصحابه الذين شيدوا منار الاسلام . ودعائم الدين بالعدل والحسام . ثم ارفع ايدي الضراعة والابتهال . الى ربنا القدير المتعال . ان يديم النصر والتاييد لحضرة مولانا الخليفة الاعظم . والملك الاعدل الافخم . سلطان سلاطين الامم . ظل الله الممدود في العالم ناشر لواء العدل على البرية . حافظ احكام الشريعة بالهمة العلية القوية . امير المومنين ايد الله تعالى دولته العلية الى يوم الدين . ثم اتوجه اليه سبحانه بقلبي وتضرعي ان يوفق كافة وكلائه ووزرائه وعماله في جميع الاقطار الى تحصيل مرضاته بالتزام منتهى الصدق والاستقامة في السر والاجهار و بعد فان العبد لم يزل قائما بوظائف الدعوات الخيرية للدولة العلية في كل بكرة وعشية متحدثا بنعم الله الظاهرة والباطنة شاكرا آلاء امير المومنين المترادفة في كل دقيقة وثانية مقرا بالعجز عن ايفاء بعض ما وجب عليه على كل موحد في هذا الباب . سائلا من ذي الجلال العصمة عن الزيغ والارتياب . ثم لما وقعت حادثة الشام وانتهكت محارم الله بلا احتشام وتعين على كل فرد من العباد بذل المجهود في دفع ذلك الفساد قمت باداء ما قدرت عليه من هذه الفريضة العينية والنية الصحيحة في ذلك تحصيل رضاء الله تعالى ثم طاعة الدولة العلية . ولما صدرت الارادة السنية بسفر صاحب الآراء الصائبة الالمعية حضرة الوزير فؤاد باشا ناظر الخارجية قدم الى دمشق وهي تفور كالمرجل وارجاؤها من تميز نار الفساد تكاد ان تتزلزل فرتب العساكر الظافرة في المواقع اللازمة على مقتضى الحال وبادر بتمهيد قواعد الحكمة بلا امهال وفي اقرب وقت واقل مدة ساعدته القدرة الالهية والتوجه السلطاني امده فابرز ثمرة تدابيره من القوة الى الفعل واذهب من المدينة بنور الهدى ظلام الجهل واظهر عدل امير المومنين لكل باد وحاضر حتى اعلنت بذلك خطباء الاسلام على المنابر ورضي به كافة الملل والنحل من القاصي والدان وطير ذيل

الشريعة المحمدية من لون اهل البغي والعدوان فجزاه الله عن امير المؤمنين والمسلمين خيرًا هذا وان سيدنا ومولانا ايده الله ما برحت نعمة تتجدد على تجدد الآناء والازهان ولم يكتف بذلك دام علاه حتى طوقني بعلامة الافتخار وهي نعمة شكرها ليس في حيز الامكان ورفع قدر مملوكه بما لست له اهلاً من العنايات والتلطيف مع انه يكفيني فخر النسبة بالعبودية الى مقامه الشريف

ولم ار اعظم من نعمة منحت ولم تك لي في حساب
ساشكرها شكر وقت السرو ر واذكرها ذكر وقت الشباب
ايا سابقا بالذي لم يجل بفكري ثوابا ونعم الثواب
كذا فلتكن نعم الاكرمي ن تفاجي بلا منة او طلاب

وبناء على ذلك فاني ابتهل الى الله تعالى بكل دعاء مستجاب ان يجعل كافة آراء دولته العلية مقارنة للسداد والصواب ويديم بقاء ذاته الكريمة الملوكية بالتاييد مشمولاً بكمال الصحة والعافية الى امد مديد بجاه سيد الوجود عليه الصلاة والسلام والحمد لله دعاء المتقين في البدء والختام في اوائل ربيع الاول سنة ١٢٧٧

﴿ ذكر ما ورد على حضرته من مكاتيب الدول ونياشينها وما قدمه الشعراء الى اعتابه من قصائد المدح والتهنئة ﴾

ولاول وقوع هذه الحادثة العمياء طار خبرها في اقطار الدنيا وشاع ما اجراه الامير من السعي في اطفاء نارها وتسكين تيارها فاخذت مكاتيب التشكر من سائر الدول ونياشينها العالية الاولية ترد على حضرته اقتداء بالدولة العلية وهذه نصوص المكاتيب المذكورة

﴿ نص ما كتبه وزير خارجية فرنسا ﴾

ايها الامير السامي ان خبر الحوادث الشامية قد طرق مسامع الدولة الفرنساوية واجابة لطاعة مولاي الامبراطور وارادته بادرت الان باعلان اعتباره السامي والتشكر الوافر من طرف جلالته على السعي الذي تكرمتم به على الاهالي المسيحيين والراهبات والمبعوثين الفرنساو بين وجمهور القناصل بتلك الواقعة المحزنة والمزية العظيمة في ذلك هي مشاهدة همتكم العلية التي جعلتكم وقاية لحياة الوف من المساكين وجعلت محلكم ملاذا لهم في وقت كان الاشقياء الخارجون عن الطاعة يرتكبون القبائح المخالفة لاوامر الباري تعالى ولما تقتضيه الانسانية اما الامبراطور نظرًا لمعرفته بعلي همتكم وكرم اخلاقكم فانه لم يتعجب مما اظهرتموه من الاقدام في

ذلك الوقت الضنك وهو الآن يشعر بداع ذاتي يدعوه الى ان يخبركم عن فرحه الشديد الذي اثر فيه تاثيرًا قويًا باجراء ما اجريتموه وانا ارجوكم قبول التهاني الشخصية مني التي اضيفت ايها الامير السامي تاكيدات سمو اعتباري لحضرتكم في ٣١ اغسطس سنة ١٨٦٠ ثم حضر رئيس المترجمين في دائرة الوزراء الفرنساوية مبعوثًا من لدن الامبراطور الى حضرة الامير وقدم اليه نيشان اللجيون دونور المرصع من الرتبة الاولى وبلغه اعتبار الامبراطور وسائر الفرنساوية لمقامه العظيم

صورة المرسوم الممضي بخط ملك بروسيا صحبة النشان

نحن غليوم بنعمة الله تعالى ملك بروسيا الى آخر الالقاب قد منحنا الامير عبد القادر بن محيي الدين نيشان صليب النسر الاحمر من الطبقة الاولى وقد اعطينا ارادتنا هذه لاجل تملكه الحقيقي لهذا الوسام حاوية توقيعنا وامضانا مع الختم الملوكي من بالسبيرج في الثاني عشر من اكتوبر سنة احدى وستين وثمانمائة

وهذه صورة المرسوم الممضي بخط يد قيصر الروس المرسل صحبة النشان

نحن اسكندر الثاني امبراطور وافطوكراطور جميع الروسيين الى آخر الالقاب الى الامير عبد القادر اقتضت رغبتنا ان نشهر التفاتنا اليكم بشهامتكم وعملكم بما اقتضته الانسانية واجتهادكم في انقاذ الوف من المسيحيين من اهالي دمشق الذين وجدوا في خطر عظيم اقتضى الحال اننا سميناكم من اعظم فرسان رتبتنا الامبراطورية الملوكانية المشهورة بالنسر الابيض وهذه علامتها واصلة اليكم ونحن لم نزل باقين على المحبة نحوكم بالاعتبار الامبراطوري الملوكي حرر في بطرسبورج في يناير سنة ستين وثمانمائة

وهذا نص تحرير ملك ايتاليا

ان عظيم تصرفكم في امر المسيحيين في الحوادث الشامية قد اثبتت امام اوربا انكم ممن حاز المزايا الحربية العظيمة خصوصًا في الحادثة الدمشقية التي انقذتم فيها النفوس الكثيرة فكان ذلك حماية لنفسكم الكريمة المصطفاة ثم انه يوجد بيني وبينك ايها الامير العزيز مواصلة افرح بذكرها وهي محبة الحرية التي تجعل تابعيها محافظين على العدالة الحقيقية واذا كنت في ايامك السابقة لم يمكنك الحصول على النجاح التام على حسب مرغوبك فهذا لا يكون مانعًا لاكتسابك بالنظر لشجاعتك القوية الاحترام والاعتبار من جانب اهل الحرب المعاصرين

لك والذين يقاتلون في صالح استقلالية الشعوب ونظراً لشهادتي بهذا الاحترام المخصوص لشخصك الكريم فانا مرسل اليك الان الشريطة الكبرى نيشان موريس والعاذر وهو اقدم نياشين الخيولية والفروسية وهو يسلم لك على يد اثنين من ضباطي وهما الكاواليردى كاستيلونيو والكونت دي كاستيلونيه القادمين الى حضرتك لاجل هذا الامر واني اوصي بهما شديد اعتنائك وارجو ان تصادفك السعادة فيما بين يديك ايها الامير السعيد نظير الندا الذي يقطر من السماء ليعطي الاقبال الى الارض والمأمول قبول هذا الدعاء مني لاجلك في المستقبل كما اني ارجو ان تعتقد تمام محبتي حرر في مدينة تورين بتاريخ سبتمبر سنة ستين وثمانمائة

محبك فيكتور عمانوئيل

﴿ نص ما كتبه ملك اليونان ﴾

نحن اوتون بنعمة الله ملك اليونان قد اعطينا الامير عبد القادر النيشان الكبير رتبة اولى من صنف نيشاننا الملوكي المدعو بنيشان المخلص المؤرخ يوليه سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة والف وارسلناه اليه ليحمله ويستعمله بمقتضى امرنا وبناء على ذلك اصدرنا له هذا المرسوم ممضياً مما تم من وزير بلاطنا الملوكي والتعلقات الخارجية حرر في اثينا بتاريخ سبتمبر سنة ستين وثمانمائة

﴿ نص تحرير قنصل دولة انكلترا في دمشق ﴾

الى عظمة الامير السيد عبد القادر المعروض لسعادتكم انني قد امرت من الحكومة الانكليزية الفخيمة ان ابين لكم حاسيتها الفائقة نظرا لما اظهرتموه من حقوق الانسانية بتخليص حياة جماعة كبيرة من المسيحيين الذين لولا ذلك لهلكوا بين ايدي اهل القساوة في المذبحة الاخيرة بدمشق وبسلوك عظمتكم عرفت الحكومة الانكليزية مقامكم الرفيع للغاية ثم اعرض ان هذا الشرف الذي صيرني واسطة لتقديم حاسيات دولة انكلترا الفخيمة الى حضرتكم اعتبره شرفا عظيماً لا مزيد عليه وقد كنت شاهدت اجتهاد عظمتكم في تخليص عدة اناس كانوا مضطهدين حتى انني حصلت بذلك على حاسيات التعجب والان لي الشرف بان اكون مبلغا لكم ما سطرته وداعيا لعظمتكم حرر في الرابع والعشرين من اغسطس سنة ستين وثمانمائة من قونصلاتو دولة انكلترا في دمشق وبعد هذا بعثت الملكة بندقية هدية الامير مكتوبا على ظهر صندوقها من حضرة جلالة ملكة المملكة المتحدة بريتانيا العظمى الى صاحب السمو الامير عبد

القادر تذكارًا للمساعدة الخيرية المبذولة للمسيحيين في دمشق سنة ستين وثمانمائة ·

﴿ نص تحرير الجمعية الفرانماسونية بفرنسا ﴾

الى الامير الاجل عبد القادر في دمشق اعلم ايها الامير ان العالم المتمدن قد كلل هامتكم الشريفة المقدسة باكليل الشرف والافتخار ونحن نقدم اليكم فرحنا بكونكم تسميتم من المحكوم لهم بحسن السيرة من اي فرقة كانوا او دين الذين اظهروا انفسهم بكمال الانسانية وانت قد اظهرت نفسك انسانًا قبل الكل ولم تسمع الا الى الهامات ربانية في قلبك امرتك بمقاومة نار مشتعلة من الهيجان البربري والتعصب الجاهلي نعم انك النائب الوحيد للامة القوية العربية التي اوروبا مديونة بقسم عظيم من تمدنها وعلومها التي استنارت بها ولقد اثبت باعمالك وبكريم شيمك ان هذا الجنس لم ينحط اعتباره السابق وهو وان كان الان في سنة من النوم فسيستيقظ للاعمال العظيمة باستدعاء نفس قوية نظير نفسك وانظر فرانسا التي كانت خصيمتك فانها الآن عرفت كيف تعتبرك وتبتهل بك وما ذلك الا لكونك اعطيت للتمدن حقه ايها الامير لك المجد والشكر تكرارًا فالاله الذي نسجد له جميعًا والذي عرشه في داخل قلوبنا وقلوب كافة الكرماء يتمم عمله بكم في الخير افلا ينظر الى العناية الآلهية بعد تقلبات عديدة كيف اتت بكم الى تلك البلاد لاجل تبديد ظلمات الجهل واطفاء نار التعصب الجاهلي وانقاذ تعيسي الحظ من يد الجهلة واعلم ايها الامير الاجل اننا واثقون بان تقبلوا منا هذه الرسالة وان كانت لا قيمة لها حرر في باريس في الثاني من اكتوبر سنة ستين وثمانمائة واثبات هذا القدر من المكاتيب الواردة على حضرة الامير كفاية ولو تتبعنا تحرير جميعها لافضى الى ما يوجب السآمة والملل وممن مدح الامير على ما اجراه في هذه النازلة من الشعراء العالم الناظم الناثر الشيخ ابراهيم الاحدب نائب المحكمة الشرعية في بيروت فقال ·

قلب بنار الاسى والوجد حيران … لجيرة من حما جيرون قد بانوا
بانوا فبانت مسراتي بهم اسفًا … فلا انثنى بعدهم في روضة بان
عرب باحسانهم قد اعربوا كانني … غداة تطربني بالوصل الحان
بذلت روحي لادنو من منازلهم … ان المعالي لها الارواح اثمان
وقد الفت بهم خلع العذار ولم … يقبل عذاري فامسى وهو شيبان
يا حبذا عهد نعمان الاراك بهم … ايام انعم لي بالقرب نعمان
ريم اروم التسلي عن هواه وهل … يسلو عن الماء بالنيران ظمآن
لا سالمت بعده آرام ذي سلم … ولاغزتني بالاحداق غزلان

بلؤلؤ الثغر منه كنت ذا فرح ... فالآن دمعي بالياقوت مرجان
هل تنطفي نار احشائي بزورته ... وتستكن من الاشواق اشجان
كما بهمة عبد القادر انطفأت ... في الشام من حادث الايام نيران
شمس من الغرب وافتنا فكان لها ... في الشرق نور به الآفاق تزدان
سر من الله قد احيا الانام به ... ان كان يبدو لسر الله اعلان
حلت اياديه جيد الكون من عطل ... وما نعقده في الدين ايمان
اثاره شامة في الشام قد نفحت ... طيبا به ارتاح نسرين وريحان
ذو طلعة فوق نجم المشتري شرفا ... وهمة دونها في الافق كيوان
الى النبي غدا يبدي لنا نسبا ... في وجهه شاهد منه وبرهان
يا مرتجي الغيث يمم فيض انمله ... فتلك للمرتجي جدواه خلجان
يدنيه لمرتجي لطف الجناب كما ... يعلو به فوق هام النجم سلطان
وفي العلوم التي ساد الانام بها ... لما اياديه بالتحرير اتقان
يا من على البدر اربى نور طلعته ... والنجم فيما حوت علياه حيران
من بعد بعدك شمس الغرب قد غربت ... وعطلت منه اوطار واوطان
والشرق اشرق فيه من سناك لنا ... بدر منير به للحق تبيان
هل تنكر الشام فضلا قد خصصت به ... غداة كل كسيف البال وظان
اذ يوقظ الشر قوم ساء جهلهم ... اعمالهم عن منار الحق طغيان
بذمة المصطفى المختار قد غدروا ... وان ذلك للاحسان كفران
شككت في امنهم ناس بما فعلوا ... اذ ليس يفعل هذا الفعل انسان
علمت عقبى الذي ابداه جهلهم ... وان ذلك في الدارين خسران
فقمت تمنع ما ابدوه مجتهدا ... ما فوق ذلك يا مولاي امكان
ورحت تظهر في حجب الدما شيما ... ما حازها قبل قحطان وعدنان
كما حميت العذارى بالظبا كرما ... مطهر النفس ما استغواك شيطان
اذ قد نهى المصطفى عن خفر ذمته ... وان يكون لوالي الامر عصيان
ماذا عليك وقد راعيت سننه ... ان راح ينكر نشر الورد جعلان
هذا هو الشرف المحض الذي اشتهرت ... له مآثر قد امسى لها شان
على السماع بما قد شاع عنك غدت ... مشوقة قبل رؤيا العين آذان
امسى لي الشعر سهلا حين قام به ... يبدي مآثرك الحسناء احسان

فاستجليها غادةً رقت محاسنها | جمالها عن سوى علياك منصان
على ابن سهل معاني لفظها صعبت | كما ابن هاني بما ابدته منهان
مع انني في زمان لا يقام به | للشعر سعر وان زانته اوزان
لكن جدك قد سن القبول له | ايام احسن فيما قال حسان
وانت خير امرىءٍ يقفو ماثره | لا زلت بدرًا به العلياء تزدان

وقال ايضاً

ماذا تقول بوصفك الشعراء | وعلاك ترفع اصله الزهراء
والله قد اثنى عليكم بالذي | قد شرف الثقلين منه ثناء
آل الرسول بكم يبين لنا الهدى | ويزول عن عين اليقين غشاء
نـل كمثل الصبح لاح لناظرٍ | ما للصباح عن العيون خفاء
نفحت ماثرك الزكية في الورى | وتأرجت بثنائك الارجاء
وخلائق المختار فيك تجمعت | فتشابه الابناء والآباء
فنظرت بالنور المبين الى مدى | ما ادركت اثرائه الزرقاء
وعداك قد شهدوا بفضلك في الورى | والفضل ما شهدت به الاعداء
وبلغت بالهمم العلية غاية | عن درك وصفك تعجز البلغاء
يدنيك للراجي التواضع مع علا | عين السهى لمناله خوصاء
الله اكبر هذه الشيم التي | تقفو معالي فضلها الخلفاء
اسفي على ما حل بالشام التي | هي في البلاد الجنة الخضراء
بلد له الشرف الرفيع وحسنه | قد افصحت بمديحه الفصحاء
انى التفت ترى اغن مهفهفاً | تجلو سناه روضة غناء
او غادة يبدو لنا من فرعها | وجبينها الاصباح والامساء
يا ويح قوم ايقظوا الشر الذي | قد امَّ عمَّ الشرق منه بلاء
حذرتهم عقبى الفساد فما ارعووا | فكأنما تحذيرهم اغراء
فسللت من غمد العزيمة صارماً | بمضيه في فل الخطوب مضاء
ووضعت اوزار الوغى بحمية | يحمى سطاها لاذت الوزراء
وفللت حد الخطب منك بهمة | تصبو لنعت علوها الخطباء
ومهابة وشهامة وحماسة | كل له فوق النجوم لواء
ما ادرك الجهلاء رشدك فيهم | عين الجهول عن الهدى عمياء

ما عذر من لم يشكر المولى الذي صينت بجد حسامه العذراء
شمس من الغرب استنار بها الورى والشرق منه عمه الاضواء
آيات موسى اظهرت اياته منها استبان لنا اليد البيضاء
حسن الطوية مخلص في فعله ان شاء بعض العالمين رياء
متمسك في الدين في افعاله لم يهوَ بالارشاد منه هواء
يا ابن الذي بسناه شرف آدم وسمت به شرف الورى حواء
اعرفت سحب الغيث فهي من الحيا تهمي اذا ما انهل منك نداء
اني قد استشعرت طوق نداك لي فسجعت فيك كانني الورقاء
وشعرت بالسر الذي اوتيته فبلغت ما لم تبلغ الشعراء
ولقد وقفت على علاك قصائدي وقفاً تسجل حكمه العلياء
واليك قد وجهت قبلاً غادة نطقت بحق ليس فيه مراء
والآن قد ارسلت شافعة لها اذ كان عندك تنجح الشفعاء
حررتها فاتت اليك رقيقة ليرى لناظمها لديك ولاء
لم يبقَ في العلياء مطمح ناظر الا وجاز علاه منك سناء
فلذاك ندعو ان تدوم مخلداً ووظيفة العبد الضعيف دعاء

وقال عند حضور نيشان نابليون امبراطور فرانسا

بسهم رأيك يامن عز سلطانا اصبت من غرض العلياء نيشانا
وحزت بالحزم فخراً عز نائله اثار في مهج الاعداء نيرانا
قدر اشم ومجد قد علا شرفاً يستوقف النجم في معناه حيرانا
عداك ما انكروا فضلاً سموت به وما استطاعوا لما ابديت كفرانا
بل كلهم قد غدا يثني عليك ثنا تأرجت منه يامولانا ارجانا
في الشام همة عبد القادر اشتهرت تبدي لسر الذي اوتيه اعلانا
ما حيلة الشرق الا نشر سودده فليفخر الغرب علياه به الآنا
بفضله معجزات المصطفى نشرت اذ جاءنا بالهدى للحق برهانا
يا بحر علم مزاج الدهر صح به غداة كل يعاني منه بحرانا
حتام تعلو وهام النجم تحت ثرى نعليك مع انه قد جل اركانا
اذاً فما الرتب العليا وان عظمت تزيد قدرك يامولاي امكانا
لم يخط سهمك مرماه لذلك قد اولتك دولة نابليون نيشانا

رأت مساعيك الحسناء قد نجحت فاسرعت بالذي اولاك شكرانا
مع ان بيض اياديك الحسان لقد عمت جميع اولي الافضال احسانا
لو كافؤك على فعل الجميل بهم دعوك فيهم بحكم المجد سلطانا
لكن قصدك نشر العرف تبذله كالغيث عم الورى ان فاض هتانا
يا ليت مثلك يوم الدار كان بهم غداة اردوا بسيف البغي عثمانا
او كنت في يوم صفين توءمهم اذا لعزَّ دمٌ بالبغي قد هانا
او كنت في قوم نوح داعياً لهم كفاهم الله بالايمان طوفانا
او شام فرعون نورا من سناك بدا لم يبن صرحاً له مامور هامانا
يا ابن النبي بكم ابدي الغلو وان منعته في سواكم اي من كانا
ما قدر قولي في مدح غلوت به وفيكم انزل الرحمن قرآنا
آل الرسول بكم تهدى الانام كما بحبكم نرتجي فوزاً وغفرانا
احسنت في مدحكم ارجو النجاة به فقابلوا بالولا احسان حسانا

ومنهم العالم الفاضل السيد امين الجندي فقال

اليك انتهى المجد الرفيع المؤثل وعنك احاديث المكارم تنقل
تفردت في الآفاق بالسؤدد الذي على فضله بين الانام المعوّل
سموت سمو البدر في برج عزه ونورك للاكوان مولاي يشمل
الست ابن سلطان الرجال ومن له على كل قطب في الوجود التفضل
اما انت من آل النبي كدرَّه تجل فلا يجري عليها التمثل
اما انت كشاف الكروب عن الورى ونجدهم ان حل خطب ومعضل
حماك غدا للناس آية كعبة فما عنه للعافين يوماً تنقل
ومورد السامي صفا عن كدورة فمنه ذوو الآمال بالبشر تنهل
ظهرت باوصاف الكمال وانما لديك انطوى ما بعضه اللب يذهل
ومن ظن يستوفي المديح او الثنا عليك اذاً عند التامل يخجل
ولا عجباً فالله جل جلاله عليم يرى حيث الرسالة يجعل
ملكت زمام المجد فانقاد مسرعاً اليك وقوم حاولوه فحولوا
ملات قلوب الناس لطفاً وهيبة وكل اذاً في بابه جاء يجمل
جمعت الندى للعلم والباس للتقى فانت لمن وافاك ركن ومنهل
تهاب ليوث الغاب في آجامها سطاك ويرجو البرمنك المؤمل

وقفت على سر الحقيقة فانجلت ... لديك عروس الانس بالعز تحجل
وابرزت من كنز العلوم دقائقًا ... يعز اليها عن سواك التوصل
حفظت بلادًا كنت فيها مملكا ... بعزمك دهرًا فيه ذو الحزم يحلل
وحاربت قومًا اهل باس وشدة ... لهم بين شجعان الخليقة منزل
وكنت عليهم ظاهرًا في مواقف ... بها تقف الافكار عجزًا وتخيل
اقر بذا خصم هشمت ذراعه ... وهذا هو الفضل الذي ليس يجهل
وفي الشام لما ان بغى الناس واعتدى ... على بعضهم بعض بما ليس تقبل
نهضت لاخماد الفساد بهمة ... تزيل الرؤس والاسود تجندل
حقنت دماء حرم الشرع سفكها ... وصنت من الاعراض ما لا يحلل
بذلت من الاموال وفرًا بمثله ... يضن سخي الطبع والمتمول
صنيعك هذا ليس يقدر قدره ... ولا احد حقا له يتوصل
قصدت به مرضاة ربك مخلصًا ... وما خاب عبد في رضا الله يعمل
ملوك الورى طرًا حبتك علائمًا ... على شرف في حوزه انت اول
وصيتك عم الخافقين فلا يرى ... نكير له في الكون او متأول
كفى اهل هذا العصر عزًّا ورفعة ... وجودك فيهم ما لذلك معدل
وحق لي التشريف اذ كنت سيدي ... ومن اين لي لولا رضاك التوصل
وجدك في سليمان قال مقالة ... فقل انت مني بالقبول مجمل
لارفل في قومي بثوبي كرامة ... وعز وضدي بالمذلة يرفل
اقل عثراتي واتخذني لمدحكم ... هزارًا عليه المدح في الغير ينقل
فما كان من الفى الدراري يصوغها ... عقودًا ولا كل الاقاويل تقبل
واني وان قصرت فالعذر واضح ... وما زلت عفوًا منك مولاي اسأل
فلا زلت ملحوظًا بعين رعاية ... من الله ما سار الحجيج يهلل
وما بسط الداعي الاكف لربه ... وما قام في جنح الدجا متوسل
وما اشرقت شمس وماهبت الصبا ... وما خص بالتسليم في الناس مرسل

ومنهم الشاعر الاديب سليمان افندي صوله فقال

شقيقة الروح ما اجرى الدموع دمًا ... الا فراقك دون الآل والندما
ولا اطار منامي عن مواطنه ... غير الصدود الذي سرت به الخصما
وساق بينك لي روعًا نفى ورعًا ... كنت الصؤل به طفلا ومحتلما

سقمان لم ادر تعذيبي بايهما سقم اصطباري ام اجفانك السقما
حكمت لي بالهوى والجور عادته أأشتكي جوره ام جور من حكما
الله بي فلقد اصبحت في الم لو حل ايسره بالزهر ما ابتسما
هيهات لا صبر بعد الهجر يسعفني وبعد شهد اللما صبر المشوق لما
ان كنت سالية عهدي فقد شمتت بنا الوشات واما ان وصلت فما
اما انا فكما تدرين مكتئب لم اسل منك رضابا قد حلا وفما
رضيت بالشوق قوتاً والغرام ردا والحب دينا وسلطان الهوى حكما
ان كان بينك ضيقاً فاللقا فرج اذا تولاه عبد القادر اقتحما
حامي الشام وقد دارت دوائرها وقامت العرب فيها تقتل العجما
وكاشف الضر عنها بعدما عثرت اي العثار وحاكت اسدها الغنما
الالمعي الابي العبقري ابو ال اشبال نخبة باقي السادة العظما
السيد السند الفرد الذي اقسمت به العدا وعلاه الفرد ما انقسما
وجاءه من ملوك الارض كل ثنا يزري شذاه سحيق المسك منتسما
والنجم من نياشين مكرّمة يشف عنها شعاع الماس مبتسما
تسمو الملوك بها قدراً فتحملها يوم المفاخر حتى تدرك العظما
يا من تخوف دهراً عاث ارذله في حماه تجد مما تخاف حمى
هو الامير الذي فلت صوارمه عزائم الدهر لما جار واحتدما
فذا الزمان وحيد العصر خيره ثبت الجنان طويل الباع ان سجما
المشبع القوم اطياراً اذا التمسوا والمشبع الطير اقواماً اذا انتقما
در الغمامة الا ان صيبه يوم السماحة در يفخر الديما
لو لم يكن اوحد الاوحاد ما اجتمعت على مدائحه البادون والقدما
الله يا ابن المعالي بي فقد نهبت حوادث الدهر مني ما جمعت وما
وقل صبري وما صبري وقد بلغ الـــسيل الربي وتناهى الامر بي عظما
كانت جوائز شعري عندكم ذهباً فامنن علي بها يا سيدي كما
فاردد بجاهك كيد الحاسدين على نحورهم وعلى مداحك النعما

ومنهم الاديب نقولا افندي النقاش البيروتي قال

دع عنك تشبيباً بوصف محاجر ودع التغزل في ظبا وجآذر
واطرب بوصف مناقب ومكارم والهج بذكر محامد ومفاخر

شرف الفتى يهوى جميل مناقب ... من ان يبيت اسير طرف ساحر
واقصد حما الفيحاء واجثو خاشعاً ... في باب كعبة بيت فضل ذاخر
وقل السلام على ربوع غيثها ... فضل الامير الشهم عبد القادر
مولى به كملت صفات سمية ... فانار فضلاً كل نجم زاهر
مولى له الآساد ترجف خيفة ... وتراه يرجف خوف رب قادر
هذا الامام لكل مفضال وكم ... عزت بوطئته رؤس منابر
مولاي انت الى البرية كوكب ... تهدي الانام بنور فضل باهر
يا كوكباً بالغرب اشرق لامعاً ... وسرى لافق ديارنا كالزائر
نعم الزيارة سيدي نلنا بها ... من جود كفك بحر خير وافر
وسماء فكرتك السخية امطرت ... غيثاً من العلم الشريف الطاهر
يا سعد عبد تابعٌ ارشاد كم ... يهدى بنبراس العلوم الزاهر
يا صاح ان رمت السعادة فاتبع ... آثاره تحظى بحسن مآثر
واسلك سبيل العدل لاتعدل الى ... طرف الضلال سبيل عبد فاجر
وعن اكتساب المجد لا تغفل ولا ... تشغلك عن مولاك ذات اساور
واسلك بطوع الله لا تهوى الى ... طغيان ابليس اللعين الكافر
نعم الفتى من ليس يجهل بادلاً ... وعداً جليلاً بالدنيء الحاضر
ما مجد ذي الدنيا وزينة نخرها ... غير التلاهي بالضمير القاصر
والواثق المغرور في اوغادها ... مثل الحريص على الخيال العابر
ومؤمل منها دوام سعادة ... وثبات موعدها الخؤن الغادر
كمحاول بين البرية ان يرى ... نداً الى مولاي عبد القادر
هذا الامير ابو المعالي والنهى ... الطاهر ابن الطاهر ابن الطاهر
ملك حوى النسب الصحيح مسلسلاً ... وعلا المعالي كابراً عن كابر
ذو همة عربية وطهارة ... حسنية ومهابة كالناصر
حاز الفضيلة والرصانة والحجى ... وجمال خلق عن كمال سافر
واذا توالى الحرب يوم كريهة ... رد الخميس بعزم زند قادر
يلقى العداة بكل اشهب ضامر ... ينساب فوق جماجم ومغافر
فكانهم خلقوا لوطأة نعله ... او تربهم من ترب وقع الحافر
تشكو رقابهم الى صمصامه ... شكوى الجريح الى العقاب الكاسر

والنسر صام اذا دنا من جيشه يكفيه من قتلى العدو الخاسر
تجثو لسطوته الصفوف مهابة واذا هم وقفوا فوقفة صاغر
سل عنه آل الشام يوم مصابهم لما حماهم بالحسام الباتر
يوم به مطر السحاب مصائباً ظلما وشمس العدل تحت ستائر
والبيض تلمع والاسنة تشرع ما بين ذيالك العجاج الثائر
والقوم بين مهرول وتجندل ومـذافر وتخاوف وتخاطر
ومواقع ومدامع ومعامع او هاجد او شارد او نافر
او نادب او هارب او غارب او صائح او نائح او حاسر
والنار تبتلع الديار باهلها حتى غدت لجسومهم كمقابر
وحسام مولانا الامير يصونهم من كل فتاك ظلوم غادر
تلقاه يخترق المعامع منقذاً غنما غدت في فم ذئب كاسر
حتى اذا ما فاه داع باسمه فوت جيوش الظلم مثل الطائر
داوى بحكمته الجراح وقد غدا لعظيم ذاك الكسر اعظم جابر
حقن الدماء وصان عرضاً تاليًا طوعا لدين بالديانة آمر
ابدى بهمته العجاب وانما عجب العجائب فعله بجزائر
سل امة الافرنج عنه في الوغى ان لم تفه افواه ضرب الباتر
قصدته من اقصى البلاد كبارها لتفي بمسعاها فروض الزائر
ما عدّ ماجورا فتى مـا زاره هب طاف بالقدس الشريف الطاهر
ياتون سدته الشريفة خشعاً والقلب يخفق فرحة كالطائر
فيريهم الوجه المكال بالبها لطفاً ويشملهم بحسن مآثر
فيرون شهماً بالمحامد رافلاً يختال بالمجد الرفيع الزاهر
يسري ويومئ بالانامل نحوه فوق المعالي تحت عقد خناصر
وملائك الرحمن حول جنابه لتقيه من عين الحسود الغادر
فبعيدهم يتسابقون لحمده ولمدحه بلسان افصح شاكر
يصفونه وسنا الصواب دليلهم ما بين اقران وبين عشائر
انى لهم تعداد كل صفاته وعداهم ادراك بعض الظاهر
وبحصرها قد اعجزت كل الورى من حاسب او ناظم او ناثر
مولاي هب طال الكلام بمدحكم فبوصفكم ما زال اقصر قاصر

وانا الذي في وصف غيرك قاصر　　لكن بمدحك صرت اول شاعر
هذي صفات منك تهديني الى　　مدح وترشد للفصاحة خاطري
رصعتها درراً اتت كقلادة　　ترصيع نقاش خبير ماهر
واتيت اهديها الزمان واهله　　فغدت لهم كجميل طوق فاخر
يتسابقون لحفظ نظم بديعها　　يتنافسون بكل بيت عامر
وسناء مدحك ضاء في اياتها　　يجلو عن الابصار كل ستائر
يملى فتكتب والعيون قريرة　　هذا سنا مولاي عبد القادر

﴿ ومنهم الاديب اسكندر اغا اباكاريوس البيروتي ﴾

فانه الف كتاباً سماه نوادر الزمان في وقائع جبل لبنان وقدمه الى حضرة الامير ونص ما كتبه بعد الديباجة وترتيب ابواب الكتاب وقد قدمته خدمة الى اعتاب فخر الموالي. وبهجة الايام والليالي. وحيد دهره. وفريد عصره. عمدة الامراء. وتاج الكبراء. من شاعت فضائله في الآفاق. وامتلأت بمدائحه وذكر اوصافه الحسنية بطون الصحف والاوراق. ذو الباس الشديد. والرأي السديد. الذي شمله الله بالنعمة. وخصه بالفراسة والحكمة. ومكارم الاخلاق وعلو الهمة ورفعه على اقرانه بالشرف والسيادة. وجعل ايامه السعيدة قرة عين السعادة. الامير المفخم. والهمام المكرم. والشجاع المقدم. والليث الغشمشم. معدن اللطف والكرم. صاحب البند والعلم. الجامع بين شرفي النسب والقلم. مولانا عبد القادر بن محيي الدين الحسني ابقاه الله مدى الدوام. وحرسه من نوائب الليالي والايام. ما غنى الهزار وناح الحمام. بجاه الانبياء عليهم الصلاة والسلام. وبناء على ما شوهد من حسن خصاله. وجودة اخلاقه. وكثرة افضاله. قلت مادحاً مناقبه الفريدة. واوصافه الحميدة بهذه القصيدة

لباب مولاي عبد القادر ابتدرت　　ابيات مدح اصابت اصدق الكلم
هذا الامير الذي باهى الزمان به　　والطاهر الاصل والاباء والشيم
انعم به من امير ماجد فطن　　قد خصه الله بالاحسان والكرم
هذا الامير الذي صارت فضائله　　في الارض اشهر من نار على علم
مولى له في سماء المجد منزلة　　رفيعة الشان لم تدرك ولم ترم
فريد عصر تسامى عن مماثله　　في الحزم والعزم والآراء والهمم
حلو الشمائل ممدوح الخصال وكشـ　　ـاف المعاضل ماضي السيف والقلم
ترى المعارف في اعتابه اجتمعت　　وكل فن من الآداب والحكم

الجاعل العلم مثل الروض مزدهرًا — لما جرت فوقه ايديه كالديم
والجاعل الخير نورًا للعيون فما — تخشى الضلال بداجي ليلها العتم
لجوده في البرايا كل مكرمة — وللثناء عليه كل مزدحم
تثني عليه دمشق الشام ما انتشرت — في سفح قيسون ليلاً نفحة الخزم
زهت بهمته العلياء واكتسبت — فخرًا على كل مدن العرب والعجم
اقام ذكرًا الى يوم النشور بها — تكاد تقروءه الاموات في الرحم
احيى النفوس باذن الله حين كفى — شر العتاة ولم يسمح بسفك دم
اتى به الله كهف المستجير فمن — يحمي نجا كحمام حل في حرم
يا ايها السيد المرهوب جانبه — والمرتجى غوثه في الاعصر الدهم
هاك الكتاب الذي لو كان يمكنه — سعى على الراس طوعًا لاعلى القدم
يرجو لديك قبولاً طاب مورده — فذاك يحسبه من اعظم النعم
لا زلت في درجات العز مرتقيًا — في صفو عيش رغيد غير منصرم
واسلم ودم ماسرى نجم وما طلعت — شمس وما غرد الشحرور بالنغم

واهدى اليه الاديب رزق الله افندي حسون
ديوانه المسمى بالنفثات وكتب له في ذلك

امولاي عبد القادر السيد الذي — وقانا لوجه الله شانيك ابتر
كتابي وقد اهديته تحفة الى — علاك ليحظي في الورى حين يشهر
واضحى جميل الشعر فيه الثنا على — مكارمك الغرّا مدى الدهر تشكر
هدية عبد يرتجيك قبولها — لسنة جود عن سليمان تذكر
وان كانت النذر القليل فانها — لجملة مالي والمقل ليعذر

وكتب في آخر هذا الديوان قصيدة ذكر فيها رحلته الى القوقاس وختمها بمدح الامير

ومن نوه بذكر الامير في هذا الخصوص الجمعية المعروفة بجمعية
عمل الخير واعانة المصابين في البر والبحر

وهذا نص ما بعثت به اليه : ان جمعية المصابين المؤلفة من اعيان الامصار ووجوه المدن الشهيرة في فرانسا قد اتفقت كلمتها على ان يكون الامير عبد القادر رئيس شرف لها وانما فعلت هذا لتوءكد له عظيم اعتبارها لجنابه الشريف وجزيل

تشكراتها الفائقة لما ابداه من اعمال الخير الجسيمة في سورية سنة ستين وثمانمائة وبناء على ذلك بعثت اليه هذا الرقيم كالشاهد على عقدها لما اتفقت عليه وذلك في باريس آخر يونيو (حزيران) سنة احدى وستين وكانت الجمعية الاميركانية الشهيرة بالشرقية القائمة بتاليف تاريخ العالم سبقت هذه الجمعية الى مثل ما فعلته وارسلت الى الامير نسخة من تقريرها وصورته بناء على تقرير الجمعية الاميركانية الشرقية وعلى قرار المجلس قد اعلنت بتعيين الامير السيد عبد القادر بن محيي الدين عضو شرف لها تتشرف بذكره وبعثت اليه بهذه النسخة المطابقة للاصل اعلانا بما قررته في باريس في الثاني عشر من لوليو (تموز) سنة ستين وثمانمائة والف ·

﴿ ذكر ما نشرته بعض الجرائد الاوروبية من اخبار الحادثة الشامية ﴾

ذكرت جريدة منداباوسنمري الفرنساوية في رابع اوغسطس (اب) سنة ستين وثمانمائة تحت عنوان عبد القادر امير معسكر سابقاً ما نصه ان حوادث سورية المحزنة قد اظهرت للوجود اسماً كان محجوباً بغياهب الغربة وهو ذاك الاسم الذي طالما كررته السنة الامة الفرنساوية بالرجفة والاضطراب هو ذلك الاسم المرسوم باحرف دموية من شاطئ نهر شلف الى رمال الصحراء في الجزائر وقد ابدت له قناصل الدول ونصارى دمشق الشكران الجميل في سورية وبذلك انكشف عن مزاياه الحجاب الذي كان ساتراً لها وغدونا جميعاً نتبارك باسم عبد القادر وهو الذي اقتحم الاخطار لاجل اولئك المساكين من ايدي سافكي الدماء ثم جمعهم في قصره وافاض عليهم من سجال كرمه وبره وقام فرسان المغاربة الامناء بمساعدته احسن قيام فبذلوا وسعهم في انقاذ المسيحيين وحمايتهم من اعتداء سفهاء الشام والدروز هو ذلك الرجل الذي كان يلوح على وجهه من امارات الثبات وعلامات الحزم والفطنة ما يدل على شرفه واتصال نسبه بالرسول هو ذلك الرجل الذي اقام في منفاه سنين ولم يتغير عما كان عليه من المحافظة على الاوامر الشرعية واداء الحقوق الثابتة الانسانية هو ذلك الرجل الذي كان عدواً لدولة فرنسا واقام مدة سبع عشرة سنة ينادي بالجهاد فيها ثم ان ما نسبه اليه اعداؤه من الافعال الغير اللائقة كقتل الاسرى والحنث في اليمين الى غير ذلك مما نسبوه اليه ويأباه طبعه الكريم قد كذبه تحريره الشهير الذي بعثه الى لويس فيليب ملك فرانسا الدال على كرم اخلاقه ولطف جانبه وكانت وقتئذ نيران الحرب مضطرمة بشدة لا مزيد عليها ومن جملة ما ذكره في ذلك المكتوب قوله اني اريد منك ايها الملك ان توافقني على اجراء الفدية في

اسرانا واسراكم فلم يجبه الملك ثم أعاد طلبه هذا ثانياً وثالثاً فلم يجبه ثم بعد سنين في آخر امره شاع في فرانسا ان جنوداً فرنسوية وقعت اسرى في يد العرب وانهم قتلوا اشر قتلة وان ذلك كان بامر الامير وهذه الحادثة كانت في دائرة الامير في بلاد مراكش وهو غائب عنها في الجهة الشرقية من بلاد الجزائر ولما بلغه خبر هذه القضية واتصل به ما نسب اليه من الامر بالقتل كتب الى حكام الجزائر يقول من العجب انكم تنسبون الينا ما وقع بالاسرى مع انكم تعلمون علم اليقين ومشاهدة العين باني بعيد عن الدائرة بمسافة مائة وثلاثين ساعة للراكب المجد في السير فظهر من هذا ان الامير لم يأمر بقتل الاساري وان تاخره عن قصاص الذين قتلوهم في غيبته بغير اذنه انما كان لعجز سلطته اذ ذاك وعدم طاعة العرب لكلمته وغاية الامر فان مزايا الامير واخلاقه الكريمة كانت دليلاً على شرف نفسه وتقدمه في الجزائر كما هو الان في سورية وبرهاناً قوياً على طهارة قلبه وارادته الخير الى سائر عباد الله وعند انتهاء امره وطي بساط ملكه كتب الى الجنرال لاموريس قائد الجيوش الفرنساوية يقول انني حاربتكم مدة طويلة والان يكنني ان الحق ببلاد الصحراء واستمر فيما كنت عليه من قتالكم وشن الغارة على البلاد التي تغلبتم عليها الا انني تخليت عن ذلك فان كان يمكنكم ان تحملوني باهلي ومن معي الى الاسكندرية او الى عكا فانا اسلم لكم سيفي فاجابه الجنرال الى ذلك واعطاه فيه ميثاقاً وعهداً باسم فرانسا وموافقة ابن الملك حاكم الجزائر وقتئذٍ الدوك دومال ثم اتفق له نظير ما حصل لنابوليون الاول فانه لما انكسر في الحرب وسلم ذاته للانكليز عدلوا به عن مدنهم وامصارهم ونفوه الى جزيرة القديسة هيلانة وفيها مات والامير عبد القادر بعد ان استند الى عهد ابن الملك وسلم نفسه اليه اخذه اسيراً الى طولون ولكن الباري تعالى اتاح له احد ورثة نابوليون الاول فبادر عند جلوسه على عرش امبراطورية فرانسا الى تسريحه وتخلية سبيله وفاء بعهد فرانسا وحفظاً على شرفها وعلى كل حال فنحن نبذل الجهد في اداء الشكر للامير على ما اظهره من العناية في حق المسيحيين ولحضرة الامبراطور نابليون الثالث لمحافظته على شرف فرانسا

وذكرت جريدة اخرى ما نصه انه يوجد في ذات عبد القادر شخصان احدهما امير الجزائر والعدو المخيف للفرنسيس من ثلاثين وثمانمائة الى سنة سبع واربعين والثاني الامير الموجود الآن في سورية المخلص لالوف من النفوس في حادثة دمشق المهولة سنة ستين. فالامير هو الرجل الوحيد الذي ظهر في مكانين بعدين صورتين

مختلفتين وامسى الفرنسويون مديونين له بدين هم مجبورون على اداثه له الامير عبد القادر هو ذلك الرجل الباسل الذي ابدى اموراً واعمالاً لم يكن احد يتصورها ولذلك كانت جديرة بان تدون في اجمل تواريخ العالم واخر ما نقول ان عدونا القديم في الجزائر قد جعله الله الان سبباً لانقاذ المسيحيين في الشام

(وذكرت غيرها) ما صورته الامير عبد القادر هو رجل مشهور في العالم دافع عن وطنه وحريته ثم حكم عليه القدر الالهي فسلم لاعدائه فنقلوه الى بلادهم على خلاف الشرط الذي اشترطه عليهم وجعلته حكومتهم اسيرا آيساً مدة سنين غير ان شهماً من سلالة ملوكهم المشهورين كان يضاهيه في النباهة اعطاه حين رآه برهاناً وثيقاً وعهدا متيناً على انه يخلصه ثم وفى بعهده وخلصه من تقلبات الايام وذلك عند انقلاب الحكومة وارتقائه على كرسيها فبسلطة ذلك البرنس الذي صار امبراطوراً ارجعت الامير الى حريته التي طالما دافع عنها ثم اصبح ناصراً للاسلام واطفأ عن اهله نار فتنة عظيمة وذلك بواسطة دوران دولاب سعده واضحى في مركز قوي في العالم وركناً بين عظمائه وصار يخاطب من الملوك الالقاب الموضوعة لاعظم المشاهير وكيف لا وقد دافع عن الذمار والذمة وحافظ على عقائد الوفاء بكرامة كما عمل في بداية امره في وطنه وبالجملة ان سيرته الحميدة لا شبيه لها في التاريخ

(وفي هذا) القدر من كلام الجرائد كفاية وقد كان بين الامير والشيخ شمويل الداغستاني مواصلة ومراسلة ولما بلغه خبر الحادثة كتب اليه يصوب فعله وهو اذ ذاك محجور عليه عند دولة روسيا ونص كتابه الى من اشتهر بين الخواص والعوام. وامتاز بالمحاسن الكثيرة عن جملة من الانام. الذي اطفأ نار الفتنة قبل الهيجان. واستأصل شجرة العدوان. رأسها كأنه رأس شيطان. المحب المخلص السيد عبد القادر المنصف السلام عليكم وبعد فقد قرع سمعي ما تمجه السماع. وتنفر عنه الطباع. من انه وقع هناك بين المسلمين والمعاهدين ما لا ينبغي وقوعه من اهل الاسلام وربما كان يفضي الى امتداد العناد بين العباد في تلك البلاد ولذلك عند سماعه اقشعر منه جلدي وعبست طلاقة وجهي وقلت ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس وقد تعجبت كيف عمي من اراد الخوض في تلك الفتنة العظيمة من الولاة عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من ظلم معاهداً او انتقصه حقه او كلفه فوق طاقته او اخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فانا حجيجه يوم القيامة وهو حديث حسن ثم لما سمعت

انك خفضت جناح الرحمة والشفقة لهم وضربت على يد من تعدى حدود الله تعالى واخذت قصب السبق في مضمار الثناء واستحقيت لذلك رضيت عنك والله تعالى يرضيك يوم لا ينفع مال ولا بنون لانك احييت ما قال الرسول العظيم الذي ارسله الله رحمة للعالمين ووضعت من يتجرأ على سنته بالمخالفة نعوذ بالله من تجاوز حدود الله ولكوني ممتلاء بالرضى عنك كتبت هذه الرسالة اليك اعلاماً بذلك والسلام

حرر سنة سبع وسبعين ومائتين والالف شمويل الغريب

فاجابه الامير بقوله الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى سائر اخوانه من النبيين والمرسلين انه من الفقير الى مولاه الغني عبد القادر بن محيي الدين الحسني الى الاخ في الله تعالى والمحب من اجله الامام شمويل كان الله لنا ولكم في المقام والرحيل وسلام الله عليكم ورحمته وبعد فانه وصلني الاعز كتابكم وسرني الالذ خطابكم والذي بلغكم عنا ورضيتم به منا من حماية اهل الذمة والعهد والذب عن انفسهم واعراضهم بقدر الطاقة والجهد هو كما في كريم علمكم مقتضى اوامر الشريعة السنية والمروّة الانسانية فان شريعتنا متممة لمكارم الاخلاق فهي مشتملة على جميع المحامد الموجبة لائتلاف اشتمال الاطواق على الاعناق والبغي في كل الملل مذموم ومرتعه وخيم ومرتكبه ملوم ولكن

يقضى على المرء في ايام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

فانا لله وانا اليه راجعون على فقد اهل الدين وقلة الناصر للحق والمعين حتى صار يظن من لا علم له ان اصل دين الاسلام الغلظة والقسوة والبلادة والجفوة فصبر جميل والله المستعان ومنذ زمان بلغنا وصولكم عند ملك روسيا وانه فعل معكم ما هو اهله من الاحسان وانزلكم من الاكرام ارفع منزل ومكان وسمعنا انكم طلبتم منه تسريحكم الى الحرمين الشريفين فنسال الله ان يجيب مطلوبكم وينيلكم مرغوبكم وامبراطور روسيا من اعظم ملوك الارض شاناً واحرصهم على تخليد المآثر في بطون الدفاتر فنرجو لكم من حضرته الفخيمة حصول الارب بلا نصب ولا تعب كما فعل معنا الامبراطور نابليون الثالث فانه فعل معنا من سني الافعال ما لم يخطر لاحد في بال والمرجو في الحقيقة هو الله المعبود لا معبود سواه

حرر في اول جمادى الاولى سنة سبع وسبعين ومائتين والالف وفي سنة اثنين وثمانين فكتب الى الامير ما نصه

الى ذي النسب الطاهر واللب الباهر السيد عبد القادر عليكم السلام الاسنى

ولكم الدعوات الحسنى اما بعد فقد بلغنا مكتوبكم الشريف فرضيت عنكم والله تعالى يرضى عنكم حيث انكم ذكرتموني بخير ثم ان ما بلغكم من طلبي من الامبراطور الفخيم ان يأذن لي في زيارة الحرمين الشريفين والسكنى في الحجاز او القدس الشريف هو كما بلغكم واني مترقب دائماً حصول اربي هذا من جانبه السامي ومشتاق الى المواطن المباركة طول عمري وخصوصاً الآن حيث اني بلغت من العمر سبعين سنة وضعفت قوى نفسي وانا خائف من حلول اجلي قبل حصول املي مع انه ليس لي مقصود آخر من الدنيا اعلا واهم من ذلك ثم الموت على الايمان في الحرمين مهبط الوحي والغفران واني اوصيكم بالدعاء لنا والسلام كتبه في بلدة كلوكه اخوكم في الله تعالى الشيخ الهرم الداعي لكم كثيراً محمد شمويل وقد اجاب الله دعاءه حيث انتقل الى الحجاز وتوفي في المدينة المنورة ثم في سنة ثلاث وتسعين بعث ولده الى الامير ما نصه

(بعد) حمد الله والصلاة على رسوله وآله الى اكرم الكرماء واشرف الشرفاء والحائز لشرفي الحسب والنسب سلالة سيد المرسلين المخصص بمزيد العناية من الملك المعين الغازي السيد عبد القادر بن محيي الدين السلام عليكم والرحمة من الله والرضوان بحرمة سيد الانس والجان آمين اما بعد فلما طال انقطاع مخابرتنا وعدم اطلاعنا على احوال ذاتكم العلية واخباركم الشريفة البهية ارسلنا هذا مستخبرين عن احوالكم الكريمة عسى الله ان يحفظكم مما يوجب الحزن مدى الدهور والاعوام بحرمة سيد الانام وكنا قبل هذا ارسلنا مكتوباً في مقابلة مكتوبكم السامي الذي تشرفنا به في السنة الماضية فلعل الله ان يجمعنا عن قريب هذا واننا نتوقع المحاربة بين الدولة العلية والروسية بالنظر الى القرائن الظاهرة فنسال الله ان يرزق النصر لاهل الاسلام لاحياء شريعة سيد الانام وان وقعت هذه المحاربة نعسى الله ان يرزقنا فيها اللقاء بالملاء الاعلى ويجعلنا من اهل الجهاد والسلام من الفقير الغازي محمد بن محمد شمويل

﴿ ذكر توجه الامير الى حمص وحماه ﴾

لم يزل الامير منذ قدم الى دمشق متعطشاً الى زيارة السيدين الجليلين سيف الله خالد بن الوليد وخامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما وكثيراً ما كان اهل حمص وحماه يدعونه الى ذلك وهو يعدهم ويصف لهم ما هو عليه من التشوق الى زيارة تلك المشاهد المباركة والتبرك بها الى ان تهيأت الاسباب ولما بلغ اهل حمص

خبره استقبله خارجها الخواص والعوام واحتفلوا لقدومه ولاول وصوله فاتحه العالم الفاضل السيد خالد افندي الاناسي بقصيدة امتدحه بها وهي قوله

حمد ربي بدت بافق الهناء شمس انس جلت دياجي العناء
وغدا الروض ذا افترار يفـ ـتر اذا ما بكت عيون السماء
فكان القرنفل الاحمر الغض اذا فتقته ايدي النداء
جنت من ياقوتة فوق غصن ينثني من زبرجد مصفاء
ليت شعري وليتني كنت ادري ما بذا الروض قد بدا للرائي
اعيون ام نرجس ووجوه ام بدور ام نجوم الجوزاء
وغصون تمايلت ام قدود ووجينات ام شقائق الرماء
لا تلمني اذا خلعت عذاري يا عذولي فذاك عين اهتداء
كيف لا اخلع الاعنة جهرًا طربا بين السادة الندماء
ومدام السرور في كؤوس البشـ ـر سقيناها من اكف الظباء
لو ترى النهر يصفق من ايـ ـناسه ما عذلتني بغناء
او ترى الكون راقصًا من سرور كنت اولى بخلع ثوب الحياء
انني مذ رأيت اكناف حمص تتجلى بايكها المفياء
وثغورًا لها تبسم بشرًا وهي تيهًا تجر ذيل الهناء
وهزارًا بها يغني حبورًا في رياض لها برصد الصباء
سالها عن تجاهل لا جهـ ـل فشمس الضحى بدت عن خفاء
ناشدتها علامَ تيهك قالت حق لي حق لي ورب السماء
انت يا منشدي اناشدك الله فنادي مصرحًا بالنداء
مرحبًا مرحبًا واهلاً وسهلاً بالامام الهمام ذي العلياء
هو بحر العلوم درة عقد الـ ـمجد فخر الوجود كنز العطاء
جهبذ قد زكا زكاه وابدى من سنا هديه ضياء ذكاء
قد سما نسبة لبيت رسول الله نحى بعين سين وراء
هو مغني اللبيب في قطر لفظ يمنح الدرّ للمريد الشائي
من مراقي فلاحه نور ايضا ح بدا كالمنار في الظلماء
قد كسا منطق البديع بيانًا ليس ينحوه افقه البلغاء
فاذا عنعن الحديث يقول ار ويه عن جدي سيد الانبياء

يا له سيداً واكرم به مو | لى له طأطأت رؤوس العلاء
يا هماماً بدا لمقدمك الزا | هي هلال الصفا بنور الهناء
عش سعيداً انت المجاهد في الله | ه ولا زلت اسعد السعداء
ليس ينسى العدا منك ماذا | قوا وينسون طعم كأس الرداء
طالما اذقتهم كأس حتف | من يد البيض والقنا السمراء
يا رعى الله راحتيك فكم | ادارت لتمزيقهم رحى الهيجاء
جئت مستمطراً سحابك ارجو | ك دعاء في الغيب يا مولائي
فالسماء قبلة الدعاء ولكن | انت انديك قبلة للسماء
جل من اوجب المحبة فيكم | آل طه وخصكم بالثناء
حبكم سري في دمي نعمى احـ | شر مع من احب يوم الجزاء
ياهلالاً نراه في الارض يبدو | وحواليه انجم الاهتداء
هاك بكراً من خدر فكر تبدت | تنجلي وبرقعت بالحياء
قد تغنت بمدح علياك لكن | ترتجي العفو عن قصور الثناء
خاب فكر اللبيب ثم وحارت | في مزاياك السن البلغاء
فاقبل العذر سيدي من عبيد | ما له طاقة للمس السماء
فهي بكر لك زفت تنادي | ان مهري تجرد الاغضاء
وصلاة الصلاة تهدى دواماً | لنبي محى سطور العناء
مع اصحابه الصباح وآل | اطلعوا طالع الهدى والنقاء
ما شدا خالد الانامي جهراً | حمد ربي بدت بافق الهناء

وبعد ان زار مشهد سيدنا خالد رضي الله عنه توجه الى دير سمعان فزار ضريح سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ثم سار الى حماه فدخلها في احتفال عظيم ونزل عند مفتيها الفاضل شيخ السجادة القادرية بها السيد محمد افندي الازهري بالمنتزه المعروف بالطيارة ولما رأى الامير الناعورة الموجودة فيه انشد قائلاً

وناعورة ناشدتها عن حنينها | حنين الحوار والدموع تسيل
فقالت وابدت عذرها بقطها | وللصدق آيات عليه دليل
الست تراني القم الثدي لحظة | وادفع عنه والبلاء طويل
وحالي كحال العشق بات تخالفاً | يدور بدار الحب وهو ذليل
يطأطئ حزناً رأسه بتذلل | ويرفع اخرى والعويل عويل

وقد حصل له في حمص وحماه ونواحيهما من حميد الذكر وجميل النشر مالا تزال الرواة تدرسه والتواريخ تحرسه وبعد ان اقام في حماه اياماً في اكرام واحترام عند اهلها خصوصاً اولاد القطب الغوث الرباني سيدنا عبد القادر الجيلاني ثم توجه الى بعلبك وهي مدينة قديمة شهيرة فراى من ابنية هيكلها وآثار الاقدمين فيه ما بهر افكاره وعند وصوله اليها اتى الخبر بانتقال ساكن الجنان السلطان الغازي عبد المجيد خان وارتقاء اخيه السلطان عبد العزيز خان على سرير الخلافة فحصل له من الحزن والكدر على هذا المصاب العظيم والرزء الجسيم ما يعجز عن وصفه القلم واللسان وتذكر نعمته عليه واحسانه اليه وسر بادالته باخيه ولما اجتمع اهل البلدة واصطفت العساكر السلطانية المخيمة فيها وقتئذ للقيام بشعائر التعزية ثم التهنئة تقدم حاكم البلد واعيانها الى الامير وقدموه للدعاء فدعا بما يناسب الحالين وندب الى الصبر والرضى وعزى في امير المؤمنين خليفة الله ثم هنأ بامير الذي اعطى خلافة الله والعاقل من قبل من الله افضل العطية وصبر له على اعظم الرزية وبعد ان اقام في تلك البلدة اياماً رجع الى دمشق وفي آخر سنة ثمان وسبعين توفيت الى رحمة الله تعالى والدته جدتي السيدة الجليلة الشريفة الاثيلة الصالحة الطاهرة السيدة زهرا ابنة السيد محمد بن دوحة الحسنية عن ثمانين سنة فعظم عليه مصابها وبعد رجوعه من دفنها بمقبرة الدحداح جلس في الطريق للاستراحة فقال له بعض من كان معه ارفق بنفسك قال له كيف ذلك وانا فقدت من كان يحبني على وجه الارض وقدم الاديب سليمان افندي صوله الى حضرته مرثية وهي قوله

جاورت يالحدها في الشام يحياها ... وانت يا روحها بشراك في طه
ولا اقول اختفى في الرمس هيكلها ... لكن اقول سماء الشمس موطاها
وهل تغيب الثريا في الثرى ومتى ... اقول هذا الثرى للشمس وارها
وكيف تحتجب الاملاك في جدث ... وقد يراها على الافلاك مولاها
يا يوم ام امير المؤمنين لقد ... اجريت وابل اجفاني بجدواها
كانت دموعي من الياقوت جامدة ... اذبتها من جوى قلبي فاجراها
ما كنت احسب ان الشام تفقدها ... ولا افوه به حتى فقدناها
وكنت اعجب من سير الجبال اذا ... تسير يوماً فمذ سارت رأيناها
ياويل نفس عليها لا تذوب اسى ... ومقلة لا يذيب الدمع جفناها
ان النفوس التي تنهى اسى وجوى ... في طاعة الله تسمو ان مدحناها

وحق ما قدمت لله من عمل ... لو جاورته الليالي السود ازهاها
لو شاهدت حالنا من بعدها لبكت ... عنا وقالت كفى فليبك من تاها
من كان يعلم ان الموت غايته ... كيف استراح لها يوماً وآخاها
تباً لغرّارة تباً لزائلة ... تباً لدار تساقينا رزاياها
تذيقنا المشرب المسموم نحسبه ... شهداً وما هو الا سم افعاها
ومن يحقق بان الموت موعده ... يجفو الدنية لا يهفو لمغناها
كما جفت بضعة المختار ما كرهت ... اباؤها واحبت عفو مولاها
وكيف تدهشها الدنيا بزينتها ... وجدها ترك الدنيا والقاها
ان التي انتقلت كالشمس واخترقت ... كواكب الزهر واختارت لها الله
تلك التي تمنح الاقمار طلعتها ... وتودع الطيب طيباً ما ذكرناها
اضحى التراب بديلا عن غلائلها ... وجامدات الحصا اسنى خباياها
واعتاضت الطيب عن طيب الحياة وما ... طيب الحياة باذكى من سجاياها
يا بضعة المصطفى الدنيا وما وسعت ... تاهت بليل حداد عم اجزاها
على ضريحك ما ناحت مطوّقة ... تبكي السماء باسخاها واتقاها
ولا تعدى السحاب الجون معشبة ... من رحمة الله تحواك طواياها
وانت يا كوكب الدنيا وبهجتها ... وخير من شق للرحمن افواها
صبراً كما صبر الابرار لا برحت ... علاك تخترق الدنيا تيهاها
تالله ان عيون المجد قد رمدت ... ولوثت بدم الاكباد انقاها
على مصاب كصاب صابنا فكوى ... منا القلوب فاشواها واقلاها
ما حيلة المرء والايام غادرة ... هذى عوائدها ساءت سجاياها
هذا الفراق فراق الدهر اجمعه ... فراق من بعد طول العمر تلقاها
فراق والدة سمحاء طاهرة ... غراء لا ينكر المحراب تقواها
تسعى ملائكة الباري برحمتها ... سعي العفاة التي تبغى عطاياها
فاءت بنشاتها الاولى مكرمة ... والله يكرم فرعاً اصله طه
وخلفت خلفاً احيى مآثرها ... ولو يشاء باذن الله احياها
ليعمل العاملون العز ما عملت ... من صالحات لعل الله يرضاها
كفاك مولاي في الاسلام تعزية ... ان المنية كاس الحق نقاها
ابوك آدم والهادي ترشفها ... وسوف ترشف الدنيا بقاياها

فثق بربك عادات عرفت بها ... واذرع تنال من الخيرات اوفاها
كفاك ياخلف الاعلام واحدها ... شر الاثام واعمى عنك اعناها
ولا ازال الردى من عمرنا اجلاً ... حتى نراك على الاعداء تياها
ولا برحت طويل العمر وافره ... تثاب خير ثواب يا فتى طه

﴿ذكر توجه الامير الى الحجاز﴾

كان اهم شيء عند الامير بعد خروجه من فرنسا حج بيت الله الحرام وزيارة نبيه الكريم عليه افضل الصلاة واتم السلام والتبرك بتلك المعاهد الشريفة والمشاهد المباركة المنيفة وما كان يمنعه من المبادرة الى ذلك الا ما كان من امر والدته المسنة فانه كان يخدمها بنفسه ويغتنم مشاهدتها ومجالستها والقيام بشؤنها اناء الليل واطراف النهار ولم يزل على ذلك الى ان توفيت رحمها الله راضية عنه داعية له ثم انه تفرغ الى ما كان مهتماً به وبعد استكمال اهبة السفر خرج من دمشق واصحب معه السيد سليم حمزة والشيخ عبد الغني الميداني وقره محمد وعبد القادر بن رابح قاصداً الحجاز في اول رجب سنة تسع وسبعين وركب البحر من بيروت الى الاسكندرية فاستقبلته اعيان الحكومة وقناصل الدول بغاية الاعظام والاكرام ومنها توجه الى مصر لزيارة المشهد الحسيني وضريح الامام الشافعي رضي الله عنهما وغيرهما من مشاهد اهل البيت والاولياء والعلماء المشاهير فاستقبله اعيان الحكومة والعلماء وقناصل الدول وانزله خديويها سعيد باشا عنده واجزل ضيافته واكرامه واحتفل طوسون باشا ابن سعيد باشا بمأدبة عظيمة اتخذها لوالده ودعاه اليها فكتب سعيد باشا الى الامير يخبره بذلك ويدعوه الى الحضور معه عند ولده

ونص ما كتبه : الى حضرة الامير والسيد الافضل المبجل ذي المفاخر والمآثر السيد عبد القادر بسم الله خير الاسماء وحمداً على نعمه لا نحصي ثناء كما اثنى هو على ذاته الاسمى الذي الف قلوب المؤمنين وداً ورحماً وصلاة وسلاماً على نبيه الذي لم يعبع في تبليغ ما امر به لومة لائم وسن لامته اخلاص المودة فيما بينهم بصنع الولائم وعلى آله واصحابه المتادبين بآدابه وبعد فان ولدنا طوسون باشا حلاه الله بحلية الادب والاخلاق الكريمة احب استجلاب حسن الرضا منا فصنع لنا وليمة شكراً لله على ما بلغه من العمر العام العاشر وتشكراً لنا على توسيع ثروته بالايراد الوافر وحيث ان حضرتكم لكم من مودتنا اوفى نصيب وحضوركم يحصل منه ما يحصل

من لقاء المحب للحبيب فان تفضلتم بالاجابة فانعم المشرف والمجيب ويكون تشريفكم غداً يوم الجمعة التاسع عشر من رجب فصفو الود هو الذي حمل على تحرير هذه النميقة واوجب حرر في ثامن عشر رجب سنة تسع وسبعين ومائتين والف

ثم لم ينشب سعيد باشا ان توفى وتولى مكانه اسماعيل باشا وقد دعي الامير كثير من الاعيان والوجوه واحتفلوا لضيافته ودعاه رئيس شركة ترعة السويس مسيو فرديناند دولسبس وجماعته وامعنوا في اكرامه واحترامه وبعد ان اقام اياماً في تلك النواحي في اعزاز واجلال توجه الى القنال وركب منه الى الاسماعيلية ثم ركب الدواب الى مرسى السويس وتوجه الى جدة في الوابور وعند وصوله الى جدة بعث اليه شريف مكة واميرها السيد عبد الله باشا يخبره بانه مستعد لاستقباله في الاحتفال والابهة خارج مكة المشرفة فاجابه الامير انه لا يقبل ذلك وانما يريد ان يدخلها دخول عبد منكسر الى بيت مولاه فدخلها وعلامة القبول لائحة واشارات الدنو والزلفى واضحة وتلقاه الشريف عبد الله باشا بعد ان اتم عمرته وانزله بالمدرسة المجاورة للمسجد الحرام المعظم من الناحية الجنوبية القريبة من التكية المصرية وفي اليوم الثاني جاءه الاشراف والعلماء الاعلام والافاضل والاعيان للسلام عليه ولاول وصوله كتب اليَّ يخبرني بما اتفق له في رحلته كلها من الشام الى مكة المكرمة وكتب الى سائر الاحباب ومن جملتهم صاحب السيادة السيد محمود افندي حمزة مفتي دمشق فاجابه بما نصه

. الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبيَّ بعده من الفقير صاحب التقصير محمود الى مولاي وقدوتي العارف السيد عبد القادر اعلا الله في مقام المعرفة درجاته وامدَّني دنيا واخرى بامداداته واعاد عليَّ وعلى المسلمين من صالح دعواته آمين اما بعد حمد الله تعالى بمحامد تليق من عظمته لكماله والتضرّع له سبحانه وتعالى ان لا يحرمني بواسطتكم مشاهدة جماله فانني تشرفت بورود كتابكم وتمتعت بلذيذ خطابكم حيث وافى وكنت اشتكي الم الفراق الصوري متوجعاً من وحشتي وتصوري فسري به نوع مما بي وخفف بعض اوصابي وكان وصوله لديّ قبل وروده الى الشام بخمسة ايام وذلك انني رايت نفسي في عالم المنام كأنني اعطيت كتاباً ورد من حضرتكم بخط مغربي وانا اقراه وافهم معناه من منطوقه وفحواه فانتبهت وعند الصباح اخبرت نجل مولانا السيد محمد بذلك فقال نعم قد تعبرت الرؤيا بورود كتاب لنا البارحة بعد العشاء من اتباع مولانا يخبرون به عن وصوله وتم ما هنالك ثم بعد

مرور خمسة ايام حضر السيد محمد وافاد ان تعبير الرؤيا الان صح وهذا هو المكتوب فلما فككته وتشرفت بتلاوته ومبانيه ووقفت فكري في الفاظه ومعانيه قلت الآن صحت الرؤيا وحصلت الامنية العليا وتأملت من عباراته وفهمت على قدر طاقتي ما تيسر من اشاراته وحمدت الباري سبحانه وتعالى أن كنت في خاطركم ملحوظاً بعين توجهاتكم اذ ذلك بفضل الله ذخري وارجوه سبحانه التوفيق للعمل بمقتضاه وسلوكاً على نهج قضاه ورضاه

بيذل نفوس في الهدى شاد سادتي | وضيعت بالتقصير نيل مرامي
لقد وهبوا منهم نفوساً زكية | فنالوا مقام القرب اي مقام
واقعدني امساك نفسي حقيرة | وساعده امر عظيم مرام
فمن لي بنفس يا خليلي كريمة | فابذلها نقداً لوصل كرام

فآه ثم آه لو حصل التنشط من رباط ولكن الوانق احكم والامر اعظم والقلم جف والوسائط ترغب والقاهر اغلب والعذر مردود تأباه العهود والسبب موجود والعجب انه مفقود اذا ساقني اشاقني او ادناني ناداني واذا قصدت نقد وجدت كل ذلك حق واعتقد انه صدق . مفاوز حارت في تيهها عقول الفحول ودانت لها مذعنة بالعجز عن ادراكها اعناق المعقول والمنقول فارجو من احسانكم ملاحظتي دائماً والدعاء لي بالهداية وحصول العناية والوصول الى الغاية فهو تعالى جواد كريم ذو الفضل العميم ادام الله تعالى نفعكم للعموم والخصوص من المسلمين وكان لامير لما وصل الى جدة كتب الى رئيس شركة السويس ونائبه وغيرهما يخبرهم بوصوله اليه فكتب اليه نائب الرئيس وهو المباشر الاعمال في القنال ما نصه : الى حضرة فخر الاماجد الكرام وقدوة ذوي الفضل الفخام الامير السيد عبد القادر بن محيي الدين حفظه الله تعالى مدى الدوام غب بث اشواق وفية لمشاهدة طلعتكم البهية اعرض انني بينما كنت مترقباً لاستماع اخباركم السارة اذ في ابرك وقت ورد علي طرسكم الكريم حاوياً بشائر سلامة اقنومكم الفخيم ووصولكم الى جدة فحمدت الله على ذلك وشكرت افضال سيادتكم على ما ابديتموه لنحوي من اللطف العظيم بتحريركم الي ذلك الرقيم ولا يخفى انني دائماً اترنم بحسن اخلاقكم وكمال اوصافكم بحيث انكم لم تبرحوا من بالي ولم يفتر لساني عن ذكركم والان واصلكم طي هذا الكتاب مكتوب من جناب مسيو دولسيبس ومن اطلاعكم عليه يتضح لديكم ان حضرته مقدم لسيادتكم الارض المدعوة ببير بو بلح وفيها قصر للسكنى وجنينة ومزارع

متسعة وهذه الارض هي المكان الذي تلاقى فيه نبيُّ الله يعقوب مع ابنه نبيِّ الله يوسف عليهما السلام وهو مبارك لما فيه من التذكرة الفضيلة ومسيو دوليسبس لحسن اعتقاده في سيادتكم يحكم بان بحضوركم تحضر البركات والخيرات العميمة فلذاك اراد ان يهديكم الارض المذكورة لتكون مسكناً مباركاً لكم ولذريتكم و يكون هو قريباً منكم وسيادتكم ما رأيتم الارض المشار اليها لما مررتم في البرزخ فهي كائنة في الترعة الحلوة من النيل المبارك بالقرب من الموضع المعروف بالتمساح فاذا حسن موقعها عندكم فانتماء اسيادتكم بها والبشرى لنا بجوارتم ثم واصلكم صورة ذاتكم وجرنال فرنساوي مصور به ايضاً مروركم في البرزخ وسعادة والي مصر الجديد قد اظهر الميل الكلي الى نحو ترعة السويس اكثر من سلفه سعيد باشا ونخبركم ان الامبراطور نابليون لما بلغه انكم مررتم في البرزخ سر بذلك كثيراً والله تعالى يحفظكم حرر في شوال سنة تسع وسبعين ومائتين والف

﴿ ذكر السؤال الذي وجهه الامير لعلماء مصر ﴾

ثم ارسل الى علماء مصر ما نصه : الحمد لله المالكية قالوا ثبت بالتواتر ان ستة اذرع او نحوها من الحجر من البيت والشافعية قالوا ثبت ظناً لا تواتراً ووجود التواتر عند احدى الطائفتين دون الاخرى مستبعد في مثل هذا وايضاً نقل القسطلاني عن ابن رشيد ان الشاذروان لم يرد له ذكر في خبر صحيح ولا سقيم ولا يذكره احد من قدماء المالكية واول من ذكره منهم ابن شاش وتبعه ابن الحاجب قال وهو مأخوذ من الشافعية بلا شك فهل هذا مسلم من ابن رشيد ام لا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(فاجاب عنه العالم العلامة الشيخ حسن العدوي بقوله) بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل بيته الحرام مثابة للناس وامناً . نحن اليه منهم في عالم الاشباح من لبَّ في عالم الارواح فضلاً ومناً . والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك صفوة مخلوقاتك حساً ومعنى . وعلى آله واصحابه الذين احرزوا قصبات السبق في مضمار تلبية الاجابة فصاروا نجوم الهدى كنفاً وضمناً . وعلى انصاره الذين بذلت اطفالهم مهجهم في محبته واظهار دينه القويم علماً لا ظناً . فانتدبوا بالسيوف ابا جهل وهو في صف الكفر حتى نظموه في سلك الرميم وما ضنت كبارهم بذلك ضناً . ولا سيما من اقتفى اثرهم في ذلك الجهاد الاصغر مع الاكبر فرنَّ مجد عزه في

الخافقين ربنا. وبعد فيقول اسير الشهوات. وكثير الهفوات. حسن العدوي الحمزاوي انه لما كان من اعظم المنن الربانية والمواهب الرحمانية الوقوف على اصول السنة المحمدية. انبعث خاطر ذي الهمة السامية العلية. والنفس الحيدرية الزكية. سيد علماء زمانه. وبدر بدور اقرانه. انسان عين العرفان. ورافع لواء معالم الشريعة في السر والاعلان. الاستاذ المعظم. وامير الامراء المفخم. السيد عبد القادر ابن السيد محي الدين المغربي الواسطي الراشدي منشاء المجاهد في سبيل الله لاعلاء كلمة الله طالبًا منا الجواب عن مسئلتين شرعيتين على سوءال ورد منه الينا مرسل من مكة المشرفة بخطابه الشريف. وخطه المنيف. فتشرفت وسررت حين اطلاعي عليه ووفق الرحمن لسرعة تحرير المقصود له ليكون عدة بين يديه وقبل تبييض الجواب على السؤال تصادف الاجتماع مع بعض الافاضل الاعلام. وكان عنده اشعار بحضور السوءال فبادرني هل حررت المقصود من الجواب فقلت نعم غير انه للان ما رسم وكان ذلك بحضرة ذى المجد الاثيل. والقدر الجليل. جرثوم الحسب والنسب الاصيل. بدر بدور العصابة الصديقية. وشمس نقباء السلالة الهاشمية. فخر الاشراف السيد علي افندي البكري فحمله حسن ظنه فينا حين وقف على حقيقة السؤال الوارد من حضرة السيد المشار اليه آنفًا على ان اجعل لذلك الجواب رسالة مستقلة كما هو الاليق مع ذاك الجناب الفخيم ورجاء ان يكون بها النفع للمسلمين فانشرح لذلك صدري وقلت سمعًا وطاعة ولا سيما اجابة اسيدين فلعل وعسى ببركتهما تكون وصلة عند سيد الكونين ورتبتها على ثلاثة ابواب وخاتمة جاعلاً لكل مذهب من الثلاث مالك والشافعي وابى حنيفة النعمان فصلاً يخصه في كل باب من البابين الاولين. وسميتها كنز المطالب في فضل البيت وفي الحجر والشاذروان وما في زيارة القبر الشريف من المآرب. الباب الاول فيما يتعلق بالحجر الحرام وبيان حده وهل هو من البيت او خارجه وهل كونه من البيت ثبت تواترا او ظنا. الباب الثاني فيما يتعلق بالشاذروان هل هو من البيت او خارجه وهل ورد في السنة ما يدل عليه وهل ما نقله الامام القسطلاني في شرحه على البخاري عن ابن رشيد تصغير رشد من المالكية ان الشاذروان لم يرد له ذكر في خبر صحيح ولا سقيم ولم يذكره احد من قدماء المالكية غير ابن شاش وتبعه ابن الحاجب قال وهو ماخوذ من الشافعية مسلم عن ابن رشد موافقةً لمذهب مالك او المذهب على خلافه وهذا مضمون السؤال الوارد الينا من الاستاذ ولفظه الشريف بخطه المنيف الحمد لله الى آخر

السؤل المتقدم بحروفه ثم قال ثم استطردت بابًا ثالثًا في بيان اول من بنى البيت وكم مرة بني وذكر بعض الآثار الدالة على فضله وما يتعلق باركان الحج وواجباته وسننه في المذاهب الثلاث المتقدم ذكرها تتميماً للفائدة وخاتمة تتعلق بفضل الحرم المدني وزيارة سيد العالمين وصاحبيه المطلوبة على وجه الكمال والادب واسال الله العظيم متوسلاً اليه بوجاهة وجه نبيه الكريم ان يتفضل عليها بالقبول وان تكون لجواب السؤال هي المامول ولنشرع الآن فيما قصدنا على الترتيب السابق فاقول وبالله التوفيق لاقوم طريق

الفصل الاول من الباب الاول

في تحقيق جواب ماذكر على مذهب مالك اعلم ان الذي عليه التحقيق والمعول في مذهبه ان الحجر كله من البيت وان تحديده من الامام خليل بستة اذرع يقتضي صحة الطواف عند غايتها ولو كان خارجه ومعتمد المذهب خلافه ونص العلامة الامير في مجموعه وخروج جميعه اي الطائف عن الحجر واقتصار الاصل على ستة اذرع ضعيف اه ونص الشيخ عبد الباقي على قول العلامة خليل وخروج كل البدن عن الشاذروان وستة اذرع من البيت تبع المصنف في التحديد بالستة اذرع الامام اللخمي ولكن الظاهر من قول مالك في المدونة ولا يعتد بما طافه داخل الحجر انه لا بد له من الخروج عن جميع الحجر لان ذلك شامل للستة اذرع وما زاد عليها قال وهو الذي يظهر من كلام اصحابنا ولطوافه عليه الصلاة والسلام من ورائه وقال خذوا عني مناسككم اه قال المحقق البناني في حاشيته عليه فعلم ان ما درج عليه الامام خليل في مختصره تبعًا للامام اللخمي طريقة مرجوحة والراجح وجوب الطواف من وراء الحجر اه وقال صاحب الطراز سئل مالك عن مر الطائف في الحجر فقال ليس ذلك بطواف فان الطواف انما شرع بجميع البيت اجماعًا فاذا سلك في طوافه الحجر او على جداره او على شاذروان البيت لم يعتد بذلك وهو قول الجمهور لانه لم يطف بجميع الكعبة قال وقد صين ذلك بالحواجز لاستكمال الطواف اه ولعل اشارة الاستاذ السيد عبد القادر الى زيادة او نحوها بعد تحديد الامام خليل بالستة اذرع جري منه على المعتمد فلله دره ما اكمله في دقة فهمه مع ادبه في شان الائمة اقول ولكونه من البيت قيس عليه في صحة النفل فيه دون الفرض قال الامام خليل وصح فيها وفي الحجر اي النفل لاي جهة ومعتمد المذهب رجوع التعميم

للبيت لا للحجر فلذا قال الامام عبد الباقي ناقلا عن الحطاب قال الذي ادين الله به واعتقده انه لا يجوز لاحد ان يستدبر القبلة اي الكعبة و يستقبل الشام ويجعله عن يمينه او عن يساره وطريقة الامام اللخمي الصحة لمن استقبل من الحجر القدر الذي تواتر انه من البيت وهو الستة اذرع واحتج بذلك بعض الشراح ردّا على الحطاب القائل بعدم الصحة وقال بصحة من صلى النفل داخل الحجر ولو استدبر القبلة او شرق او غرب قال وهو مردود لما نقله ابن عرفة عن اللخمي ان صريح كلامه انه صلى خارج الحجر مستقبلاً له وكلام الحطاب في الصلاة داخله على ان ما قاله الامام اللخمي ضعيف ولا يجوز ولا يصح النفل مستقبلاً للحجر مستدبرًا للبيت فاولى من صلى فيه قال ولا يحسن الرد على الحطاب بكلام اللخمي لما علمت من اختلاف الموضوع بين المقيس والمقيس عليه على ان ما قاله اللخمي ضعيف والقول بعدم الصحة هو المعتمد اه وقال الامام البناني على قول خليل وفي الحجر لاي جهة قال الامام الرماصي متعقبًا لكلام الحطاب قد يقال لا وجه لعدم ظهور الصحة لنص المالكية كابن عرفة وغيره على ان حكم الصلاة فيه كالبيت وقد نصوا على الجواز في البيت ولو لبابه مفتوحا وهو في هذه الحالة غير مستقبل شيئًا وكذا يقال في الحجر على ما يقتضيه التشبيه اه قلت وفيه نظر لان ما نقله الحطاب صريح في ترجيح منع الصلاة الى الحجر خارجه كما دل عليه كلام عياض والقرافي وصرح ابن جماعة بانه مذهب المالكية خلافًا للخمي وح فمنع الصلاة فيه اولى من الصلاة خارجه والله اعلم اه وقال العلامة الدسوقي في حاشيته على عبد الباقي صرح الحطاب بعدم صلاة من صلى في الحجر لغير الكعبة مستدبرًا لها فقال له الشيخ سالم السنهوري كيف هذا مع ان اللخمي صرح بان من كان خارجًا عن الحجر يجوز له ان يستقبل في صلاته ستة اذرع من الحجر المقطوع بكونها من ظاهره ولو كان مستدبرًا للكعبة وح فيقاس عليه من كان في الحجر فيجوز له استدبار القبلة والصلاة فيه الى ان قال لكن يقال ان كلام اللخمي ضعيف فما قيس عليه كذلك وح فالحق ما قاله الحطاب اه الى هنا انتهى تحرير المقام في كون الحجر من البيت واما قول الاستاذ السيد في اوّل سؤاله المالكية قالوا ثبت بالتواتر ان ستة اذرع او نحوها من الحجر من البيت والشافعية يثبتون ذلك ظنا مستبعدًا لوجود التواتر عند احدى الطائفتين دون الاخرى لان التواتر يفيد القطع فلا يكون ظنيًا فهو مبني على طريقة مرجوحة في المذهب الامام اللخمي

والراجح انه ظني لكونه لم يرو الا عن السيدة عائشة ولم يثبت في الصحيحين ولا في باقي السنن المشهورة نقله عن غيرها فهو حديث آحاد ونص الامام المحقق البناني على قول الشيخ عبد الباقي حكاية عن اللخمي استقبل من الحجر القدر الذي تواتر انه من البيت الخ قوله تواتر انه من البيت فيه نظر بل كلام ابن رشد الذي في الحطاب صريح في عدم تواتره ولذا قال الشيوخ لا نعلم احدا رواه من البيت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير السيدة عائشة رضي الله عنها مع البحث عنه اه وقال العلامة الدسوقي علي عبد الباقي قد يقال ان قول اللخمي سابقًا من استقبل القدر الذي تواتر الخ يقتضي القطع لكونه قبلة لان التواتر يفيد القطع وبعد ذلك فالحق ان كون الستة اذرع من البيت انما ثبت بالآحاد لا بالتواتر اه فتخصيص السيدة عائشة في الموطا والصحيحين و باقي السنن المشهورة برهان قاطع على عدم التواتر ونص الموطاء عن مالك عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة ام المؤمنين ما ابالي اصليت في الحجر ام في البيت وحديث البخاري ومسلم عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الجدر بالفتح لغة في الجدار اي الحجر من البيت هو قال نعم قال الحافظ العسقلاني ظاهره ان الحجر كله من البيت قال و به كان يفتي ابن عباس كما رواه عبد الرزاق ورواية الترمذي والنسائي وابي داوود وابن عوان بطرق كلهم عن عائشة قالت كنت احب ان اصلي في البيت فاخذ صلى الله عليه وسلم بيدي وادخلني الحجر وقال صلي فيه فانما هو قطعة من البيت ولكن قومك اقتصروه حين بنوا البيت فاخرجوه من البيت الى ان قال الحافظ والاحاديث المطلقة متواترة على سبب واحد وهو ان قريشًا قصروا عن بناء ابراهيم وان ابن الزبير اعاده على بناء ابراهيم وان الحجاج اعاده على بناء قريش قال ولم تأت رواية قط صريحة ان جميع الحجر من بناء ابراهيم في البيت اه وفي الامام الزرقاني على الموطاء اتفق العلماء على وجوب الطواف من وراء الحجر كما حكاه ابن عبد البر ونقل غيره انه لا يعرف في الاحاديث المرفوعة ولا عن احد من الصحابة فمن بعدهم انه طاف من داخل الحجر وكان عملاً مستمرًا قال العلامة المذكور وهذا لا يقتضي ان جميع الحجر من البيت فلعله احتياطًا والعمل لا يقطع بالوجوب لاحتمال الندب اه اذا علمت ما تحرر و بالنصوص تقرر لك ان ثبوت كونه من البيت ظني لا تواترًا وح فما بناه الاستاذ في اول سؤاله من كونه ثبت عند المالكية تواترًا جري على طريقة مرجوحة للامام اللخمي وح فلا خلاف بين مالك والشافعي فلا تناقض ولا استبعاد حينئذ والله تعالى اعلم

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في تحقيق ما ذكر على مذهب سيدنا وولي نعمتنا الامام الشافعي)

فنصوص المذهب قاطعة بان الحجر جميعه من البيت وكذلك الشاذروان وعبارة المنهاج للامام النووي ولو مشى على الشاذروان او مس الجدار في موازاته او دخل من احدى فتحتي الحجر وخرج من الاخرى لم تصح طوفته قال المحقق ابن حجر في تحفته عليه وهو اي الشاذروان بعض جدار البيت نقصه ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما من عرض الاساس لما وصل ارض المطاف لمصلحة البناء ثم سنم بالرخام لان اكثر العامة كان يطوف عليه ومن ثم صنف المحب الطبري في وجوب ذلك التسنيم صونا لطواف العامة وهو من الجهة الغربية واليمانية وكذا من جهة الباب قال كما حررته في الحاشية قال واستثناء ماعدا الركن اليماني منه لانه على القواعد يرد بان كونه كذلك لا يمنع النقص من عرضه عند ارتفاع البناء وهذا هو المراد بالشاذروان في الجميع فهو عام في كلها حتى عند الحجر الاسود وعند اليماني وقوله او مس الجدار في موازاته اي الشاذروان اي مسامتته له او دخل شيء من بدنه قال وكذا مايوهمه على حد التأويلين والراجح عدم الضرر وقوله او دخل من احدى فتحتي الحجر بكسر اوله ما بين الركنين الشاميين على جدار البيت اصين بينه وبين كل من الركنين فتحة كان زريبة لغنم اسمعيل وروى انه دفن فيه ويسمى حطيما لكن الاشهر ان الحطيم ما بين الحجر الاسود ومقام ابراهيم وقوله وخرج من الاخرى اي فلو وضع انمله على طرف جدار الحجر القصير كما يفعله كثير من العامة لم تصح طوفته اي بعضها الذي قارنه ذلك المس او الدخول لانه ح طائف في البيت لا به المذكور في الآية اما في الاولى فلان هواء الشاذروان من البيت كما علم من التعريف واما في الحجر فهو وان لم يكن فيه من البيت الا ستة اذرع او سبعة لكن الغالب على الحج التعبد وهو صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون ومن بعدهم لم يطوفوا الا خارجه فوجب اتباعهم فيه اه بلفظه قلت ويحرر الجمع بين قوله نقصه ابن الزبير مع ما سبق لك عن الحافظ العسقلاني في الفتح ان الاحاديث متواترة على سبب واحد وهو ان قريشا قصروا عن بناء ابراهيم وان ابن الزبير اعاده على بناء ابراهيم وان الحجاج اعاده على بناء قريش اه فصريح الاحاديث على ان النقص منها وقع في بناء قريش لا بناء ابن الزبير ولعل الجمع بان الذي نقصته

قريش فقط هو الحجر ويشهد له حديث البخاري ومسلم المتقدم عن السيدة عائشة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الجدر بالفتح لغة في الجدار كما تقدم اي الحجر كما صرح به شراح البخاري والامام الزرقاني على الموطاء حيث فسروه بذلك فقط فيحمل اعادة ابن الزبير له على قواعد ابراهيم على الحجر خاصة واما الشاذروان فابقاه على ما كان عليه من قريش فيكون معنى نقصه ابن الزبير اي ابقاه على نقصه غاية الأمر انه سنمه بالرخام خوفاً من طواف العامة عليه وهذا صريح قول ابن حجر في تحفته وفي حاشيته عليها في قوله السابق نقصه بن الزبير رضي الله تعالى عنهما من عرض الاساس لما وصل ارض المطاف لمصلحة البناء ثم سنم بالرخام الى آخر ما تقدم له ونصه في حاشيته ان قريشاً لما ثبت البيت على هيئته التي هو عليها اليوم نقصوا عرض الجدار لما ارتفع على وجه الارض لانهم لم يجدوا من الاموال الطيبة ما يفي بالنفقة وتركوا من جانب هذين الركنين بعضاً واخرجوهما عن قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وجعلوا على ذلك البعض وما زاد عليه جداراً قصيراً وهو المسمى بالحجر فهما ليسا موضوعين على قواعد الاركان التي وضعتها كما في اليمانيين وان كانا موضوعين على اساس البيت بوقوع البناء الذي حصل التركيب به على الاساس الذي اسسه اذ الركن عبارة عن ملتقى طرفي جدارين وكل منهما موضوع على اس سيدنا ابراهيم كما هو جلي وانما لم يراعوا ذلك لان الاستلام بالاركان المخصوصة لا لنفس البيت ولما وضع من الاركان على اساسه ومن ثم لما بناه ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما من جهة الحجر على القواعد استلمت الاركان فنقص الجدار عن عرضه لا سيما بعد ارتفاعه ولا يخرج كون اليمانيين موضوعين على قواعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم اه وعبارة شيخ الاسلام في منهجه وشرحه عليه وثالثها جعل البيت عن يساره ماراً تلقاء وجهه فيجب كونه خارجاً بكل بدنه عنه حتى شاذروانه وحجره الاتباع مع خبر مسلم خذوا عني مناسككم قال فان خالف شيئاً من ذلك كان استقبل البيت او استدبره او جعله عن يمينه او عن يساره ورجع القهقرى نحو الركن اليماني لم يصح طوافه والحجر بكسر الحاء ويسمى حطيماً المحوط بين الركنين الشاميين بجدار قصير بينه وبين كل من الركنين فتحة قال المحشي البجيرمي قوله بكل بدنه فلو مس البيت بيده مثلاً او ادخل جزأ منه في هواء الشاذروان او هواء غيره من اجزاء البيت لم يصح بعض طوفته وليس الثوب كالبدن على المعتمد خلافاً للشوبري وقوله شاذروانه بفتح الذال المعجمة وهو الخارج عن عرض جدار البيت مرتفعاً عن وجه الارض قدر ثلثي ذراع تركته قريش عند بنائهم له لضيق النفقة اي لقلة الدراهم

الحلال التي يصرفونها في البناء والله اعلم اه فصريح هذا من شيخ الاسلام قاطع بان نقص الشاذروان كان حاصلاً في بناء قريش كما نقصت الحجر غير ان الذي اعاده ابن الزبير هو الحجر فقط ويقوي هذا الجمع قول الامام الزرقاني على الموطأ فلما قتل ابن الزبير شاور الحجاج عبد الملك بن مروان في نقض بناء ابن الزبير فكتب اليه اما ما زاد في طولها فاقره واما ما زاده في الحجر فرده الى بنائه وسد الباب الذي فتحه ففعل كما في مسلم عن عطاء اسال الله الكريم ان يتفضل علينا بالعطايا الربانية بجاه خير البرية صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وازواجه وذريته وآل بيته وسلم وشرف وعظم كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

﴿ الفصل الثالث ﴾

في مذهب الامام الاعظم ابي حنيفه النعمان رحمه الله

فالحجر عنده باتفاق المذهب من البيت ويجب ان يكون الطواف وراءه وح فقد توافق فيه المذاهب الثلاث وانما الخلاف في نهايته هل ستة اذرع او سبع او ست وشبر ومع ذلك يجب ان يكون الطواف من ورائه باتفاق الجميع لحديث مسلم خذوا عني مناسككم ولم يطف صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون الامن خلفه وعبارة الدرّ قالوا ويمر بجميع بدنه على جميع الحجر جاعلا قبل شروعه ردائه تحت ابطه ملقياًطرفه على كتفه الايسر استحسانا وراء الحطيم وجوباً لان منه ستة اذرع من البيت فلو طاف من الفرجة لم يجز كاستقباله احتياطاً وبه قبر اسمعيل وهاجر وعبارة المحقق ابن عابدين عليه قوله قالوا الخ . قال في البحر ولما كان الابتداء من الحجر واجباً كان الابتداء في الطواف من الجهة التي فيها الركن اليماني قريباً من الحجر الاسود متعيناً ليكون ماراً بجميع بدنه على الحجر الاسود وكثيراً من العوام شاهدناهم يبتدؤن الطواف وبعض الحجر خارج عن طوافهم فاحذروه اه . فان قلت هذه الكيفية عن اللباب وانها مستحبة لا متعينا وبه صرح في فتح القدير ايضاً وفي الشرنبلالي بعد ما مرّ عن البحر هذا اذا لم يكن في قيامه مسامتاً للحجر بان وقف جهة الملتزم ومال ببعض جسده ليقبل الحجر اما من قام مسامتاً بجسده الحجر فقد دخل في ذلك شيء من الركن اليماني لان الحجر ركن وركنه لا يبلغ عرض جسد المسامت له وبه لا يحصل الابتداء من الحجر اه . قلت لكن لا يحصل به المرور بجميع البدن على الحجر لكن قد علمت انه غير لازم عندنا ولعل الشارح اشار الى ضعفه

بلفظ قالوا وقوله وراء الحطيم قال المحشي العلامة المذكور ويسمى حظيرة اسماعيل وهو البقعة التي تحت الميزاب عليها حاجز كنصف دائرة بينها و بين البيت فرجة سمي بالحطيم لانه حطم من البيت اي كسر و بالحجر لانه حجر منه وقوله لان منه ستة اذرع من البيت لفظة من خبران مقدماً وستة اسمها مؤخراً ومن البيت صفة ستة والتقدير بان ستة كائنة من البيت ثابتة منه او من حال من ستة مقدم عليه ومن البيت خبره وهو جائز كقوله لمية موحشاً طلل قلت والثاني اظهر فافهم قال في الفتح وليس الحجر كله من البيت بل ستة اذرع منه فقط لحديث عائشة رضي الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستة اذرع من الحجر من البيت وما زاد ليس من البيت رواه مسلم قوله لم يجز بفتح اوله وضم ثانيه من الجواز بمعنى الحل لا الصحة او بضم اوله وسكون ثانيه من الاجزاء اي على وجه الكمال قال القاري في شرح النقاية ولو طاف من الفرجة لا يجزؤه في تحقيق كماله ولا بد من اعادة الطواف كله لتحققه وان اعاد من الحطيم وحده اجزأه بان يأخذ عن يمينه خارج الحجر حتى ينتهي الى آخره ثم يدخل الحجر من الفرجة ويخرج من الجانب الآخر او لا يدخل الحجر وهو افضل بان يرجع و يبتدأ من اول الحجر هكذا يفعل سبع مرات ويقضي صفته من رمل وغيره ولو لم يعد صح طوافه ووجب عليه دم اه قوله كاستقباله اي فانه اذا استقبله المصلي لم تصح صلاته لان فريضة استقبال الكعبة ثبتت بالنص القطعي وكون الحطيم من الكعبة ثبتت بالاحاد فصار كانه من الكعبة من وجه دون وجه فكان الاحتياط في وجوب الطواف وراءه في عدم صحة استقباله والتشبيه يمكن تصحيحه على الوجهين اللذين ذكرناهما في قوله لم يجز مع قطع النظر عن المفهوم فافهم قوله و به قبر اسماعيل وهاجر عزاه في البحر الى غاية البيان وذكر بعضهم ان ابن الجوزي اورد ان قبر اسماعيل فيما بين الميزاب الى ما بين الحجر الغربي اه اذا علمت هذا تبين لك في المذاهب الثلاث انه يجب خروج جميع البدن عن جميع الحجر ولو على القول بانه ستة اذرع فقط لما علمت انه عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدون فمن بعدهم الى وقتنا هذا لم يطف احد منهم داخل الحجر فهو امرٌ تعبديٌ وقال عليه الصلاة والسلام خذوا عني مناسككم وان كونه من البيت ثبت بالآحاد عند المذاهب الثلاث لا تواترًا والله اعلم

﴿ الباب الثاني ﴾

فيما يتعلق بالشاذروان

هل هو من البيت او خارجه وهل ورد في السنة ما يدل عليه وهل ما نقله الامام القسطلاني في شرحه على البخاري عن ابن رشيد تصغير رشد من المالكية ان الشاذروان وان لم يرد له ذكر في خبر صحيح ولا سقيم ولم يذكره احد من قدماء المالكية غير ابن شاس وتبعه ابن الحاجب قال وهو مأخوذ من الشافعية مسلم عن ابن رشيد موافقاً لمذهب مالك او المذهب على خلافه وهذا مضمون السؤال الثاني الوارد الينا من الاستاذ وفيه فصول ثلاث

﴿ الفصل الاول ﴾

في تحقيق ذلك على مذهب مالك فاقول وبالله التوفيق ان جمهور المذهب على ان الشاذروان من البيت فمن طاف ببعض شيء منه من داخله بان ادخل يده في هويه بطل طوافه وهذا هو الذي عليه الاعتماد والمعول في المذهب وخلافه لا يلتفت اليه فلذا اقتصر عليه العلامة خليل في متنه وخاتمة المحققين الامير في مجموعه ولم يذكروا فيه خلافاً بل اقتصر جميع الشراح مع المتون قديما وحديثاً على وجوب خروج جميع البدن عن الشاذروان ونص العلامة خليل وخروج كل البدن عن الشاذروان ونص العلامة الخرشي عليه قال والمعنى انه يجب على الطائف بالبيت ان يجعل بدنه في طوافه خارجاً عن الشاذروان وهو البناء المحدودب في اساس البيت وذلك شرط في صحة طوافه والمعتمد عند المؤلف ان الشاذروان من البيت معتمد على ما قاله سند وابن شاس ومن تبعهما كابن الحاجب والقرافي وابن جزى وابن جماعة التونسي وابن عبد السلام وابن هارون في شرح المدونة وابن راشد في اللباب وابن معلا والتادلي وابن فرحون ونقله ابن عرفه ولم يتعقبه وتبعه الابي وهو المعتمد عند الشافعية قال وانكر كونه من البيت جماعة من متاخري المالكية والشافعية فمن بالغ في انكاره من المالكية الخطيب ابو عبدالله بن رشيد مصغر رشد اه ونص المجموع وخروج جميعه اي الطائف عن جميع الحجر والشاذروان فيعتدل المقبل اه ونص العلامة الدسوقي على الشرح الكبير على قول العلامة الدردير لو طاف ويده على الشاذروان لم يصح اي لدخول بعض يده في هوي البيت وما ذكره من ان الشاذروان من البيت هو الذي عليه الاكثر من المالكية والشافعية وذهب

بعضهم الى انه ليس من البيت قال الحطاب وبالجملة فقد كثر الاضطراب في الشاذروان وصرح جماعة من الائمة المقتدى بهم بانه من البيت يجب على الشخص الاحترازمنه في طوافه وانه اذا طاف و بعض بدنه في هويه ان يعيد مادام بمكة فان لم يذكر ذلك حتى بعد من مكة فينبغي انه لايلزمه الرجوع مراعاة لمن يقول انه ليس من البيت اه اذا علمت هذا ظهر لك ان مانقله الامام القسطلاني عنه انه لم يقل به احد من قدماء المالكية غير مسلم لابن رشيد لما علمت مما نقله الامام الخرشي عن الائمة الاعيان و قول الحطاب وصرح جماعة من الائمة المقتدى بهم بانه من البيت فكيف ينظر لقول ابن رشيد انه لم يذكره احد من قدماء المالكية مع هؤلاء الائمة المتقدم ذكرهم آنفًا ولذا اقتصر عليه الامام خليل بقوله وخروج كل البدن عن الشاذروان ومثله الامام الامير والامام الدردير ولم يذكروا خلافًا فضلاً عن اعتباره مرجوحًا فلو كان لقول ابن رشيد قوة في المذهب لنبهوا على وجود الخلاف في المتون كما هو القواعد المقررة في ذلك فعدم التفاتهم اليه راساً دليل على عدم اعتباره فح ارتكان الامام القسطلاني على القول بانه ليس من البيت تعويلاً على ما لابن رشيد نظرًا لما اطلع عليه فقط والا فما هي شروح المذهب ومتونه ناطقة بكونه من البيت وهم حجة في النقل فالواجب علينا اتباع ما نقلوه واعتمدوه ولم يعولوا على خلافه والله تعالى يرشدنا جميعًا لاتباع الحق والصواب بجاه سيد الاحباب صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم

الفصل الثاني

في تحقيق ذلك على مذهب الامام الشافعي

قد سبق لك ما يفيدك بالنص الصريح ان الشاذروان من البيت وعبارة المنهاج السابقة للامام النووي ولو مشى على الشاذروان او مس الجدار في موازاته اي مسامتته له او ادخل شيأ من بدنه لم تصح طوفته وعبارة شيخ الاسلام في منهجه فيجب كونه خارجًا بكل بدنه عنه حتى شاذروانه وحجره للاتباع مع خبر مسلم خذوا عني مناسككم قال فان خالف شيأ من ذلك لم يصح طوافه قال المحشي البجيرمي قوله بكل بدنه فلو مس البيت بيده مثلاً او ادخل جزأ منه في هواء الشاذروان او هواء غيره من اجزاء البيت لم يصح بعض طوفته وليس الثوب كالبدن على المعتمد خلافا للشوبري وقوله شاذروانه بفتح الذال المعجمة وهو الخارج عن عرض جدار البيت مرتفعًا عن وجه الارض قدر ثلثي ذراع تركته قريش عند بنائهم له لضيق النفقة اي قلة الدراهم الحلال التي يصرفونها في البناء و لله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الفصل الثالث ﴾

في تحقيق كون الشاذروان من البيت او خارجه عند الامام ابي حنيفة النعمان وعلى كل هل يجب خروج بدنه عنه ولو على القول بانه ليس منه قال المحقق ابن عابدين الشاذروان هو الافريز المسنم الخارج عن عرض جدار البيت قدر ثلثي ذراع قيل انه من البيت حين عمرته قريش كالحطيم وهو ليس منه عندنا لكن ينبغي ان يكون طوافه وراءه خروجاً من الخلاف كما في الفتح واللباب وغيرهم اه اذا علمت هذا تبين لك انه في المذاهب الثلاث يجب خروج جميع بدنه عن جميع الحجر والشاذروان غير ان الشاذروان عند ابي حنيفة ليس من البيت وانما وجوب خروج جميع البدن عنه عنده احتياطاً مراعاة لمذهب الغير وان ثبوت كون الحجر من البيت ظني عند المذاهب الثلاث لا تواترا لما علمت سابقاً انه لم يرو الا عن السيدة عائشة فح توافق في الحجر مالك والشافعي وابو حنيفة على انه من البيت وثبت ظنا وكذلك الشاذروان عند مالك والشافعي وعند ابي حنيفه ليس منه ومنشأ الخلاف مبني على الخلاف في فهم قوله عليه الصلاة والسلام للسيدة عائشة ان قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد ابراهيم فالذي عليه الجمهور من مذهب مالك والشافعي ان الاقتصار عن قواعد ابراهيم شامل لما ترك من الحجر ومن الشاذروان وخصه الامام الاعظم بالحجر دون الشاذروان وحديث الصحيحين رضي الله عنهما يشهد بظاهره لابي حنيفة بالتخصيص ونصه عن عائشة رضي الله عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الجدر اي الحجر أمن البيت هو قال نعم قلت فما له لم يدخلوه في البيت قال ان قومك قصرت بهم النفقة قلت فما شأن بابه مرتفعاً قال فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا وحديث مسلم عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة اذرع من الحجر من البيت وما زاد ليس منه ورواية الترمذي والنسائي وابي داوود بطرق كلهم عن عائشة قالت كنت احب ان اصلي في البيت فاخذ صلى الله عليه وسلم بيدي وادخلني الحجر وقال صلي فيه فانما هو قطعة من البيت ولكن قومك اقتصروا حين بنوا البيت واخرجوه من البيت وفي شرح الامام الزرقاني على الموطا رواية عن صحيح مسلم قالت قال صلى الله عليه وسلم ان قومك اقتصروا من بنيان البيت ولولا حداثة عهدهم بالشرك اعدت ما تركوا منه فان بدا لقومك من بعدي ان يبنوه فهلمي لاريك ما تركوا منه فاراها قريباً من سبعة اذرع وفي الشرح المذكور انه لا تنافي بين رواية سبعة اذرع ورواية ستة اذرع وخمسة اذرع فان رواية الاقل

اريد بها ما عدا الفرجة التي بين الركن والحجر قال وهذا الجمع اولى من دعوى الاضطراب والطعن لان شرط الاضطراب ان تتساوى الوجوه بحيث يتعذر الترجيح او الجمع ولم يتعذر هنا واطلاق اسم الكل على البعض شائع مجازاً قاله الحافظ في الفتح فهذه الاحاديث ظاهرها تقوي ما الامام ابي حنيفة ورواية الاطلاق استند اليها مالك والشافعي كما في الصحيحين ونصها لولا ان قومك حديثوا عهد بجاهلية لامرت بالبيت فهدم فادخلت فيه ما اخرج منه والزقته بالارض وجعلت له بابين باباً شرقياً وباباً غربياً فبلغت به اساس ابراهيم قال خاتمة الحفاظ الامام العسقلاني في الفتح وفي الحديث فوائد منها انه يترك ما هو صواب خوف وقوع مفسدة اشد ومنها استئلاف الناس الى الايمان ومنها اجتناب ولي الامر ما يتسارع الناس الى انكاره وما يخشى منه تولد الضرر عليه في دين او دنيا وتألف قلوبهم بما لا يترك فيه امر واجب كمساعدتهم على ترك الزكاة وشبه ذلك وتقديم الاهم على الاهم من دفع المفسدة وجلب المصلحة وانهما اذا تعارضتا بدئ بدفع المفسدة ويوءخذ منه ايضاً حديث الرجل مع اهله في الامور العامة وفيه رد الذرائع ونقل الامام ابن بطال عن بعض العلماء ان الحامل له عليه الصلاة والسلام على الترك خشية ان ينسبوه الى الانفراد بالفخر دونهم بدليل رواية الشيخين اخاف ان تنفر بالقاع وفي رواية ان تنكر قلوبهم ان ادخل الجدر في البيت وان الصق بابه الى الارض ورواية مسلم عن الزبير وليس عندي من النفقة ما يقويني على بنائه فادخلت فيه من الحجر قدر خمسة اذرع اذا علمت هذا تبين لك ان الشاذروان مندرج في عموم ما اخرجته قريش من البيت عن قواعد ابراهيم عملاً بالاحاديث المطلقة في الاقتصار عن القواعد وخصه الامام الاعظم بالحجر عملاً بالاحاديث المقيدة ولكل وجهة رضي الله تعالى عنهم وعنا بهم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه وازواجه وذريته وآل بيته وسلم وشرف وعظم كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون اه المقصود من الرسالة (ثم اقبل الامير) على عبادة الله تعالى عند بيته الحرام في مسجده الحرام وتفرغ لها من كل شيء يتعلق بالدنيا واهلها واختار الشيخ محمد الشامي المجاور في مكة المكرمة استاذاً له واخذ عليه الطريق وتلقى شؤونها عنها ولازم الرياضة والخلوة والاجتهاد وعكف على ما في تلك الطريقة الميمونة من الوظائف والاوراد الى ان رقي معارج الاسرار الى حظائر القدس ذات الانوار ووقعت له كرامات وخوارق واحرز بقوة سعده احوالاً سنية وانفاساً

محمدية وما تم له الارتقاء الاَّ وهو في غار حراء لانه انقطع فيه اياماً عديدة الى ان جاءته البشرى بالرتبة الكبرى ووقع له الفتح النوراني وتفجرت ينابيع الحكم على لسانه وفاضت عيون الحقائق بين ادواح جنانه وانفتح لهُ باب الواردات واستظهر من القرآن العظيم آيات ومن الحديث النبوي احاديث صحيحة فكتب من خلوته الى حضرة استاذه يصف بدايته ونهايته ويثني على الله بما اولاه على يده بقوله

امسعود جاء السعد والخير واليسر … وولت جيوش النحس ليس لها ذكر
ليالي صدود وانقطاع وجفوة … وهجران سادات ولا ذكر الهجر
فايامها اضحت قتاماً ودجنة … لياليها لا نجم يضيء ولا بدر
فراشي فيها حشوه الهم والضنى … فلا التذ لي جنب ولا التذ لي ظهر
ليالي انادي والفؤاد متيم … ونار الجوى تشوي لما قد حوى الصدر
امولاي طال الهجر وانقطع الصبر … امولاي هذا الليل هل بعده فجر
اغث يا مغيث المستغيثين والها … الم به من بعد احبابه الضر
اسائل كل الخلق هل من مخبر … يحدثني عنكم فينعشني الخبر
الى ان دعتني همة الشيخ من مدى … بعيد الا فادنو فعندي لك الذخر
فشمرت عن ذيلي الازار وطار بي … جناح اشتياق ليس يخشى له كسر
وما بعدت عن ذا المحب تهامة … ولم يثنه سهل هناك ولا وعر
الى ان انخنا بالبطاح ركابنا … وحطت به رحلي وتم لها البشر
بطاح بها البيت المعظم قبلة … فلا فخر الا فوقه ذلك الفخر
بطاح بها الصيد الحلال محرَّم … ومن حلها حاشا يبقى له وزر
اتاني مربي العارفين بنفسه … ولا عجب فالشأن اضحى له امر
وقال فاني منذ اعداد حجة … لمنتظر القياك يا ايها البدر
فانت بنيَّ منذ ألست بربكم … وذا الوقت حقاً ضمه اللوح والسطر
وجدك قد اعطاك من قدم لنا … ذخيرتكم فينا ويا حبذا الذخر
فقبلت من اقدامه وبساطه … فقال لك البشرى بذا قضي الامر
والقى على صغري باكسير سره … فقيل له هذا هو الذهب التبر
واعني به شيخ الانام وشيخ من … له عمة ذي عذبة وله الصدر
عياذي ملاذي عمدتي ثم عدتي … وكهفي اذا ابدى نواجذه الدهر
غياثي من ايدي العداة ومنقذي … مجيري مجيري عندما غمني العمر

ويحيي رفاتي بعد ان كنت رمة واكسبني عمرًا لعمري هو العمر
محمد الفاسي له من محمد صفي الاله الحال والشيم الغرّ
بفرض وتعصيب غدا ارثه له هو البدر بين الاوليا وهم الزهر
شمائله تغنيك ان رمت شاهدًا هي الروض لكن شق اكمامه القطر
تضوع طيبًا كل زهر بنشره فما المسك ما الكافور ما الندما العطر
وما حاتم قل لي وما حلم احنف وما زهد ابراهيم اوهم ما الصبر
صفوح يغض الطرف عن كل زلة لهيبته ذل الغضنفر والنمر
هشوش بشوش يلتقي بالرحب قاصدًا وعن مثل حب المزن تلقاه يفتر
فلا غضب حاشا بان يستفزه ولا حدة كلا ولا عنده ضر
لنا منه صدر ما تكدره الدّ لا ووجه طليق لا يزايله البشر
ذليل لاهل الفقر لا عن مهانة عزيز ولا تيهٌ لديه ولا كبر
وما زهرة الدنيا بشيء له ترى وليس لها يومًا بمجلسه نشر
حريص على هدي الخلائق جاهد رحيم بهم بر خبير له القدر
كساه رسول الله ثوب خلافة له الحكم والتصريف والنهي والامر
وقيل له ان شئت قل قدمي علا على كل ذي فضل احاط به العصر
فذلك فضل الله يؤتيه من يشا وليس على ذي الفضل حصر ولا حجر
وذا وابيك الفخر لا فخر من غدا وقد ملك الدنيا وساعده النصر
وهذا كمال كل عن وصف كنهه فمن يدعي هذا فهذا هو السرُّ
ابو حسن لو قد رآه احبه وقال له انت الخليفة يا بحر
وما كل شهم يدعي السبق صادق اذا سيق لميدان بان له الخسر
وعند تجلي النقع يظهر من علا على ظهر جرد بل ومن تحته حمر
وما كل من يعلو الجواد بفارس اذا ثار نقع الحرب والجو مغبرٌّ
فيحمي ذمارًا يوم لا ذو حفيظة وكل حماة الحي من خوفهم فروا
ونادى ضعيف الحي من ذا يغيثني اما من غيور خانني الصبر والدهر
وما كل سيف ذو الفقار بحده ولا كل كرار عليًا اذا كروا
وما كل طير طار في الجو فاتكًا وما كل صياح اذا صرصر الصقر
وما كل من يسمى بشيخ كمثله وما كل من يدعى بعمرو اذا عمرو
وذا مثل للمدعين ومن يكن على قدم صدق طبيبًا له خبر

فلا شيخ الا من يخاص هالكاً غريقاً ينادي قد احاط بي المكر
ولا تسئلن من ذي المشائخ غير من له خبرة فاقت وما هو مغترّ
تصفح احوال الرجال تجربـاً وفي كل مصر بل وقطر له امر
فانعم بمصر ربت الشيخ يافعاً واكرم بقطر طار منه له ذكر
فمكة ذي خير البلاد فديتها فما طاولتها الشمس يوماً ولا النسر
بها كعبتان كعبة طاف حولها حجيج الملا بل ذاك عندهم الظفر
وكعبة حجاج الجناب الذي سما وجل فلا ركن لديه ولا حجر
وشتان ما بين الحجيجين عندنا فهذا له ملك وهذا له اجـر
عجبت لباغي السير للجانب الذي تقدس سراً لا يجـد له السير
ويلقي اليـه نفسه بفـنائه بصدق تساوى عنده السر والجهر
فيلقى مناخ الجود والفضل واسعاً ويلقى فراتاً طاب نهلا فما القطر
ويلقى رياضاً ازهرت بمعارف فيا حبذا المرأى ويا حبذا الزهر
ويلقى جناناً فوق فردوسها العلا وما الجنان الخلد ان عبقت نشر
ويشرب كاساً صرفة من مدامة فيا حبذا كاس ويا حبذا خمر
فلا غول فيها لا ولا عنها نزفة وليس بها برد وليس بها حـرّ
ولا هو بعد المزج اصفر فاقع ولا هو قبل المزج قان ونحـو
معتقة من قبل كسرى مصونة وما ضمها دن ومـا نالها عصر
ولا شانها زق ولا سار سائر بأحمالها كلا ولا نـالها تجـر
فلو نظر الاملاك ختم انائها تخلت عن الاملاك طوعاً ولا قهر
ولو شمت الاعلام في الدرس ريحها لما طاش عن صوب الصواب لهم فكر
فيا بعدهم عنها ويا بئس ما رضوا فقصدهم قـد وسيرهم وزر
هي العلم كل العلم والمركز الذي به كل علم كل حين له دور
فلا عالم الا خبير بشربهـا ولا جاهل الا جهول به غرّ
ولا غبن في الدنيا ولا من رزيئة سوى رجل عن نيلها حظه نزر
ولا خسر في الدنيا ولا هو خاسر سوى واله والكف من كاسها صفر
اذا زمزم الحادي بذكر صفاتها وصرح ما كنى ونادى نائي الصبر
وقال اسقني خمراً وقل لي هي الخمر ولا تسقني سراً اذا امكن الجهر
وصرح بمن تهوى ودعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر

ترى ذائقيها منها هامت عقولهم ونازلهم بسط وخامرهم سكر
وتاهوا فلم يدروا من التيه من هم وشمس الضحى من تحت اقدامهم عفر
وقالوا فمن يرجى من الكون غيرنا فنحن ملوك الارض لا البيض والحمر
تميد بهم كأس بهـا قد تولهوا فليس لهم عرف وليس لهم نكر
حيارى فلا يدرون اين توجهوا فليس لهم ذكر وليس لهم فكر
فيطربهم برق تألق بالحمـا ويرقصهم رعد بسلع له زأر
ويسكرهم طيب النسيم اذا سرى تظن بهم سحرًا وليس بهم سحر
وتبكيهم ورق الحمائم في الدجى اذا ما بكت من ليس يدري له وكر
بحزن وتلحين تجاوبنا بمـا تذوب له الاكباد والجلمد الصخر
وتسبيهم غزلان رامة ان بدت واحداقها بيض وقاماتها سمر
وفي شمها حقًا بذلنا نفوسنـا نهان علينا كل شيء له قدر
وملنا عن الاوطان والاهل جملة فلا قاصرات الطرف تثني ولا القصر
ولا عن اصيحاب الذوائب من غدت ملاعبهم مني الترائب والنحر
هجرنا لها الاحقاب والصحب كلهم فما عاقنا زيد ولا راقنا بكر
ولا ردنا عنها العوادي والعدى ولا هالنا قفر ولا راعنا بحر
وفيها حلا لي الذل من بعد عزة فيا حبذا هذا ولو بدونه مر
وذلك من فضل الاله ومنه علي فما للفضل عد ولا حصر
وقد انعم الوهاب فضلاً بشربها فالله حمد دائم وله الشكر
فقل لملوك الارض انتم وشانكم فقسمتكم ضيزى وقسمتنا كثر
خذ الدنيا والاخرى اباغيها معًا وهات لنا كاسًا فهذا لنا وفر
جزى الله عنا شيخنا خير ما جزى به هاديًا فالاجر منه هو الاجر
امولاي اني عبد نعمائك التي بها صار لي كنز وفارقني الفقر
وصرت مليكاً بعد ما كنت سوقة وساعدني سعد فحصباؤنا در
امولاي اني عبد بابك واقف لفيضك محتاج لجدواك مضطر
فمر امر مولى للعبيد فانني انا العبد ذاك العبد لا الخادم الحر
هنيئًا لنا يا معشر الصحب اننا لنا حصن امن ليس يطرقه ذعر
فنحن بضوء الشمس والغير في دجى واعينهم عمي وآذانهم وقر
ولا غرو في هذا وقد قال ربنا تراهم عيون ينظرون ولا بصر

وغيم السما مهما سما هان امره   فليس يرى الا لمن ساعد القدر
الا فاعملوا شكرًا لمن جاد بالذي   هدانا ومن نعمائه عمنا اليسر
وصلوا على خير الورى خير مرسل   وروح هداة الخلق حقا وهم ذر
عليه صلاة الله ما قال قائل   امسعود جاء السعد والخير واليسر

* وبعد ان اتم الحج وادى المناسك في تلك السنة توجه الى الطائف واقام بها نحو ثلاثة اشهر ثم رجع الى مكة المشرفة على ما هو عليه من الاجتهاد في العبادة والانقطاع اليها ومن حين توجهه الى الطائف انقطعت عنا مكاتيبه وعميت علينا اخباره ولما طال الامر وتشوش الفكر كتبت الى حضرة سيادة المولى الشريف السيد عبدالله باشا امير مكة المكرمة اسأله عنه واطلب الافادة منه فكتب لي في السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ثمانين ومائتين ما نصه . غب اهداء سلام يفوح شذاه المسكي من سوح الكعبة الغراء والحرم المكي وتحيات صادرة من مهابط التنزيل محفوفة بمزيد التعظيم والتبجيل الى جناب قدوة الاكابر جابر كمالات المفاخر الاعز الاكرم السيد محمد ابن السيد عبد القادر سلمه الله تعالى ورحمة الله وبركاته عليه تتوالى وبعد لا يخفاكم ان الموجب لتحريره السوءال عنكم لما يبلغنا من حميد سيركم فوصل والدكم الفاضل السيد عبد القادر وحقق لنا طيب حالكم فحمدنا المولى الكريم على ذلك وشكرناه على ما هنالك ثم انه وصلنا صندوق فيه آلة الشاي السفري وما هو برفقة المرسل صحبته من طرفكم وحل محل القبول وصار لنا بذلك مزيد الممنونية حيث انه كان سببًا للمكاتبة ووالدكم المشار اليه قد قضى وطره من اداء حج بيت الله الحرام والتملي بهذه المشاعر العظام وها هو متوجه للتشرف بزيارة سيد الانام عليه افضل الصلاة وازكى السلام نسأل الله ان يحمله بالسلامة ويمن عليه بالوصول الى الاوطان بعد بلوغ كل مقصد ومرام ودمتم في حفظ الله وحسن رعايته آمين . والصندوق المذكور كانت زوجة الامبراطور نابليون الثالث اهدته لسيدي الوالد وكان الامير بعض الاحيان يجتمع به اهل محبته واخوانه في الله فيباسطهم ويداعبهم . ذكر لي حضرة الاديب الشيخ احمد الخضراوي وكان معهم في الطائف انه جال معه في الحديث يومًا وافضت بهم المناسبة الى ذكر شروط اهل مكة على الخدود قال فمدحتها له وانشدت فيها قول بعضهم

رأيت لها شرطًا على الخد قد حوى   جمالاً وقد زاد الملاحة بالقرط
فقلت مرادي اللثم قالت بخلوة   فقبلتها الفًا على ذلك الشرط

فانكر ذلك واستقبحه وقال

اقول لقوم لا تفيد نصيحتي ... لديهم ولو ابديت كل الادلةِ
ألا فاتركوا ورد الخدود وشانه ... فتخديدكم في الخد اقبح فعلة
ايعمد ذو لب لخد موردٍ ... ويقسمه عمداً الى شر قسمة
ومادح شرط الخد بالسود صادق ... واما بخد البيض فالقبح عمدتي
اما يختشي من ان يكون مخدداً ... ويدخل فيمن حاز افظع قولة
فباللحظ لا الموسي تخدش وجنة ... فيا ويلتي منه ويا طول حسرتي
واني لاهوى كل خد مورّد ... زها قط لم يمسسه موسى بخدشة

فاجبته بابيات منها

قد عمت البلوى بذلك سيدي ... ولقد نصحت عبيدكم بجميلة

﴿ ذكر سفر الامير من مكة الطاهرة الى المدينة المنورة الزاهرة ﴾

وفي اول يوم من رجب سنة ثمانين ومائتين توجه الى جدة ومنها الى مرمى الرائس ثم الى بدر ثم بئر عباس فوجد هناك حافظ باشا حاكم المدينة وشيخ الحرم النبوي مخيما بعسكره ينتظر القوافل القاصدة الى المدينة المنورة من الجهات فاحتفل به للغاية وضرب له خيمة الى جانب خيمته واتصل خبره بقبيلة حرب الشهيرة وغيرها من قبائل تلك النواحي فجاءه الشيخ فهد في جماعة من الاعيان فاكرم نزلهم وعرضوا ان يكونوا في خدمته الى المدينة فدعا لهم وشكر توددهم اليه ولما تلاحقت القوافل ارتحل بها الباشا والامير فدخلوا المدينة المنورة في السادس والعشرين من رجب واستقبله اشرافها وعلماؤها في وادي العقيق وكان الشيخ محمد الدرابزلي المعروف بالشيخ المنتظر تهيا لنزوله عنده فاجابه الى ذلك وقام في ضيافته اياماً ثم استاجر منه بيته الكائن في طريق الحمام النبوي بالقرب من المسجد وانتقل اليها ثم طلب محلاً لخلوته في الحرم الشريف فهيأ له السيد احمد اسعد افندي محلا لصيقاً بجدار المسجد وهو في الاصل بيت سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه وله خوخة في المسجد وهي التي قال فيها صلى الله عليه وسلم كل خوخة في المسجد تسد الا خوخة ابي بكر فانقطع الامير في ذلك المحل المبارك مدة شهرين فقويت بها معارفه وزكت عوارفه وانكشفت له الحقائق القرآنية والاحاديث النبوية ومن طالع مواقفه في الحقائق وقف على ما اشرنا اليه واطلع على ما لا مزيد عليه ولاول وصوله الى المدينة المطهرة مدحه بعض ادبائها بقوله

بشرى لطيبة بالهمام الزائر ... أكرم به من ليث غاب زائر
وافى حماها وهي في شوق له ... من بعد طول تباعد وتهاجر
فتمايلت اعطافها لوصوله ... فرحاً ونوّر كل روض ناضر
و بوطئه شرفت رحابها كما ... شرفت بجده في الزمان الغابر
وتارجت ارجاؤها من طيبه اا ... زكي وعرف شذا يديه العاطر
وغدا لسان الحال ينشد قائلاً ... اهلاً بمن هو ليث غاب كاسر
فلطالما قد كنت في شوق الى ... رؤيا جمالك ان يلوح لناظر
فالان مني العين قد قرت كما ... بايابه قرت عيون مسافر
وبقدرة المنان زاد تشرفي ... اذ حل سوحي الشهم عبدالقادر
نجل الفحول ابن البتول خلاصة اا ... اشراف بل شبل الرسول الطاهر
حبر كسى خبر الفضائل والتقى ... عطف الخبير بكل فن ماهر
وروى احاديث المفاخر والمعا ... لى مسلسلات كابراً عن كابر
بحر من الاحسان يقذف جوهرا ... لعفاته لكن بغير تفاخر
شهم تقضى منه شرخ شبابه ... في نصرة الدين الحنيفي الزاهر
واقام احقاباً بصهوة سابح ... يرمي الطغاة بصاعقات بواتر
وجفا عشائره وفارق ربعه ... طالبا لمرضاة المليك الغافر
نال المعالي بالعوالي والظبا ... فلذا له خضعت رقاب الكافر
ولكم بصارمه اباد كتائباً ... ذهبت هباء مثل امس الدابر
ان اضحك البيض الرهاف بكفه ... بكت الرقاب بنجيع دمع هامر
واذا انتضى يوم الكريهة عضبه ... سجدت له قمم الظلوم الجائر
بطل اذا لمس القنا في جحفل ... طارت جناحاه بدون تشاور
واذا احس الجيش رجع زئيره ... بلغت قلوب سراته بخناجر
والليث ان يسمع صهيل جواده ... يغدو بقلب في جناحي طائر
وحسامه ان لاح برق فرنده ... بغمام نقع فسرّ قلب الغادر
يلج الخميس بصافن وبعامل ... فيعود يقسم خمسه لعساكر
يلقى الكماة الصيد فرداً في الوغا ... فيرد وردهم بدون مصادر
ويداه ان هزت انابيب القنا ... قطعت قلوباً في صدور قساور
الفته عقبان الفلا ونسوره ... مذ ابصروه بكل نقع ثائر

انى يسير تسير كيما تبتغى — عاداتهن بشلو علج كاشر
وثعالب الخطي بعـد اوامها — وردت حياض طلى العدو الفاجر
مولاي اني في الثناء مقصر — انى بمثلي غوص بحر زاخر
و بحلبة الادباء يوم رهانهم — لسب المجلي بل ولست بشاعر
لكن قصدي من جنابك دعوة — بصلاح حالي جنح ليل عاكر
من لي وفضلك كيف احصي عده — وصفات ذاتك ما لها من حاصر
انت المجـدد للبرية دينهم — بالكتب والسيف الطرير الباتر
لو جئت في العصر الغوابر في الورى — لم تلق منهم غير شهم ناصر
لكن عصرك قد تاخر وتسه — واتى تجيئك في الزمان الآخر
فالصبر افضل ما يكون لذي النهى — وكفى الكتاب مبشرًا للصابر
فاشكر الملك ان حباك بزورة — لختام رسل الله افضل شاكر
والسعد قد وافى حماك مهنئًا — لك بالوصول الى النبي العاطر
واتى القبول اليك منه مؤرخًا — بشراك انت اعز حب زائر

١٣٨٠

واستمر الامير مدمنًا على اداء وظيفة اوراده في الخلوة والجلوة لم يلحقه في ذلك فتور وفي الشهر الاخير من اقامته في المدينة المنورة كان يكثر من زيارة احد وقبور الشهداء والصلاة في مسجد قبا ويجيب من دعاه الى الضيافة فكان اهل المدينة يتسابقون الى ذلك واكثرهم فيه السيد احمد افندي اسعد واقاربه ودعي يومًا الى البستان المعروف بالقائم في قبا ايام الزهر وكانت المأدبة حافلة والمجلس مشمولاً بانواع الطيب فانشأ الامير يقول

بخر بعود الطيب لا زلت طيبًا — ورش بماء الزهر يا خلي والورد
وما بغيتي هذا ولكن تفاؤلا — بعود الى عود و ورد الى ورد

ودعي اليه مرة اخرى فحانت منه التفاتة الى جبل احد فاطرق ساعة ثم رفع راسه وانشأ يقول

تذكرت وشك البين قبل حلوله — فجادت عيوني بالدموع على الخد
وفي القلب نيران تاجج حرها — سرت في عظامي ثم سارت الى جلدي
وما لي نفس تستطيع فراقهم — فياليت قبل البين سارت الى اللحد
الى الله اشكو ما لاقي من الجوى — وحملي ثقيل لا تقوم به الايدي

بطيبة طاب العيش ثم تمرمرت   حلاوته فالنحس اربى على السعد
اردد طرفي بين وادي عقيقها   وبين قباها ثم الوى الى احد
منازل من اهواه طفلاً ويافعاً   وكهلاً الى ان مرت بالشيب في برد

* وفي مدة اقامته في الحجاز توفي ملك اليونان الاسبق وانعقد مجلس نواب الامة اليونانية في اثينا للنظر فيمن يولونه عليهم ملكاً فكتبوا اسم الامير في المنتخبين لذلك ونادى كثير منهم باسمه واهل اسبانيا قد انتخبوه في جملة من انتخبوهم للملك عليهم حين وقوع الفتنة بينهم قبل ان يتولى ملكهم المتوفي اخيرًا فتشكر الامير للامتين على اعتبارهما لمقامه بما دل على ما تكنه صدورهم من احترامه واعظامه

﴿ ذكر رجوع الامير الى مكة ثم الى دمشق الشام ﴾

ولما حضر الركب الشامي الى المدينة المنورة توجه فيه عائدًا الى مكة في السابع والعشرين من ذي القعدة واحرم بالحج من ذي الحليفة وبعد الفراغ من اداء مناسك الحج وطواف الوداع توجه الى جدة في الرابع عشر من ذي الحجة وفي التاسع عشر ركب الوابور المصري الى السويس ومنها الى مصر فاجلّ مقامه خديويها اسماعيل باشا واجزل في ضيافته واكرامه ثم دعته شركة السويس الى الاسماعيلية فتوجه اليها على طريق الزقازيق ومر على التل الكبير ثم على بوبلح الذي اهدته اليه الشركة المذكورة فرآه واستوعب حدوده ثم توجه الى الاسماعيلية واقام اياماً في ضيافة الشركة ثم رجع الى مصر وتوجه الى الاسكندرية وبعد خمسة ايام من وصوله اليها توجه الى بيروت وفي التاسع عشر من المحرم سنة اثنين وثمانين وصل الى دمشق واستقبلته في جم غفير من الاهالي والمهاجرين في محطة الهامة وقرت عيوننا برؤيته وامتلأت صدورنا سروراً بمشاهدته وتوالت علينا وعلى كافة المهاجرين الافراح وزالت عنا وعنهم بوجوده الهموم والاتراح وتوارد على بابه اهل البلد على اختلاف طبقاتهم يسلمون عليه ويهنئونه بما اسداه الله من النعم اليه فكان يقابلهم بما جبله الله عليه من الانس واللطف ولين الجانب ورفع اليه حضرة العالم العلامة الحبر البحر الفهامة شيخنا الشيخ محمد افندي الطندتائي الازهري قصيدة يهنئه فيها بحج بيت الله الحرام وزيارة نبيه الكريم عليه افضل الصلاة واكمل السلام وهي قوله

يا سيدًا فاق الورى   بما حباه ذو الجلال
من همم عالية   تدرك صغراها الجبال

حتى تجاوزت السها ... من بين ارباب الكمال
فخضت بحراً دونه ... قد احجمت همم عوال
في طلب الاخرى ولم ... تنظر لجاهٍ او لمال
فكم هجرت مضجعاً ... وكم سهرت من ليال
وكم تركت لذةً ... مع رغبة وصدق حال
وكم بذات مهجةً ... حتى ظفرت بالوصال
ونلت اعلا رتبةٍ ... مما يناله الرجال
وقد شفيت غلة ... من ذلك الورد الزلال
اعظم بها من نعمةٍ ... لم ينلها ذو دلال
وكيف لا وانت نجـ ... ـل المصطفى من خير آل
مع الذي حويت من ... شرف المزايا والخصال
علم وحلم وندا ... والمنطق السحر الحلال
ولطف زهد وتقى ... بشاشة مع الجمال
شجاعة تواضع ... وفاء وعد صدق قال
محاسن جميعها ... يفوق عدها الرمال
فمن اراد حصرها ... فقد تصدى للمحال
بشراكم قد قبلت ... اعمالكم على الكمال
فالحج حقاً سالم ... من رفث ومن جدال
والقصد وجه الله وال ... مال اتي من الحلال
والمصطفى جدكم ... ولا يرد الجد آل
يا ايها الحبر الذي ... حويت هاتيك الخصال
ابقاك ربي ملجاءً ... الى النساء والرجال
ممتعاً منعماً ... بما حباك ذو الجلال

وللاديب سليمان الصوله يهنئه بالقدوم بقوله

حتى الطلا شهدت ان اللما عذب ... فكيف اينع فيه اللؤلوء الرطب
وكيف جاوره جمر فاثلجه ... وما تعاوره من برده عطب
واحر قلباه من نار يؤججها ... برد الرضاب ولم يفتر لها لهب

بي ظمئة وبها اياي سارية — الا تبل فؤادًا ساءه اللغب
من لي بعانسة في فيك يدخرها — بين المراشف هذا المبسم العذب
بحق معطيك هذا الحسن لاتسبي — منها حشاشة صب كله وصب
يميته الشوق احيانًا وينشره — فكم يموت ويحيى وهو مضطرب
قد هزني الضر يا ليلى وعاذلتي — تقول يا ويلها قد هزه الطرب
وعاورتني هموماً خفضت همي — لا ترفع الذل رأسي حين ينتصب
جودي بوصالك لي والمهر يا املي — العقل والروح لا ورق ولا ذهب
لم يبق لي نشب اما اذا رجع ال — مولى فعندك مني المال والنشب
حبر بدعوته الاوزار تنقضب — ومن سماحته الامطار تنجذب
تهز نفحة اشعاري مناكبه — كما يهز قناة الفيلق النجب
لذاك والله خير الناس قاطبة — وجوده فوق ما جادت به السحب
كأن عيني به والحي مبتهج — يزهو بطلعته لا ساءها صخب
يقله فرس من فوقه اسد — في وجهه قمر سيف كفه يلب
ان صال قطع اوصال الرجال وان — جال استطال عليها الويل والحرب
ياقاصد البيت لو لم تات تجرته — سعى اليك كما تسعى له العرب
انت ابن يس بيت الله يعرفكم — يا آل يس فيكم جاءت الكتب
لم يبق جودك لي في المال من ارب — فدعوة تحاماني بها النوب
عودتني الخير في حل وفي سفر — كالغيث ينهله دان ومغترب
انت الذي تقبل الدنيا بدعوته — تقبل الله ما يولي وما يهب
عسى يبدل اعساري بميسرة — ويصلح الله اياي فتنقلب
زر حج طف واعتمر وارم الجمار على — قلب الحسود وعد لافاتك الارب
لازلت افضل من حجوا واورع من — لبوا على عرفات المجد واقتربوا

وكتب الامير الى ابن عمنا الفاضل الناظم الناثر السيد الطيب ابن المختار يخبره بما اسنى الله له من الفتح المبين والحصول على التمكين . فاجابه بقوله . الحمد لله الذي بحمده تفتح الامور وهو الفتاح العليم . والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الخلق العظيم والكرم العميم . وعلى آله وصحابته ذوي الشرف الباذخ والفخر الصميم

يا قـادماً عمت الدنيـا بشائره — أبشر بقدمك الميمون طائره
قدمت والخلق في نعمى وفي جذل — ابدى بك البشر باديه وحاضره

اماره الدين والعلم الذي رفعت   اعلامه والندى الفياض زاخره

الامارة التي اشرق في سماء العدل شهابها. واتصلت باسباب المجد اسبابها . واجيلت قداح المفاخر فكان الى جهة الله انتدابها . واشتملت على العفاف والطهارة اثوابها. المناضل عن مرضاة الله اصيل نجره . المتسم بالمرابط المجاهد على اقتبال سنته وجدة عمره مخدوم الملوك على شدة بأسها ومعظمها على اختلاف اجناسها

ملك تتوج بالمهابة عند ما   لم يستجز سيف الدين لبس التاج

ماضي العزيمة والسيوف كليلة   طلق المحيا والخطوب رواج

سيدنا ووسيلتنا الى رب العالمين . مولانا عبد القادر ابن شيخ الاسلام .قدوة الانام مولانا محيي الدين . رزقكم الله تاييداً تبدي له الجياد الجرد. والرماح الملد. ارتياحاً واهتزازاً وعزاً يطاء من اكناف البسيطة وارجائها المحيطة سهلاً وعزازاً ويمنا يشمل من بلاد الله اقطاراً نازحة ويعم احوازاً ونجداً يجوب الآفاق جوب المثل السائر عراقاً وحجازاً

لازلت ترقى وترقى في العلا ابداً   ما دام للسبعة الافلاك احكام

وسلام كريم طيب عميم . ختامه مسك ومزاجه تسنيم . على ذلك الجناب الرفيع الظاهر في اقصى المغارب والمشارق في زي بديع . من عبد اقعدته ذنوبه . وابعدته عن حضرتكم عيوبه

صب يحث مطاياه بذكركم   فليس ينساكم ان حل او سارا

لكنه حادثات الدهر تمنعه   وقد اقامت له الايام اعذارا

وبعد فان كتابكم الصادر من طابه . المشحون بالالفاظ العذبة المستطابه . المشرق شمساً في سماء الفصاحة والبلاغة المنسبك تبراً في صناعة الصياغة. المبدي لنظاره دلائل الاعجاز . المظهر بلطافته عين الحقيقة في خيال المجاز . قد وافانا ونحن في غاية الارتقاب . لما يصل الينا من ذلك الجناب . فعظم موقعه من نفوسنا . وقبلناه اجلالاً ووضعناه فوق رؤسنا . وانشدنا عند ازالة اللثام وفض الختام . لشبه الحال بالحال قول ابي تمام

فضضت ختامه فتبلجت لي   غرائبه عن الخبر الجلي

وكان اغض في عيني واندى   على كبدي من الزهر الجني

واحسن موقعاً مني وعندي   من البشرى اتت بعد النعي

وضمن صدره ما لم تضمن   صدور الغانيات من الحلي

فكائن فيه من معنى خطير　　　وكائن فيه من لفظ بهي

رسالة من تمتع منذ حين　　　ومتعني من الادب الشهي

ثم تتبعنا غرائبه واسطاره . وحللنا تراكيبه واشطاره . واقمنا بواجبه القيام الحسن . واحتفلنا به احتفال المأمون ببنت الحسن . فتساقط علينا رطباً جنياً . وهمى ودقه على الربع من افكارنا وسميا . فجاد واروى . واجاد فيما روى . واحيي من القريحة ميتاً كان حديثاً يروى

ستكشف من سر الكتائب مثل ما　　　رايناك عن سر البلاغة تكشف

فوالله لقد سرت معانيه في الجسد روحاً . واشرقت في سويداء الفوائد بوحاً . وما عسى ان نقول وما هو الا لطافة نسيم . او سلافة نديم . فلذا سكر كل رقيق طع برحيقه وشكر . وآمن برسالة محمد ولو انه المتنبي وما كفر . فتلقينا منه حقيقة الحال بعد الالتباس . واخذنا وجه الخبر من نصه المغني عن القياس . فاستفدنا منه ما حصل لكم من النعم الوافية . والاستعدادات الكافية . زيادة على ما لديكم من المواهب . وتكملة لاعلا المراتب واسنى المطالب . وانكم لا زلتم مترددين بين مكة والطائف . وطيبة ذات المحاسن واللطائف . اونة في حرم الله . واونة في حرم رسول الله

ربوع بها تتلو ملائكة العلى　　　افانين وحي بين ذكر وقرآن

وعرس فيها للنبوة موكب　　　هو البحر طام بين هضب لجان

مطالع آمان مثابة رحمة　　　معاهد املاك مظاهر اعيان

وانك طالما وردت من تلك الحياض . ومتعت ناظرك في تيك الرياض . لنفحاتها متنسما . واسكانها مقبلاً ومعظما . وانت سابح بالاحبة وبالمحبوب راض . وجدير كما قال القاضي ابو الفضل عياض . لمواطن عمرت بالفضل والتنزيل . وتردد فيها جبريل وميكائيل . وعرجت منها الملائكة والروح . وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح . واشتملت تربتها على جسد سيد البشر . وانتشر فيها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر . مدارس آيات . ومساجد وصلوات . مشاهد الفضل والخيرات . ومنبع البراهين والمعجزات . ومناسك الدين . ومشاعر المسلمين . ومواقف سيد المرسلين . ومتبوأ خاتم النبيين . ومنها انفجرت النبوة بدين فاض عبابها . ومواطن مهبط الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها . جديرة بان تعظم عرصاتها . وتتنسم نفحاتها . وتقبل ربوعها وجدرانها

يحق علينا ركوب البحار　　　وجوب القفار اليها ابتدارا

فيافوز من فاز في طيبة　　　بلثم المغاني جداراً جدارا

والصق خدًّا على تربهــا   واكحل حجبًا بها واعتبارا
واهدى السلام لخير الانام   على حين وافى عليه مزارا

مثلي اذا سارت الركاب . تعلق بالاسباب . وانشد متمثلا . وعلى النية الصادقة ان شاء الله تعالى معوّلا

يا سائرين الى المختار من مضر   سرتم جسومًا وسرنا نحن ارواحا
انا اقمنا على عجز وعن قدرٍ   ومن اقام على عجز كمن راحا

والحق ان الحازم من اخذ على كل حال بقول حازم في تصدير اعجاز لامية الضليل مخرجًا لها عن ذلك السبيل

وفي طيبة فانزل ولا تغش منزلاً   بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وزر روضة قد طالما طاب نشرها   لما نسجتها من جنوب وشمال
واثوابك اخلع محرمًا ومصدقًا   لدى الستر الا لبسة المتفضل
لدى كعبة قدفاض دمعي لبعدها   على النحر حتى بلَّ دمعي محملي

ومثلكم من يراعي امر الله حق الرعاية . ويجري في معاملاته على ما اسس من حسن البداية . فقد انقطع والحمد لله رجاء الحاسد وسلم المعاند . وتساوى في ذلك الغائب والشاهد . واقرَّ بفضل الله الجاحد

ومليحة شهدت لها ضراتهــا   والحسن ما شهدت به الاعداء

فانى يجارى الضحضاح قاموسا . اذ يباري السحرة عصى موسى . فليتطاول المتطاول . وليساجل الساجل . فالكل دون تلك الغاية وقف . وشهد بالعجز عن ادراك ذلك الشأو واعترف . وبان الانفراد بالفضل وظهر . وانتشر الاختصاص بالمجد انتشار الغزالة واشتهر . وسد الحال في ذلك مسد الخبر

فالوصف اغنى وما اغنت شهادتهم   لكنها زادت التبيان تبيانا

فهنيئًا لك ثالث العمرين الجامع بين فضيلتي عالم المدينة وعابد الحرمين . ذلك الشرف الصميم . والفخر العميم . والفوز العظيم . وعدل سلفك القديم . فكم مفازة في ارض الله عبروها . ومدارس ببث قواعد الدين عمروها . انساب طاهرة . وعزائم فاخرة . واياد غامرة . وسيوف الاعادي قاهرة . ووجوه ناضرة . الى ربها ناظرة

لا ينتهي نظري منهم الى رتب   في المجد الا ولاحت فوقها رتب

فكم انعشوا من ارماق . وفكوا من وثاق . ودروا على الخلق من ارزاق . بهذا اقرت لهم البرية وشهدت وما قلت الا بالذي علمت فما هي والله الا طرقتهم المثلى

سلكت . وشمائلهم الفضلى ورثت فملكت . وقد اشار العبد الي هذا في التقديم . وسبق قوله فيه وان كان لجهله بقواعد القريض غير مستقيم

شيم يهز الراسيات سماعهـا ويجر في انف الزمان غوال
اوصاف والدك الامام المرتضى للدين والدنيا بحسن خلال
لك فيهم الفخر الكبير وان يكن لك في العلى نسج على منوال
كل الكمال لهم وانت مقره والفرع عين الاصل عند مآل

هذا وقد بلغنا عن السنة الوافدين من الحضرة الحجازية . والديار الشامية . انك اجتمعت في سفرك هذا بشيخ عارف اخذت منه فما كدت اصدق فيما سمعت بعد ان علمت من فضل الله الذي لديكم ما علمت . ولقوة اعتقادي فيك وحصول العلم الذي لا يقبل التشكيك . فقد جلت في مغارب الارض ومشارقها . وسبرت الرجال وكشفت عن حقائقها . وجالست بقصد الاستفادة علماءها . وجالست برسم التبرك شيوخ الطريقة وكبراءها . فلا بحر الا ورفعت شراعه . ولا بر الا وطئت كما هو في علمك ذراعه . فحصل لي من انواع الاغتراب ومشاق السفر ما لا اصفه من العناء ثم رجعت وانا بعد ذلك كله فما رأيت من ذهب بظاهره مع الشريعة ووقف بباطنه مع الحقيقة مثلك . ولا من تعرف نعرف . صدور الكراسي والمنابر . والسنة الاقلام وافواه المحابر معرفتك . فمقامك مقام عارف لا مقام مريد ومثلك من يفيد لا من يستفيد . وان كان فمن عجائب الدهر . ومن باب يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر . وسبيل المزية تكون في المفضول دون الفاضل . وشاهد ذلك كله حديث ما المسئول باعلم من السائل . اقول هذا و... ان طريقة التسليم اسلم . ففي صنع الله ما لا ادري وفي علمه ما لا اعلم . والان ... حج مبرور . وعمل مقبول وسعي مشكور

فاهنأ امير الواصلين لامة افواههم ما ان ... تنطق

هذا ولا زائد بحمد الله تعالى سوى ما عندنا لكم من ... التي تشام بوارق التشييع من خلالها . وتدل مخائل بدايتها على حسن مآلها . و ... يجل موقعه في النفوس . وتضيق على حمل بعضه هذه الطروس

فلا تنسني من اهل ودك انني اخاف الليالي ... فتنساني

وقد اقتضى المقام ختم هذه الرسالة بقول ابن خا... ... الله لنا ولكم بحسن الخاتمة . ومثل ذلك مما يرتاح له اللبيب . ويستحسنه الاديب ... من كاس الكرام

نصيب · معما في ذلك من وضع النقل في محله بلا مرا · ومطابقة الحديث لاصله كما ترى

قدمت بما سر النفوس اجتلاؤه   فهنئت ما عم الجميع هناؤه
قدوماً بخير وافر وعناية   وعز مشيد بالمعالي بناؤه
ورفعة قدر لا يداني محلها   رفيع وان ضاهي السماء اعتلاؤه
عنيت بامر المسلمين فكلهم   بما ترتجيه قد توالى دعاؤه
بلغت الذي املته من صلاحهم   فادركت مأمولاً عظيماً جزاؤه
فياواحداً اغنت عن الجمع ذاته   وقام باعباء الامور غناؤه
بقيت وصنع الله يدني لك المنى   ويوليك من مصنوعه ما تشاؤه

هذا ما سمحت به الفكرة التي ركضها الدهر فاضناها · واستشفها الحادث الجلل ونقصاها · والمرجو من المخدوم للخادم العفو عما هو من عثرات القلم لازم فالقلب بلواعج الشوق مشغول والفكر بترادف الاهوال مشغول والعذر عند خيار الناس امثالكم مقبول والا فلسان الشكر وان طال قصير وتحرير جميل المحامد وان حصل الاطناب فيه يسير والله لو جاز ان تسافر نفس عن انسانها او ترحل عين عن انسانها لكنت اول من سبق الكتاب بنفسه لتفوز العين بمشاهدة جمالكم المزري ببدر الافق وشمسه وما كان المملوك يختار المخاطبة بالقلم عن المشافهة بالفم لكن لاحيلة مع المقدور والله ميسر الامور ودمتم سيدي في عز وامان ما استجد الجديدان كتبه عن ود صادق وقلب بشدة الاشواق خافق تلميذكم المفتخر بالانتساب اليكم اي افتخار محمد الطيب ابن المختار اصلح الله احواله واجري على وفق الشريعة المطهرة اقواله وافعاله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

ما نمق المشتاق طرس رسالة   بحديث اشواق وبث غرام

حرر في ربيع الثاني سنة احدى وثمانين ومائتين والف

ولما وصل الامير الى دمشق توالت عليه مكاتيب اهل مكة المشرفة والمدينة المنورة يتأسفون على فراقه وبعده عنهم ومن جملتهم شيخ الخطباء في طيبة السيد محمد مدني فاجابه الامير بقوله · الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله وعبده وعلى آله وصحبه وجنده وجيران مضجعه الشريف ولحده · امابعد فاني اهدي لحضرة المحب الاثير المصافي الاصفى ذي الفضائل الجميلة والفواضل نخبة الكرام الاماثل السيد محمد مدني شيخ الخطباء · وتاج الادباء · اوفى تسليمات وازكى تحيات · وانمى بركات الطف من النسيم · واعذب على كبد المحب من التسنيم · هذا وانه بلغنا

عزيز كتابكم . وانتعشت الروح بلذيذ خطابكم . واشتفينا بوروده . وبرد غليل الشوق بعذب موروده . واتقينا حر النوى بحواشي بروده . فانه اظهر ما لنا عندكم من رعي الذمام واعرب . واتى بالسحر الحلال واعذب

كتاب كوشي الروض خطت سطوره يد ابن هلال عن فم ابن هلال

وانا لهاتيك الحضرة الشريفة وجيرانها . والمعاهد المنيفة وسكانها لفي اعظم اشواق . وفيض اماق . وتمنى عود وتلاق . وما عسى يغني عنا تعليل النفس بالتلاقي وكادت الروح تبلغ التراقي

بعد المزار ولوعة الاشواق حكما بفيض مدامع الآماق

امعالي ان التواصل في غد من ذا الذي لغد فديتك باقي

ولطالما اردنا ترويح النفس بتذكار ايام الوصل . واجتماع الشمل . فيشتد قلقها ويزيد ارقها

وقفنا ساعة ثم افترقنا وما يغني المشوق وقوف ساعه

كان الشمل لم يك ذا اجتماع اذا ما البين شتت بالجماعه

فالقلب عندكم مقيم . والجسم في عذاب اليم . اذ المراقبة مع المباينة . ليست كالمشاهدة والمعاينة

لئن اصبحت مرتحلاً بجسمي فروحي عندكم ابداً مقيم

ولكن للعيان لطيف معنى لذا سأل المعاينة الكليم

وانكم بشرتمونا بانكم نائبون عنا في تقبيل تلك العتبات . ومعتكفون على الدعاء لنا واستجلاب الرحمات . فجزاكم الله عنا افضل الجزاء ووفر حظكم بين الحظوظ والاجزاء . وكافة الاحباب . لا زلتم محفوظين بعناية الحفيظ الوهاب

﴿ذكر توجه الامير الى الاستانة ثم الى باريس ورجوعه الى الشام﴾

ولما رجع الامير من الرحلة الحجازية تعلقت همته بزيارة حضرة السلطان الغازي عبد العزيز خان وفي السابع والعشرين من ذي القعدة سنة مائتين واحدى وثمانين والثاني والعشرين من نيسان سنة خمس وستين وثمانمائة توجه الى بيروت ومنها الى الاستانة فاكرمت الدولة العلية نزله واظهرت من الاحتفال به اكمله ومن الاكرام اجزله وعند وصوله تلقاه مامور التشريفات في البابور وبعد اداء ما يليق نزل به الى البر فسار في جماعته بالعربات المهيئة لركوبه الى المحل الذي اعدته

الدولة لنزوله ثم جآء الوكلآء والوزرآء والاعيان وسفرآء الدول للسلام عليه وكان احضر معه من الشام ثلاثة من جياد الخيل العربية فحصل تقديمهم وحازوا القبول ثم تعطفت الحضرة السلطانية فارسلت اليه تدعوه الى الحضور وكانت المقابلة على غاية ما يكون من الانس والمجاملة وظهر له من اللطف الملوكاني ما اطاق منه اللسان بالشكر له على ما اولاه من الاحسان ثم اخذ الامير في رد زيارات الوزرآء وارباب الدولة وسفرآء الدول وغيرهم من الاعيان وزار الخرقة الشريفة وانعم السلطان عليه بالنيشان العثماني من الرتبة الاولى جاء اليه به الصدر الاعظم فؤاد باشا ثم انعم السلطان عليَّ وعلى الاخوة برتب ونياشين وعينت له الدولة وابوراً صغيراً للتنزه في البوغاز وعربات يركبها اين اراد واحتفل الصدر الاعظم لضيافته احتفالاً ملوكيًا ودعاه الشريف عبد المطلب ثم تتابعت الضيافات والمآدب

وفي ليلة الجلوس السلطاني دعاه فؤاد باشا الى حضور الاحتفال في منزله ومن عناية السلطان به وحسن التفاته اليه ما ترك له حاجة رفعها الى اعتابه الا امر بقضائها على اكمل الوجوه وفي جملتها شفاعة في اعيان دمشق الذين حكمت الدولة عليهم بالنفي في حادثة دمشق ونفوا الى قبرص ورودس وصدرت الارادة السنية بتسريحهم ورجوعهم الى اوطانهم فقال في ذلك مفتي اللاذقية السيد عبد الرزاق افندي فتاحي الحسيني

لازمة

سلت لتنكي من الاحداق هنديا خود حكى قدها بالميل خطيا

دور

رشيقة القد بالاعطاف تسبيني تسمو بطلعتها حسنًا على العين
رضابها العذب منه الرشف يحييني وقد دعاني بفرط الوجد مسبيا

دور

يا بانة اللطف كم ذا تهجرين الصب مني بطيب اللقا راعي حقوق الحب
متى تجودين يا اخت المهى بالقرب لمغرم قد غدا بالشوق مضنيًا

دور

مالي اذا ماجفا الاحباب او بعدوا سوى الامير الذي وافى به الرشد
السيد الشهم عبد القادر السند مولى غدا مدحه في الكون عطريًا

دور

سليل ذي الفضل محيي الدين والحسن في نسبة منتهاها صاحب السنن
بدر الجزا من وافى على سنن غدا به عند رب العرش مرضيًّا

دور

في فتنة الشام كم وفى من الهمم حتى حكى صنعه نارًا على علم
وقد حبته ملوك الارض بالنعم وللفخار نياشينًا زهت زيا

دور

وقد اتم صنيع الخير حيث سرى لباب سلطاننا الاسمى الرفيع ذرا
يرجوه اطلاق من في النفي فاعتبرا منه المقام وبالبشرى له حيا

دور

وقد بلغنا جميعًا غاية الامل بحسن اقدام هذا السيد البطل
من فاق فينا بحسن العلم والعمل لا زال دهرًا من الاسواء محميا

ولهُ في ذلك ايضًا

بشرى فقد نلنا المنى والغم زال والعنا

دور

الله عودنا الجميل من فيض احسان جزيل
لا بد للخطب الجليل من منحة فيها الهنا

دور

كم شدة ذاب الفؤاد منها وجافانا السهاد
قد حفها لطف فعاد فيها لنا يسر دنا

دور

صبرًا اخا العقل السليم وارض بتقدير الحكيم
فالله ذو الفضل العظيم بفضله قد عمنا

دور

بالصبر قد حزنا الفرج وبه لنا فاح الارج

والغم زال كذا الحرج مع كل كرب احزنا

دور

قد فاز عبد القادر رب الكمال الباهر
بجزيل اجر وافر لما بذا الخير اعتنى

دور

بدر الجزائر ذو العلا من فاق قدراً سيف الملا
بحر لوارد حلا وسيف العطا مولى الغنا

دور

ليث الوغى رب الندا سامي الذرى شمس الهدى
اهل التقى نور بدا يمحو الدياجي بالسنا

دور

في فتنة الشام الشريف قد سكن الخطب المخيف
بجزمه الوافي المنيف خف البلا عن قطرنا

دور

للوسع اضحى باذلاً وقد رقى منازلاً
ولهُ الملوك عاجلاً اهدوا نياشين الثنا

دور

ثم انتضى العزم الوفي لرد من منا نفي
فحما حمى الليث الصفي بدر الملوك عزنا

دور

سلطاننا عبد العزيز غوث الملا الحرز الحريز
سامي الذرى الغوث المجيز من بالمراد امدنا

دور

الى حماه قد ورد قد فاز منهُ بالمدد
واجابه فيما قصد وعفا لهُ عمن جنا

دور

وحباه نيشان افتخار واحله اوج الوقار
فسما لهُ ذكر وسار مع ما من الخير اقتنى

دور

ندعوك رب العالمين بالمصطفى طه الامين
ايد امير المؤمنين سلطاننا غوث الدُنا

دور

واحفظ له اشباله وامنحهمو اقباله
يسر لهُ آماله وافتح لهُ يا ربنا

وله ايضاً

لئن انكر الوغد اللئيم صنائعاً بدت بدمشق من امير الجزائر
فتلك لعمري سطرتها يد العلا على جبهة الدنيا مدى دهر داهر

(وبعد) ان اقام الامير في الاستانة شهرين توجه في الخامس من صفر والثامن والعشرين من حزيران الى فرنسا وفي الثاني عشر من صفر والخامس من تموز دخل مرسيليا فاستقبله حاكمها بالاحترام واهتزت البلد باهلها لقدومه فاذا خرج من محل نزوله تبعته زمر الاهالي ينظرون اليه احتفالاً به واحتفاء وكانت جماعات كثيرة تجتمع في ساحة الدار النازل فيها ويصرخون فليعش الامير عبد القادر وبعد ان اقام اياماً عزم على السفر الى باريس وعين اليوم الذي يسافر فيه ثم ظهر له في التاخر الى اليوم الذي يليه فاتفق ان قطار سكة الحديد في اليوم الذي عدل عن السفر فيه صادمه قطار آخر ملاقياً له فمات فيه نحو الخمسة عشر نفساً وجرح كثيرون فظهر من تاخره ما دل على عناية الله به ورعايته له وفي ثاني ذلك اليوم توجه الى مدينة ليون الشهيرة ومنها الى باريس فاستقبله اعيان الدولة وخرج اهل باريس لرؤيته وحصل في طرقاتها مع اتساعها من شدة الازدحام ما لحق به الضرر للضعفاء والاولاد وكان نزوله في المنتزه الذي اعدته الدولة لهُ وبعد اخذ الراحة اجتمع بالامبراطور نابليون الثالث فرأى من انسه ولين جانبه ما يعجز الواصف ان يصفه واستمر جلوسه عنده نحو الساعة ثم اجتمع بوزراء الدولة وامرائها وقادة الجيوش

فمن دونهم من المامورين وكلهم فرحون مبتهجون بمشاهدته معجبون بحسن مجالسته ولذيذ محادثته وكان اذا خرج الى محل تسابق الناس الى الطريق التي يسلكها وكلما مر بجماعة يصرخون ليعش الامير عبد القادر ودعاه سائر امراء العائلة الامبراطورية النابليونية الى منازلهم واحتفلوا لضيافته بانواع الزينة وغيرها من دواعي السرور وفي العاشر من ربيع الاول واول اغسطوس توجه الى لوندره فاستقبله وزير الخارجية في جماعة من الاعيان بالاعزاز والاعظام وكانت الملكة وولي العهد وقتئذ في اطراف الجزيرة واظهر اهل لوندره السرور بوفادة الامير الى بلادهم ولهجت به جرائدهم واطنبت في مدحه بما شاهده الاهالي من لطفه وكماله وافتخرت بزيارته بلادهم على غيرها من مدن اوربا وبعد ان اقام اربعة ايام رجع الى باريس ثم توجه الى سراية فرسالي فجال فيها وجاس خلال منازلها العظيمة ونظر الى ما فيها من الصور الحديثة والقديمة ثم دخل الى محل فيه صور الحروب التي جرت بينه وبين جنود فرانسا فتتبع بنظره تلك الصور فرأى في جميعها نصرة الجيوش الفرنسوية وغلبتها فالتفت الى الجنرال الحافظ على ذلك القصر وقال له ولمَ لم تثبتوا صوَر الحروب التي انهزمت فيها جيوشكم وكانت الدبرة فيها عليهم فضحك الجنرال ومن كان حاضرًا معه من الاعيان وايدوا كلام الامير وصوبوه ثم نزل الامير الى الجنينة في ساحة السراية وصلى الظهر بمن معه من رفقائه ثم ودع الجنرال وركب العربة المعدة له وتوجه الى غابة بلونيا وصلى العصر برأى من جموع كثيرة اجتمعت لرؤيته . اخبرني بعض من كان حاضرًا معه ان جميع من كان موجودًا في ذلك اليوم بتلك الغابة من الفرنساويين وغيرهم وقفوا صفوفًا ينظرون الى صلاته ويمدحونه على اظهار شعائر دينه ثم قال والحق يقال ان منظر الامير منتصبًا للصلاة امام الجميع خاشعًا لحضرة الحق تعالى لمن المناظر التي تتحرك بها القلوب وتصرفها الى جانب الحق تعالى وبعد ان اتم صلاته توجه الى محل نزوله واتخذت الحكومة على محل صلاته سياجًا من حديد احترامًا له وهو موجود لهذا العهد ثم دعاه الامبراطور الى معسكر شالون ليحضر معه موسم عيده فاقام عنده يومين في اعزاز واكرام ثم رجع الى باريس وتوجه الى برست وحضر الاحتفال البحري وكانت الدوارع الفرنساوية والانكليزية راسية في مينا تلك البلدة فجرى للامير الاستقبال العجيب من الوزراء وقادة البوارج وضباطها وضربوا له المدافع واجروا الحركات الحربية ولم يتركوا شيئًا من انواع الزينة البحرية الا اجروه ثم رجع الى باريس وفي الثامن والعشرين من الشهر المذكور ركب سكة الحديد الى مدينة امبواز التي اقام فيها اسيرًا اربع سنين ولما وصل

محطتها وجد جميع سكانها ينتظرون وصوله فقابلوه بالفرح والسرور ومشى الاعيان والوجوه بين يديه الى محل نزوله ثم قام احد الاعيان وتلا خطبة مدح فيها الامير وفي اليوم الثاني دعاه حاكم البلد الى محله واحتفل لضيافته باسم كافة اهل البلد فكانت وليمة شائقة حافلة حضرها جميع وجوه المدينة واعيانها وتليت خطب الشكر للامير والثناء الجميل عليه حيث شرف مدينتهم وراعى ما كانوا عليه ايام اقامته عندهم من الخلوص والمودة له ثم شيعوه الى المحطة مظهرين شعائر الاسف على سفره . وايام اقامته في باريس دعي الى منازل الوزراء ورجال الدولة والقسيسين وكان اكثرهم يطلبون منه ان يكتب لهم شيئًا يتذكرونه به فكان يكتب لكل واحد ما يناسب حاله ومقامه فيكتب لهذا بيت شعر في المدح ولهذا في الموعظة وللآخر حكمة من حكم الاقدمين وهكذا فكانوا لذلك من الشاكرين له متعجبين من المناسبات التي يقفون على سرها ويصلون بافهامهم الى المراد منها وفي اثناء المحادثة كلم الامبراطور في شان الشيخ شمويل الداغستاني بقوله ان الناس لما علموا شدة اعتنائكم بشؤني وحسن التفاتكم اليّ صاروا يتعلقون بي في مصالحهم الجسيمة وهذا الامام شمويل المحبوس عند ملك الروس قد كتب اليّ مرارًا لما كنت بالشام وفي مكة المكرمة يريد مني السعي بهمتكم في خلاصه الى بلاد الاسلام والآن ارسل اليّ رسولاً مخصوصاً لهذا الامر وقال ان عمره قارب السبعين فهو يحب ان يموت عند المسلمين ولما كنت في الاستانة تذاكرت مع سفير روسيا في امره فاجابني بان شمويل طلب منذ اربع سنين من الملك ان يطلقه من حبسه الى مكة وان الملك اجابه بان يصبر الى نهاية الحرب في داغستان والحرب انتهت الآن واحوال داغستان قد انصلحت واستقامت فلا مانع من اطلاقه ولكن لا يكون ذلك الا بعد انتهاء مهاجرة الجراكسة من بلادهم الى بلاد الدولة العلية وربما يتم ذلك في مدة ستة اشهر ثم اني تكلمت مع الصدر الاعظم ووزير الخارجية في مدة اقامتي في الاستانة في هذا الامر فقالا اذا اطلق ملك الروس سراح الشيخ شمويل فالدولة العلية تقبله في ممالكها وبناء على هذا فاذا حسن عند حضرتكم فاني اذهب برسم الزيارة الى قيصر الروس وتقديم الشكر على النيشان الذي ارسله اليّ ثم اطلب منه تسريح شمويل واني لم اعتن في امره الا لكونه سلك في الطريق الذي سلكته وكل انسان يميل بالطبع الى شبيهه ولا سيما انه اسير كما كنت اسيرًا مدة طويلة ولولا ان العناية الالهية استعملتكم في خلاصي واطلاق سراحي لما كنت تخلصت . ولما بلغ الامير تاسف ملكة انكلترا على عدم حضورها في لوندره حين شرف اليها كتب الى ولدها وولي عهدها ما نصه

المعروض منذ زمان ارقب فرصة احضر فيها الى عاصمتكم الملوكية واجتمع فيها بحضرة الملكة وحضرتكم ولما تهيأت الاسباب توجهت نحوكم فلم يقدر الله لنا ما نويناه من الاجتماع وبعد ان اقمنا في لوندره اربعة ايام وقام بضيافتنا فيها وزير الخارجية وغيره من اعيان الدولة رجعنا الى باريس شاكرين لهم وقد ارسلت مكتوبي هذا الى سموكم لينوب عني بما امكن في تقرير الحال لديكم حرر في رابع اغسطوس سنة خمس وستين وثمانمائة

ولما علم الامبراطور نابليون ان المرتب المرسوم للامير غير كاف لمصارفه الكثيرة امر له بزيادة خمسين الف فرنك في السنة من خزينته الخاصة ثم بلغ الامير ان زوجة الامبراطور كانت السبب في هذه الزيادة فكتب لها يشكر فعلها وشدة اعتنائها باموره بقوله اما بعد فان وزير الخارجية اخبرني بان حضرة الامبراطور وفقه الله زاد في مرتبي خمسين الف فرنك ثم اخبرني الجنرال فلوري بان حضرتك كنت السبب الاقوى في حصول هذا الخير الجسيم لنا فحملني ذلك على ان اشكر صنيعك معنا وسعيك في عمل الخير زادك الله توفيقاً الى مثل هذا المبرات التي لا شك انها تخلد لكم ذكراً حسناً في العالم وفي ايام اقامته في لوندرا قدمت الى حضرته الجمعية المؤسسة لحماية بني الوطن فيها تحريراً صورته

الى سمو الامير عبد القادر اما بعد فنحن الواضعون اسمانا في هذا التحرير عمدة جمعية حماية بني الوطن قد سررنا وابتهجنا عند ما سمعنا بوصولك الى عاصمتنا لاننا نحب شخصك ونحترمه نظراً لما نعرفه من حسن اخلاقك وصفاء طويتك لسائر عباد الله ولا يخفى ان مبادي هذه الجمعية التي نحن مرتبطون بها توجب علينا ان نحب ونحترم ابناء الشرف وتلزمنا بمراعاة مصالحهم وقد رجح ميلنا نحوك لانك مملوء بالشفقة والرحمة على عباده تعالى وبرهان ذلك ما ابديته مع الوف من مسيحي دمشق حين التجؤا اليك فانك آويتهم وبالغت في الاحسان اليهم مع انهم ليسوا من ابناء دينك فنحن الان بالنيابة عن نصارى هذه العاصمة نؤدي لك الشكر والثناء الجميل حيث انك جبرت المنكسرين ثم نخبرك اننا قد تمثلنا بين يدي امبراطور فرنسا واديناه له ما يليق بعظمته من الشكر على احسانه الى سكان الجزائر ونفرح الان بكوننا نخاطبك ايها السيد المحترم ونسأل الله تعالى ان يديمك رحمة للمساكين زمناً طويلاً وقبيل سفره زاره رؤساء بلدية باريس وقدموا له ثلاث مادليات الواحدة مموه بالذهب والثاني مموه بالفضة والثالث نحاس ففي الجهة الواحده نصف صورة الامير مكتوب على دائرتها عبد القادر بن محيي الدين امير افريقيا الشمالية حامي المسيحيين المظلومين

ولد في معسكر سنة ٨٠٧ ومكتوب في الجهة الثانية جيكورتا الثاني قاوم اقوى امة في الارض سنة عشر سنة سلم سيفه في دسمبر سنة ٨٤٨ اعطاه نابليون الحرية سنة ٨٥٢ حامي مسيحيي الشام سنة ٨٦٠ فرانسا التي حاربها تحبه وتفتخر به وبعد هذه الكتابة صورة يدان يتصافحان وجيكورتا اسم رجل من افريقية حارب الرومانيين ودافعهم عن وطنه وبعد ان قضى الامير جميع مآربه في باريس ودع الامبراطور ووزراءه واعيان باريس ووجوهها وخرج منها في الثاني عشر من ربيع الثاني والثاني من سبتمبر قاصداً دمشق وحصل له في الطريق مزيد الاكرام والاحترام لا سيما في مدينة ليون الشهيرة فان حاكمها جمع عساكرها واجرى في ساحتها بين يدي الامير حركات حربية عجيبة قسم فيها العسكر الى برية وبحرية واتفق ان البرية انكسر جانب منها فامدها الجنرال مونتوبان وهو القائد الاكبر بكتيبة من البحرية وكان نهر ليون العظيم حائلاً بين الطائفتين فلما امر العسكر بالجواز الى العدوة الثابتة لنجدة الفئة المنهزمة وضع كل واحد منهم دفة كانت معه على متن الماء بازاء دفة الآخر فصاروا جسراً واجازوا عليه وفي اقرب وقت كانت تلك النجدة حاضرة في الميدان دافعة للفئة الغالبة فعجب الامير من تلك الكيفية الحربية الغريبة في سرعة الحركة ولما وصل الى مرسليا استقبله حاكمها واعيانها استقبالاً بهر عقل من شاهده ومنها ركب البحر الى بيروت وتوجه الى دمشق على احسن الاحوال واكملها فدخلها على اكمل الهيئات واجملها

﴿ ذكر ما اجاب به الامير عن اسئلة ارسلها اليه الجنرال دوماس الفرنساوي ﴾

وهذا الجنرال من اكبر قواد الجنود الفرنساوية في الجزائر الذين اشتهروا بالاقدام في حروبها العظيمة ووقائعها الجسيمة مع الامير وكان تعين عنده وكيلاً بام عسكر في المعاهدة الاخيرة وتعلم اللسان العربي واطلع على اشياء من احوال اهل الوطن فكتب اسئلة تتعلق بذلك وبعثها الى الامير وطلب الجواب عنها ونحن نذكر كل سؤال منها مع جوابه فنقول

﴿ السؤال الاول ﴾

قد راينا المسلمين يتزوجون من غير ان ينظر احدهم الى من يريد ان يتزوج بها وربما عند الاجتماع يجد كل منهما الآخر منافياً لمطلوبه فيقع النفور من احدهما او منهما

معاً وهذا يؤدي الى سوء المعاشرة مدة حياتهما او الى الفراق لا محالة

﴿ الجواب ﴾

ان المسلمين لا يتزوج احدهم الا بعد النظر الى من يريدها من النساء او يرسل امرأة عاقلة عارفة بما يستحسنه الخاطب ويستقبحه من صفات النساء واحوالهن فتنظرها ثم تخبره بما رأته من صفاتها واحوالها واعلم ان شرع الاسلام لا يمنع من النظر بل يجوز للرجل اذا اراد ان يتزوج بامرأة ان ينظر الى وجهها ويديها ورجليها كما يجوز للمرأة ان تنظر الى الرجل الذي تريد ان تتزوج به وقد ورد في الحديث الشريف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد احدكم ان يتزوج بامراة فلينظرها فان بذلك تدوم الالفة والمحبة بينهما ومن كلام العرب في هذا المعنى كل نكاح وقع من غير رؤية فعاقبته همٌّ وغم فالتزويج من غير رؤية غرر والغرر يكون في الجمال وفي الاخلاق فالغرر في الجمال يزول بنظر كل من الرجل والمراة الى الآخر والغرر في الاخلاق يزول بسؤال الجيران ومن يخالط كلا منهما ولا يصدق في الخبر عن الجمال والاخلاق الا من كان عالماً بهما صدوقاً في خبره لا يميل الى احد الطرفين فيزيد في المدح ولا يحسدها فيقصر في الوصف دون ما هو كائن ومن كلام العرب اربعة لا تقدم عليها حتى تسأل الخبير بها عنها المرأة لا تخطبها حتى تسأل عن منصبها وخلقها وخلقها والطريق لا تسلكها حتى تعرف انها مامونة او مخوفة والبلد لا تستوطنها حتى تطلع عن سيرة سلطانها واخلاق اهلها والسوق لا تقصدها حتى تعلم نافقها من كاسدها ومن كلامهم الندامات ثلاثة ندامة يوم وندامة سنة وندامة العمر فندامة اليوم بان يخرج الرجل قبل الغذاء وندامة السنة بترك الزراعة في وقتها وندامة العمر بان يتزوج من غير نظر ولا سوال خبير

﴿ السؤال الثاني ﴾

ان المسلمين يتزوجون من غير ان ياخذوا من الزوجات مالاً وانما الزوج يدفع للمرأة الصداق وبذلك يحسبها ملكه ويجعلها بمثابة الاشياء التي تشترى

﴿ الجواب ﴾

ان المرأة اذا كان لها مال فان شرع الاسلام يلزمها ان تاتي منه معها بقدر صداقها الذي دفعه الزوج لها فان لم يكن لها مال فلا يلزمها شيء ولا يتزوج المرأة لاجل مالها الا اخساء الناس فاكثر المسلمين لا يتزوجون النساء لمالهنَّ ويقبح على الرجل الكريم ان يخطب امرأة ويسأل عن مالها ومن كلام العرب اذا خطب الرجل المرأة وسأل

عن مالها فهو سارق لص وقالوا هذا فعل يشبه التجارة وليس من مقاصد النكاح ولا من مكارم الاخلاق فاذا كان الحامل للرجل والباعث له على تزويج المرأة مالها فقط فلا شك انها لا تدوم الالفة بينهما لان المال عرض زائل فاذا زال المال زالت الالفة وكذلك اذا منعت المراة مالها من الزوج ومن كلامهم يلزم ان يكون الرجل فوق المراة بثلاثة اشياء المال والسن والشرف والا احتقرته ومن كلامهم اياك ان تتزوج المراءة التي تنظر لما في يديها بل تزوّج من تكون هي تنظر لما في يديك فاذا كان المال تابعاً للجمال والشرف دامت الالفة واعلم ان العرب لما كانوا يحبون النساء محبة شديدة كانوا لا يسألون عن مال المراة ولا تجد امراءة بلغت حد التزويج وهي بلا زوج بخلاف غيرهم فانك تجد المرأة التي لا مال لها في سن الثلاثين والاربعين وهي من غير زوج لانهم لا يحبون النساء لذواتهن بل يحبونهن لدراهمهن ولو دفع الرجل العربي للمراة قناطير الذهب والفضة لا يحسبها ملكه ولا يجعلها بمثابة الشيء المشترى كما زعمتم وانما يرى ان الفضل له عليها لان الله فضل الذكر على الانثى فاول ما خلق الله الذكر ثم خلق الانثى منه فالذكر اصل والمرأة فرع والاصل اشرف من الفرع وفي العهد القديم في سفر التكوين قال الله لحوآء تكونين تحت سلطان الرجل وهو يتسلط عليك فاذا خالف الرجل هذا وصار تحت قهر المراة فقد خالف حكمة الله واستحق الغضب من الله لان الله جعل الرجل متبوعاً لا تابعاً وآمراً لا مأموراً وناهياً لا منهياً وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن عند الزفاف كيف يختبرن ازواجهن فتقول الام لابنتها يا بنية اختبري زوجك قبل الاقدام والجراءة عليه فانزعي زج رمحه فان سكت فقطعي اللحم على ترسه فان سكت فكسري العظام بسيفه فان سكت فاجعلي البرذعة على ظهره واركبيه فانه حمارك

﴿ السؤال الثالث ﴾

من عادة المسلمين انهم يتزوجون اربعة من النساء ويتخذون ما يقدرون عليه من الجواري فنحن نتعجب من الحرة كيف تعيش مع الجارية وربما تكون هذه العادة سبباً في فساد العشرة ونزاع الورثة وقوة الغيرة ومباغضة الاولاد بينهم فينقلب الامر المطلوب ويفسد العيال والذي ينبغي للرجل ان لا يحب امرأة اكثر من الاخرى فكيف يعمل اذا فسدت العشرة وبماذا يصلح فسادها وما الذي عندكم في الشرع حين تقع المنازعة بين النساء اعني ما الذي يفعله الرجل في

الصلح بينهن

﴿ الجواب ﴾

ان الله تعالى خلق النسآء لتكثير الاولاد وتفريقهم في اقطار البلاد ومن اراد تكثير الغلة يكثر المزارع ويجعلها اكثر من الحارث والله تعالى ما افترض على الرجل تزويج اربع نسوة وانما افترض عليه سلامة الدين والكف عن الزنا فمن كانت سلامته في واحدة فهو افضل ومن لم يسلم دينه بواحدة اذن له في ان يتزوج اكثر من واحدة فالله تعالى لا ياذن لعباده في فعل ما فيه ضرر فلو كان في فعل ما ذكرته ضرر ما فعله الانبياء عليهم الصلاة والسلام ففي التوراة في الاصحاح التاسع والعشرين ان يعقوب تزوج ليا وراحيل وفي الاصحاح السادس والعشرين ان عيصو اتخذ نسآء منهن يهوديت وبسمات وفي سفر التكوين في الاصحاح الرابع فاخذ له لامك امرأتين اسم احداهما عادى واسم الاخرى صالى والجماع اعظم اللذات الجسمانية رأيت في بعض الكتب ينفق ذو المال ماله في ثلاثة وجوه في الصدقة ان اراد الآخرة وفي مصانعة السلطان ان اراد الدنيا وفي النساء ان اراد لذة العيش ومن كلام العرب ذهبت اللذات الا من ثلاث الخلوة بالنسوان وشم البنين وملاقات الاخوان ومن منافع الجماع انه يبسط النفس ويفرحها ويطرد الغضب ويذهب الافكار الرديئة والظنون السيئة ويسكن عشق العاشق اذا اشتد عليه والاكثار من الجماع في امراة واحدة لا يكون لذيذاً في الغالب لان ملازمة الشيء الواحد يوقع في الملل والقرف وقد اتفق الاطباء على ان اشد ما يساعد على تنبيه الشهوة بعد اليأس منها تجديد النسآء والجماع عظيم النفع لاصحاب الابدان القوية ولما كانت الشهوة تغلب على مزاج العرب كانوا اكثر الناس نساء لانهم يقدرون على كثرة الجماع واكثرهم لا تكفيه المرأة الواحدة بل تبقى نفسه مشوشة فيلزمه ان يزيد حتى تستريح نفسه ولا يتشوق للزنا ومن المعلوم ان كثيراً من نسآء العرب يشتكون ازواجهن من كثرة الجماع ويدعونهم الى القاضي لمحاكمة ومن العرب من يكرر الفعل مرات عديدة في ليلة واحدة وربما تقول ان هذا شيء سمعت به لا انك رايته فيحتمل الصدق والكذب فاخبرك عن نفسي فاني اكرر الفعل في الليل والنهار ولا تمضي عليّ اربعة وعشرون ساعة من غير جماع الا في القليل النادر من الزمان وذلك لعذر كسفر ونحوه ومن كانت هذه حالته فهو محتاج لتكثير النساء فاذا كانت له امرأة واحدة وحاضت او نفست او مرضت او سافرت فلا يقدر

على الصبر واذا لم يجد محلاً حلالاً يدعوه الشيطان الى الزنا فيهلك ومن المعلوم عند
الاطباء انه اذا حصل للرجل ما يوجب انزال الماء الى الاوعية كتذكار واحتلام وكان
الانسان قويًا وترك الجماع وقع في الامراض العسرة البرء فاذا كان عند الرجل اكثر
من واحدة لا يحصل له ضرر ولا يزني في الغالب واما غير العرب فيكفي الرجل منهم
امرأة واحدة وربما لا يقوم بحقها ولا يشبعها نكاحًا ومن الاسباب التي اوجبت كثرة
النكاح في العرب حلق شعر العانة من الرجل والمرأة فان عدم الحلق ينقص الشهوة ويضعفها
ومنها استعمال نساء العرب للروائح الطيبة كالمسك والعنبر فان الطيب من اقوى الدواعي
للوطىء ومنها الختان فان الغصن اذا قطّ وزبر قوي واشتد وغلظ وما دام لا يفعل به ذلك
لا يزال رقيقًا ضعيفًا كما هو مشاهد وهذه الاشياء لا يستعملها الا العرب وقولكم
ويتخذون ما يقدرون عليه من الجواري كذلك هو حلال في شرع الاسلام وفي الشرائع
القديمة وفعله الانبياء عليهم الصلاة والسلام ففي التوراة في الاصحاح السادس عشر ان
سارة امراة ابراهيم كانت لها امة مصرية اسمها هاجر فقالت لبعلها هوذا حرمني الرب
الولد فادخل على امتي فدخل بها فحبلت وفي الاصحاح الثلاثين ان راحيل اعطت امتها
نبها الى يعقوب وولدت له ولدين وكذلك امرأته ليا اعطته زلفا وولدت له ولدين وفي
الاصحاح الثاني والعشرين ان سرية ناصور اخي ابراهيم اسمها روما ولدت له طابخ وحاجم
وناخس ومعكا وكان لنبي الله داود عليه السلام عدة كثيرة من الجواري ولابنه سليمان
سبعمائة امراة وثلاثمائة سرية والعرب يحبون اولاد الجواري ويقولون ليس قوم اكيس من
اولاد الجواري لانهم يجمعون بين عز العرب وعلوّ همتهم وبين دهاء العجم وكمال عقولهم
ومن كلامهم اذا كانت المرأة لا تلد واتخذ زوجها جارية فانها تلد بسبب الغيرة وقولكم
ونحن نتعجب من الحرة كيف تعيش مع الجارية فاعلموا ان الجارية لا تصل في المقام
والمنزلة الى مقام الحرة ومنزلتها بل دائمًا تكون في قبضتها وتحت امرها تقبل يدها ورجلها
وتخدمها ولا تخرج عن طاعتها وامرها ونهيها ولا تحدثها نفسها انها تساوي سيدتها ولا
يمكن ان يقر بها سيدها الا سرًا من الحرة ولذلك تسمى سرية اخذًا من السر وقولكم
ينقلب الامر وتفسد العشرة الخ هو حق ولكن في حق الفقير واما اذا كان الرجل غنيًا
يجعل لكل امرأة دارها وحدها ويعطيها ما تطلبه من الامور اللازمة فلا يحصل كبير
ضرر وقولكم ينبغي للرجل ان لا يحب امراة اكثر من الاخرى وهل يقدر على ذلك
جوابه ان التسوية بين الزوجات في المحبة ليس بلازم في الشرع لان الحب لا اختيار
للانسان فيه حتى يقدر على فعله وتركه بل هو امر ضروري لا قدرة له على دفعه ولا

على الزيادة فيه ولا النقص منه بل هو على حسب ما يضعه الله في القلب وللمحبة اسباب في المحبوب اما جمال او احسان والقلوب مجبولة مقهورة على حب الحسن والاحسان ولا يقدر الانسان ان يبغض الوجه الحسن ولا من يحسن اليه قال بعض الشعراء

في وجهه شافع يمحو اساءته من القلوب وجيه اينما شفعا
مستقبل بالذي يهوى وان كثرت منه الذنوب ومعذور بما صنعا

ولا يقدر الرجل ان يسوى بين زوجاته في الحب ابداً ولا يعاقبه الله على ذلك ولا يلزمه التسوية بينهن في الجماع وانما تجب التسوية في المبيت فقط يبيت عند هذه ليلة بنهارها وكذلك عند الاخرى وتجب عليه التسوية ايضاً بينهن في اللباس والاكل والفرش والكلام والمباسطة وفي كل ما يرضيهن ويطيب قلوبهن واذا ظلم امراة بليلتها قضى لها ليلة اخرى واذا اراد السفر يجعل القرعة بينهن فمن خرجت قرعتها سافر بها واذا رجعت من السفر لا يحاسبها ضرائرها بايام السفر وقولكم وما الذي عندكم في الشرع حين تقع المنازعة بين النساء اعني ما الذي يفعله الرجل في الصلح بينهن اقول انه يلزمه ان يبحث عن الظالمة من نسائه فيعظها ويخوفها فان تابت فذلك وان لم تتب فانه يهجرها ويترك الكلام معها واذا نام عندها في الفراش يوليها ظهره يفعل معها ذلك ثلاث ليال الى عشر ليال والى شهر فاذا تابت وطلبت العفو حصل المراد والا فالطلاق والفراق

« السؤال الرابع »

رايت الناس يلومون العرب على ضربهم نساءهم وعلى استعمالهن في الخدمة فوق طاقتهن وعلى قلة المبالاة بهن وهم مستريحون لا يخدمون ولا يعملون شيئاً

« الجواب »

لا يضرب النساء الا اوباش الناس والسفهاء الذين لا دين لهم ولا مروءة واما افاضل العرب واهل الدين منهم فانهم لا يفعلون مع النساء اذا فسد حالهن الا ما يطيب قلوبهن ويرضيهن من حسن الكلام ولين الخطاب والمداراة والتلطف حتى ان الرجل يجوز له ان يكذب على زوجته ويعدها ويمنيها اذا رأى ذلك يكون سبباً في طيب قلبها ورضاها واذا فسد حال المرأة ولم تنفع فيها المداراة ولين الجانب فانه يفعل معها ما اذن فيه الشرع من الوعظ والهجر ثم الضرب الخفيف الذي لا يغير جلداً ولا يسيل دماً وقد نهى شرع الاسلام عن ضرب النساء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا

يضرب النساء الا اشرار الرجال وكان صلى الله عليه وسلم عند موته يوصي بالنساء ويقول استوصوا بالنساء خيرًا حتى ثقل لسانه وخفي كلامه وقد جاءت الوصية بالنساء في القرآن في مواضع كثيرة فيلزم الرجل تحسين خلقه مع النساء واحتمال الاذى منهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صبر على خلق امرأته اعطاه الله من الاجر ما اعطى ايوب على بلائه وليس حسن الخلق بالمرأة كف الاذى عنها بل احتمال الاذى منها والحلم عند غضبها واما خدمة النساء وتكليفهن فوق طاقتهن وعدم خدمة الرجال فهذا ما رايناه ولا نعرفه بل الذي رايناه وعرفناه هو ان الرجل اذا كان غنيًا فزوجته لا تخدم شيئًا وان كان ولا بد فانها تخدم الخدمة الخفيفة داخل البيت بشرط ان لا يحصل لها بها ادنى ضرر وان كان الرجل فقيرًا فهو يخدم الخدمة التي تناسب الرجال كخدمة الفلاحة والمواشي والتجارة والمراة تخدم الخدمة التي تناسب النساء كالغزل والنسيج والخياطة والطبخ في الحاضرة وسقي الماء والاحتطاب في البادية واذا كان الرجل صاحب دين ومروءة فلا يكلف زوجته بخدمة خارجة عن البيت ولو كان فقيرًا فهو يسقي الماء ويحتطب على ظهره ولا يمكن زوجته من الخروج من البيت

﴿ السؤال الخامس ﴾

بنات الاكابر من المسلمين لا همة لهن الا في زينتهن وتبرجهن بحيث انهن لا ينظرن الى غير ذلك ولا يحسن بالمرأة ان تهمل اوقاتها وتفوتها في البطالة فان ذلك ينشاء عنه شرور كثيرة

« الجواب »

ان المرأة عند المسلمين لا تترك الخدمة كما سبق سواء كانت من بنات الاكابر او بنات الاصاغر فاذا كان زوجها فقيرًا تشتغل بالخدمة دائمًا واذا كان زوجها غنيًا تشتغل بالخدمة في اوقات مخصوصة لا في سائر الاوقات وما سمعنا بامرأة معرضة عن الخدمة مقبلة على اللهو والبطالة الا اذا كانت صغيرة لا تدرك ولم تصل الى حد التكليف بشؤون الخدمة ومن اخبرك بخلاف هذا فقد اخطأ وقد كان والدي من الاشراف الاغنياء وكان في بيته نحو الستين نفسًا بين خادم وخادمة ومع ذلك فان بناته ونساءه لم يتركن الخدمة اللائقة بهن في اوقاتها المخصوصة . حكي ان امرأة من العرب كان ابوها اميرًا وزوجها اميرًا وهي تغزل الصوف فقيل لها لم تغزلين

وانت شريفة غنية عن الغزل فقالت انه يطرد الشيطان ويقطع حديث النفس ومن اقوال العرب خير لعب المرأة بالغزل والابرة واما اشتغال المرأة بالزينة في اوقات مخصوصة فهو مطلوب منها لان التزين من الاسباب التي تدوم بها الالفة والمحبة بين الزوجين قال بعض العرب ان المرأة تنال محبة زوجها بعد تمام حسن خلقها وكمال خلقها بان تكون مداومة على الزينة عارفة بما يزيد في حسنها من انواع الحلي واختلاف الملابس وبما يستحسنه زوجها واتفق حكماء العرب والعجم على ان اثارة الشهوة لا تكون الا بالموافقة التامة من المرأة ولا شك ان تزينها لزوجها مما تتم به الموافقة ومن كلام العرب في الامثال عقل المرأة في جمالها وجمال الرجل في عقله ويلزم الرجل ان يتزين لزوجته بما هو من زينة الرجال فان المرأة تحب ذلك ولا تطمح نفسها الى غير زوجها اذا رأت رجلاً جميلاً فكما ان الرجل اذا كانت له زوجة وسخة قذرة ورأى امرأة متزينة نظيفة الثياب يشتهيها قلبه كذلك المرأة اذا رأت زوجها قذرًا وسخًا ورأت رجلاً آخر نظيفًا جميلاً تشتهيه نفسها

«السؤال السادس»

ان المسلمين نرى الرجل المسن منهم يخطب البنت الصغيرة ويأخذها وعند النصارى هذا عيب ووقاحة وقليل من يصبر على هذه الوقاحة ويأخذ بنتًا صغيرة وهو كبير هرم

«الجواب»

هذا غير مسلم بل فيه عيب كبير عند المسلمين وقليل من يفعله منهم نادر والنادر لا حكم له اذ الغالب فيه عدم الالفة والمحبة من البنت الصغيرة للشيخ غير مرجوة بل لا بد ان تكرهه وتنفر من شيبه ومن طبع النساء النفور من الشيب قال امرؤ القيس

ان تسألوني عن النساء فانني خبيرٌ باحوال النساء طبيبُ

اذا شاب رأس المرء او قل ماله فليس له في ودهن نصيبُ

وقال بعض العرب وقد كان شيخًا شائبًا رأيت امرأة جميلة فقلت لها ايتها المرأة ان كان لك زوج بارك الله لك فيه والا فاخبرينا فقالت له فيَّ شيء لا تحبه قال قلت ما هو قالت شيب في راسي وتبسمت ضاحكة من قولي فذهبت عنها فقالت لي ارجع والله ما بلغ سني عشرين سنة وهذا راسي ولكن الشيب في راسك فاعلمتك انا نكره منكم ما تكرهونه منا وقيل لامرأة من العرب ما تقولين في ابن عشرين سنة قالت ريحانة يشم قيل لها فابن ثلاثين قالت قوي متين قيل لها فابن اربعين قالت ابو بنات

وبنين قيل لها فابن خمسين قالت عجوز في جملة الخاطبين قيل لها فابن ستين قالت صاحب سعال وانين وعندنا اذا صبغ الرجل شيبه وتزوّج المرأة واوهمها انه شاب فان الشرع يعاقبه ويفسخ النكاح ويبطله وكان رجل خطب امرأة وصبغ شيبه فعرفت المرأة ولامته فقال

قالت اراك خضبت الشيب قلت لها ... سترته عنك ياسمعي ويا بصري

فقهقهت ثم قالت من تعجبها ... تكاثر الغش حتى صار في الشعر

وكذلك المرأة العجوز اذا تزوجت شاباً صغيراً يتخذها الناس هزوءاً وسخرية

« السؤال السابع »

المرأة عند النصارى تحب على ما فيها من الخصال الحميدة التي حصّلتها وافعالها الجميلة واما عند المسلمين فانها لا تحب الا على حسب جمالها في الكثير وفي القليل على حسب اصلها

« الجواب »

ان المسلمين يحبون المرأة الجميلة اذا كان مع الجمال دين وصيانة وانما يرغبون في المرأة الجميلة لان الالفة والمحبة لا يحصلان في الغالب الا مع الزوجة الجميلة والطبع لا يكتفي بالمرأة القبيحة المنظر واما الجمال الذي لا صيانة معه فهو مذموم وقلما توجد الاخلاق الجميلة والآداب الا تابعة للحسن لان الظاهر عنوان الباطن والبدن بما فيه مطابق للنفس وصفاتها فحسن الخلق والخلق لا يفترقان في الغالب ومن امثال العرب حسن الصورة اول السعادة والنظر الى الوجه الحسن يورث الفرح ويزيد في نور البصر والنظر الى الوجه القبيح يورث العبوسة ويضر البصر وللجمال سلطان على النفوس الشريفه تخضع وتذل له واما النفوس اللئيمة فلا فرق عندها بين جميل وقبيح وهي النفوس البهيمية . يحكى ان احد ملوك الفاطميين قال شعراً من جملته

نحن قوم تذيبنا الاعين النجـ ... ـل على اننا نذيب الحديدا

وترانا لدى الكريهة احرا ... راً وفي السلم للغواني عبيدا

فاتفق انه غزا الشام وحاصر مدينة بها فلما اشرف على اخذها قالت لاهلها امرأة منهم كانت مشهورة بالجمال انا ارحله عنكم فخرجت اليه متنقبة وقالت انت القائل نحن قوم تذيبنا الاعين النجل الى آخر البيتين قال نعم فازالت النقاب عن وجهها وقالت له أجمالاً ترى قال نعم والله فقالت له ان كنت صادقاً في قولك انك عبد للحسان فارحل عن هذه المدينة فرحل من يومه والجمال الذي تحبه العرب

هو ان يكون في المرأة اربعة سود واربعة بيض واربعة حمر واربعة كبار واربعة صغار واربعة واسعة واربعة ضيقة اما السود فشعر الراس وشعر الحاجبين واشفار العينين والحدقتان واما البيض فاللون وبياض العينين والثغر والظفر واما الحمر فالوجنتان والشفتان واللسان واللثة واما الكبار فالثديان والفرج والركبتان والعجيزة واما الصغار فالاذنان والفم واليدان والرجلان واما الواسعة فالجبين والعينان واصول الثديين والسرة واما الضيقة فالمنخران والاذنان والخصر والفرج وكانت العرب تحب المرأة الزرقاء العينين ويتيمنون بها وقولكم وعلى حسب اصلها في القليل فاعلم ان العرب كانوا يرغبون في الجمال والاصل معاً ولما جاء الاسلام رغبوا في المرأة ذات الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكح المرأة لجمالها ولمالها ولحسبها ولدينها فعليك بذات الدين اي اختزها وقربها من بين سائر النساء وقال لا تنكحوا المرأة لما لها فلعل مالها يطغيها ولا لجمالها فلعل جمالها يرديها وانكحوا المرأة لاجل دينها فاذا كانت المرأة جميلة متدينة من بنات الاصل فهي الغاية عند العرب لانها اذا كانت اصيلة تربي اولادها مثل تربيتها ولانها تلد مثل ابيها واخيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم فان العرق نزاع وقال بعض العرب انا لا اتزوج المرأة حتى انظر الى ولدي منها فقيل له وكيف ذلك فقال انظر الى ابيها واخيها وعمها فانها تلد مثل احدهم لا محالة والحاصل ان الخصال المطلوبة في المرأة المطيبة للمعيشة التي لا بد من مراعاتها ستة الديانة وحسن الخلق والجمال والولادة والبكارة والنسب فاذا كانت دينة صانت فرجها وصانت وجه زوجها من المعرة بين الناس واذا كانت حسنة الاخلاق كان زوجها في راحة بخلاف ما اذا كانت سيئة الاخلاق جاحدة للنعمة كان الضرر منها اكثر من النفع واذا كانت حسنة الوجه كفت نظر زوجها عن النظر الى غيرها وحفظت فرجه من الزنا لان الطبع لا يكتفي بقبيحة الوجه واذا كانت ولوداً حصل منها اعظم فوائد النكاح وتعرف انها ولود بان تكون شابة صحيحة فانها تكون ولوداً في الغالب واذا كانت بكراً فانها تحب الزوج وتالفه لان الطباع مجبولة على الانس باول مألوف لها واذا كانت بنت اصل ولها حسب كانت مؤدبة مهذبة وتربي اولادها مثل تربيتها

« السؤال الثامن »

بلغنا عن العرب ان احدهم لا يحترم زوجته ولا يحسبها الا كخادمة له ولا يشاورها ولا يقربها الا عند قضاء شهوته ولا يعتد بكلامها ونحن عندنا الامر بخلاف ذلك فنشاور

المراة على كل شيء وهي رئيسة البيت وكيف بالعرب يؤخرون المرأة عن كل الامور

« الجواب »

الامر على خلاف ما سمعتم فان المرأة لها حرمة عظيمة عند العرب وذلك انهم يحبون النساء كثيراً ومن لازم المحبة الاحترام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اكرم النساء الا كريم ولا اهان النساء الا لئيم وقال عليه الصلاة والسلام لاصحابه خيركم خيركم لامرأته وانا خيركم لنسائي وقال بعض حكماء العرب يلزم الرجل ان يفعل مع امراته كل شيء يحببه اليها حتى يكون هو احب الناس اليها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع امراته على يديه حتى تركب على البعير وكان امير المؤمنين معاوية يقول النساء يغلبن الكرام من الرجال ويغلبهن اللئام منهم وكان الاحنف التيمي من سادات العرب يغضب لغضبه مائة الف سيف لا يسئلون عن سبب غضبه فاذا اراد حرباً تقول العرب غضبت زبرا يعنون امراته لانه كان يمشي على رايها وكان الخليفة هرون الرشيد يقول اريد القرب من زوجتي ام جعفر واهابها واهاب الجلوس على فراشها تعظيما لها وكان ابنه المامون كذلك يروى عنه في هذا المعنى ما هو اعظم منه مع كونه سلطان اهل الارض وفي ذلك يقول

عجباً يهاب الليث حدّ سناني واهاب سحر فواتر الاجفان
ما لي تطاوعني البرية كلها واطيعهنّ وهنّ في عصيان

وكان نساء النبي صلى الله عليه وسلم يراجعنه في الكلام ويصبر اكراماً لهن وانا عبد الله كانت ابنة عمي تغضب عليّ وتواجهني بما يكره واصبر لها وفي حقها قلت من قصيدة

واخضع ذلة فتزيد تيهاً وفي تجري اراها في اشتداد
فما تنفك عني ذات عز وما انفك في ذلي انادي
ومن عجب تهاب الاسد بطشي ويمنعني غزال عن مرادي

وقولكم وزوجها لا يشاورها اعلم ان العرب يحبون النساء محبة عظيمة ويطلقون لهن التصرف في البيت بحيث تكون المرأة في بيتها مثل الحاكم الذي اطلق له التصرف في الرعية ولا يخاف تعقباً في حكمه ولا بد للرجل ان يشاور زوجته في امور بيته ويسلم لها شوؤنها لتهتم بها وتدبرها ومن عادة العرب يجتمع العيال الكثير في البيت الواحد الى عشرين نفساً واكثر وتحكم في جميع العيال امرأة واحدة وتدبر لهم امورهم وكان

في عيال والدي رحمه الله اكثر من ستين نفساً ووالدتي هي التي تحكم فيهم وتنظر في امورهم من اكل وكسوة وغير ذلك ووالدي لا يدخل في شيء من ذلك وانما يمثل امرها واما الامور التي هي خارجة عن البيت وهي من وظائف الرجال فالعرب يكرهون مشاورة المرأة فيها لان الغالب على النساء الجبن والبخل وهما من احسن صفاتهن ومن اقبح صفات الرجال اذ المدح والمزايا لا ينالها الرجل الا بالشجاعة والسخاء والنساء لا يشرن بشيء فيه اتلاف النفس والمال قال بعضهم

لا يبلغ المجد الا سيد فطن لما يشق على الايام فعال
لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والاقدام قتال

« السؤال التاسع »

الذي يظهر ان غيرة المسلمين غيرة زائدة حتى ان نساءهم لا يخرجن الا متلحفات ولا يظهرن لاصدقاء ازواجهن ولا لاقاربهم ولا لاقاربهن كابن العم وابن الخال مثلاً ونحن عندنا النساء يخرجن باديات الوجوه وبحضورهن مع الاحباب والاقارب يتم البسط ويحصل السرور وبذلك يعشن مع ازواجهن في دعة وهناء فكيف الامر عندكم وما الافضل عادتنا ام عادتكم

« الجواب »

ان غيرة المسلمين ليست بزائدة وانما هي في ميزان الوسط والغيرة اذا كانت كذلك فهي محمودة ممدوحة وهي ان لا يتغافل الرجل عن مبادىء الامور التي يخاف عاقبتها ولا يبالغ في اساءة الظن بزوجته ويراقب حركاتها وسكناتها او يتجسس عليها فان هذا ليس من مكارم الاخلاق ومن كلام العرب قولهم لا تبالغ في الغيرة على زوجتك فيرميها الناس بالزنا من اجلك والغيرة الممدوحة لا تكون الا في اشراف الناس واعلاهم همة لان الله تعالى جعل الغيرة في الانسان سبباً لحفظ الانساب قال الحكماء كل امة كانت الغيرة في رجالها كانت الصيانة في نسائها والغيرة في القلب مثل القوة التي في البدن تدفع المرض وتقاومه فاذا ذهبت القوة كان الهلاك واذا ذهبت الغيرة كان الفساد راى بعض العرب امراته اكلت بعض تفاحة ورمت بباقيها الى خادمها فضربها واكثر الحيوانات غيرة حمار الوحش فانه اذا راى الولد ذكراً قطع آلته وانثييه وقولكم نساء المسلمين لا يخرجن الا متلحفات اعلم ان المراة يجوز لها في الشرع ان تخرج لقضاء حوائجها بادية الوجه واليدين ولو كانت شابة جميلة ويجوز للرجل ان يرى من المراة الاجنبية الوجه واليدين الا اذا

قصد برؤيتها الشهوة واللذة فيحرم عليه ولما كثر الفساد وقلت المروءة وكثرت الفاحشة صار اشراف الناس واهل الديانة يامرون نساءهم بتغطية وجوههن دائمًا وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا راى امراة متحفة مغطية وجهها يامرها بكشف وجهها له فان رآها جميلة قال لها غط وجهك وان رآها قبيحة قال لها اكشفي وجهك وقولكم ولا يظهرن لاصدقاء ازواجهن ولا لاقاربهم ولا لاقاربهن اعلم ان العرب كانوا في الجاهلية يتحدث الرجال منهم مع النساء ويجتمعون معهن حضر ازواجهن او اغابوا وليس عندهم في ذلك عيب ولا عار الى ان جاء الاسلام فمنع ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة فان مبدأ الزنا معاودة النظر وقال عيسى بن مريم اياكم والنظر فانه يزرع في القلب الشهوة واول العشق النظر واول الحريق الشرر وقال حكيم لصياد رآه يتكلم مع امرأة يا صياد الوحوش احذر ان تصيدك هذه المرأة وقال بعض الحكماء النظر الى المرأة سهم والكلام معها سم ومعلوم ان النساء لحم يشتهيه كل رجل واذا دعا الرجل المرأة الى نفسه فالغالب عليها الاجابة لا سيما اذا كان الرجل شابًا جميلاً صاحب مال فحصنهن الله بالحجاب وقطع الكلام معهن وامر بمباعدة اجسادهن عن اجساد الرجال وفي المثل ثلاثة لا تؤمن على ثلاثة شاب على امراة وامراة على سر وفقير على مال وقال بعض الشعراء

لا تامنن على النساء ولو اخًا ما في الرجال على النساء امين

وقولكم النساء عندنا يخرجن باديات الوجوه ويحضرن المحافل مع ازواجهن اعلم ان محبة العرب للنساء شيء عظيم وما اظن ان جنسًا في الدنيا يحب النساء كمحبة العرب لهن فلا يمكن ان يرى الرجل المرأة الجميلة ويبقى قلبه مستريحًا ابدًا فاذا كان يخاف الله وصاحب مروءة فانه يبقى مع نفسه في قتال دائم ويحصل له تعب عظيم واذا كان لا يخاف الله ولا مروءة له فانه يبقى مشغول الفكر في معاودة النظر اليها والتحدث معها والقرب منها وكيف الحيلة في الوصول الى قضاء وطره منها وربما لا تمكنه معاودة النظر اليها مرة اخرى لاسباب تمنعه من ذلك فيبقى حيرانًا وتضيع مصالحه كلها وعندنا في الشرع اذا لبست المراة الثياب الجميلة ومرت على الرجال لينظروا اليها فانها زانية آثمة لانها تشوش افكار الرجال بسبب نظرهم اليها وذلك يؤدي الى حصول المعصية من الرجال وكذلك المرأة اذا حضرت مجالس الرجال ربما يكون زوجها قبيح المنظر او شيخًا وترى شابًا جميلاً فان قلبها يتعلق به وكذلك اذا حضرت مواضع الرقص والغناء من الرجال فان ذلك يفسدها ويحرك شهوتها ومن المعلوم عند كل احد ان الحصان اذا صهل اصغت له الحجرة ورمت الماء من فرجها واذا هدر الفحل قامت الناقة

وبركت بقربه واذا غنى الرجل اصغت له المرأة وتمنت ان تكون هي التي يغنى بها قال بعض الحكماء ليس بشيء اضر على النساء من الخروج وليس شيء خيراً لهن من البيوت والغالب ان المرأة اذا خرجت الى مجامع الرجال والنساء ومحافل الزهو لا ترجع سالمة القلب واقل مفسدة في ذلك ان ترى المرأة غيرها لابسة حلياً وثياباً احسن مما عندها فتسخط على زوجها وتكره عيشتها عنده فلهذا كان المسلمون اهل الدين والمروءة يجنبون نساءهم سماع الغناء من الرجال وحضور اللعب والرقص من الرجال والنظر الى الرجال الاجانب وسماع حكاياتهم ومجالسة النساء اللواتي يعلمن ذلك لا سيما العجائز وقال بعض الحكماء الوجه الذي يغني عن الغيرة هو ان لا تخرج المرأة الى مجامع الرجال ولا يدخلون عليها ويحكى عن امرأة من الصالحات قالت كنت جالسة مع زوجي في طاق على الزقاق فمر رجل شاب جميل الصورة فكنت انظر اليه والى زوجي فصار زوجي في عيني مثل القرد او الخنزير او الكلب ثم تبت الى الله تعالى من الجلوس في الطاق من ذلك اليوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها اي شيء خير للمرأة فقالت هو ان لا يراها الرجال ولا تراهم فقبل ما بين عينيها استحساناً لكلامها ولكن انتم معشر الافرنج لما كنتم من حين ينشأ الرجل منكم الى ان يشيب يجتمع مع النساء ويجالسهن ليلاً ونهاراً في البيوت والاسواق ومواضع اللعب وفي الطرق والنساء كذلك ضعفت محبة الرجال للنساء والنساء للرجال وقلت الشهوة لان الشهوة انما تثور بقوة الاحساس بالنظر واللمس والاحساس انما يقوى بالامر الغريب الجديد فاما الذي دام النظر اليه مدة فانه يضعف الحي عن تمام ادراكه فلا تثور به الشهوة فانتم مع الاجتماع الدائم في راحة من العشق

« السؤال العاشر »

كيف بالعرب يزوجون بناتهم صغاراً وربما يكون ذلك قبل البلوغ والمراد من التزويج الذرية والصغيرة التي لم تبلغ لا تحصل منها ذرية فهل ذلك جائز في شرعكم ام لا وربما تلد المرأة وهي بنت اثني عشر عاماً او ثلاثة عشر فلا تقدر على ترقية الولد وتربيته وعندنا البنات لا يزوجن صغاراً بل كباراً حتى لا تفسد صحتهن ولا شبابهن وليكون اولادهن صحاح الاجسام وقد رأينا المسلمين يتزوجون كثيراً ولا نرى لهم كثرة اولاد ولا رعية بخلاف غيرهم فانهم يتزوجون قليلاً ومع ذلك تكثر اولادهم وبكثرتهم تكثر الرعية

«الجواب»

اعلم ان العرب لا يزوجون بناتهم صغاراً الا لفائدة وهي اما ان تكون للزوج او لولي البنت فاما فائدة الزوج فان البنت اذا كانت ابنة اكابر اما بالشرف او بالمال فان الرجال يرغبون في نكاحها ويتسابقون اليها فكل واحد يخاف ان يسبقه اليها غيره فيبادرون الى احرازها ومن مقاصد النكاح وفوائده عند العرب التعزز بعشيرة المرأة فان ذلك مما يحتاج اليه في دفع طوارىء الشرور وطلب السلامة ولهذا يقولون ذل من لا ناصر له ومن وجد من يدفع عنه المضار سلم حاله وفرغ قلبه من الهموم فان الذل مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع لذلك واما فائدة ولي البنت فان الرجل قد يزوج ابنته صغيرة لاحد امرين احدهما ان يكون له اولاد غير البنت فيخاف اذا تزوجها غريب ان يضر باولاده من جهة ان البنت تشاركهم في مال ابيهم والمشاركة في الدار والبستان ونحو ذلك يصير في الغالب منها ضرر بين الشريكين ورأي المرأة في يد زوجها فلهذا يبادر الرجل و يزوج ابنته من ابن اخيه او ابن عمه او ممن يظن فيه انه يرفق باولاده ولا يضرهم. الثاني ان بعض الناس يخاف من الطعن في ابنته وتهمتها بالقبيح فيزوجها و يستريح وتزويج الصغيرة جائز في شرعنا اذا لم تكن يتيمة اما اذا كانت يتيمة فانها لا تتزوج صغيرة الا اذا خيف عليها الفساد وتزويج الصغيرة جائز في الشرائع القديمة ففي التوراة اذا بلغت البنت اثنتي عشرة سنة فلم يزوجها ابوها فاثمت البنت اثماً فاثم ذلك عليه لانه هو السبب في تاخير تزويجها وفوائد التزويج ليست محصورة في طلب الذرية فقط بل له فوائد كثيرة منها التعزز بعشيرة المرأة كما تقدم ومنها ترويح النفس وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة وفي ذلك كله اراحة للقلب وتقوية له على الاعمال التي تشق على النفس ومنها التحصن عن الشيطان ودفع مهلكات الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج ومنها رياضة النفس ومجاهدتها برعاية الزوجة والقيام بحقوقها والصبر على اخلاقها ومنها تفريغ القلب من تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ وتهيئة اسباب المعيشة ولوازم البيت و بنات العرب يسرع اليهن البلوغ فكثير منهن تبلغ في تسع سنين ويأتيها الحيض قال الامام الشافعي رضي الله عنه رأيت امرأة ابنة احدى وعشرين سنة وهي جدة و كذا الرجال يسرع اليهم البلوغ كان عبد الله بن عمرو بن العاص بين ولادته وولادة ابيه احدى عشر سنة ولنساء العرب خصوصيات فتحمل المرأة العربية

وهي بنت خمسين سنة وتحمل المرأة القرشية في سن الستين ولا يوجد هذا في غير نساء العرب ومن قريش الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره ولدته امه فاطمة وهي في سن الستين ومنهم موسى بن عبدالله الكامل ابن الحسن المثنى ولدته امه هند وعمرها ستون سنة وهم كثيرون لا يحصون وقولكم ربما تلد البنت في اثني عشر عاماً فاعلموا ان البنت لا تتزوج صغيرة في الغالب الا اذا كان ابوها او زوجها صاحب مال كثير واذا ولدت صغيرة لا تتعب في تربية الولد وتكون لاولادها مربيات ومرضعات وقولكم وعندنا البنات لا يتزوجن صغاراً الى آخر كلامكم هو كما قلتم ولكن المرأة اذا تأخر تزويجها الى عشرين سنة او نيف وعشرين يحصل منها الزنا غالباً لا سيما اذا كانت تخرج وترى الرجال وتجالسهم وكذلك الرجل اذا تاخر تزويجه لان الانسان سواء كان رجلاً او امرأة اذا اجتمعت شهوته ولم يجد لوضعها محلاً حلالاً بالتزويج يطلب لها محلاً حراماً بالزنا ولا يقدر على الصبر الا القليل من الرجال والنساء وعادة العرب اذا تزوج الرجل المرأة على انها بكر ثم وجدها غير بكر يطلقها في الحال واذا استحيى من اهلها يبقيها ولا قلب له فيها ولا محبة منه اليها وقولكم وقد رأينا المسلمين يتزوجون كثيراً ولا نرى لهم كثرة اولاد ولا رعية اعلم ان قلة الرعية ليست لقلة ولادة نسائهم وانما ذلك من عدم استعمال الاسباب التي يكون بها بقاء اولادهم ومن عدم معرفتهم بحسن تربية الاولاد ومداراتهم حتى تطول اعمارهم وهذا بارادة الله تعالى

« السوءال الحادي عشر »

ان الطلاق عند المسلمين كثير وعندنا لا يكون ابداً ونحن نلومهم على ذلك لما فيه من الضرر على النساء وعلى الاولاد ايضاً لكونهم يقعون في يد من لا يرحمهم كوالدتهم

« الجواب »

الغالب خفاء بعض عيوب الزوجين من الرجل والمرأة اما في الخلقة او الطبيعة فاذا ازدوج الرجل والمرأة وتعاشرا او اطلعا على ما كان خفيا مغيبا ربما يظهر بعض العيوب لاحد الزوجين فجعل الله الطلاق راحة للذي يحب الفراق منهما وجعل الله الطلاق بيد الرجل لشرفه واذن الله لمرأة ان تطلب الطلاق من زوجها اذا حصل لها من جهته ضرر والطلاق مباح في الاديان القديمة في التوراة في الاصحاح الحادي والعشرين في سفر الخروج ان استقبح سيدها زواجها فليطلقها وفي سفر الاحبار في الاصحاح الثاني والعشرين ان طلقت بنت الكاهن ولم يكن لها اولاد ورجعت الى بيت والدها تاكل من القدس

فعلم من هذا ان الطلاق ليس خاصاً بالمسلمين وفي الطلاق منافع واضرار اما المنافع فكما ذكرنا واما الاضرار فكما ذكرتم وهو مباح اذا لم يحصل منه ايذاء للمراة بالباطل وعلى كل حال فانه لا يخلو من الاذى ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وقال تزوجوا ولا تطلقوا فان الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات لان المقصود من النكاح النسل ودوام العشرة وحصول الالفة والطلاق يهدم جميع ذلك ومن منافع الطلاق من جهة ان الرجل ربما لا توافقه المراة لعيب في خلقها او طبيعتها فاذا لم يطلقها يبقى معذباً بهـا مشغولاً ظاهراً وباطناً بسببها يقول العرب في المثل اذا لم يكن وفاق ففراق ويقولون دواء ما لا تشتهيه النفس الفراق والعيش لا يطيب بين اثنين من غير اتفاق ويقولون قلع الضرس المسوس يريح ومن طلق امراة السوء يستريح فالطلاق راحة للرجل ان كانت امراته خبيثة او معيبة وراحة للمراة ان كان زوجها خبيثاً او معيباً والرجل اذا طلق امراته وكان بينهما اولاد فان الشرع اوجب على الزوج ان ينفق عليها وعلى اولادها منه حتى يبلغ الولد ان كان ذكراً وحتى تتزوج البنت ويدخل بها زوجها فلا ضرر على الاولاد اذا طلقت امهم وكان ابوهم متبعاً للشرع

السؤال الثاني عشر

ان المسلمين لا يورثون البنت مثل الذكر وكيف ذلك والكل اولاده

الجواب

ان الله تعالى هو الذي قسم الميراث ونزل به القرآن العظيم فجعل للذكر قسمتين وللانثى قسمة واحدة وبذلك فضل الله الذكور على الاناث كما فضلهم بالقوة عليهن والصبر على المشقات وفضلهم ايضاً بعظائم الامور كالسلطنة ومباشرة القتال وتولية الاعمال والمناصب الدينية والدنيوية والرجل يحارب ويدافع عن بلاده وعشيرته فهو محتاج الى زيادة القسمة ليستعين بها على ذلك ولان الرجل اذا كان في قسمته زيادة ينفق على النساء من اقاربه اذا احتجن الى ذلك بخلاف المراة فانها لا تنفع الا نفسها في الغالب واما في غير الميراث فانه يجب على الرجل ان يسوي بين اولاده في العطية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله واعدلوا بين اولادكم وجاءه رجل قال له اشهد عليّ اني اعطيت لولدي فلان كذا وكذا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت اولادك كلهم مثله قال لا فقال اننا لا نشهد الجور

السؤال الثالث عشر

ان نسائنا يدخلن المدارس ويتعلمن الكتابة ويحصلن المعارف والآداب بخلاف نساء العرب وان العربية اذا تلاقت مع غيرها تكون غير عارفة ولا كيسة والمومسات من العرب ما اوقعهن في الفساد الا عدم معرفتهن وان نساء العرب هن اعرف النسآء بآداب المحبة

الجواب

اعلم ان الكتابة مثل السيف من وظائف الرجال لا من لوازم النسآء فالكتابة انما يحتاج اليها الرجال يجمعون العلوم ويقيدون الحكم ويضبطون الخراج ويحفظون تواريخ الامم واخبارهم فالكتابة قيد للعلوم وما يحتاج فيه الى النقل والرواية فان عقل الانسان الواحد لايقدر على استنباط العلوم الكثيرة ولا على حفظها فصار اذ استنبط مقداراً من العلوم قيده وكذلك اذا استفاد شيئًا من غيره واما النساء فلا يؤلفن كتابًا ولا يستنبطن صناعة ولا فائدة فيحتجن الى تقييدها بالكتابة لينتفع بها الناس ولا يتولى النساء قبض خراج ولا صرف مال في مصارفه ولا بشيء من الوظائف التي تحتاج الى الكتابة فلا فائدة في تعليم النسآء الكتابة بل فيها ضرر كبير لان الكتابة عين العيون بها يبصر الشاهد الغائب وفي الكتابة تعبير عن الضمير بما لا ينطق به اللسان بل الكتابة ابلغ من اللسان فان الانسان يقدر على كتابة ما لا يقدر ان يخاطب به غيره ويبلغ المقصود حيث لا يمكن الكلام مشافهة فقد تكون المرأة لا تقدر على لقـآء من تهواه ولا تقدر على ان تتكلم معه بحضرة الغير وكذلك الرجل قد لا يجد سبيلاً الى لقآء من يهواها والكلام معها بحضرة غيره فاذا كانت المرأة عارفة بالكتابة سهل طريق الزنا بينهما بسبب الكتابة فلهذا نهى شرع الاسلام عن تعليم النساء الكتابة وهو حق لا ينكره عاقل فتعليم الكتابة واجب على الرجال مكروه في حق النسآء قال بعض حكماء العرب ليس للنسآء الكتابة والخطابة بل هما وما ماثلهما للرجال

واما النساء فلهنّ على الرجال ان لا يبيتوهن الا على جنابة وقولكم ان العربية اذا تلاقت مع غيرها تكون غير عارفة ولا كيسة فاعلموا ان العربيات انما يتعلمن الادب الذي يليق بازواجهن وتصلح به العشرة بين الفريقين وتجلب قلوب الازواج اليهنّ فكان نساء العرب يعلمن بناتهنّ الادب مع الازواج قالت امرأة لابنتها يا بنية لو

استغنت امرأة عن زوجها لغناها لكانت اغنى النساء عن الرجال ولكن النساء خلقن للرجال كما ان الرجال خلقوا للنساء كوني لزوجك ارضاً يكن لك سماء وكوني له وطاء يكن لك غطاء واصحبيه بالقناعة وعاشريه بالسمع والطاعة ولاتغفلي عن موضع نظره ولا موقع انفه فلا تقع عينه على قبيح منك ولا يشم منك الا ريحاً طيبة ولا تغفلي عن وقت طعامه ولا عن موضع منامه فان حرارة الجوع تلهيه وتنغص النوم ينغصه واحفظي ماله وتفقدي خدامه وعياله ولا تفرحي اذا كان حزيناً ولا تحزني اذا كان فرحاً وعلى قدر تعظيمك له يكون اكرامه لك وقدمي ما يحبه على الذي تحبينه انت وقالت امرأة اخرى لابنتها يا بنية ان الوصية لو تركت لزيادة ادب لتركت لك ولكن الوصية تذكرة للغافل ومعونة للعاقل يا بنية لا تعصي لزوجك امراً ولا تفشي له سرّاً وكوني اكثر الناس لزوجك اعظاماً يكن اكثر الناس لك اكراماً وكوني اكثر الناس له موافقة يكن لك احسن الناس مرافقة ولا تصلين الى رضا زوجك حتى تقدمي ما يحبه هو على الذي تحبين انت ومن قول العرب يلزم ان تكون المرأة فوق الرجل في ثلاثة اشياء والا احتقرها الادب والجمال والدبر وقالت امرأة لابنتها لا تقربي من الرجل دائماً فيملك ولا تبعدي عنه فينساك ان دنا منك فاقربي منه وان نأى عنك فابعدي عنه واحفظي سمعه وبصره فلا يسمع من كلامك الا حسناً ولا ينظر منك الا جميلاً ولا تتكلمي عند غضبه وكوني دائماً في قعر بيتك ملازمة لشغلك ولا تكثري الكلام مع جيرانك ولا تدخلي عليهم الا لحاجة واحفظي زوجك في غيبته وحضوره في نفسه وماله ولا تخرجي من البيت الا باذنه ولا تطلبي معرفة اصحابه وكوني قصيرة اللسان عن سب الاولاد والخدام ومراجعة الزوج في الكلام وقالت امرأة لابنتها لازمي الانقباض اذا غاب زوجك والعبي وانبسطي اذا حضر ولا تتكبري عليه بالجمال ولا تحتقريه لقبح وجهه واطلبي ما يفرح زوجك في جميع الاقوال والافعال ولا تجعلي همك الا في اصلاح شأنك وتدبير بيتك فهذه الآداب وامثالها هي التي تتعلمها نساء العرب واما الادب مع الرجال الاجانب فان نساء العرب لا يعرفنه وذلك لانهن لا يجتمعن بالرجال الاجانب في الملاعب ومواضع الرقص والغناء كما يفعل نساء الافرنج ولا يفعل ذلك الا الزانيات قال بعض حكماء العرب شر خصال الرجال خير خصال النساء الكبر والجبن والبخل فان المرأة اذا كانت متكبرة انفت ان تكلم كل احد من الرجال بكلام لين واذا غلب عليها الجبن خافت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واذا كانت بخيلة حفظت مالها

ومال زوجها وقولكم الموسات من العرب ما اوقعهن في الفساد الا عدم معرفتهن اعلم ان الزنا انما يقع من النساء التي ينتسبن الى العرب ولسن بعربيات اصليات فان نساء العرب في الجاهلية كن لا يعرفن الزنا راساً وانما يزني عند العرب الاماء حتى انه لما نزل قول الله تعالى في القرآن اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين قالت امرأة من الحاضرات او تزني الحرة يا رسول الله فقد استبعدت وقوع الزنا من الحرة وكان العرب في الجاهلية لهم عفة عن الزنا رجالاً ونساء فلا تخون المرأة زوجها ولا يخون الرجل زوجته فكيف بهم في الاسلام الذي جاء بتحريم الزنا وشدة العقاب لمرتكبه وقولكم ان نساء العرب هن اعرف النساء بآداب المحبة سالت ام البنين زوجة عبدالملك بن مروان ليلى الاخيلية عن عشق العرب فقالت لها يرى الرجل المرأة وتراه فيعشقها وتعشقه فاذا ساعدهما الوقت وتلاقيا لا يشتغلان الا بذكر ما لقيا من الحب لبعضهما بعضاً ويشكو كل منهما الشوق الى صاحبه ويتناشدان الاشعار فقالت لها ام البنين ولا يكون بينهما زنا فقالت لها النكاح شأن من يطلب الولد لا شأن المحبين واذا وقع الجماع فسد الحب وبالجملة فان نساء العرب في هذا المعنى لهم حكايات عجيبة تدل على ان محبتهن قلبية روحانية لا جسمية كما زعمتم ولولا خوف التطويل لذكرنا لكم جملة منها

﴿ السؤال الرابع عشر ﴾

نساء المسلمين لا يدخلن المساجد للصلاة واما نساء النصارى فيدخلن الكنائس ويتعبدن مع الرجال

﴿ الجواب ﴾

ان شرع الاسلام ما نهى النساء عن دخول المساجد ولا منعهن عن الصلاة فيها وكانت النساء في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلين معه في المسجد الشريف وكان يقول لاصحابه رضي الله عنهم لا تمنعوا اماء الله من مساجد الله فيجوز للنساء الخروج الى المساجد والصلاة فيها ليلاً ونهاراً لكن بشروط منها ان لا تكون المرأة متطيبة بطيب له رائحة يشمها الرجال ومنها ان لا تكون متزينة بشيء من انواع الزينة ومنها ان لا يكون لها خلاخل تسمع صوتها الرجال ومنها ان لا تكون مختلطة بالرجال بل تكون منفردة عنهم ومنها ان لا تكشف وجهها اذا كانت شابة جميلة يعشقها من رآها من الرجال وبهذه الشروط كانت النساء يخرجن الى المسجد ويصلين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا انعدم شرط واحد من هذه الشروط حرم على المرأة الخروج الى المسجد وكان عمر بن الخطاب

رضي الله عنه شديد الغيرة وكانت زوجته تخرج الى الجامع في الليل والنهار لاجل الصلاة ولم يقدر على منعها ظاهراً لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن منع النساء من الخروج الى المساجد كما قلنا فعمل الحيلة في منعها وذلك انه تعرّض لها في طريق الجامع في ليلة مظلمة وقبض يده على ثديها ولم تعرفه فكانت بعد ذلك لا تخرج فيقول لها لما لا تخرجين الى الجامع لتصلي فيه فتقول لا اخرج فقد فسد الزمان ظنا منها ان الذي تعرض لها وقبض على ثديها رجل اجنبي

« السؤال الخامس عشر »

يقال ان المسلمين يمنعون نساءهم من الدخول الى المساجد اذا كن صغيرات وجميلات ولا يمنعونهن من السفر الى الحج

« الجواب »

قد ذكرنا لكم انه لا يجوز منع النساء عن الدخول الى المساجد بالشروط التي قدمنا ذكرها واما تسريحهن الى الحج فلا تسافر المرأة الى الحج الا اذا كان معها زوجها او رجل محرم لها وهو الذي يحرم عليه ان يتزوج بها شرعاً كابنها وابيها وعمها واخيها وخالها وابن اختها وابن اخيها واما اذا لم يكن معها زوجها ولا محرم فلا تحج ولا يلزمها حج ولو كان عندها مال كثير

« السؤال السادس عشر »

بلغنا ان بعض الناس يقولون ان النساء لا يدخلن الجنة فلا بد ان توضحوا لنا هذا الاشكال

« الجواب »

ان هذا القول كذب بحت وافتراء صرف فالنساء يدخلن الجنة و يكنّ مع ازواجهن في منازلهم اذا كان زوجها من اهل الجنة واما ان كان زوجها من اهل النار وهي من اهل السعادة فان الله تعالى يزوجها برجل من اهل الجنة واذا تزوجت المرأة في الدنيا برجلين او ثلاثة فان كان الازواج كلهم من اهل الجنة فان الله يخيرها فالزوج الذي تختاره تكون معه وان كان بعضهم في الجنة والبعض الآخر في النار فانها تكون للذي في الجنة

« السؤال السابع عشر »

بلغنا ان المسلمة اذا ماتت لا يخرج الناس في جنازتها مثل الرجل فهل لهذا صحة ام هو محض كذب

« الجواب »

هذا كذب من قائله بل لا فرق في الخروج مع الجنازة بين جنازة الرجل وجنازة المرأة وانما الممنوع خروج النساء مع الجنازة سواء كانت جنازة رجل او امرأة لان النساء لا يحفرن قبرًا ولا يحملن تابوتًا ولا يغسلن ميتًا فلا فائدة في خروجهن بل فيه تشويش قلوب الرجال بالنظر اليهن والى محاسنهن والقبور محل موعظة يتذكر الانسان فيه كيف يفارق الاحباب وكيف يصير الى التراب وحضور النساء يشغل عن هذا

« السؤال الثامن عشر »

ان كثيرًا من المسلمين لا يأنفون من تزويج المرأة المومسة اذا تابت ولا ينقص ذلك من قدره بخلاف النصارى فان الذي يتزوج بالمومسة منهم يبتذل بين الناس ولا يبقى له اعتبار عندهم

« الجواب »

انه لا يتزوج بالمرأة المومسة عندنا الا اخس الناس وارذلهم والشرع نهى عن تزويجها قال الله تعالى الخبيثات للخبيثين اي الزانيات للزانين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء معناه باعدوا المرأة الفاسدة ولا تتزوجوها شبه المرأة الجميلة الفاسدة بالخضرة التي تنبت على المزابل ومواضع القذر فان ظاهره زين وباطنه شين ومن كلام حكماء العرب لا تتزوجوا العاهر ولا المختلعة ولا المبارية ولا الناشز ولا الانانة ولا المنانة ولا الحنانة ولا الحداقة ولا البراقة ولا الشداقة اما العاهر فهي الزانية واما المختلعة فهي التي تطلب الطلاق من زوجها كل ساعة واما المبارية فهي التي تفخر على زوجها بمالها ونسبها واما الناشز فهي التي تعلو على زوجها في الكلام واما الانانة فهي التي تكثر الانين والتشكي وتعصب رأسها كل ساعة واما المنانة فهي التي تمن على زوجها فتقول له فعلت لاجلك كذا وتركت كذا واما الحنانة فهي التي تحن الى زوج آخر واما الحداقة فهي التي ترمي بحدقتها الى

كل شيء وتشتهيه وتكلف زوجها شراءه واما البرّافة فهى التي تكون طول النهار في تصقيل وجهها ليكون له بريق ولا تشتغل بمصالح بيتها واما الشداقة فهى التي تكثر الكلام والتصنع فيه واذا كانت المرأة متولدة من زنا فالشرع يمنع من التزوج بها

« السؤال التاسع عشر »

هل العرب يطلقون المرأة التي لا يربحون عليها بغير سبب آخر ام ذلك كذب

« الجواب »

ان هذا كان في العرب وقت الجاهلية ويقولون اقصاص او نواص او بعض الدراري يعنون بذلك ان الربح واليمن والخسران والنحس يكون على قصة المرأة وناصية الفرس والمولود ولما جاء الاسلام ابطله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طيرة ولا عدوى فقال رجل يارسول الله فما بال الابل تكون كانها الغزلان فاذا دخلها بعير اجرب جربت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اعدي الاول ولكن بقيت هذه العادة الجاهلية عند بعض الجهلة من المسلمين الذين دينهم ضعيف واما اهل الدين الصحيح القوي فانهم يعتقدون أن الله تعالى يفعل ما يريد بالعبد من ربح وخسران ومن خير أو شر لا مدخل للمرأة ولا للفرس ولا للولد ولا للدار ولا لشيء من المخلوقات فيه فلا ينفع ولا يضر الا الله تعالى

« السؤال الموفي للعشرين »

المرأة عند النصارى يسرها ما يسر الجنس ويحزنها ما يحزن الجنس وكلامها مع زوجها بقويه على الحرب وعلى فعل الخير مع جنسه والدفاع عن بلاده واما المسلمة فقد بلغنا انها لا تلتفت الى ذلك ولا يؤثر فيها

« الجواب »

ان هذا الذي ذكرتموه في نساء النصارى هو موجود في نساء العرب اكثر بما لا يتقارب حتى ان العربيات اذا وقع لرجالهن هزيمة او حصل فيهم قتل لا تترك الواحدة منهن زوجها يقبلها ولا يجامعها حتى ياخذ بثأره من عدوه وكان نساء العرب لا يبكين المقتول الا بعد ان يؤخذ بثأره تحريضاً للرجال على الحرب وكان الحارث بن عوف من اشراف العرب وكانت له اليد الطولى في عقد الصلح بين عبس وذبيان اولاً وآخراً والسبب في ذلك انه قال يوماً لخارجة بن سنان

اتراني اخطب الى احد فيردني قال نعم قال ومن ذلك قال اوس بن حارثة بن لام الطائي فقال الحارث لغلامه اركب فركبنا حتى لقينا اوسًا في بلاده ووجدناه في فناء منزله فلما رآني الحارث بن عوف قال مرحبًا بك ياحارث قال وبك قال وما حاجتك قال جئتك خاطبًا قال لست هنـاك فانصرف ولم يكلمه ودخل اوس الى امرأته مغضبًا وكانت من عبس فقالت من الرجل الذي وقف عليك قال سيد العرب الحارث بن عوف قالت فما لك لم تستنزله قال انه استحمق قالت وكيف قال جاءني خاطبًا قالت افتريد ان تزوج بناتك قال نعم قالت فاذا لم تزوج سيد العرب فمن قال قد كان ذلك قالت فتدارك ما كان منك قال بماذا قالت بان تلحقه فترده قال وكيف وقد فرط مني ما فرط اليه قالت تقول انك لقيتني وانا مغضب بامر لم يكن لي تقدم فيه قولاً فانصرف ولك عندي ما تحب فانه سيفعل فركب اوس بن حارثة في اثره قال خارجة فوالله انا لنسير اذ حانت مني التفاتة فرأيته فاقبلت على الحارث وما يكلمني غماً فقلت له هذا اوس بن حارثة فقال وما نصنع به امض فلما رآنا لا نلتفت صاح يا حارث اربع عليَّ فوقف له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورًا فبلغني ان اوسًا لما دخل منزله قال لزوجته ادعي لي فلانة لاكبر بناته فاتته فقال يا بنية هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب وقد جاءني خاطبًا وقد اردت ان ازوجك منه فما تقولين قالت لا تفعل قال لم قالت لاني امرأة في وجهي ردة وفي خلقي بعض العهدة ولست بابنة عمه فيرعى رحمي وليس بجار لك في البلد فيستحي منك ولا آمن ان يرى مني مـا يكره فيطلقني فتكون عليَّ وصمة فقال قومي بارك الله فيك ثم دعا الوسطى فاجابته بمثل ذلك او بقريب منه ثم دعا الصغيرة فقال لها كما قال لاختيها فقالت انت وذاك فقال اني عرضت ذلك على اختيك فأبتاه فقالت لكني الجميلة وجها الصناع يدا الحسيبة ابًا فان طلقني فلا اخلف الله عليه قال بارك الله عليك ثم خرج الينا فقال قد زوجتك بهية بنت اوس قال قد قبلت ثم امر امها ان تهيأها وتصلح من شانهـا ثم امر ببيت فضرب له وانزله اياه فلما ادخلت اليه لبث هنية ثم خرج اليَّ فقلت أفرغت من شانك قال لا والله لما مددت يدي اليها قالت مه اعند ابي واخوتي هـذا لا يكون قال فامر بالرحلة فارتحلنا بها فسرنا ما شاء الله ثم قال لي تقدم فتقدمت نعدل بها عن الطريق فما لبث ان لحقني فقلت افرغت قال لا والله قالت لي كما يفعل بالامة الجلبية والسبية الاخيذة لا والله حتى تنحر الجزر وتذبح الغنم وتدعو

العرب وتعمل ما يعمل لمثلي قلت والله لارى هيئة عقل وارجو ان تكون المرأة النجيبة ثم سرنا الى ان دخلنا بلادنا فاحضر الابل والغنم ثم دخل اليها وخرج فقلت افرغت قال لا والله قلت ولمَ ذلك قال دخلت عليها اريدها وقالت قد احضرنا من المال ما ترين قالت والله لقد ذكرت لي من الشرف ما لا اراه فيك قلت كيف قالت اتفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضاً يعني بني عبس وذبيان قلت فتقولين ماذا فقالت اخرج الى هؤلاء القوم فاصلح بينهم ثم ارجع الي واني لست فائتتك قلت والله اني لارى عقلاً وهمة وقد قالت قولاً لا يرد فاخرج بنا فخرجنا حتى اتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على ان يحسبوا القتلى من الفريقين ثم يؤخذ الفضل ممن هو عليه فحملنا عنهم الديات وكانت ثلاثة آلاف بعير وعاش الحارث الى ان ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ووفد عليه واسلم وبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من الانصار في جواره يدعو قومه الى الاسلام ومن شعر الحارث قوله

فان اكبر فاني في لداتي　　وعاقبة الاصاغر ان يشيبوا
وما كثرت فائدتي بعذر　　كفاني في الفوائد ما يطيب

انتهت الاسئلة والاجوبة وقد قصدنا بذكرها ازالة الاشكالات التي لم تزل افكار الافرنج المتحاملة على دين الاسلام تخوض وتوجه الاعتراضات على المسلمين في تعاطيها وتفوّق سهام الطعن عليهم للعمل بها ولقد اوضح الامير في اجوبته الصبح لذي عينين واظهر الحق لاهله من العقلاء هذا مع المناسبة للمقصود من التاريخ والمرغوب فيه

﴿ ذكر توجه الامير الى مصر لحضور محفل فتح خليج السويس ﴾

وفي رجب سنة ست وثمانين ومائتين وتشرين الثاني سنة تسع وستين وثمانمائة دعي الامير الى حضور فتح خليج السويس كما دعي الى ذلك اعيان العالم فتوجه الى بيروت ومنها الى الاسكندرية فاجتمع هناك بامبراطورة فرانسا فاعظمت لقاءه واجلت حضوره ثم توجه الى بورت سعيد في الباخرة الحربية التي اعدتها الامبراطورة لركوبه فاستقبله الاميرال الفرنساوي بالاعظام والاحترام ثم جرى الاحتفال بكمال الابهة والزينة وجلس الامير مع امبراطور النمسا وامبراطورة فرانسا وابني امبراطور المانيا وملك ايتاليا وغيرهم من الامراء واعيان العالم المشاهير تحت المظلة التي اعدت لجلوسهم ثم ان الامير سار في الخليج في باخرته الى السويس ثم عاد الى بورت سعيد واجتمع بالامبراطورة وشكر فعلها ثم ودعها

واجتمع اليه رؤساء الكومبانية يقدمهم الرئيس الاول مسيو فرديناند دولسبس وفاوضوه في امر ارض بوبلج التي كانوا اهدوها له فاخبرهم بان اسماعيل باشا خديوي مصر غير موافق لهم على هذه المنحة واطلعهم على ما كتبه اليه في ذلك فصمموا على تنفيذ امرهم باي وجه كان فابان لهم انه لا يريد وقوع الشحناء بينهم وبين اسماعيل باشا بسببه ثم تبين ان اسماعيل باشا انما قصد بمنعه هذا وانكاره ان يستاثر بهذه الارض دون غيره فلما اطلع الامير على الحقيقة سمح فيها للكومبانية وسقط في يد المانع المنكر ونص كتاب اسماعيل باشا الى الامير في هذه القضية

جناب الامير المحترم والملاذ المكرم الامير عبد القادر

بعد اهداء السلام التام وكمال الاحترام اللائق بالمقام نبدي لجنابكم انه قد بلغنا تشريف حضرتكم وتوجهكم الى ترعة السويس بقصد الاستيلاء على قطعة الارض التي كنتم موعودين بها من طرف الكومبانية على ما قيل وبما انه لما كنتم مشرفين هذا الطرف وحصلت المقابلة مع جنابكم واخبرتمونا بان الكومبانية ستعطيكم قطعة ارض وانكم انتم ترغبون في التوطن هناك وفي ذلك الوقت جاوبنا حضرتكم مشافهة بان الكومبانية لا يمكنها تمليك شيء من تلك الارض حيث انها الى الان لم تثبت لها حيازتها واشرنا واومينا لجنابكم بالطف اشارة واليق عبارة اننا لا نوافق على توطنكم هناك لما في ذلك من مخالفة الافكار وبما ان عقب اخبارنا لجنابكم بما ذكرناه كنا تحدثنا ايضاً مع جناب قنصل جنرال دولة فرنسا وبعدها جنابه اخبرنا رسمياً مشافهة ان ذات حشمة الامبراطور لا يأذن في اقامتكم هنا ما دام ذلك مخالفاً لرغبتنا وضداً لافكار الاهالي والحكومة كما والحالة هذه ايضاً مضمون الحكم المحترم الامبراطوري الصادر في حق مادة هذه الترعة لم يصرح بالترخيص للكومبانية انها تملك ارضاً من هناك لاحد ما ومن حيث ان توطن جنابكم بهذا الطرف لاتساعدنا عليه افكار الاهالي والحكومة معاً كما ان حكم الامبراطور المفخم لايساعدكم على استملاك ارض في هذا الطرف فمع غاية التأسف صرت مجبوراً على اخطار جنابكم عن ذلك ونؤمل عدم المؤاخذة ودمتم ثم ارسل اليه آخر ونصه

حضرة المحترم الامير المبجل المكرم بعد السلام وكمال الاحترام اللائق بالمقام قد وصلنا عزيز مكتوبكم الذي ارسلتموه على يد حضرة الباشا باش معاوننا وبه عرفتم عن حضور حضرتكم لاجل استلام الارض التي اعطتها الكومبانية لجنابكم الى غاية ما ذكر فيه صار معلوماً والحال انه قبل وصول مكتوبكم هذا لما بلغنا تشريف حضرتكم الى الاسكندرية والتعجيل بالتوجه الى جهة القنال ثاني يوم تشريفكم لنجاز المقصود

بوقته حررنا لحضرتكم مكاتبة واضحة عن الحقيقة وبها عرفنا جنابكم ان الكومبانية لم يكن لها اذن ولا صلاحية في ان تعطي اراضي ولا املاكا في تلك الجهة لاحد كما هو مصرح عن ذلك بالحكم الصادر من ذات فخامة الامبراطور المعظم المتعلق بمادة الاراضي الكائنة في تلك الجهة ولا يجوز لها في تمليك شيء منها لاحد ثم افهمنا حضرتكم ان مقتضيات الاحوال لا تساعد على قبول توطن حضرتكم في هذه الجهات كما ان فخامة الامبراطور ما اجاز توطنكم هنا مع عدم رضانا وقبولنا ومن تاريخ مكتوبكم يعلم ان وصول تحريرنا كان بعد تحريره ولا بد انه علم لديكم منه ما يكفي عن الاطالة في الشرح والاطناب في الاعتذار بهذا الخصوص نظرا للضرورة ودمتم وقد ذكرناها بنصها ليعلم الواقف عليها ما كان عليه هذا الانسان من الشدة والبذخ وما ارتكبه فيها من الصلف والعسف ومع هذا لما نكب وأبعد عن اوطانه واعوانه كتب الى الامير يطلب منه ان يستأذن له من الدولة العلية في سكنى الاستانة عسى ان يتعطف عليه مولانا امير المؤمنين الخليفة الاعظم ويدنيه ويعفو عنه ويجتبيه ونص ما كتبه وهو في نابلي من بلاد التاليا مناديا جناب فخر السلالة الهاشمية وفرع الشجرة النبوية حضرة السيد الامجد سيدي الامير عبد القادر الحسني دامت معاليه الا وهو السيد المعوّل عليه في المهمات والمستضاء بنبراس رأيه في دياجي الملمات ابقاه الله تعالى متسنماً غوارب المجد متنسماً بنسائم المدح والحمد سعده مقتبل ومجده غير منتقل وما قيل ونقل في مدائح الكرام فهو بالقياس الى قدره الجليل وان كثر يقل ولا زال للخائف والضعيف مأمنا ولكل مشروف وشريف حصنا حصينا وموئلا

وعاش في عز وفي بهجة وصفو عيش سعده مقبل

كتبت له ابقاه الله وحرسه وثبت قدمه في مقام المحبة واسسه واكد حبه في القلب وغرسه وارغم حاسده ونحسه وحط قدره وبخسه وابقاك الله موريا زند الامل وارداً صفو العيش نهلا وعلل لابساً من الثناء الجميل ابهى حلل لا يسأم مادحكم ولا يمل

والناس كلهم لسان واحدٌ يتلو الثناء عليك والدنيا فم

هذا وقد بعثت هذا الكتاب لينوب عني في الخطاب مضمون ما احتوى عليه وخلاصة ما انطوى عليه هو اني وعائلتي من مدة سنة ونصف في ضنك ونصب ننتظر من الله تعالى عزّ وجل الفرج والفرج ثم ارجو ان لا تقطعوا عنا المراسلات

والدعاء مع بذل الهمة لنا ولعائلتنا المسلمة في انقاذنا من هذه البلاد وبرجوعنا الى الاستانة العلية لنحظى بالاقامة بين ابناء جنسنا ونتمتع بالرفاهية في ظل سلطاننا ادامه الله تعالى وابقاه ووفقنا جميعًا لما يرضاه آمين بجاه طه ويس والسلام التام في المبدأ والختام حرر في شهر صفر سنة ثمان وتسعين ومائتين والف

فكتب اليه الامير في موضوع هذه القضية فراجعه بما صورته . الى مقام سيادة الامير عبد القادر المعظم نحمد الله الذي به يستكشف الكرب ويضمحل بالالتجاء اليه كل خطب وبالصلاة والسلام على اشرف خليقته وافضل بريته تنجلي عن القلوب الهموم وتنفرج الغموم فعليه صلاة الله وسلامه الدائمان وعلى آله وصحبه ما توالى الملوان اما بعد فقد تشرفت بخطابكم السامي ولا زلت اتشكر توجهاتكم العلية ومساعيكم السنية ثم قال . وها انا متوكل على الله ثم عليك في نجاز هذا الامر ومفوض امري الى الله ثم اليك حرر في جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين

وكان شاهين باشا كنج بعث بعض الطلبة المجاورين في الازهر الى حضرة الامير في هذا الخصوص وتكررت بينهما المراسلات والمكاتبات فيما جرى بينه وبين الامير من المذاكرات فكتب اليه في بعضها ما نصه :

والحاصل ان المهمة المطلوبة هي من حضرة السيد الامير وحده فان افندينا مستند على حضرته دون خلافه والقصد والرجاء من حضرته هو ارسال عريضة من طرفه عن عجل الى الاعتاب السلطانية لتكون مساعدة لعريضتنا التي قدمناها اليها والسلام ختام . . . ثم كتب الى الامير قوله نبتهل الى الله تعالى بالادعية الصالحة الناطق بها كل لسان وجارحة متمسكين في المحبة بوثيق العرى مواظبين على الثناء الذي لا يزل منه الكون معنبرًا لحضرة التي سمت بالفضائل ربوعها وزكا عنصرها فطابت اصولها وفروعها لا زالت كعبة للآمال فتقصد من كل فج عميق وحمى لسائر العفاة فيأتونها من كل مكان سحيق وابدلها السعد والمجد فتسعى الوفود اليها كسعي العرب الى ربى نجد هذا ومما نعرضه على المسامع الكريمة ونهز به اريحية تلك الشمائل المستقيمة هو ان الداعي قد تشرف بورود امركم الكريم السامي ولا يمكن ان اعبر عما حصل لي من الفرح والسرور وقد شكرت مولاي في الثانية والاولى وها انا قد ذكرت تفصيل ما يلزم في مكتوب محسوبكم الشيخ فلان المقيم الآن عندكم ودمتم في عز سالمين آمنين بحرمة النبي الامين حرر في صفر الخير سنة ثمان وتسعين . واني اقدم بكل احترام مزيد سلامي الى كل من

سعادة الانجال حفظهم الله وحرسهم

ذكر بعض الرسائل والاجوبة

منذ خرج الامير من بلاد فرنسا الى بلاد الاسلام كان يكاتب الملوك فمن دونهم من الوزراء والامراء لداعي تهنئة او غرض لازم عرض او تشكر على احسان حصل فتاتيه الاجوبة على حسب ما يكتبه وكذا كان الشان مع العلماء الاماثل والادباء الافاضل ولما كان استيعاب ذلك متعذرًا . اقتصرنا على البعض منه' ولا يخفى ان البلاغة هي الدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى وكما ان للعرب في ذلك اليد الطولى فان لغيرهم منه نصيبًا ومن اطلع على رسائلهم وكتاباتهم وجدها على السنن العربي عارية عن الفساد والتكلف فيكتبون المراد على حسب الواقع لاول وهلة فوافقوا العرب في ذلك غير ان العرب لتوسعهم في لغاتهم وتجردهم في الفصاحة حازوا قصب السبق في مضمار الكتابة فتجدهم ينوّعون الخطاب و يتفننون في اساليبه بما يسحر الالباب وكلا الفريقين ينزلون الالفاظ على قدر الكاتب والمكتوب اليه فلا يخاطبون الوضيع من الناس برفيع الكلام ولا رفيعهم بوضيعه الى غير ذلك ومن المعلوم ان الامير من مشاهير العالم واعيانه والناس على اختلاف مللهم ونحلهم لهم به تعلق ومواصلة فلا يخلو يوم من كتاب واردٍ وجواب صادرٍ فمن رسائله التلغرافية الى الباب العالي في تهنئة عيدية

اسعد الله ايامكم بهذا العيد المبارك سعادة تستمر استمرار الزمان وتعم جميع الرعايا في ظل الامن والامان

ومنها في عيد الجلوس

هنأ الله مولانا وايده بعيد الوارد عليه واعاده كيف شاء اليه مقرونًا بالعز والنصر والهناء وطول العمر

ومنها في التهنئة بمنصب الصدارة العظمى

هنأكم الله بالمنصب العالي وقرنه باليمن والبركة اقتران الايام بالليالي

ومن اجوبة الباب العالي التلغرافية عن التهاني بالعيد و بتوجيه الصدارة لمن وجهت اليه الى حضرة الامير عبد القادر بالشام

قد اخذت بكمال الممنونية تلغرافكم المتضمن التهنئة بالعيد السعيد ومقابلة لهذا جعلت التشكر واردًا بلسان المودة المخصوصة

ومنها في سبتمبر سنة سبع وثمانين

ان مزايا تلغرافكم العالي في التبريك بتوجيه مسند الصدارة لعهدة داعيكم اوجبت محظوظيتي

ومنها في اكتوبر سنة ثمان وثمانين

قد تشرفت بتلغرافكم الحاوي التبريك بأموريتي الجديدة فحصل لنا غاية المحظوظية والسرور نرجو أدعيتكم الخيرية

ومنها في افريل سنة تسع وثمانين

قد اخذت تلغرافكم العالي وعليه فانني اقدم الثناء والتشكر لحمدكم الجليلة القائمة بايفاء رسم التهنئة

ومنها في دسمبر سنة اثنتين وتسعين

اخذت تلغرافكم العالي فاستلزم كمل الممنونية وتشكرًا لمعاليكم اكرر الدعاء بالزيادة في عمركم ودوام عافيتكم

وفي ذكر هذا القدر من اجوبة الباب العالي كفاية وعليه يقاس باقيها

ومما كتبه الامير الى حضرة شاه العجم في رسالة بعث بها اليه عندما ارسل اليه النيشان العالي من الرتبة الاولى وكان الشاه وقتئذ زار المشهد الحسيني المعظم في كربلا ثم المشهد العلوي المفخم في الكوفة وآب الى دار ملكه طهران . قد وافاني من حضرتكم السنية النيشان الاعلى من الرتبة الاولى ولولدي من الثالثة صحبة وكيلكم المحترم في دمشق فجلت حنادس الهموم كما جلت نوازعه فوارس المفاخر في محفل مشهود في يوم معلوم جمعتم فيه لنا انواع المبرة والكرامة وجعلتموه على رفعة مقامنا عندكم علامة فلا عقدن على علاكم من الثناء الجميل اكليلاً واجعلن دعائي الصالح لكم وردًا بكرة واصيلاً الى ان قال وقد حدثنا وكيلكم المشار اليه عما شاهده من احوال المحفل الاكبر الذي حشر الناس اليه حشرًا وطابت اليه الآمال عرفا ونشرًا وشاع امره وذاع وملاء خبر محاسنه وبدائعه الاسماع فالتذت بانبائه المسامع وتعطرت بذكره الاندية والمجامع فليهنكم الاياب والزيارة التي هي اعظم غنية واربح تجارة

ومن اجوبة وزير الشاه المذكور عن تلغراف وصله من الامير . قد اطلعت على تلغرافكم العالي وقدمته لحضرة الشاه وشاهد منه ما اوجب ممنونيته ارجو ان لا تنسوني من صالح دعائكم . ولما آل امر مصر الى توفيق باشا في لولو سنة تسع وثمانمائة وسبعين بعث اليه الامير تلغرافًا يهنئه بذلك فاجابه اني اقدم تشكراتي عما تكرمتم به من التهنئة بمناسبة ارتقائي للسلطة الخديوية . ومن رسائل الامير الى لويس

نابليون الثالث امبراطور فرنسا بعثها اليه من دمشق ..منها ولو اعطيت نفسي مناها وسوغتها هواها لاوردت على حضرتك في دور كل يوم جديد وافر الشكر وجددت لكم مع كل خاطر جميل الذكر وحسبي من ذلك ان اخباراً تواترت وانقالاً تظاهرت باطباق سكان اليابسة على ذكر مزاياكم الباهرة وبدائعكم الزاهرة ونشر نتائج عدلكم وشكر وافر فضلكم حتى لقد صار للناس فيما اجريتموه معنا من الخوارق محافل تعقد ومشاهد تشهد ولم يزل ذلك مستمراً الى الآن وبهذا الحال التي طاب مسمعها ولذ موقعها استفزنا فرط الارتياح وصدق الانشراح الى بعث هذه الرسالة نهنيكم بالتوفيق الذي قسمه الله لكم في شأننا والتيسير الذي اظهره الله على يدكم لتسريحنا والاحسان الينا وقد جرت عادة الامير مع الامبراطور المذكور من بعد خروجه الى بلاد الاسلام ان يهنئه بدخول كل سنة كما يهنئه بعيد جلوسه على تخت الامبراطورية في امثال اليوم الذي تهيأ له فيه ذلك ولكثرة الرسائل ووفرة الاجوبة في هذا الخصوص اقتصرنا منها على بعض اجوبة الامبراطور حيث ان مؤدى الجميع واحد فمن اجوبته عن تهنئة سنة خمس وخمسين وثمانمائة . قد وصلني تلغرافكم مسفراً عن صادق المودة وموضحاً شدة ارتياحكم لتهنئتي بالسنة الجديدة فحصل لي بذلك سرور عظيم وبمثل هذه التهنئة اهنئكم واؤكد اني احبكم وارجو لك الخير وعن التهنئة بعيد الجلوس اطلعت على تلغرافكم وفحت الاسن فرحاً بعباراته وصادف منا غاية الارتياح والقبول وعن سنة ستين قرأت رسالتكم واهتززت سروراً بها لكونها جاءت نائبة بما امكن عن شخصكم الكريم لدينا وعن سنة احدى وستين حين اطلاعي على رسالتكم في التبريك بالسنة الجديدة انشرح صدري وانبسط فكري وانبعث شكري وعن سنة اثنين وستين سرني تلغرافكم جداً صحتي جيدة دائماً اتذكر واتفكر في محاسنكم ومزاياكم وعن سنة ثلاث وستين تهنئتكم صار لها في قلبي موقع عظيم جداً كما يقع في قلوب الاحباب بمثلها وعن سنة اربع وستين وردت علينا التهنئة من حضرتكم فتلقيناها بالقبول والسرور وهكذا في كل سنة وعيد جلوس الى ان عرض للامبراطور ما عرض في حرب المانيا من الاسر ثم الموت بعد خلاصه منه في بلاد الانكليز ولما شاع خبر موته بعث الامير الى زوجته اوجيني يعزيها فاجابته بما ملخص ترجمته : ان القادر على كل شيء قد منحني تعزيةً وصبراً جميلاً في اثناء المصائب التي اصابتني والنوائب التي نابتني ونحن وان كان كثير من الناس تركنا فانه يوجد في العالم من يفتكر في شاننا

مثلكم ثم ان اظهار ميلكم الينا قد اثر فينا تاثيرًا حسنًا قلبيًا فالله الذي ضربنا بايدي
الشر اسأل منه القوة على الخضوع لارادته واني اتشكر من معروفكم باسم
الامبراطور واسم ابني فكن ايها الامير واثقًا بمودتنا في كل الاحوال واستمر
الامير معها على ما كان عليه في ايام زوجها من المواصلة والمراسلة ومن اجوبتها عما
يصلها منه من التهاني في الاعياد ودخول السنين ما كتبه في رابع فبراير سنة
ثمان وسبعين وثمانمائة ان انواع التهاني التى ترد على وعلى ولدى من لدنكم تجعلني
واياه في غاية السرور لانها تبرهن لنا على انكم وان كانت الاحوال قد تغيرت
علينا فان حسن عهدكم وجميل ذكركم الامبراطور لم يطرأ عليه ضعف ولا نسيان
وهذا مما ينبئى ويدل على صفاء طويتكم وثبات قلبكم مع كثرة العوارض التي من
شانها تغيير الاحوال بحيث انه لم يمسه ادنى انحطاط بل قاومها وانتصر عليها فاشكركم
على ذلك وعلى جميع ما اشتمل عليه تحريركم. ومنها ان تجديد التهنئة لي ولولدي
بحلول كل سنة لا تحالة انه يجدد لنا سروراً لا مزيد عليه لان ذلك يؤكد لنا
ان الحوادث وان كانت قد غيرت احوالنا وشان حظوظنا فانها لم تؤثر في مودتكم
ولا انستكم احسان الامبراطور وهذا يدل على عظم نفس وثبات قلب ومن شانكم
المعروف عنكم انكم دائمًا تنتصرون على تقلبات الزمان وصروفه مع سلامة الطوية
وصفائها فلذلك اشكركم واظهر عظيم اعتباري واحترامي لقدركم دائمًا ومنها في رابع
افريل سنة تسع وسبعين وثمانمائة ان البواعث الشريفة التي تحرك القلوب العظيمة
لمعالي الانسانية فبقدر ما تكون عزيزة تكون دائمة وثابتة وهذه البواعث التي
حركتكم للسؤال عنا وتقديم الدعوات لنا ولولدنا قد وقعت منا موقعًا حسنًا جدًا
ولذلك اقدم لاجلها بلساني ولسان ولدي انواع التشكرات القلبية وولدي قد سافر
مع الجنود الانكليزية الى الرجاء الصالح ودون وصول تحريركم اليه صعوبات شتى
وبناء على ذلك ابقيته عندي لاسلمه اليه عند رجوعه. ومن اجوبة ولدها البرنس
امبريال المذكور ان التهاني الواردة عليّ وعلى والدتي من حضرتكم قد اثرت فينا
تاثيرًا حسنًا لكونها اظهرت لنا ما انتم عليه من حفظ الوداد لوالدي والوفاء بحسن العهد
واكدت لنا صدق ميلكم الحبي الذي نعتبره امراً عظيماً صادراً من رجل عظيم
ظهر في العالم متصفًا بالبسالة في الحروب مستقيمًا في سلوكه عادلاً في شؤنه امينًا
في حاسياته ومن الامور المؤكدة ان البارىء تعالى جعل قلوب الرجال العظام
مرايا تظهر فيها صور الكمال الانساني فلذلك لا تضعف عرى المودة بينهم ولا تنقسم

ثم اني اشكركم على عدم انحرافكم عن طريق تملقكم السابق وانعطافكم نحو والدي وارجو الباري سبحانه ان يحفظ وجودكم ثم ان هذا البرنس سافر مع عسكر الانكليز فقتل في بعض حروبهم مع الزولوس ولما اتصل خبره بالامير كتب الى والدته يعزيها فيه فاجابته ان التاسف الذي اظهرتموه لفقد ولدي العزيز الذي قتل واسلحته في يده مقاوماً لاعداء كثيرة قد وقع عندي موقعاً عظيماً واوجب عليَّ اداء التشكرات العظيمة لاشتراككم معي في هذه المصيبة التي اصابتني وفي احزاني العمومية راجية من الحق تعالى ان يحفظ وجودكم ولما ابدلت الدولة الامبراطورية بالحكومة الجمهورية انتهز رجالها الفرصة في احكام عرى المواصلة مع الامير خشية ان تذهب بذهاب الامبراطور فبعث وزير خارجيتها الى قنصلها بدمشق رسالة تلغرافية ونصها من الواجب على الامير عبد القادر انه لا يشك في ميل الحكومة نحوه بل هي تعامله بالمجاملة والمكرمة على ما كان عليه الامر سابقا وارجوكم ان تبلغوه ان المرتب يتصل عطاؤه له في اوقاته واستمرت المواصلة جارية بينهم وبين الامير على هذا يكاتبهم ويكاتبونه في المواسم وغيرها وفي سنة سبع وسبعين وثمانمائة كتب المارشال مكماهون دوك ده ماجنتا رئيس الجمهورية الى الامير جواباً عن مكتوب منه اليه . . . . .

ايها الامير المعظم قد اخذت تحاريركم في اوقات مختلفة باعظم السرور ولا اقدر ان اتاخر عن افادتكم عما حصل لي من الارتياح لما اشتملت عليه من انواع التهاني ولما ابديتموه من الميل لفرانسا هذا وان الصفات الحسنة التي ميزتكم عن جميع الناس نحن نعتبرها وننوه بقدرها ولذلك لا احتياج الى اقامة دليل على شدة ميلي نحوكم وبناء عليه فثقوا بحبتي وخلوصي القلبي نحوكم وفي سنة ثمان وسبعين كتب ما نصه · ان مبادرتكم لتقديم التهنئة بدخول السنة الجديدة والدعاء بنجاحي فيما اسعى فيه من الخير لعباد الله تعالى قد سرني واثر فيَّ تاثيراً حسناً جداً ولهذا لا اريد ان اتاخر عن اظهار مسرتي لكم بذلك واني لسعيد بتمكني من هذه الفرصة التي اوضحت لكم فيها ما حصل لي من الانشراح ثم اني اتمنى لكم من قلبي ان الحق تعالى يصون حياتكم ويمنحكم الحظ الحسن والسعادة ولما تولى جول كريفيه رئاسة الجمهورية خلفا للمارشال مكماهون كتب اليه الامير يهنئه فاجابه ايها الامير المعظم ان حسن اعتقاد ابناء وطني دعاني لرئاسة الجمهورية الفرانساوية ولكونكم بادرتم بتقديم التهاني وانواع التبريك لشخصي بهذا المنصب الوطني لا اريد ان اتأخر عن تقديم التشكرات لكم على ذلك واعلم ان خلوص مودتكم قد اثر فيَّ كثيراً واوجب عليَّ ان اؤكد لكم صدق مودتي واعتباري لمقامكم السامي ولذلك اقول انني مستعد

دائماً للسعي فيما يعود بالخير العظيم على شخصكم الشريف وارجو من الله تعالى ان يحرسكم ويفيض نعمه عليكم وفي سنة اثنين وثمانين كتب اليه الامير يهنئه بالعيد الاهلي في جوليو فاجابه ايها الامير الكريم قد قابلنا التهاني التي قدمتموها لنا بالعيد الاهلي بمسرة عظيمة واهتمامكم بهذه الامور يدل على خلوصكم للمشيخة الفرانساوية ولذلك نجعل لعبارات التبريك التي تقدمونها لنا اهمية عظيمة ثم اننا نكرر لكم تاكيد اعتبارنا وصدق محبتنا وندعو لكم بدوام الصحة والسعادة وفي سنة ثمانين وثمانمائة عرض للملك ايتاليا فكتور عمانوئيل مرض شاع خبره ثم بعد مدة شاع انه عوفي منه فكتب اليه الامير يستفسر عن احواله ويهنئه بالشفاء فاجابه ان ما انا عليه من شعائر الوداد والخلوص لكم يشهد لي به ضميركم الشريف ومالنا عندكم من المودة يشهد به تحريركم المحبوب ثم ابديتموه باظهار الاشفاق من مرضنا فاستوجب هذا ممنونية فائقة وتشكرات اكيدة قلبية كما استوجب ذلك تهنئتكم لي على الفوز بالصحة التامة فالباري تعالى يحفظ عالي وجودكم ويوفر سعودكم ولم تزل المواصلة جارية بينهما الى ان توفي الملك المذكور ولما تولى مكانه ابنه ولي عهده الملك همبرت كتب اليه الامير يعزيه ويهنئه بما نص ما تمس الحاجة اليه ولا يخفى ان الاقدار الالهية من شأنها انها تختلف بين مكروه ومحبوب وتتصرف بين مسلوب وموهوب وكثيراً ما اخذت بيد ثم ردته باخرى واحزنت بكرة ثم احدثت بالعشي سروراً وبشرى هذا وان حكم الله تعالى بموت عظيم ايتاليا وملكها والدكم وافضاء امر الملك اليكم قد جمع بين ما يوجب الاسف والتعزية وما يوجب المسرة والتهنئة ولا شك ان الله تعالى اسى بكم حادث الكلم وسد بشخصكم العظيم عظيم الثلم ورد النفوس بعد انزعاجها الى محالها والآمال الى محط رحالها فلذلك ترى النفوس الى التهنئة اميل منها الى التعزية اذ الموت امر لا بد منه وسهم لا تحيد لكل مخلوق حي عنه فالله يصلح بكم البلاد والعباد ويوفقكم الى سبيل الرشد والسداد ثم لا يخفى ان عيون العائلة الملوكية ترمقكم في هذه الحال لتسلك على سبيلكم وتأخذ بصبركم فيها وتحملكم فينبغي لكم استعمال الوسائط اللازمة في تهوين ما نزل بها حتى تتفرغوا الى القيام باعباء ما اسداه اليكم الباري تعالى من الملك العظيم ثم ارجو قبول ما اشتملت عليه هذه المميقة الودادية من التعزية والتهنئة . وكان الغراندوق بن قسطنطين شقيق الاسكندر الثاني امبراطور روسيا جاء الى الارض المقدسة ودخل دمشق واجتمع بالامير وعند سفره كان الامير منحرف الصحة فلم يتفق لهما اجتماع لاداء سنة الوداع وبعد وصوله الى بطرسبرج عاصمة ملكهم بعث تلغرافا

للامير يخبره بوصوله فاجابه الامير تلغرافياً سرني جداً وصولكم بالسلامة لمقركم . صحتي جيدة دائماً اذكر ما انتم عليه من الاخلاق الحسنة ان تحسن عندكم قدموا اسنى تحياتي الى حضرة الامبراطور واقبلوا تهنئتي بالسنة الجديدة وهي سنة اثنين وسبعين وثمانمائة . وفي فبراير منها جاء الجواب من الغراندوق ونصه ايها الامير الماجد المعظم قد سررت كثيراً بتلاوة الرسالة التلغرافية التي اتحفتموني بها وجاءت شاهدة على دوام ذكري عندكم وكانت من احسن الوسائل لدي لتجديد انبساط قلبي بذكر اجتماعنا في دمشق وما كان من سياحتي في المشرق التي لا يتطرق اليها عندي نسيان وما كان ابعد المشقة ولا لطول المدة ان ينسياني ما رأيت في ذلك القطر الكريم من اكرام النزل وحسن اللقاء ومن جملة ما بدا لي منكم ومن جميع اهل دمشق ثم ان من محاسن نميقتكم هذه اتحافي بحصولكم على كمال العافية والصحة فان لسلامتكم شأناً عظيماً لدي لما اعلمه من انبعاث افضل والفضائل من افعالكم وآرائكم فاحياكم الله الى امد بعيد وامدكم بفضله المديد وقد اجبت سؤالكم بعرضي عنكم لدى السدة القيصرية تحية الاحترام والاخلاص فارتاح جنابه الرفيع الى ذلك بمسرة ثم تكرم بالثناء عليكم واذن لي ان ابلغكم السلام من لدن حضرته وان اعرفكم بانه يحبكم وانه لاتزال تترنح اعطافه لشدة مسرته بحسن صفاتكم وحميد سيرتكم ولذلك اهني نفسي وافرح بالفرصة التي اتيحت لي لتبليغكم هذ التعطف من لدن مقامه القيصري وحيث اني اود ان ابث اليكم واظهر لديكم ما عندي من المودة فقد ارسلت اليكم داخل هذا الرقيم رسم صورتي لتكون تذكاراً لي عندكم فاقبلوها واحفظوها علامة على بليغ ودادي وصدق ولائي ومني سلام مستمر على سموكم ولن ازال ابلغ عواطفي اتمنى لكم كل خير وغبطة . كان الوزير السياسي غورتشاكوف الروسي جاء سائحاً الى هذه البلاد ولما رجع الى وطنه بعث الى الامير مكتوباً مخصصه اعد نفسي سعيداً حيث اني رأيت شخصكم المجيد وسمعت خطابكم اللذيذ ولم يزل فكري يجول في رياض محاسنكم الفاخرة ويستنشق نسيم كريم اخلاقكم ولا ابرح على هذا مدة حياتي وانحراف مزاجكم الشريف هو الذي منعنا من وداعكم عند السفر واوجب لنا الاسف الشديد والان نحمد الله على اعتدال مزاجكم وكمال صحتكم وقد اتصل بالامبراطور ما انتم عليه من الميل الى جانبه الرفيع وغدا بذلك ممنوناً متشكراً ارجو عدم ابراحي من الفكر الكريم . ومن اجوبته قوله ايها الامير الاكرم ان مسيو مكايف قد سلم الي التحرير الذي كتبتموه بحمله

اليّ من لدنكم واني اجل ما تحسن عندكم اظهاره من المودة ولا يخفى ان تمسكي العظيم بكم واحترامي لمقامكم نظرًا لما اتصفتم به من الاخلاق الكريمة الخالصة الشرعية يقابل عظيم تلك المودة وشهادتكم له باظهار شعائر المحبة والخلوص لحضرتكم قد سرتني كثيرا وفي الحقيقة ان ما اجراه من ذلك هو مراد لعظمة الامبراطور والذي اعلمه بوجه التأكيد ان خلفه يحذو حذوه وبذلك يكون قد قام بما اقتضيه ارادة ملكنا المعظم من الميل و لانعطاف لنحوكم كما انه يكون بذلك قد تمكن من استجلاب تعطفكم لنحوه فاقبل ايها الامير الفائق الاحترام تاكيد مودتي القابية لسموكم واعتباري الفائق لمقامكم

ومن اجوبة سفير الدولة الانكليزية في الاستانة العلية السير هنري الى فخر الاماجد الكرام ذوي القدر والاحترام الامير عبد القادر

غب اهداء واجبات الاكرام بمزيد الاحترام نبدي انه وصلني عزيز كتابكم واطلعت على ما فيه حرفيا وعلمنا انكم بذلتم غاية الهمة والغيرة في وقت الفتنة العظيمة في حق تبعة الدولة الانكليزية وهذا يدل على مودتكم لنا وهو امر لا بد ان يكون في حقك عظيماً معتبرًا ثم ان اقتضى لكم غرض من الاغراض في طرفنا اخبرونا به فانه يحصل على وفق مرغوبكم وكان بين الامير و بين الحكومة التونسية مراسلات ودادية ومواصلات حبية ولما انجز الوزير خير الدين باشا تاليف اقوم المسالك بعث الى الامير نسخة منه واصحبها بمكتوب فاجابه بما ملخصه وقد ورد علينا من حضرتكم كتاب سني يشتمل على خطاب لذيذ شهي فاستدعى شكري وحمدي واخلاص في صفاء المودة ما عندي عرفتمونا فيه من خبر سلامتكم ما نرجو له الدوام وندعو له بالحفظ من حوادث الايام هذا وقد اطلعنا على اقوم المسالك فرايناه فيه ما بهر العقول وادى الافكار الى الذهول من قضايا المعقول والمنقول فاتفقت القلوب على تفضيله واختلفت الالسنة في تمثيله اما نحن فقد تركنا التشبيه وقلنا ما له في فنه مثيل ولا شبيه قد ارانا من الرجال بقايا وفي الزوايا خبايا كتاب تنفس الدهر به تنفس الروض في الاسحار وتبسم عن ثغور النور والازهار كتاب يزرى بتاج تراجم الاعيان وكانه مرآة انعكست فيه رسوم اخبار الملوك وافاضل الزمان فاتخذته مرتع ناظري ومنتعش خاطري ولا يخفى انه لا بد لكل عصر من رجال يقومون باعبائه ويهيمون في اودية انبائه و بالجملة فقد ابنتم في هذا التاليف من كلامكم العالي المنيف ما يجب على كل عاقل ان يتخذه سميرًا ويجعله على كل كلام اميرًا فلقد ابتدرت ايها

الوزير الخطير الى احراز المعالي وسبقت وحزت قصب السبق في مضمارها وفزت فلله درك ودر ما به المعت وما قربت من فنون المعارف وبعدت ثم انك حميت ذمار الشرع المحمدي وعضدته وقطعت عنه ضرر الملحدين وخضدته وذلك بما قررتموه من ان الشريعة المطهرة لائقة بكل زمان صالحة للعمل بها في كل اوان وذكرتم ان بعض من خالف الحكم المحمدي فتاخر نسبت جنايته اليه وما احتشم ولا تبصر ولم يعلم ذلك المخذول انه انما اتى من قبل مخالفته واصيب في عين بصيرته من جهة اساءته

والشمس ان تخفى على ذي مقلة نصف النهار فذاك تحقيق العمى

نسأل الله العافية . ولما تكرم صاحب تونس بالنيشان العالي من الرتبة الاولى عززه وزيره الاكبر مصطفى الشهير بخزينه دار بمكتوب منه الى الامير فاجابه برسالة منها ان ما بيننا من الود متين عرى الحقائق فلا يحوله عن مركز ثبوته عائق قد ارتبطت في الله معاقده واسست على المحبة لاجله قواعده ولقد اوليتم فاخلصتم وعرفتم حقوق الاخوة فابدتموها وباعبائها قمتم ثم تكرمتم بما يدل على ذلك دلالة الروض على الزهر والشاطىء على النهر وهو النيشان العالى الشان الذي تفضلت به الحضرة الصادقية ايدها الله على ولدي الاكبر السيد محمد ولكونه من الرتبة الاولى صار شكركم عندي من كل شكر احق واولى نسأله تعالى ان يبقي تلك الذات السنية سامية الركاب عالية القباب بمنه تعالى وكرمه ومن رسالة اخرى الى الوزير المذكور قد رفعتم للعدل الراية وبلغتم من الكمال الغاية حتى احبكم البعيد والقريب ودان بودكم المتوطن والغريب ولم تزل السن المهاجرين بطرفكم تلهج بما لكم من الخصال الحميدة والمزايا العديدة وفي هذه الايام وردت علينا رسائلهم تترى طالبين ان نحدث لكم من امرهم ذكرا فجعلنا هذه النميقة تذكرة حسنة لتعاملوهم بمقتضى معاليكم المعاملة الحسنة على نحو ما سبق من احسانكم وألفوه من افضالكم وامتنانكم ولا يخفى ان ذلك من اسنى الاعمال الصالحة وابهى المساعي الناجحة وانتم ابقاكم الله بكل فضيلة احق والى كل منقبة فاخرة أسبق فكتب اليه في الجواب . قد بلغنا كتابكم الكريم مبشرا بنعمة عافيتكم التي هي مبتهج الامل ومنبج الرغبة ونستوهب الله تعالى على ذلك من الشكر ما يكافئ مزيد نعمائه ويوافي عظيم آلائه وماسنح لخاطركم الشريف من توكيد الوصية على من لهم تعلق بجنابكم من المهاجرين القاطنين بالمملكة التونسية فانهم لا يزالون بحمده تعالى في ظل نعم مولانا وسيدنا دام عزه وعلاه في امنه ورعايته مانوسين محروسين ثم المرجو ان تبقى صلة المودة بالمكاتبة موصولة لتزداد النفوس مسرة والعيون قرة . وفي سنة ثمان وثمانين جاء الوزير خير الدين باشا الى الاستانة في امور

تتعلق بحكومته وعندما اتصل خبره بالامير كتب اليه رسالة منها . ولما بلغ خبر مروركم الى دار السعادة قلنا لعل الاقدار الالهية تجذبكم الى هذه المواطن المباركة الطاهرة لتفوزوا بمشاهدة المشاهد النبوية الزاهرة وتتنسموا عرف انفاسها الزكية العاطرة ولتتمتع بمشاهدتكم نواظرنا وتنشرح بطيب مذاكرتكم خواطرنا ونترقى في معرفتكم من العلم الى العيان ومن مخاطبة القلم الى مشافهة اللسان وحتى تتمكن النفوس من صقالها والعقول من حل عقالها والالسن من فصل مقالها فان ساعد القدر في حصول هذه الامنية وحظينا بمشاهدة ذاتكم البهية فيا حبذا والا فالله الامر من قبل ومن بعد وله الحكم في القرب والبعد . فجاء الجواب الا انه غير مطابق من كل جهة للخطاب وهو قد اتصل بنا عزيز كتابكم المتضمن التعريف بعافيتكم وارتياح نفسكم الشريفة التي هي قرارة كل فضيلة وبكل مكرمة كفيلة فحمدنا الله تعالى على ذلك باللسان والجنان وعلى ما انعم به ايضاً علينا وارانا اياه في وجهتنا هذه المتضمنة في سلك مراحم الخلافة العثمانية ومرضاتها في تسهيل المصلحة العمومية الاسلامية وتمهيد اسبابها وتثبيت دعائمها التي خلدت للاسلام فخراً وادامت له من مكارمها ذخراً ونستودع الله شكراً يوافي ما انعمت به السلطنة العلية خلد الله عزها من الامور المرضية الشخصية التي كانت فوق الظن ونرجو دوام صلة المودة اذ هي بين الاحبة مسئولة ولديهم مقبولة وما برحت منح الله تعالى تفاتح جنابكم وترتاح بكل مكرمة مثابكم بمنه تعالى وكرمه . وفي سنة اربع وتسعين بعث اليه الامير هدية سنية من التحف الدمشقية وذلك ايام وزارته الكبرى ومعها كتاب فاجاب بما نصه المقام الذي لمعت في الخافقين كمالاته وسطعت فيهما آياته الامام العارف انيس المعالي والمعارف جناب الامير السيد عبد القادر الحسني لا زال العلاء سميره وعين المجد به قريره اما بعد السلام الاتم ومزيد الثناء على ذلك المقام الافخم فقد تشرفت بعزيز كتابكم الوارد وكرعت منه في اصفى الموارد مشتملاً من الحسن بطراز متوشحاً من الود بالحقيقة لا المجاز وقد وقع مني ما اتحفتموني به موقعاً عظيماً حتى انه لم يبق لزيادة الاستحسان موضع ولا من طرف الاعجاب مهيع ورأيناها من اعظم التحف وان رآها جنابكم لجلالته اقل من ان تمنح ولا سيما انها من بلدة مباركة ومن جناب سابل الاكرام فكيف ان تدع لاحد معه مشاركة فاكدت تذكاري مع شقة البين وان كان نصب العين نسأله تعالى ان يجعلها وسيلة يستعان بها على قضاء الاوطار المحمودة باعثة على نهج الطرق التي بالتوفيق

بدعمة وبالهدى معضودة واني وان اجهدت نفسي في شكر مودتكم وعائد صلتكم فما اوفي حقها ولو اعارتني السماء مداداً وارجو من مكارمكم العديدة وشمائلكم الوحيدة وحسن الالتفات للمتسم بودكم بصالح الدعاء حتى ارى الاجابة تخرج من خلاله وارتوي من زلاله فان تعطشي لذلك مديد وشوقي اليه عتيد وكتب الامير الى رستم باشا امير الامراء يوصيه باولاد مقرات حين التجئوا الى المملكة التونسية فاجابه بقبول وصيته والسعي في مراده وبغيته فكتب اليه الامير ما نصه

اما بعد فقد ورد علينا كتابكم الاعز وخطابكم الالذ الاوجز مشتملاً على الفاظ فائقة ومعان رقيقة رائقة ومخبراً بما اتجته العناية السنية الصادقة بالفئة الملتجئة المقرانية من عميم احسانها وفيض امتنانها وانها انزلتهم فيما تخيروه من اوطانها ورغبوا فيه من اعطانها فنسأل الله ان يديم رفعتها ويؤيد سطوتها ويبقيها للآبدين ملاذاً وللعائذين معاذاً هذا ونحن نعلم ان ما ابرزته مراحمها وجادت به مكارمها ما وقع الا باشارتكم ولا ظهر للعيان الا بواسطتكم فجزاكم الله جزاء الدال على الخير واعاذكم من كل فتنة وضير وادام توفيقه اياكم لمثل هذه الاعمال السنية والمزايا البهية انه جواد كريم برّ رحيم ولا نحتاج مع وفور فضلكم الى تجديد الوصية بكافة المهاجرين وتكرار التذكرة بملاحظة الاولين منهم والآخرين والله تعالى يبقيكم ومن كل سوء يقيكم فاجابه بقوله جناب الفذ العريق في الرياسة والسيادة الحقيق بارتداء ملابس الفخر والسعادة الذي اربى عزيز جنابه على سائر اقرانه واترابه وشكرت مساعيه الحسنة واتفقت على كمال وصفه الآراء والالسنة حضرة الامير الجليل الابر سيدي عبد القادر بن محيي الدين لا زال وجه الايام بسناء سعادته ساطعاً وضياء نورها بسيادته لامعاً اما بعد سلام يتمسك بذيل عرفه النسيم ورحمة يشملها سلام قولاً من رب رحيم فان كتاب جنابكم الاعلى وخطاب سيادتكم الاغلى ورد عليّ فكان اعظم وارد واكرم وافد وانشرح صدري عند تناوله وقبلته قبول مبتهج اكراماً لمرسله وشكرت الله تعالى على تعطفكم علينا وحسن التفات سيادتكم الينا واعظم ما سرنا به عافية حضرتكم الشريفة واخبارها السارة اللطيفة فالله تعالى يسمعنا عنكم دائماً ما يتعاظم به السرور وتزدهي به الخواطر وتثلج الصدور والمرغوب من الجناب العالي الزاهر المتلالي ان تمدوني بصالح دعاكم والله سبحانه وتعالى يديم شموس سعادتكم مشرقة واغصان سيادتكم مورقة بمنه وطوله . ولما تولى حسين امير الامراء التونسي رئاسة مجلس الشورى سنة اربع وتسعين

كتب الى الامير يخبره بذلك ويذكر اعتناءه بامور المهاجرين في تلك المملكة فاجابه الامير ان السنة المهاجرين لم تزل تلهج بكمالكم ونفوسهم تبتهج بحميد خصالكم فاحببناكم على السماع وتمنينا ان يحصل بيننا وبينكم اجتماع ثم لما ورد تحريركم علينا ثبتت محبتكم في قلوبنا بالوسائل المؤكدة على ما يقتضيه حديث الارواح جنود مجندة ثم انا نقدم لحضرتكم انواع التهاني بالمقام الذي ترقيتم اليه والمنصب الذي دار فلك فخركم عليه وفي الحقيقة التهنئة للمنصب حيث انه بجمالكم تجمل وبكمالكم تكمل لكن جرينا على الظاهر المعروف وسلكنا في ذلك السبيل المألوف ونسأله تعالى ان يديم ترقيكم ويوفقكم لما يرقيكم آمين

وفي سنة خمس وتسعين كتب الى الامير في عناية باحد اصحابه ما نصه

ادام الله تعالى عز الكهف الهمام مجمع الكمالات المتفرقة في الانام ذي المآثر المسطرة على جبين الدهر والحائز في مضمار الشرفين غاية المجد والفخر سيدنا وملاذنا الوحيد سيدي عبد القادر لا زالت الافئدة تتظافر على وده والاندية تأرج بشذا تمجده اما بعد اهداء تحية يرنح قبولها الاريحية فان توفر حظ العبد من مودة السيادة يسع مقترحي وهو ان حامل الكتاب فلان عنّ له ان يزور مواطن الشام وربما يبلغ في سياحته الى بغداد دار السلام فأمل من عبدكم وشيعيّ ودكم ان يصحبه بمكتوب الى اعتابكم السامية ليتشرف برؤيتكم ويكون تحت حمايتكم وعليه فالمرجو ان توصوا به سائر العرب الذين يكون مروره عليهم في طريقه حتى يكون في حلوله وارتحاله آمناً مطمئناً فاسعفته بمراده لسابق وداده ولا زال حماكم المحمي مراح المعاني ومطمح نظر القاصي والداني آمين

وكتب اليه ايضاً في عناية اخرى ما نصه

تستقبل هاته الصحيفة محراب جامع اشتات الكمال والشيم الشريفة جناب رئيس المهتدين وقاهر المعتدين مولاي عبد القادر ابن المولى محيي الدين حرس الله كماله وانجح بسديد رأيه آماله اما بعد اهداء تحية ترنح قبول قبولها عذبات الاريحية فالداعي الى تسطيره بعد التشرف بارتسام صور هذه الكلمات في مزايا افكاركم ان المحترم الانجب محبنا فلان حامل هذا المكتوب لسيادتكم العلية بالله قد اقام عندنا نائباً عن قنصل ايتاليا بثغر حلق الواد من محروسة تونس مدة سنتين والان امرته دولته بالانتقال لقنصلية دمشق الشام المحروسة فلعلم السنيور المشار اليه بتشيعي بالمودة الى جنابكم رغب بان اصحبه بتحرير لسنيّ حضرتكم حتى يتشرف بمعرفة ذاتكم الشريفة فوافقه العبد على رغبته وهو في نفس الامر من اظرف واكيس بني الجنس حتى انه لم يفارق بلادنا الا وكل من

عرفه يتمنى عوده اليها وارجو انكم حفظكم الله تجدون من نعرفه بجنابكم فوق ما وصفناه به من محاسن الشيم والله يحرس حماكم مناخ الاكياس وملاذ سراة الناس ودمتم في امن الله والسلام من شيعي ودكم وعبد كمالكم حسين

ولما تولى امير الامراء محمد المعروف بالبكوش وزارة الخارجية بتونس كتب اليه الامير يهنئه بها فاجابه بما نصه

الجناب السامي فخاره الواضح افتخاره المشرق مناره الحميد في المكارم ايراده واصداره نخبة الاعيان اهل المعرفة والشان سيدي الامير عبد القادر الحسني لا زال بكل فضيلة سني اما بعد اداء ما يجب لعزيز جنابكم من التعظيم والتكريم فقد بلغني كتاب سيادتكم متضمناً الافادة عن نعمة عافيتكم لا زالت ضافية الاذيال بادية الاجلال ومعرفا بمسرة جنابكم بولايتنا وزارة الامور الخارجية فشكرنا مكارم اخلاقكم الجليلة التي هي محل الشكر وقرارة الفخر ونسأل الله عونًا على مرضاة حضرة سيدنا ادام الله عزه وعلاه كما اننا نسأله تعالى ان يديم حفظ ذلك الجناب على ممر الاحقاب بمنه تعالى وكرمه آمين . ومنه اليه بتاريخ سابع رجب سنة خمس وتسعين ما نصه: الجناب الذي ضربت عليه العلياء قبابها ورفعت له المسرة نقابها وامتدت به شجرة المجد اغصانا وكانت الالسنة على الثناء عليه اعوانًا معجز الاقلام عن تعداد محاسنه والالسن عن عد احسانه المفرد العلم وحيد الشمائل والشيم الامير السيد عبد القادر لا زالت الاسماع لمآثره واعية واجياد الزمان بفضائله حالية والكمال من رياض معاليه يرتاد والانس بوجوده على الدوام يزداد اما بعد اهداء تحية يطير بها الشوق الى ذلك النادي وليس له الا ايد الحب حاد . فقد بلغ السرور بكتابكم العزيز المنتهى حتى كدت اصير به مغرماً ولما جاء مبشراً بما عمكم من النعيم الكافي والفضل الوافي ومقرراً لما عليه جلالتكم لنا من الود الفائق والاعتناء الرائق فحمدنا الله على ذلك وشكرنا فضلكم لما هنالك والمطلوب من حضرتكم اللطيفة الشمائل النجيحة الوسائل حسن الالتفات للعبد بصالح ادعيتكم التي هي للاجابة اسرع من هطل سحابة والله يمدّ سيادتكم من خزائن فضله ما انتم من اهله آمين

ولما تولى مصطفى بن اسماعيل التونسي الوزارة الكبرى كتب اليه الامير يهنئه . فاجابه بقوله

المقام الذي ما زال الهدى يؤيده والجود الالهي يسدده من حاكاه البدر في هالاته وعجزت الاقلام عن تعداد كمالاته جناب الهمام النحرير والاكسير الرباني سيدي عبدالقادر بن محي الدين الحسني لا زال للاعين قرّه وفي جبين الزمان غرّه اما بعد

اتم السلام على ذلك المقام والثناء يملئ اللسان على خصائلكم الحسان فقد اتصلت يدي باعز كتاب جنابكم وتيمنت باعز خطابكم وعلمت ما عليه احتوى من التهنئة بولايتي الوزارة الكبرى والمسئول من ربنا سبحانه ان يتفضل عليّ بالاعانة في القيام باعبائها واستنتاج نتائجها حتى يكون السعي سديداً والرأي بفضله رشيداً وقد تضمن كتابكم الكريم انه كان عرض لجنابكم مرض اوجب تاخير كتاب التهنئة فنحمده تعالى على شفائكم ونضرع اليه في دوام عافيتكم وارجو من جنابكم ان اكون ممن يشمله دعاكم ولا ينساه علاكم ما برح المجد بجنابكم مصونًا واليمن بوجودكم مقرونًا

(وكتب الامير) في سنة احدى وتسعين الى امير مكة وشريفها الشريف عبدالله باشا يعزيه في بعض اقاربه فاجابه برسالة نصها . غب اهداء جزيل سلام اطيب من عرف النسيم واعذب من رحيق مختوم ختامه مسك ومزاجه من تسنيم وازكى تحيات تبسم بالمحبة ثغور سطورها وترقم بصدق الاخلاص احرف منشورها الى حضرة فريد الذات والصفات حميد الخصال والسمات قدوة الافاضل والاكابر وعمدة ذوي المعالي والمفاخر الاجل الاكرم السيد عبد القادر الحسني وبعد فانا لم نزل نتطلب ورود الاخبار المسرة عنكم بما يطمئن به الخاطر عليكم وفي اشرف الساعات ورد علينا مكتوبكم الشريف المشتمل على الخطاب اللطيف المتضمن التعزية فيما جرى به القضاء المبرم والقدر المحتم بوفاة من تغمده الله بالرحمة والرضوان واسكنه فسيح الجنان ولقد احسنتم فيما بلغتم من حسن العزاء ولا زلتم موفقين لتسلية المحبين المخلصين فالله تعالى يجعلنا ممن يتلقى قضاه برضاه وافدتم انه بلغكم ما حصل لنا من التاثر فله مزيد الحمد قد تفضل المولى سبحانه بالالطف فيما قدر ودمتم سالمين في حفظ الملك المعين ولما توفي الشريف عبد الله المذكور وتولى مكانه شقيقه الشريف حسين باشا كتب اليه الامير يعزيه ويهنئه فاجابه بما نصه . غب اهداء اصفى تحيات وافرة واوفى تسليمات عاطرة يفوح نشرها العبيق من سوح الكعبة الغراء والبيت العتيق الى جناب صاحب الاخلاق الحميدة ومحاسن الاوصاف الرشيدة قدوة الافاضل وعمدة ذوي الفضائل الاجل الاكرم السيد عبد القادر الحسني زيد فضله وبعد فبينما نحن في البحث عن صحة ذاتكم والسؤال عن كمال صفاتكم اذ ورد الينا كتابكم المسفر صبيح مضمونه عن صدق اخلاص ووضح عن اكيد مودة ليس لزائدها انتقاص متضمنًا التهنئة بما منّ الله سبحانه به علينا من اكرام السلطنة السنية بتوجيه الامارة الى

عهدتنا فلله مزيد الحمد على ما انعم وله كمال الشكر على ما تكرّم ونسأله سبحانه وتعالى التوفيق والاسعاد والهداية الى سبيل الرشاد انه سبحانه جدير بالسؤال وقدير على تبليغ الآمال وقد سررنا ذلك منكم وشكرنا صنيع همتكم لا سيما ما تضمنه من الادعية الخيرية المرجوة القبول لصدورها عن المحبة الصادقة القلبية ودمتم سالمين على الدوام والسلام

ومن رسائل الفاضل السيد عبد الرزاق مفتي اللاذقية الى الامير قوله

الحضرة التي استجلب رضاها واستجلي ضياها حضرة المكارم التي لاح سناها وعطر الآفاق طيب رياها والدوحة التي تستظل الانام بظليل حماها والروضة الغناء التي تفتحت ازاهر رباها وجرت جداول فيضها ونداها لا زال شامخا في رتب المعالي بناها ولا برح الكون مبتهجاً بجلاها آمين يعرض الداعي الذي لا يزال في مركز انتسابه ولا يتحوّل عن خصوصيته في ابتعاده و قترابه انه قد تقدم قبلا من الداعي عريضة لم يرد عنها جواب يشفي جوى حشاشة غدت للبعاد مريضة مع ان الداعي على ما كان عليه لا يحضر بمحفل في افاضل الناس حفل ولا يجلس مع مذاكر ومساجل الا ويملأ الاسماع من جريان هاتيك المعاني المروقة في اواني المباني ويبرز من كواكب تلك المناقب ما يملأ ضوؤه ما بين المشارق والمغارب ويتلي من مصابيح خلائقك الساطعة الانوار ما هو ازكى من عبير العنبر المعطار فله في كل ديوان لسان شاكر لاحسانك وفي كل لسان ديوان ذاكر لامتنانك يتلو من آيات عرفانك وبينات مجدك وفضلك ما يقرط بدرره المسامع وتاخذ فرائده من القلوب المجامع فما من ناد الا وعطره بنفحات شذى اخلاقك النديه ولا من ناد الا وانعمه برشحات ندى راحتك النديه ادام الله عماد المجد قائماً بوجودك وليل هذا الدهر مشرقا ببدر سعودك آمين

ومن رسائله ايضا قوله

الى مقام مكارم الاخلاق والشيم والمآثر العالية القيم مقام المعارف الربانية ومورد الحقائق العرفانية مقام حل لرموز ومفتاح الكنوز والسر المطلسم المرموز والمنح التي لا يحل انكارها ولا يجوز مقام الوراثة المحمدية والمواهب الصمدية والفيوضات اللدنية والعنايات الربانية مقام علامة الآفاق ومن فضل اهل عصره وفاق كيف لا وهو ابن سيد العالمين على الاطلاق والنور الذي كسا الاكوان حلة الاشراق مقام ناصر الملة والدين وقرة عين الموحدين من قام في تاييد كلمة الاسلام بما عم ذكره وعبق في آفاق البرية نشره بباس يطير شرره وادراك تتبلج غرره وذهن يكشف الغوامض ويسبق البارق الوامض وطعن بالصارم الفاتك والسنان الباتك حتى قهر الاكاسرة

بأساً وعزماً وحير القياصرة شاناً وحزماً مع قوة شكيمة ونفاذ عزيمة واياد حكت الديمة واخلاق مستقيمة وخصال قويمة ومشاهد رواياتها عميمة بانواع الثناء عند ملوك الدنيا موصوفة موسومة ذو الورد الاصفى والمورد الاهنى اقرّ الله بطول بقائه عيون الامة وكفاه بفضله كل ملمة ومهمة آمين والذي يعرضه المحسوب بلسان الخجل وهو بمقتضى التصرفات الالهية في اضطراب ووجل اني من محبتكم في مكان فيه لا اشارك بعلمه الله تعالى وتبارك والمحبة هي النسب الاقوى الملحقة بالسابقين ولو مع القصور في التقوى فارجو دوام قبولي وملاحظتي بعين العناية وشمولي فانني ممن لا ينفك عن عهده ولا يخرج من دائرة حبه ووده ومثل عرفانكم لا يقدم لديه الزيف حمى الله شمائلكم من كل سوء وحيف وبلغنا من معاليكم الآمال واقر منكم العين بسادتنا الاشبال بحرمة جدك الاعظم والآل صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما لمع سراب وآل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠ ومن رسائله العجيبة الى الامير رسالة ادمج فيها اسماء السور القرآنية وهي قوله اوشح فاتحة عريضتي برفع البنان والضراعة لمن انزل البقرة واصطفى آل عمران بيقاء انسان عين الانسان والآية الكبرى التي زين الله بها الزمان المولى الذي جاءت به ام المعالي بدراً في سمائه وآلت ان لا تلد النساء بعده مثيلاً له في علائه والغوث الذي من حل ساحة نعمائه فاز بمائدة انعام فضله وآلائه واحتسى من حياض اعراف نعمه انفال طوله وكرمه حتى لزم التوبة بانه لا يرد غير موارد بهيّ شيمه وان يشد ركاب العزم لغير رفيع حرمه وسعد من الطائفه بما يؤنس الافئدة المرتاعة وينسى خلال الاكارم من عهد هود الى قيام الساعة ورأى ان مواهب ما سواه هي ما كان لاخوة يوسف من البضاعة وان التجى لغير رفيع حماه اضاعه كيف لا ومن سماء علاه سبح رعد الجنان لكل من امه من ذوي العثرات ببلوغ الامان واحرقت صواعق بأسه شياطين الطغيان ذو المهجة التي نحت عطف ابراهيم وبأس موسى بن عمران ولاحت لها رقيبة خدر المعارف من حجر العوارف فاقبلت عليها وفود الحقائق كالنحل بكل تليد وطارف وفازت مذ اسرى بها الى كهف الاسرار باشهى ما هزت مريم بجناه الجزع من اللطائف الا وهو سلالة سيد المرسلين طه سراج الانبياء الذي فرض الحج وبه افلح المؤمنون النور المنقلب في اشرف افلاك الاصلاب واطهر رياض البطون المؤيد بالفرقان الذي اعجز الشعراء عن ان يأتوا بآية من مثله وغدوا بكماً فهم لا ينطقون فاقبل الناس كافواج النمل في دين الله يدخلون حتى دهشت لقصص

م آثاره افئدة ملوك الارض وغدا سلطانهم اوهن من بيت العنكبوت وامتد ملكه حتى بلغ الروم والهند والصين وثبت اي ثبوت صلى الله عليه وعلى آله وصحبه المستكملين النعوت وامد الله بروحانيته المحمدية درة صدفة آله المولى عبد القادر بن محيي الدين من احيي بحكمة لقمان شريعة جده سيد المرسلين ونصر دين الله في قطر تسمى به امير المجاهدين وتلقب بناصر الدين وادت له جباه القلوب سجدة الشكر مذ تسامت باقدامه احزاب الدين هذا وان سبا بلقيس السامعة طالما تليت عليها آيات تلك الصفات التي من بها فاطر الارضين والسموات وما هي الا كيس في صافات رياضها وكم مشوق صاد لورد حياضها وزمر متوجهة لغافر الذنب بحفظ تلك المآثر والسجايا التي تضيق عنها اذا نقلت بطون الدفاتر مآثر من انتخبته شورى المعالي لدين الله عاداً فوهي زخرف الباطل مذ عضد الحق اسعاداً وتلاشى دخان الجهالة برياح الحق من تلقاء مدين عرفانه وغدت فرق الضلال جاثية في احقاف التذلل آية من الزمان بخذلانه امده الله بروحانية جده سيد المرسلين المؤيد من ربه في القتال بالفتح المبين

آمين آمين لا ارضى بواحدة حتى اضم اليها الف آمينا

ولم يزل الداعي مترقباً فرصة الانتساب ودخول حجرات المديح من الباب وهو وان يكن في قصور عن حصر تلك الاوصاف السامية شاناً على قاف فقد قيد نفسه بوظيفة مدح سيادتكم مدة المحيا الى الممات بل وتثني اعظمه برمسها وان ذرتها الذاريات ادام الله طور عزكم الخطير يزهو بزاهر نجمه على القمر المنير مشمولين بالطاف الرحمن في كل واقعة يذوب لها الحديد تذيبون الضد في المجادلة بحشر الامتحان والتشريد ودام صف مجدكم محفوظاً من الاضاعة بحرمة من خص بالجمعة والجماعة على انك ايها المولى حنظ من المنافقين وتغابنهم قدرك الفخيم ولا برحت نعم اعدائك عنهم في طلاق وتحريم قد فقت بالشيم الحميدة السابقين واللاحقين وفضلت بالهمم المقارنين والمعاصرين فتبارك من خصك بمزايا لا يحصرها القلم وجعلك اذا حقت الحاقة في معارج الفضائل كنار على علم فمكارمك الهامية تزري بطوفان نوح والكمالات جسم وانت لها روح وكم لك من ثناء يطرب الانس والجن نثره وكم من مزمل مدثر برفدك يبث مديحاً زكا نشره فمآثرك البهية عطرت عراق الكون وشامه وحيث ان مراسلات احسانكم شاملة للقاصدين وسحائب نوالكم عمت العفاة والواردين استمنح هذا الرقيق فك اسره من نازعات الهموم وكف اصره في زمن عبس وجهه المذموم واستجدى عناية بها تكوير الاسا وانفطار ليل كدر

جنحه عسا على ان بضاعة الادب في غير اعتابكم كيات بمكيال المطففين فاوجب الشقاق بروج حصنها المتين طارق الجهل المكين وقد حططنا الرحال بالرحاب الاعلى مستمدين كشف غاشية الكدر بفجركم الاجلى لنحل من بلوغ المراد في البلد الامين وتزيل عنا شمس مكارمكم ليل الاسا بضحاها المبين فينشرح الصدر ويقسم بالتين والزيتون ومن صور العلق في الارحام والبطون ان نفحة رضاكم ليلة القدر تزيل بعنايتها القيمة زلزلة عاديات الاحزان والاصر وتهزم قارعة تكاثر الاوهام فيطوى عصر الاسر غم عداة همزة لمزة طغام نسأله تعالى ان يجعل كيد حاسديكم في تضليل ويديم لعشيرتك قريش ظلال الظليل ويبقى حماكم موئلاً للقاصدين ويخذل بسطوتكم من يكذب بالدين ويغدق كوثر نداكم الذي اثرى به الصادرون والواردون ويرفع للملة بكم شانًا تذل له الكافرون والمعاندون فلا يرون نصرًا وتبت ايديهم فهم خاسرون وان يكلائكم باسمه لاحد الصمد ويحفظ سيادتكم من شر حاسد اذا حسد ويقيكم شر الوسواس الخناس ويديم بكم للبرية السرور والايناس

يا رعى الله الاحبة عهدا ... حيث منت بوصلها العذب سعدى
كم ادرنا كاس الصفا فيه دهرًا ... ولبسنا من المسرة بردا
عهد انس قد فاح عرف شذاه ... في رياض السرور آسًا وورادا
هل الى عودة سبيل لمضنى ... كاد يقضي من الصبابة وجدا
جيرة الحي منوا بحسن التلاقي ... وامنحوني من التواصل رفدا
وارحموا مغرمًا حليف سقام ... يشتكي لوعة الكم وسهدا
في هواكم عن كل عذب قراح ... طالما استعذب المدامع وردا
اي شجو عاينت بعد نواكم ... فيه ضيعت من جناني رشدا
وزماني بسهم خطب رماني ... ودعاني بعد السيادة عبدا
ودهاني بنائبات توالت ... قدحت بالاسى بقلبي زندا
ورحى الكرب حين دارت بجسمي ... طحنت بالخطوب عظما وجلدا
ليس لي من يجيرني من عنائي ... غير مولى غدا بعلياه فردا
ملجاء القاصدين من بثراه ... كحلت اعين من النوائب رمدا
هو عبد القادر من تسامى ... رتبًا اوجبت لعلياه حمدا
بهجة الكون مستقر المزايا ... مظهر اللطف عز شانًا ومجدا
باتق الضد في الوغى بصفاح ... ويلاقي الورى بوجه تندى

فرع فضل من حيز اصل كريم ... قد تسامى ابا كريما وجدّا
كيف لا وهو من سلالة طه ... درة زينت من المجد عقدا
بعلا باذخ ونخر صميم ... وخلال حكت عبيرًا وندّا
واحاديث في المعالي حسان ... تمنح السمع نشأة حين تبدا
للذي للجدى يروح ويغدو ... يا بروحي له رواحًا ومغدا
عاقدًا صفقة العلا كل حين ... فائزا ناجحًا مراما وقصدا
ملكيّ السمات برٌّ وسيفٌ ... لم يشم ناظر لعلياه ندّا
احرز العز في الملمات سيفًا ... وحوى الحزم في المهمات عمدا
انقذ الدين في الجزائر دهرًا ... بعد ان كاد فيه ان يتردّا
وغدا الحق ساطعًا بذراه ... ثابتا بالرفاء رسماً وحدّا
يا همام ان جاد اخجل غيثًا ... وهزبر ان جال ارهب اسدا
ان حسن الآراء منك اعادت ... نار شر الطغام في الشام بردا
وسما قدرك الرفيع بصنع ... قد حبا في الانام ذكرك خلدا
دمت للدين ملجاء وعمادا ... مبهجًا ذكركم عراقا ونجدا
ما بمدح الجناب قال محب ... يا رعى الله الاحبة عهدا

ومن رسائل صاحب الفضيلة السيد ابى الهدى الصيادي نقيب اشراف حلب رسالة بعثها الى الامير في صفر سنة ست وتسعين وهي قوله

الحمد لله رافع منار اهل البيت المحمدي على دعائم التقوى واشرف الاخلاق ومطلع كواكب سعودهم في سموات المعالى باسنى المواقع واجمل الاشراق والصلاة والسلام على على جدهم باب الله الاعظم ووسيلة الخلق على الاطلاق ورضي الله تعالى عن اصحابه نجوم الاقتداء الداخلين بقيود شريعته الى حضرة الاطلاق ورحمة الله وبركاته على ساداتنا اهل بيته وذريته المفتخرين باتباعه والمبشرين بسر الالحاق اما بعد فهذا رقيم من خويدم الفقراء محمد ابي الهدى الى السيد الجليل ذي الشرف النبيل والمجد الاثيل والحسب الاصيل عنقاء مغرب الغرب وصبح مشرق الشرق صاحب الفتوحات الباطنة ورب المنن المحمدية المواضع لله والمتمسك بسنة جده سيد انبياء الله مولاي وسيدي السيد عبد القادر الحسني متعني الله والمسلمين بدوام بقائه واعزنا الله بتاييده الخفيّ وحسن ارتقائه امين مولاي حياكم الله واحياكم ولا اعدمنا تجد عليا كم ولا حضرنا قط في مجلس مستحسن الا ذكرناكم دائما نستأنس بسماع مناقبكم الجليلة وبذكر مناقح سيادتكم الجملة ولا برحنا نترقب جمال

الوسيلة والذريعة لاكتساب توجهاتكم الشريفة الرفيعة واذا بالنعمة المامولة وردت بلا وسائل وقال لسان الحال هكذا عطف الاماجد على المساكين بغتة والرقيب غافل وقد خفق جناح النجاح ولمع باذن الله بارق الفلاح ولاح وظهر من مطوي الودائع الغيبية منشور عنايتكم الباطنة الحسنية وقد قيل

ان حياة الفؤاد وصال المحب على الغفلة

وتلوته اذ اخذته متعجبا من حسن توجهاتكم علي بلا استحقاق مني معتقدا ان مثالكم يرعى مثلي وزللي لا يلويكم عني

اخلصت فيك سرائري والمخلصون على خطر
وصبرت لكن صح ان الصبر عقباه الظفر

فنظركم في الداعي المسكين منعكس من مرآة قلبكم الطاهر وكذا شأن العارفين فارجوكم ان تلاحظوني برقائق رابطتكم في خلواتكم السعيدة وان تمدوني بمددكم العالي حالة جلواتكم في شطحات مواقفكم الحميدة جعلكم الله سلما للوصال وحجة الى بلوغ الآمال فلا ريب انتم معادن الكمال والى الشرف جرثومة وآل

رجال اذا الدنيا دجت اشرقت بهم وان اتحلت يوما بهم ينزل القطر
وان وطئوا قفرا زهت بربيعها واخضر واديها كما اعشوشب القفر

ايد الله بثبات قدامكم شوكة الشريعة الطاهرة وجعلكم المولى منجا للوصلة الخالصة في المسالك الباطنة والظاهرة والصلاة والسلام على ملجاء الانام وباب السلام والحمد لله مسك ختام المبدأ والختام وله اليه في غاية باحد اقار به بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على العلة الغائية ضئضيء الفروع الكونية حبيب الله ورسوله وعلى آله اتقياء اولياء الله واصحابه نجوم الارشاد لخلق الله اما بعد فالدعاء الوافر والغرام والشوق المتكاثر والهدية القلبية الناشطة من الحيطة السرية تعرض وتهدي الى المولى السيد الشريف والحسيب النسيب المبارك المنيف عمدة اعيان السادة وقدوة اماجد ارباب الشرف والفضل والسيادة الامير الحسني الاصيل الطاهر مولانا السيد الجليل عبد القادر اعز الله بمثل الحقيقة بارشاده وايد عنصر الطريقة بقوة استعداده آمين اعرض ان مرسومكم الاول الجوابي ومرسومكم الثاني الخطابي وصلا لهذا العويجز المشوق اليكم المعول في صدق الاخلاص وحسن الرابطة المعروفة عليكم وني والله لمكتف بقول من قال فاجاد رابطة الفائدة رابطة الفوائد

تطاير منا القلوب الى بلادٍ فتشهد ما توقع في البلادِ

وافئدة الرجال لها عيونٌ ... وريش والعجائب في الفؤادِ

وان قلبكم الكريم يشهد بما انا عليه لسيادتكم من الشوق العظيم والدعاء الخالص ان شاء الله النقي السليم فارجو ان تمنوا عليّ وان قصرت بدوام المراسلات اكراماً لقارئ المرسلات وان تتفضلوا عليّ بالدعوات الخيرية والنفحات الهاشمية وان تشملوا ابن العم حاملها السيد محمد افندي الكيالي بنظركم الاكسيري العالي فهو من مشاهير السادة ولمثله على مثلكم من موائد العطف والحنان عاده اسبغ الله نعمه عليكم وواصل بفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مدد محمدي اليكم آمين والحمد لله رب العالمين

ومن رسائل الشيخ محمد الدرابزلي المعروف بالشيخ المنتظر قوله

الحمد لمن اخرج احرف الكلم من نور الجمع الذاتي الاقدم بالفيض الاقدس الاقوم وفتق من الرتق الاحدي وجمع العمائي الابهم صور الاعيان المعدومة في العلم بنفسه الرحماني المقدس الاحكم فظهر انتظار صور كلمات الحقائق العلمية وصور تعينات الاسماء الالهية بحروف الاعيان الثابتة في العدم احمده حمداً يكشف لي به عن حقيقة ذاتي وعن استعدادي وعن اي اسم كنت تجلى له فاتحقق بحقيقة حقي واعرف نفسي فاعرف ربي وصلى الله على النور الاعظم المسمى بالنون والقلم سيدنا محمد من أوتي جوامع الكلم ومن هو نقطة حروف الوجود واحدى كلمات الرسل هداة الامم صلى الله عليه وعليهم وسلم اما بعد فاني اهدي سلاماً ابهى من التسنيم وارق من النسيم واضوع من عرف المسك الشميم صدر من صميم الفؤاد ممتزجاً باكيد المحبة والوداد معطراً من عطر شذا البيت المعظم الحرام والحجر والملتزم الى حضرة مولانا الكامل منبع المجد والفضائل الحبر الذي سما فخره واشرق في سماء المعالي بدره الغني بشرف ذاته عن تسميته بالتصريح لما حازه من بدائع الثناء وكل المديح ادام الله تعالى اجلاله و يسر بفضله و كرمه مقاصده وآماله آمين اما بعد فالباعث لتحريره والداعي الى تسطيره اولاً كثرة الاشواق الى مشاهدة الذات العلية والطلعة السنية وثانياً ان حامل هذه الاسطر الاخ في الله الشيخ فلان من اعظم مشايخ الطريقة العلية الرفاعية ومن اكبر الهائمين في حب تاج العارفين الشيخ الاكبر سيدي محيي الدين توجه من هنا قاصداً الى الشام ليتشرف بزيارة من هناك من الانبياء العظام والاولياء الكرام وقصده ايضاً ان يتشرف بتقبيل الاعتاب وينيخ نجائب آماله بفسيح الترحاب فالمأمول من هممكم العلية ملاحظته

بالانظار الاكسيرية وشموله بالنفحات العرفانية والفيوضات العدنانية

ومن اجوبة ابن عمنا السيد الطيب ابن المختار جواب اشار فيه الى ما آل اليه امر اهل الجزائر من الجهل بفنون العلم والسياسة واسناد الاحكام الى غير اهل الرياسة وهو قوله

سيدي الذي أستند في جميع اموري بعد الله تعالى اليه ومولاي الذي اعتمد بعد الاعتماد على الله عليه رب المحاسن التي صورها على منصة التنويه تجلى والاحاديث التي لا تمل على كثرة ما تملى

لسنا نسميك اجلالاً وتكرمة ... وقدرك المعتلي عن ذاك يغنينا
اذا انفردت وما شوركت في صفة ... فحسبنا الوصف ايضاحًا وتبيينا

عبدكم الداعي الى الله سبحانه ان يذلل لخدمتكم وطاعتكم انف الاسد الهصور ويبقى العز في عقبكم وعقب عقبكم الى يوم ينفخ في الصور

يسلم مشتاقًا الى ذلك الحمى ... سلامًا مسير الدائرات يسير
سلامًا على قدر الجلالة والعلا ... وانه في جنب العلي ليسير
سلامًا يفي بالمكرمات وفي النهى ... وكيف يفي والمكرمات كثير
سلام امرىءٍ يشكو الصبابة والنوى ... ويهوى المزار والمزار عسير
يكاد يطير عند نشر كتابكم ... وانى يطير والجناح كسير
فيثني عنان العزم نحو جوابكم ... وماذا عسى والباع منهُ قصير
لذا صدرت من طيب يندي طيبها ... مدادها مسك والقضايا عبير
وموردها المختار من آل هاشم ... كما القدر سام والمقام كبير
وان تك من وصف الفصاحة قد خلت ... فبالعذر حال الارتجال يشير
على ان بسط القول بالصدق مقصدي ... لاهل البيان والامير خبير

اما بعد حمد الله الذي بحمده تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد المؤيد بالآيات البينات والمعجزات الباهرات فانا كتبنا هذا عن ود صادق وقلب خافق جوابًا عما صدر من حضرتكم العلية وسمحت به نفسكم الشريفة الطاهرة الزكية مفيدًا ما مولاي عليه من الصحة والعافية والنعم المتوالية الضافية وذلك اسنى مقاصدنا ومبلغ آمالنا ومعدود لدينا من صالح اعمالنا شهد الله علم الله اذ بصلاح حالك يصلح الله احوالنا ونحن بخير ما بقيت لنا وان سأل المولى عن حال عبده فاكثر عباد الله وزرًا واثقلهم ظهرًا واخسرهم تجرا وخصوصًا لمجالسة الجهال فخرا والحال

انه ذهب من العمر اكثره ولم يبق من الجد الا ايسره اشكو بثي وحزني الى الله وردنا فتعذر الصدر واخطأنا وما اخطأ القدر ولله فينا علم غيب نحن صائرون اليه فمن استعاذ من شيء فليستعذ مما نحن فيه كيف وقد اسند الشيء لغير اصله ووسد الامر لغير اهله وجرت الصفة على غير الموصوف مع فقدان الشرط فجاء الامر على غير المعروف وقد تصدى من هذا الجنس اقوام لالحاق الفرع وهيهات باصله ووضع الشيء وليت شعري في محله نعدموا التوفيق وحادوا عن سواء الطريق لتعاطيهم الرواية وما رووا ودعواهم الدراية وما دروا فرأوا اقامة الجمعة في غير الجامع وراموا القياس بقطع النظر عن الامر الجامع فكان الاخذ عنهم ضلالاً والاقتداء بهم وبالاً ومعالجة الداء بهم نخا في غير ضرم والعدول عمن سواهم اليهم غسل دم بدم والتعزز بهم ذلة على ذلة والاستكثار بهم قلة على قلة والجناب الكريم بصير بان كل عز لم يوطن بعلم فالى ذل يصير وهكذا فلا زال ينسج على هذا المنوال ويقرر الاحوال بلسان المقال الى ان قال

ولربما ساق المحدث بعض ما ليس النداء اليه بالمحتاج

والا فانني اعلم ان هذا النحو مما يشق على سيدي سماعه وتمجه اسماعه لكن الانين طبع المتالم والكلام صفة المتكلم وما في الانسان يظهر على فيه والاناء يرشح بما فيه ولا بد من النفث للمصدور والله عليم بذات الصدور

وجمع بعض الادباء ديوانًا مما نظمه في مدح الامير ثم ارسله اليه واصحبه بقوله احمدك يا من منحت عبادك اراضة البيان وذللت لهم ما تصعب من الفصاحة والبلاغة حتى اقبلتا وهما منقادتان بامتن عنان والصلاة والسلام على البدر التمام النبي العربي المكي المدني شفيع الامة ومنير الظلمة سيد المرسلين والمبلغ ما انزل اليه من رب العالمين بلسان فصيح ودين صحيح محمد المصطفى صاحب الصدق والوفا صاحب الدين الاشهر والفضل الاظهر والوجه الاقمر والحرم الانور وعلى آله الغر المياميين وصحبه الذين شادوا دعائم الدين السالكين مناهج الحق الصادعين معارج الصدق الراضين لما يرضى به والمستمسكين بحبل جنابه ومن كانت هذه الصفات صفاتهم فهم المومنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون اسأل الله العظيم بحرمة نبيه الكريم والصحابة النجباء اهل الفضل والوفا ان يمدنا برقائق اسرارهم ويجعلنا من الفائزين بجوارهم والمغترفين من بحارهم والمقتبسين من انوارهم اما بعد فان اكرم الاخلاق واكمل اوصاف اهل المذاق هو التوسم بسيماء الفصحاء والدخول في سلك البلغاء وقد اجمع اهل الرتب ان ذلك هو علم الادب فكثيرًا ما يتفتح به منهج

السالكين الى معرفة رب العالمين ولهذا المنهج القويم والصراط المستقيم بابان جليلان يظهر منهما لمن سلك نجمان جميلان فالكهما القلوب والضمائر ومسلكهما العقول والخواطر وهما النثر الباهر والنظم الزاهر ومن المعلوم لدى اهل الحجى والاتقان ان ذلك داثر الاثر في هذا الزمان ولما اشرقت بوارق اسرار الحضرة القدسية و بزغت سواطع انوار الشموس الالهية المتجلية على هذا العالم الضعيف من الآلاء غرة الملك الشريف المغترف من بحار اسرار قطب الملكوت الاعظم الاصل الظاهر باكرم مظهر والفرع الباذخ من اطيب عنصر الظاهر العارف بالله المتمسك منه باوثق عراه ذي الاصل الباهر والبرهان الظاهر المعروف من اطيب العناصر والمستعبد بجميل آلائه الاصاغر والاكابر الشهم الفاخر والنجم الزاهر السيد عبد القادر لا زالت سحائب بره مواطر و بوارق اخلاقه زواهر ملاك قمع العدا وجمع البأس والندا فاستنار الظلام بنير بهاه واستضاء الكون بلوامع ضياه وقد رأيت النفس تائقة الى انشاء مدحه راغبة في الاقتباس من انوار صبحه اردت ان اخدم مجلسه السامي بزف قلائد شعري واتبعها بجواهر نثري مرتجيًا من مكارم ذاته العفو عن تقصيري في حصر غرر لآلىء صفاته وان يمدني بيد اليسر وينقذني من ربقة العسر اذ لا فخر ينتمي الا اليه ولا اعتماد في هذا العصر الا عليه فهو الخلاصة المصفاة من سلالة الانبياء والحضرة المعلاة فوق معارج الاصفياء ادام الله ايامه ونكس لشانئه اعلامه فاقول وارجو القبول ثم ذكر ما نظمه في حضرته ولنختم هذا الفصل بمكتوب العلامة الحجة الفهامة الامام محمد القصبي المصري ونصه

حفظ الله وابقى واعان بمنه وارقى مقام السعادة ومعدن الجود والسيادة سلالة الاشراف ونخبة آل عبد مناف حامي حمى المسلمين حجة العلماء العاملين

سيدي الامير عبد القادر بن محيي الدين رعى الله بمنه سيادتكم ومتعنا والمسلمين بوجودكم آمين وسلام عليكم تتوالى نفحاته ورضوان الله الاعم وتحياته وبعد فاننا بخير ونسأل الله ان تكونوا كذلك ولما اراد والدنا فلان زيارة بيت المقدس وانبياء الله الكرام والتشرف بالمثول بذلك المقام ارفقته هذا الخطاب رجاء ان افوز بدعوة شريفة من ذلك الجناب لعلي ابلغ بها المرام وتحفني بها السعادة في المبدأ والختام . وليعلم الناظر فيما نقلناه من الرسائل والاجوبة اننا قد ابقيناها بحروفها بحيث لم نتصرف فيها بتبديل ولا تحويل



ذكر الارجاف بموت الامير

وفي سنة ست وتسعين اشاع المرجفون وفاة الامير وانتشر هذا الخبر في سائر الممالك وابتدر اهل الجرائد والمعتنون باخبار العالم الى نقل ذلك ووردت علينا رسائل الرثاء ورقاع العزاء تترى من جميع الجهات وفي الوقت نفسه طارت رسائل التلغراف بتكذيب هذه الاشاعة الى سائر الآفاق ولما اتصل هذا الخبر بالامير واطلع على ما ذكره اهل الجرائد وغيرهم من بهي كماله وسني خصاله سر بذلك وقال ان الموت لا بد منه عند نهاية الاجل والحمد لله الذي أراني وأسمعني ما يقال في جانبي من الخير بعدي وهذا نادر الوقوع وغريب الاتفاق واول ما وصلنا من المراثي مرثية الاديب محمد اسحاق افندي الادهمي الطرابلسي ونصها

هذا المصاب الذي قد كنت اخشاه ... وافى فما حيلتي فيما قضى الله
في ذمة الله احباب فجعت بهم ... يا طيب عيش بهم ما كان اهناه
ابلى النوى بعدهم جسمي فقلت له ... يا بين حسبك ما قد رحت القاه
ا جابنا ضاق رحب للفضاء على ... خطب ألمَّ بكم جرعت بلواه
ياعين جودي بسحب الدمع وابكي على ... من كان نور سنا عينيك مرآه
روحي فدا قمر رهن التراب غدا ... من بعد ما حل من قلبي سويداه
اضنى بعادك يا سمعي ويا بصري ... عبد لقادر بالاحسان ترعاه
قد كان للعبد بالبر الجميل وبال ... رضاء معتمد واليوم خاناه
ما حيلتي في قضاء الله ما عملي ... ما ثم لي حيلة ما ثم الا هو
فمن يؤمل للمعروف بعدك يا ... نعم المجير لمن خانته دنياه
قد كنت للدين والدنيا وكنت لنا ... حصناً حصيناً اذا خطباً خشيناه
فليرثك اليوم من قد كنت حياته ... بكل مدح بديع راق معناه
ولتبكك الشام اذقد كنت شامتها ... وليبكك الغرب اذقد كنت مولاه
ولتبكك العاديات الموريات بيد ... ان الحروب الذي قد كنت تغشاه
تنعى النعاة ابن محيي الدين من حزن ... يا خير من شكر الرحمن مسعاه
يا خير من قام في محراب طاعته ... مناجياً في دجى الاسحار مولاه
من للرياضات او من للعفاة ومن ... لابن السبيل اذا ما امَّ مغناه
اني لابكي على تلك المآثر وال ... خلق الحميد وما اولته كفاه

يا صاح دعني من دنيا تنغصها | لم يبق لي املا الا واقصاه
فيما التمسك بالدنيا وسيدها | قد بان عنا وما بانت سجاياه
جرى القضا بابن محيي الدين تاج بني الـزهرا فدمعي | باسم الله مجراه
افنيت من بعد عبد القادر الحسني | كنز اصطباري فياقلبي لك الله
العالم العامل الحبر الاصيل ومن | مديح اوصافه قد طاب مخباه
بدر بافق سما العرفان بحر ندا | اهل الحقيقة ما للترب واراه
له لواء من الذكر الجميل له ال | وصف الذي عطر الاكوان رياه
فرع لاشرف خلق الله منتسب | اصل تسامى على النسرين اعلاه
ليث العريكة في يوم الطراد ومن | يقصر الليث عنه حين يلقاه
ان غاب عنا فما غابت مآثره | عنا ولا قد نسينا طيب ذكراه
وفي بنيه الكرام الصيد سادتنا | سارت سريرته العظمى وتقواه
هم الائمة ابناء الكريم على الـله المجاهد في مرضاة مولاه
قطب الحقيقة غوث الواصلين ابو | تلك المواقف حيث الله اعطاه
ظنونه نجحت والعفو ارخها | لحدها اكرم الرحمن مثواه
يا رب برد بعطر العفو تربته | يا رب اوليه فضلاً ما تمناه

وغب وصولها كتبت الى الاديب المذكور واخبرته بصحة الامير وانه على احسن الاحوال وشكرته على ما ابداه من دلائل المحبة الصادقة والمودة الثابتة فاجابني بما نصه : سيدي ومولاي ومالك رقي ولاي ادامه الله وابقاه المعروض لناديكم من بعد لثم ايديكم هو انه وصل كتابكم الكريم وتلقيته بالتكريم والتعظيم وسرني به سلامة سيدي الامير وحمدت الله على ذلك ومن خصوص ما تفضلتم به وصل شكر الله فضلكم وايد عزكم ومن خصوص القصيدة التي كنا ادرجناها بالسلام نحن صنفنا ضدها قصيدة ثانية واردنا نشرها كذلك ولكن حيث الاولى انشدت بحضرة مولانا الشوكتلي وقيل له رجل من اهالي طرابلس صنفها وهو متخجل بسبب ذلك فقال لا ينبغي له ان يتخجل وانما اتى بما يدل على وفائه ومطلع القصيدة

وافى البشير فحيا الله مسراه | نقم على قدم الاجلال نلقاه
اليوم روض التهاني فاح نجدره | والكون قد عطر الاكوا رياه
الحمد والشكر لله العلي على | هذا السرور الذي قد طاب مجناه
بالله يا راحلاً يغي دمشق ولي | بها ولي له من بره جاه

عرج على حرم حل الامير به فدته انفسنا من قول اعداه
واهد السلام من الله السلام الى الـــمولى الامير عيون الله ترعاه

ومنها

المنجد المنعم المعطي المنيل حما من أمَّ ساحته العليا وداناه
سلالة الطيبين الطاهرين بني الـــزهراء حياهم المولى وحياه

وهي طويلة جدًا ولولا الشيخ ظافر والشيخ ابو الهدى افندي اشارا علينا بعدم ادراجها لمضي الوقت لكنا ادرجناها

وهذا تعريب ما ادرجته الجريدة الفرنسوية المسماة لاليبرتا في عددها تاريخ ١٢ نوفمبر سنة ٧٩

توفي الامير عبد القادر في الشام وهو ذاك الامير ذو البطش والعظمة والاقتدار الذي حارب الدولة الفرنساوية مدافعًا عن بلاده الجزائر مدة تنوف عن الخمس عشرة سنة وهو فارس الامة العربية وامامها النقي العالم المهيج ضدنا افكار قبائل افريقية وغيرتهم الوطنية الذي صادم جيوشنا وثبت امامها وحده وجعلنا بوجوده لا نقتطف ثمرة افتتاحاتنا وغزواتنا فكان تملكنا في تلك البلاد كانه لم يكن ولم نحصل على السلم ولم نتوطد الراحة ولم نتملك حقيقة تلك الاراضي المخصبة ولا تمكننا من تنظيم ادارة بلاد افتتحتها اسلحتنا الا بعد تسليمه لنا والامة العربية التي كانت تحت سلطته ما خضعت لنا خضوعًا تامًا الا بعد ان نظرت تسليم قائدها وسلطانها ولو قيل انه بعد تسليم الامير لم يخل الامر من حدوث بعض ثورات طفيفة لقلنا نعم كان ذلك لكنها لم تعكر كاس الراحة العمومية لان اهم الثورات واعظم الوقائع قد رافقت الامير الى حيث توجه والان لا بد ان نبين ما لذلك الشريف المخيف الذي كاد ان يقهقر الدولة الفرنساوية في بلاد الجزائر من الاعمال الغريبة والافعال الحميدة الذي افتخر بها تاريخ عصره وزمانه وهو انه عندما توطدت منا الافكار وتعلقت بنا الآمال بافتتاح مدينة الجزائر والاستيلاء عليها صادمنا ذاك البطل المهيب ولم يكن له وقتئذ من العمر اكثر من خمسة وعشرين سنة وذلك سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وانما قوة عقله الغريبة وتقواه الشهيرة وبغضه الشديد لتملك الاجانب على بلاده اكسبته بين عموم الامة العربية صيتًا حسنًا وذكرًا مخلدًا وسطوة فائقة ولذلك عندما نادى بالجهاد بعزم ثابت وتقوى تخالها عرب افريقية انها الهام من الله لا يوحى به الا للمرابطين اجابته كافة عربان وقبائل ولاية وهران ونهضوا مجيبين

ولم يتلفظ بكلمة واحدة تشير الى نكث عهوده نظراً لمعاملتنا له ولو شاء ذلك فما من مانع يمنعه لان كافة قبائل العرب في بلاد الجزائر كانت مستعدة للدعوة باسمه ثانيا بعزم وثبات قد الجأ الفرنساوية لعقد معاهدة اقروا فيها بسلطنة عربية ممتدة فيما بين سلطنة مراكش ومدينة الجزائر وشطوط الشلف وجعل عاصمتها مدينة معسكر وذلك في سنة اربع وثلاثين وثمانمائة لكنه لم يكتف بمملكته هذه ولم يقنع بها لانه لم يحركها لمحاربة الفرنساوية الا همته الدينية العربية وغيرته الوطنية لانقاذ كامل بلاد الجزائر من المحاولين افتتاحها وتحرير اهاليها من رق العبودية وارجاع رونق وافتخار سلاطين العرب وجعلها سلطنة تتداول اجناد عزها وفخرها الى آخر الزمان ولذلك لم يمض على تلك المعاهدة عام واحد حتى افتتح الحرب ثانيًا بشدة ونشاط اكثر من المرة الاولى وهاجم الجنرال ديزميشيل وبعد موقعة دموية جرت بينهما على شطوط نهر المقطع انكسرت جيوش الجنرال وتشتت شمل من بقي منهم ودامت الحرب لحد سنة سبع وثلاثين وثمانمائة حتى ايقنت الفرنساوية ان لا سبيل لها على مقاومة الامير والتخلص من ايدي عدو نظيره لذلك عقدوا معه معاهدة اخرى تسمى بمعاهدة تافنا اقروا بها ثانيًا بسلطنته وضم مقاطعات اخرى لملكه فكانت هذه المعاهدة ايضًا كالاولى لم يمض عليها الا ايام قليلة حتى دارت رحا الحرب بشدة تفوق المرتين الاولين ودامت تسع سنوات متوالية حيث لدوك دورليان والمارشال فاله والمارشال بيجو والدوك دومال حاربوا في كل تلك المدة ذلك العدو المهول ومع كونهم فازوا بانتصارات قوية لم يتمكنوا من هدم قوته العسكرية واخذت جيوشهم تغزو القبائل وتضر بمواشيهم وحاصلاتهم وتضايق عليهم امر تعيشهم فاثر ذلك جدًّا في العرب واضنك التعب ومشقات الحرب رجال الامير وجيوشه وهو لا يكل ولا يتعب فتركوه جميعًا وبقي وحده فالجأه الحال الى التسليم فسلم للجنرال لامورسير بشرط ارساله مع عائلته الى الاسكندرية او الى عكا فلم توف الدولة الفرنساوية بعهودها لانها عوضًا ان ترسله الى احدى المدينتين المذكورتين وضعته مع عائلته في قلعة لاماك ثم بو ثم امبواز فبقي مقيماً فيها الى ان استقر نابليون الثالث على كرسي الامبراطورية ففكر حالاً في امر ذلك الاسير العظيم الشان وحضر بذاته لمحل اقامته واطلق حريته مكتفيًا بوعد منه انه طالما وجد متمكنًا مما يريده حرًّا ومع ذلك فانه لم يشهر سلاحًا على الدولة الفرنساوية وقد صيرنا عبرة لمن اعتبر وعلمنا كيف الوفاء بالعهود واما نحن فقد نكثنا عهودنا معه وهو لم يحنث بقسمه وعهوده معنا ولقد اتى بدليل يؤكد ذلك وهو انه من حين ما اطلقت له الحرية لآخر نسمة من حياته لم يبد ادنى عمل سيء

نداءه كرجل واحد وانتظم تحت قيادته جيوش كثيرة قد سنت لهم حكمته الشهيرة نظامات يسلكونها ومحاربات يقتحمونها واكاليل انتصارات يتوجونها وهكذا بعد محاربة سنتين لسلطانها ومنقذها والآخذ بثارها وعلى قبوله تلك المناداة ونداءه بالجهاد يعود الحال الى ما كنا عليه لا بل اكثر شدة وصعوبة فكان منتصرًا عظيما في ساحة القتال وموقرًا محترمًا بعد ذلك في مدينة باريس . لقد نظرته برهة بعد اطلاق سبيله ووجدته فريد عصره واسد زمانه وكل من اقترب اليه كان يعجب ويندهش من منظر ذاك الرأس العربي الجميل المملوء من تلك الحكم العربية المبنية على علو افكار ادبية تشير اليها بالفاظ مبهجة وحديث ممتلئ من روح الديانة جامع بين الفطنة والسياسة اه

واتقارب ما ذكرته الجرائد الافرنجية مع كون المؤدى واحد اقتصرنا واكتفينا بما ذكرته هذه الجريدة ولما انتشر في العالم كذب تلك الاشاعة جاءت رسائل التهاني الى حضرة الامير من كل جهة وممن بادر بذلك من الافاضل الشيخ ابراهيم الاحدب ونص ما بعث به

زال ما كان على المجد عرض وعدا جوهره ذاك الغرض

واشتفى جسم الندى مما به وتعداه الى العادي المرض

وازدهت روح العلى وانتعشت فشفت ارواحنا مما اعترض

ومريد الفضل والجود غدا ذا انتعاش بعد ما كان دحض

وانبرت سورية تشكر من بعد شكوى ما عناها او ومض

ونسيم البشر بالبشرى لنا من مغاني شامها المسك فض

وجنى وجنتها ابدى لنا زهر الافراح و لاقبال غض

حيث قد نال الشفا سامي الوفا سيد المجد والعليا نهض

الامام المرتقى المولى الذي في حماه اسد العز ربض

والامير الشامخ القدر بما سن من مشروع فضل وفرض

حسني شرع الاحسان في مذهب الجود بما لا يعترض

وهو للقادر عبد طالما اقدر العبد على المجد وحض

سيد لا سعد الا من سنا وجهه رغما لمن كان امتعض

لاح في الشرق من الغرب بما اشرق الثاني الذي امسى حرض

وعليٌّ شيعة الفضل له لا ترى سنّةَ عادٍ قد رفض

يرتجي القاضي عياض ان يرى عنه في نعت القضا خير عوض

موجب الشكر له سلبا لمن جاء بالعكس بلا علم نقض

وقضايا مدحه زكيبها · منتج للمجتدي اسمي غرض
راح سعر الشعر فيه للذي · كفه بالبسط للجدوى قبض
ونداه طالما طوقني · بعقود ما لها يوماً فض
فلساني مبضع في مدحه · قاطع عرق عدو قد نبض
وقريضي بمعانيه سرى · مثلاً يضرب به من قد قرض
ويراعي قد جرى في حمده · وعلى خيل معانيه ركض
حبذا طلعته الغراء في · وجه راجيه بتعريض عرض
واياد برها في البر قد · مد بحراً رغم من كان برض
ولهى غصت بها الدنيا كما · في اللهى ساغ بمعناها الجرض
لا يرى الوعد لهذا نفحة · مع طيب النفح للسائل نض
حجة الشكر له بالغة · ببلاغات مباديها دحض
قد شكا فاشتكت الدنيا أسى · وعناها بعنا الوجد مضض
وشفاها الله والبشرى سرت · بغاض نظم شكر مفترض
وملا كل الملا نشر الصفا · ووفى الانس بنا لا ينتقض
فتقدمت له اهدى الهنا · رافعاً صوتاً اشانيه خفض
واجتليت الدر من شكري بما · لمعاني زبدة المدح تمخض
وهو يدري ان ابراهيم في · حمده المقبول للود محض
رق شعري فهو فيه درة · وهو صخر هامة الاعداء رض
طالما صوبت منه حجراً · نحو هام كان بالكبر نقض
ايها المولى الذي لان به · مضجع الفضل وقد كان أمض
لا شكيت الدهر سقماً وعدا · للعدا كل عناء ومرض
فاقبل بز الثنا من عرض من · لك مع طول بتقدير عرض
وبلا من نخذ من مدحي ما · هو يوفي حق ما كان افترض
واغفرن ما قد جناه غزلي · بغزال ناعم الملمس بض
من بني الترك بوصل عينه · ضيقها مع سعة للقلب مض
ثغره فيه رحيق برده · دونه في مهجتي اشكو رمض
لا يرى للصب فرضاً حسناً · حسنه عندي جزاء ان قرض
شمت ضوء المشتري من وجهه · لو رأى ريحي له طرف غمض

بسهام الجفن قد حاسبني فغدا قلبي لمرماهــا غرض
ويسنون له اوجب ما ندب العاني الى ما قد فرض
عشت انى بنسيبي فيه ما التجي عنــد عناء لي جهض
عالم الكون الذي في عصره فضله للعار عنــا قد رحض
مدن العلم له قد فتحت والسوى لم يدن من ملاك الربض
غض طرفاً عند مرآه اذا ما تجلى واطرح من فيه غض
دام من لألائه قطر الندى للصدى ينبع ما برق ومض

ثم اتبع هذه القصيدة بقوله عريضة هذا الداعي لدى حضرة السيد السند والمولى الذي اروى امل راجيه بالعز لما اعلمه الأمجد نقوم بشروع التهاني على نيل الشفاء والصحة وزوال تلك المحنة بما عاد علينا باعظم منحة حيث شفي جسم المجد بذهاب ما كان عرض وسلم جوهره مما الم به من ذلك العرض وانتعشت روح الفضل بما كان انتعاشاً لارواح المعالي وابتهاجاً لوجوه الايام اذا نفحت بنض الطيب من شامات الليالي حتى سرى ذلك الى النسيم فصح وهو مريض واعتدل مزاجه فقوى لتعليل من اوقعه الحب في الطويل العريض فسرى في رياض الشام ينض لدائم البشرى وينفح من رسائل التهاني بما ملأ وجوه الكائنات بشراً فعرف بذلك خليل العرف ابراهيم وافاض عليه ما لا ينكره من طيب ذاك التميم فاخذ يرتل سور الشكر بالتجويد وانطلق يعيد ما يبديه وهو سار على تقدم التجريد ولم يقتصره على المد المتصل من ثنائه باللسان بل جعل لذلك باظهاره اعظم ديوان واهمل الاخفاء والادغام من تلاوة تلك الآيات وترك القلقلة لمن لا يميز بالقلب بين الحسنات والسيئات ولم يسكن الى المد العارض للسكون بعد اللازم المثقل بوفاء أجر غير ممنون وان لم يستعمل المد المخفف الذي زلت به النعل فتطرب بغنة المنع اسائله بفضول القول بلا فضل ورغب عن الاحتجاج في كلامه بالاماله واتبع النقل في حديثه بالمد الطبيعي لرجائه بلا ملاله فهو ايها الامير الجليل من القراء العظام لآيات شكرك البينات بما يوجب على السامع عند تلاوتها وان لم يتكرر المجالس سجدات فلا يفوق عليه في ذلك ابو عمرو ولا ابن عامر كما لا يشعر بعصمته في الشرك باخلاص حمدك عاصم وهو شاعر فاحمد الله تعالى على ما انعم علينا من عود السراء بعد ما الم بنا من معاناة الضراء والشكر له على عافية غير عافية وصحة كافية لمحو آمالنا ولامراض الفضائل شافية حيث عوفي بذلك المجد والكرم وعداك الى اعدائك السقم فلا انحرف لك ايها السيد الكريم مزاج ولا نجح

في مرض شانيك الابتر علاج ولا اشتكيت جميع دهرك من مس عرض ولا كان لسهم النوائب الى جهتك اقل غرض فقد رغب الاسد ان تدوم حماه ولا يكون لها اليك سبيل والف النسيم علته حتى لا يكون لك في الكون وصف عليل كما اصبح المرض طبعاً لجفون الحسان كيلا يعتل بما يمسك لامسك الفضل والاحسان ولعمري انك في سورية انسان عين حدقتها وطيب نفح صباهـا اذا نفحت وجنة شامتها بمسك شامتها فكيف لا تغل بما يمسك من العال وتنتعش بما يكون لعطف الصحة من البدل واني بصفة كوني شاعر اياديك الجليلة لا انفك انجم حمدك والدعاء لك من وجوه جميلة واهنئ الشرف العريق بشنائك وانشئ ما يخلق الايام بما انا خليق به من جديد ثنائك فلذلك نسجت حلة هذه الابيات بعزي بك على ابدع طرز بززت به كل شاعر يذهب ما يلحمه سدى ومن عز بز وشفعتها من رياض المعاني بهذا المنثور الرائق وان شققت به على ما في الوجنات من الشقائق فاقبل ذلك ايها المولى بالاقبال حسب عوائدك التي لا تخلف ودام قيد ابراهيم في سجل معروفك الذي لا يقبل التنكير من بطيبه تعرف والله تعالى يطيل لك العمر بنعيم عيش دائم ويديم حياتك باطيب صحة حتى تدوم صحة الندا والمكارم ويبقى كعبك سامياً على كل هام ويؤيد حمدك منتجعاً لحاجات الانام ويخلد عزك ملجأ عند كل حادث فيسمو بحمايته ابناء سام وحام ويافث اللهم آمين

وقال الفاضل الشيخ عبد الرزاق افندي البيطار

نحمدك يا منعم على احسانك ونشكرك على جزيل امتنانك حمداً وافياً بوافر آلائك وشكراً مكافياً لمتكاثر نعمائك يا راحم المتضرعين ما ارأفك ويامنان على المنقطعين ما اعطفك ويا ذا الرحمة والجود ما احلمك ويا دافع النقمة بلطفك ما احكمك واعظمك قد غمرتنا بجميل المعروف واغرقتنا في بحر لطفك الموصوف واسبلت علينا سترك الجميل وادمت لنا حصنك الجليل من انقذتنا به من اودية الغواية الى فسيح الرشاد والهداية وعرفتنا به المطلوب وهديتنا بهدايته الى الصراط المرغوب وكشفت به لنا عيوباً كنا نعتقدها طاعة ودللتنا به على نهج السنة والجماعة الانجد الاوحد والعلم المفرد بحر الاكارم وحبر العوالم خطيب منبر المعارف وامام محراب العوارف المرتضع در ثدى المعالى في حجر الفضائل والمرتفع في ذرى العوالي الى عرش التواصل العاكف في حرم الشهود والواقف على اعلا نقطة كرة السعود من عجنت شريف طينته بماء الوحي والنبوة وغرست بنعت ذاته المنيفة في ساحة المجد والفتوة

من جوهر منه النبي محمد زين العلا فخرت به الآباء

ورث المكارم والشمائل والندى فعليه من نور الآله بهاء

يد السماحة لكل طالب وباب الدخول لكل راغب الرافع بفضائله اعلام الرايات الدينية والقامع بدلائله معاندي الشريعة الاحمدية امير الامراء وقطب مدار الفضلاء الحسيب النسيب والشريف الماجد الاريب حضرة سيدي الملاذ الاعظم والاستاذ الاسنى الافخم السيد عبد القادر الحسني ادام الله بقاء وجوده الهني وخلد طلوع شموسه في سماء الاقبال والبس جسم الدنيا به خلعة الجمال وجمل الوجود بوجوده وانار ظلمة الكون بطلعة سعوده واعلا لواء جوده المنشور وحفظه الى يوم البعث والنشور ولا زالت مخدرات النعيم بخيامه مقصوره وبانبائه سائرة وسادات الامم بانعامه مشمولة وباعدائه ساخرة ولا برحت الاكابر تخضع لعظمة شانه وتنقاد تحت سلطان واضح برهانه ما طلع النيران وتعاقب الملوان فالمنة لك يا مولانا حيث عافيته من المرض وازلت عن جنابه بعنايتك العرض وانلتنا به المنى والبستنا بصحته حلل الهنا واعدت لنا ايام السرور وجددت علينا ليالي الفرح والحبور فوجب على العموم تقديم التهاني لكي يحظو ببلوغ الاماني فاقول متطفلا والقبول متاملاً يهنيك سيدي بعافية شرحت الخواطر وسكبت على الانام هامل غيث فضلها الغامر والبستك جلباب العافية والفرح واماطت عنك لباس البأس والترح ونقلت اشانيك العلل والقتهم في تخاوف الكمد والوجل ولقد صح لك قول من قال واجاد

المجد عوفي مذ عوفيت والكرم وزال عنك الى اعدائك الالم
صحت بصحتك الآمال وابتهجت بها المكارم وانهلت بها الديم
وما اخصك من برء تهنئه اذا سلمت فكل الناس قد سلموا

فلقد امرضت بمرضك الوجود وشغلت بعرضك الآمال عن نيل المقصود فوحق من رفع مقامك ونشر في الخافقين ذكرك واحترامك وطوى القلوب على صادق حبك وانار بك منار خدمك وحزبك انه لمن حين انحراف مزاجك واحتجابك لعارض علاجك قد توجهت قلوبنا في محاريب الطلب الابتهال واجسامنا رفعت كف الضراعة والسؤال وعيوننا صرفت دنانيرها ودراهمها رجاء القبول ومن لاذ بنا واطفالنا يؤمنون بقلب كسير ودمع مهمول فنحمد الله الذي قد تفضل وتمنن وتكرم على هؤلاء العبيد وتحنن وبارك عليهم الرد الجميل وردهم بك الى الاحترام والتجبيل فحيث ختم الله بالخير فلا ضرر ولا ضير وعند الله مقامات فوق الامل لا تنال بفعل ولا عمل ولا عتب على العبيد بتقديم عريضة التهاني وان كان معدوداً من الاداني لان البحر يقبل كل وارد وهو للجميع مراع ومساعد على ان المضاف يشرف المضاف اليه والخادم يعظم بمن يعول في خدمته عليه ولذلك قلت

متشكرًا الله ومهنئًا لسيدي ادام الله علاه

بشرى لنا حيث رد الله سيدنا ... منا علينا وبالالطاف اتحفنا
شكرًا جميلاً على احسانه وثنا ... واف بنعمائه اللائي حففن بنا
عافيت يارب قطب الكون من عرض ... فالحمد لله حمدًا يقتضي المننا
ان الوجود به قد صح من عال ... والناس قد اصبحت تبدي الهنا علنا
ابقى الاله دوامًا شمس طاعته ... ولا ارانا بفضل المصطفى المحنا
هذا الذي نوّر الدنيا ببهجته ... هذا ابن نور الهدى المختار احمدنا
فخرًا دمشق لك العليا به ابدًا ... هذا الذي فضله افق العلا سكنا
ان رمت تدري صفات المصطفى العربي ... بادر الى ذاته ان الصفات هنا
والله لو انصف السادات انفسهم ... لازموه وفاتوا الاهل والوطنا
ذا سيد ماجد حبر وبحر ندا ... من أمه نال ما يرجو وكل منا
فداه روحي واولادي وملك يدي ... وكيف لا ومن الاشراك انقذنا
لا زال محفوف لطف دائمًا ابدًا ... ما لاح بدر على ام القرى ومنى

﴿ وقال الاديب الشيخ عبد المجيد الخاني ﴾

« مضمنًا ثلاث ابيات من نظم الامير »

عطف الحبيب عليّ بعد الياس ... والعطف شأن قوامه المياس
فعرفت من الم النوى قدر اللقا ... خير اللقا ما كان بعد الياس
وتحرت من الحاظه وسكرت من ... الفاظه وصحوت بالايناس
والوصل يجمل موقعًا كالورد ان ... كان المتيم صبره كالآس
واشد ما يجد المحب من الاسى ... سهل اذا كان الحبيب الآسي
والقلب احسن ما يكون اذا جثا ... لغرام ريم لم يكن بالناس
والناس اما ذائق طعم الهوى ... او عالم او عادم الاحساس
فالاول الاولى بكل سعادة ... مثل الامير الفرد بين الناس
الروح في احيائه والصدر في ... احيائه والقلب يوم الباس
رب السمات الباسمات وحسبه ... شرف النبوة طيب الاغراس
علم وسلطان وحلم في تقى ... وولاية واقامة القسطاس
ومواقف شهدت بفضل معارف ... ضاءت على الاكوان كالنبراس

نعم الامير لقد تمنطق بالهدى ... وغدا له العرفان خير لباس
غوث لدى محرابه غيث على ... احبابه ليث على الافراس
ملك اذا اوليته ملك اذا ... عاليته طود الوقار الراس
يقظ اللحاظ اذا تكون فضيلة ... فكانها خلقت بغير نعاس
ولع باخلاق النبوة كلها ... لا حلم احنف او ذكاء اياس
بحر المكارم لا يقول لماله ... ما في وقوفك ساعة من باس
خاض المنايا غير هياب لها ... وبنى رفيع المجد فوق اساس
يحنو على بيض الظبا فكانها ... آرام رامة او ظباء كناس
ذو صارم ماء الحياء فرنده ... وذبابه قبس من الاقباس
حذر الملوك الصيد سطوة باسه ... واتى الزمان له ذليل الراس
كم غادر البطل القطوب لدى الخطو ... ب بجده حلسا من الاحلاس
ولكم محى جيش الفرنج به كما ... تمحو المياه كتابة القرطاس
واسئل فرنسا في الجزائر عندكم ... القى كتائبها الى الارماس
والدار الاقفار والانقال لا ... انفال والاطفال اخماس
جمعت سجايا الناس فيه فقال من ... باب التحدث عادة الاكياس
الحمد لله الذي قد خصني ... بصفات كل الناس لا النسناس
الجود والعلم النفيس وانني ... لانا الصبور لدى اشتداد الباس
وتحدثي شكرا لنعمة خالقي ... فهو الذي بي جامع للناس
خطب المعارف وهو كفوء جمالها ... واستخدم الايام للاعراس
ومقامه كم عفرت فيه الملو ... ك جباهها ذلاً بغير شماس
في حسن سيرته التي بنيت على ... تقوى سريرته اتم جناس
سارت مسير الشمس في الدنيا سيا ... دته على رغم الحسود القاسي
كم الجأ العقلاء حصر صفاته ... ان يضربوا الاخماس في الاسداس
ولكم تمنوا ان يفوا بديحه ... ان التمني صنعة الافلاس
حتى رأوا عدد النجوم صفاته ... وهل النجوم تعدُّ في القرطاس
افدي شريف وجوده فلقد شكا ... من سقمه بالنفس والانفاس
عم البرية من بشائر برئه ... فرح زيادته بغير قياس
والى الرحاب عقيله في جيدها ... عقد تنظم من كبار الماس

تهدى التهاني للسيادة بالشفا والمدح بالانواع والاجناس
شفعت ثلاث وسائط من نظمه لقبولها بزيادة استئناس
ونقول يوم البشر في تاريخه ملاك شفاه رحمة للناس

وفي آخر جمادى الثانية سنة تسع وتسعين خرج الامير من دمشق الى طبريا ونواحيها للتنزه وتبديل الهواء لامراض لازمته وكان في معيته بعض اولاده وجماعة من الاقارب والعلماء ومرّ في طريقه بعين الحامة الشهيرة في كتب الاقدمين قرب قرية نوى في ارض حوران فاغتسل فيها على قصد التبرك والتداوي ومنها توجه الى طبريا وبعد ان اقام فيها ثلاثًا دعاه المهاجرون الجزائريون الى قراهم في ارض الشقا فاجابهم الى ذلك ومن هناك توجه الى الناصرة واقام فيها يومًا عند مفتيها الشيخ الفهومي ثم انقلب راجعًا على طريق صفد ثم ديشوم ثم القنيطرة ثم دمشق وحصل له في هذه الحركة ارتياح وانشراح وبعد ان اخذ الراحة في داره خرج الى قصره بدمر على نهر يزيد وانفرد فيه للعبادة ومطالعة كتب الحقائق الالهية وتعليق مسائلها وحل مشاكلها وكان الناس يزورونه ويترددون اليه في حوائجهم على عادتهم فيبشُّ بهم ويهش لهم كما هو دأبه وعادته مع عباد الله تعالى منذ النشأة

ذكر ما اجاب عليه من اسئلة العلماء الاعلام

فمن ذلك سؤال العلاَّمة الشيخ سليم العطار ونصه

الحمد لوليه والصلاة والسلام على نبيه وعلى آله وصحبه اما بعد فاني لما قرأت كتاب الابريز في مناقب السيد عبد العزيز قدس سره جمع الفاضل الشيخ احمد المبارك رحمه الله تعالى بعد العشاء بحضور جماعة من الافاضل ووصلنا الى ما وقع في اواخره من سؤال الشيخ عن قول الامام الغزالي قدس الله روحه ليس في الامكان ابدع مما كان وجدت ابن المبارك انتقد هذه العبارة وخدش الاجوبة التي اجاب بها العلماء عما رد على ظاهر العبارة فخطر لي ان اسأل عنها حضرة الامير الجليل المعظم سيدي السيد عبد القادر الحسني متعني الله والمسلمين بحياته حيث انه في هذا العصر الامام المقدم في العلوم سيما ما افاض الله عليه من علوم القوم وما ذاقه من مشربهم فارسلت سألته وهو في محله بقرية دمر فكتب هذا الجواب الحريّ ان يكتب بالذهب حيث انه رفع الاشكال واوضح المقام فجزاه الله خير الجزاء وحفظه من كل سوء وحماه آمين

قال حفظه الله

الحمد لله الجواب والله ملهم الصواب قال تعالى حاكيًا قول موسى عليه السلام ومصدقًا له ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى فقول حجة الاسلام رضي الله عنه ليس في الامكان الى اخر مقالته اشارة الى معنى المشيرة الى سر القدر التحكم في المخلوقات الذي هو العلة التي لا يقال فيها لم في الاختلاف العام في الذوات والصفات والنعوت والاستعدادات اخبر الله تعالى انه اعطى كل شيء من العالم المخلوق في مرتبة وجوده الخارجي خلقه اي استعداده الكلي الذاتي الغير مجعول ولا تخارق الذي هو عليه في مرتبة ثبوته وعدمه فان كل ممكن له استعداد خاص لا يشبهه استعداد ممكن استعداد غيره وبالاستعدادات كانت الحجة البالغة لله تعالى على من أشقاه وابتلاه او أفقره ونحو هذا فان استعداده طالب لذلك ولو اعطاه غيره على سبيل الفرض لرده وما قبله لاستعداده لضده فان الاستعدادات طالبة لايجاد ما هي مستعدة له سواء كان ملائمًا في الخارج او غير ملائم ولا يطلب استعداد أي استعداد كان الا ما هو كمل في حقه وبالنسبة اليه فانه ترتيب حكيم عليم والحكيم هو الذي يضع كل شيء موضعه اللائق به بحيث لا يكون احكم ولا اصلح ولا ابدع ولا اكمل منه ولو فرضنا ان عينًا من اعيان العالم طلب استعداده من الحق تعالى شيئًا اعلا مما هو عليه وأحكم وأصلح ولم يعطه ذلك وادخره عنه وهو ممكن فلا يخلو اما ان يكون الحق تعالى منعه ذلك بخلاً تعالى الحق عن البخل فان البخل يناقض الجود الثابت له تعالى عقلاً وشرعًا واما ان يكون منعه ذلك عجزًا وقد فرضناه ممكنًا وهو يناقض الاقتدار الثابت له تعالى عقلاً وشرعًا على كل ممكن فثبت ان الحق تعالى جواد قادر اعطى كل شيء من العالم خلقه واستعداده وما نقصه شيئًا مما طلبه استعداده وما بقي في الامكان شيء يكون ممكنًا في حق عين من اعيان العالم اعلا واحكم وابدع مما هو عليه وادّخره عنه وحينئذٍ صح قول حجة الاسلام ليس في الامكان الخ فحجة الاسلام بصدد الكلام على العالم الموجود وان الذي رتبه هذا الترتيب الذي هو عليه حكيم فلا يمكن ان يكون في الامكان احكم واصلح وابدع من هذا الترتيب الذي هو عليه فانه ترتيب الحكيم فلا يمكن ان يكون في الامكان احكم وابدع من هذا الترتيب المشاهد في اوضاع العالم وصفاته واحواله وادّخره الحق تعالى مع طلب الاستعدادات ان يخلق لها ما هي مستعدة له ومنعها اياه والمنع في حق الحق محال

فان منع المستعد شر والشر ليس اليه تعالى وانما يكون المنع من جهة القابل حيث انه عدم الاستعداد للقبول فالامكان المنفي انما هو كون العالم واشخاصه قابلة ان تكون على ترتيب وصفات اعلا وابدع مما هي عليه وهذا محال فان الاستعدادات حاكمة فلا يقبل مستعد غير ما هو مستعد له يدل على ذلك قوله لو ان الله عز وجل خلق الخلائق كلهم على عقل اعقلهم وعلم اعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وافاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفه ثم زاد مثل جميعهم علماً وحكمة وعقلاً ثم كشف لهم عن عواقب الامور واطلعهم على اسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا على الخير والشر والنفع والضر ثم امرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما اعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبيرهم جميعاً مع التعاون والتظاهر ان يراد فيما دبر الله الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا ان ينقص منه جناح بعوضة الخ فلا ايجاب ولا غيره مما توهم في كلام حجة الاسلام من اعتقادات الفلاسفة والمعتزلة ولكنه رضي الله عنه مزج كلام اهل الحقائق بكلام اهل النظر

(وجه اخر) اعلم ان الآثار الكونية دلت على المعاني الالهية والحقائق الربانية والمعاني الالهية دلت على وجود ذات الاله المعبود فما في العالم حقيقة كونية كلية او جزئية الا ولها حقيقة آلهية كلية او جزئية تقابلها هي مستندها وتحتدها والحقيقة الكونية هي تعينها ومظاهرها فالنسخة الكونية مقابلة للنسخة الآلهية ولا يلزم من تقابل النسختين واستناد احداهما الى الاخرى المساواة في الحقيقة والنسبة ومن علم هذا علم صحة قول حجة الاسلام الغزالي رضي الله عنه ليس في الامكان ابدع ولا اكمل من هذا العالم اذ لو كان وادخره لكان بخلاً يناقض الجود وعجزاً يناقض القدرة مع ما تقدم وتاخر من كلامه في باب التوكل من كتابه احياء العلوم يريد رضي الله عنه انه لما كان العالم مظاهر اسمائه تعالى الكلية والجزئية لانها الطالبة لايجاد العالم واظهاره من العدم الامكاني مع طلب الحقائق الامكانية للايجاد والظهور من التعين الخارجي مع عوارض التعين الخارجي ولوازمه من الاحوال والنعوت التي لا تنحصر ولا تدخل تحت ضابط ولا قياس وقد اجاب الحق تعالى طلب الجميع فلم تبق حقيقة كلية الهية تطلب العالم الا وقد ظهرت بحقيقة كلية كونية وجزئياتها واشخاصها لاتناهي فلم يبق شيء في الامكان من حيث الاجناس والانواع الا وقد كان فانه لو بقي في الامكان شيء بعد هذا العالم جنساً او نوعاً وادخره تعالى لكان هذا الادخار بخلاً عن الممكنات الطالبة باستعدادها للايجاد وعن الاسماء الالهية الطالبة لظهورها بظهور الممكنات التي هي آثارها وان لم يكن بخلاً تعين ان يكون

عجزًا فان عدم اسعاف الطالب بمطلوبه لا يكون الا بخلاً او عجزًا وكلاهما محال على الجواد المطلق القادر على كل شيء فهو الذي اعطى كل شيء خلقه واستعداده كما ينبغي وعلى الوجه الذي ينبغي وبالقدر الذي ينبغي فعطاء الحق تعالى تابع للطلب الاستعدادي الكلي من الاسماء ومن الاعيان الثابتة التي هي صور الاسماء وللطلب الحالي الاضطراري لا القولي الا ان وافق الاستعدادي او الحالي فلا يجب شيء على الحق تعالى ولا يتصور في حقه تعالى منع مستعد لشيء مما هو طالبه باستعداده الكلي فان من اسمائه تعالى المعطي ولا يكون مسمى بهذا الاسم في حال دون حال ولا في وقت دون وقت وما سمي بالمانع الا من حيث عدم قبول الطالب بلسانه ما هو غير مستعد لقبوله فما انكر قوله حجة الاسلام واستعظمها واستغربها منه الا من كان متكلما محا محجوبًا عن الرقائق والدقائق ما شم رائحة من علم القضاء والقدر ولا عرف كيفية نشأة العالم ولا اسباب صدوره فتوهم ان هذه المقالة تعجيزًا للقدرة وتناهيا للمقدورات وايجابًا على الحق تعالى هذا جواب من حمل كلام حجة الاسلام على نفي الامكان عن ايجاد عالم آخر او عوالم ونفي فعل الابدع ومشيا على قواعد المعتزلة وهيهات هيهات وانما مراد حجة الاسلام التنبيه على ان سبب هذا الاختلاف الواقع في العالم بين اجناسه وانواعه وبين اشخاص انواع الواحد هو القضاء الازلي وسبب القضاء الازلي هو الحكمة من اسمائه تعالى الحكيم ذي المخصصة للاستعدادات والحكمة متقدمة بالمرتبة على العلم الازلي فما ظهر في هذه النسخة الشهادية الا ما طلبته الاستعدادات الازلية الغير المجعولة فكل ما ظهر في العالم فهو العدل الحق ولا يظلم ربك احدًا

﴿ جواب آخر ﴾

قال تعالى ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى المطلوب من الواقف على هذا الموقف ان يعطيه ما يستحقه من التامل والانصاف فانها مسئلة تكسرت في البحث عنها اظافر كثيرين ليعلم ان الاشياء الممكنة معلومة للحق تعالى حالة عدمها بعلم تحيط اجمالي في تفصيل لا يتناهى والشيئية المذكورة في هذه الآية هي الشيئية الوجودية اعطى كل شيء اي موجود خلقه طبيعته واستعداده كما هي في قوله وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئًا اي موجودًا لا الشيئية الثبوتية كما هي في قوله انما قولنا لشيء الآية وهي الشيئيـــة المعلومة المجرد عن الوجود العيني وحقائق الممكنات استعدادت كذلك معلومة له تعالى ثابتة معدومة وكما ان عدم الممكنات السابق

على وجودها غير مراد ولا مجعول فكذلك استعداداتها وطبائعها الكلية غير داخلة تحت الارادة والجعل لانها اقتضاآت اسمائية الهية التي هي حقائق اول وهذه حقائق ثوان والممكن من حيث هو ممكن بالنظر الى حقيقة الامكان لا يقتضي شيئاً لذاته فلا بد من مرجح اذ وقوع احد المتساويين بلا مرجح محال لما يلزم من التساوي وعدم التساوي والمرجح لا يرجح الا بالعلم والارادة المتقدمتين على الترجيح بالنظر الى كون علمه تعالى قديماً محيطاً لا يقبل التغير لاستحالته والممكن المعلومة حالة عدمه لا يقبل التغيير لما يلزم من انقلاب العلم جهلاً اذ المحال كانت معنوية او عينية تعطي الحال بها احكاماً ليست له بمجرد النظر الى ذاته فلزم من هذا انه تعالى لا يعطي حقيقة وذاتاً من ذوات الممكنات حالة ايجاده من الاحوال والصفات الا ما علمه منه حالة عدمه لطلبه لذلك باستعداده وطبعه الذي هو مقتضى حقيقته اذ انقلاب الحقائق محال وصح قول حجة الاسلام الغزالي رضي الله عنه ليس في الامكان اصلاً أحسن ولا أتم ولا اكمل مما كان اي مما هو عليه كل ممكن في الحال ويكون عليه في الاستقبال من الاحوال والصفات دنيا واخرى يعني انه ليس في الممكن الجائز ان يكون في حق افراد كل حقيقة وذات نسبت الى الوجود في العالم اعلاه واسفله احسن واتم واكمل مما كان اي مما اعطيت اشخاص كل حقيقة من الاحوال والصفات والاوضاع لانه تعالى فعل بها واعطاها ما تطلبه باستعدادها وتستحقه بطبعها الذي علمه منها حالة عدمها فكما انه تعالى اخبر انه لا يعطيها في النهاية الا وصفها لقوله سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم ولا يظلم ربك احداً لانه علمهم على تلك الصفات والاحوال في الدنيا فكذلك في البداية لم يعطهم من الاحوال والصفات الا ما علمهم عليه قبل وجودهم وهي استعداداتهم لانه علمهم متى وجدوا يكونوا على تلك الاحوال والصفات والهيئات والاوضاع لانها مقتضى استعداداتهم التي هي حقائقهم او لوازم حقائقهم ومن البين ان العلم ظل المعلوم وحكاية له فهو تابع له ولا احسن ولا اكمل ولا اتم ولا احكم من اعطاء كل مستعد ما هو مستعد له فانه لا يطلب غيره بل لا يقبله فانه لا يصلحه ويمشي به على حقيقته الا ذلك الا ترى مثلاً الى استعداد الشمعة الانطفاء بالنفخ واستعداد قبضة الحشيش اليابس للانقاد به ولو اراد النافخ اذا كان غير عالم بالاستعداد ولا حكيم فيعطي كل شيء ما يستحقه ايقاد الشمعة بالنفخ ما قبلت ذلك لانه خارج عن استعدادها كما انه اذا اراد اطفاء قبضة الحشيش بالنفخ ما قبلت ذلك كذلك

الفعل والفاعل واحد ولكن الاستعدادات مختلفة والطبائع متباينة فالتجلي الالهي واحد وحقائق الممكنات تقبله بحسب استعداداتها وقوابلها فمن الاستعدادات ما يعم جميع اشخاص الحقيقة الواحدة كالتغذي مثلاً لحقيقة الحيوان والنبات وقد ينفرد كل نوع من انواع الجنس الواحد باستعداده طبيعة كاستعداد انواع الحيوان المصوت كل نوع الى صوت يخالف الآخر وما ذاك الا لاختلاف الاستعدادات وقد لا تنحصر الاستعدادات في اشخاص النوع الواحد ولا في انواع الحقيقة والجنس الواحد والحق تعالى واسع عليم بالاستعدادات على اختلافها حكيم يضع الاشياء مواضعها التي تستحقها جواد يعطي كل مستعد ما يطلبه باستعداده وهو معنى اعطى كل شيء خلقه اي طبيعته واستعداده ثم هدى اي بين ويسّر وساق كل شيء بعد ايجاده الى ما هو مستعد له قبل ايجاده فليس له تعالى الا اعطاء الوجود الاحوال والصفات لكل مستعد حسب استعداده وطلبه لذلك بلسان حاله الذي هو الاضطرار وهو تعالى يقول أمّن يجيب المضطر اذا دعاه فكلام حجة الاسلام رضي الله عنه انما هو في بيان انه تعالى ما ظلم احداً من خلقه ولا عدل به عما علمه منه حالة عدمه ولا نقصه خردلة مما طلبه باستعداده وخلقه وطبيعته ان خيراً فخير وان شراً فشرٌ وان نقصاً فنقص وان كمالاً فكمال وبهذا كانت له الحجة البالغة على مخلوقاته وفي بيان ان الاحوال والصفات والاوضاع المجعولة لا يمكن ان تكون اعلا مما هي عليه ولا ادون لانها مقتضى استعدادات الحقائق والذوات من غير تعرّض لشيء آخر وراء ذلك اصلاً ولو قيل لحجة الاسلام هل في الامكان العقلي ان يخلق الله تعالى حقائق احسن واتم واكمل مما خلق اعني قدر لقال هو ممكن عقلاً اذا اراد واما كشفاً فهو تعالى لان العالم مخلوق على الصورة الالهية وحجة الاسلام انما يتكلم مع الجمهور اصحاب العقول فهو يقرب الامر الى عقولهم ولو قيل له وهل في الامكان ان يعطي تعالى تلك الحقائق صفاتاً واحوالاً اعلا وادون مما تقتضيه استعداداتها التي علمها عليه قبل نسبة الوجود اليها لقال لا يمكن لان القدرة انما تتعلق بالممكن ووقوع خلاف العلم الالهي مستحيل يؤيد حمل كلامه رضي الله عنه على ما ذكرناه لا غير قوله الذي بنى عليه المقالة عندما تكلم فيما يثمر التوكل ما نصه باختصار بعض الكلمات هو ان تصدق يقيناً ان الله لو خلق الخلائق كلهم على عقل اعقلهم وعلم اعلمهم وافاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفه ثم كشف لهم عن عواقب الامور واطلعهم على اسرار الملكوت وامرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما اعطوا من العلم

والحكمة لما اقتضى تدبير جميعهم ان يزاد فيما دبر الله به الخلق في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا ان ينقص منه جناح بعوضة ولا ان يرفع عيب او نقص او مرض او ضر عمن ابلى به ولا ان يزال غنى او صحة او كمال او نفع عما انعم به عليه بل كل ما خلق الله من السموات والارض وكل ما قسم الله بين عباده من رزق واجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية عدل لا جور فيه وحق لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس في الامكان اصلاً احسن منه ولا اتم ولا اكمل ولو كان وادخره مع القدرة لكان بخلاً يناقض الجود وظلماً يناقض العدل ولو لم يكن قادراً لكان عاجزاً والعجز يناقض الالوهية يعني رضي الله عنه انه تعالى لو اعطاهم ما اعطاهم وكشف لهم عن علمه بالاشياء في العدم فعرفوا استعداداتها وطبائعها التي تقتضيها لرأوا حقائق الاشياء طالبة لصفاتها واحوالها واوضاعها التي تعرض لها بعد الايجاد العيني طلباً طبيعياً لزومياً ورأوا تلك الصفات والاحوال على اختلاف ازمنتها وامكنتها مترتبة ترتيباً اقتضائياً بحيث تكون الحالة الاولى جاذبة للتي بعدها مستلزمة لها كحلق السلسلة يجذب بعضها بعضاً جذباً طبيعياً فلو عكس هؤلاء الذين امرهم الله تعالى ان يدبروا الخلق بما افاض عليهم واعطاهم من العلم والحكمة خردلة ما انتظم العالم بل لا يمكنهم زيادة خردلة ولا نقصانها لانه قلب للحقائق وهو محال وتغيير لمعلوم العلم الازلي وهو محال ايضاً اذ العلم لا بد له من معلوم ومتى ما ظهر ظهر طبق ما تعلق به العلم القديم لا ازيد ولا أنقص بزمانه ومكانه لا يتقدم ولا يتأخر فهو تعالى يخلق ما يشاء ويختار ولا يشاء ويختار الا ما علم من كل معلوم حال عدمه وهو ما عليه كل ممكن حالة وجوده من جميع احواله وصفاته التي لا نهاية لها في الدار الدائمة فلا يصح ان الحق تعالى يعجز عن شيء بل هو القادر المطلق ولكن يقال الحق تعالى لا يفعل الا ما اراد واختار ولا يريد ويختار الا ما علم والمعلوم لا يتغير فلو كان في الامكان خلاف الواقع بحسب ما عليه كل ممكن من الاحوال والصفات مع طلب الممكن اي ممكن كان من الممكنات باستعداده واحسن حاله الاحسن والاكمل بالنسبة الى ما اعطى من الصفات والاحوال على سبيل فرض المحال اذ لا يطلب شيء غير ما هو مستعد له البتة لكان بخلاً يناقض الجود وظلماً يناقض العدل والبخل والظلم محال فاللازم وهو منع المستحق ما هو مستحق له طالب له باستعداده محال والظلم وضع الاشياء في غير مواضعها التي تستحقها باستعداداتها بالعلم والحكمة ولو لم يكن قادراً على ما يريد لكان عاجزاً والعجز محال فهو

تعالى عالم قادر مريد مختار ولعلمه وارادته واختياره لا يعطي شيئًا من الممكنات الا استعداده لانه مقتضى الارادة المترتبة على العلم المترتب على المعلوم فتبين من هذا ان لا اعتزال ولا فلسفة ولا جبر ولا ايجاب في قول حجة الاسلام في هذه بل هو كلام صفوة الصفوة من اهل السنة والجماعة . والحاصل ان حجة الاسلام رضي الله عنه رمز بهذه المقالة الى سرّ القدر المتحكم في الخلائق وهو الذي تنتهي اليه الاسباب والعلل وهو لا سبب له ولا علة فلا يقال فيه لم ولا كيف قال رضي الله عنه بعد ما قدمناه من كلامه وهذا الآن بحر زاخر عظيم عميق واسع الاطراف مضطرب الامواج غرق فيه طوائف من القاصرين ولم يعلموا ان ذلك غامض ولا يعقله الا العالمون ووراء هذا البحر سرّ القدر الذي تحير فيه الاكثرون ومنع من افشاء سره المكاشفون الى آخر المقالة فاعتاص هذا الرمز على الافهام من الخاص والعام وتباينت فيه الآراء من لدن عصر حجة الاسلام الى هلم جرًّا حيث كان هذا الرمز موزعًا بين طريقة المكاشفين وطريقة المتكلمين فهم بين معتقد مجيب ومنتقد غير مصيب اما العارفون بالله فقد عرفوا صحة معناها واصل مبناها غير انه ما استقام لهم تطبيق اللفظ على المعنى المراد الاستقامة الخالية عن التكلف السالمة من الاعتراض واما غير العارفين من مجيب ومعترض فهم يتخبطون بين كلام السنة والاعتزال والكل في ناحية عن مرمى حجة الاسلام واكثر من بسط الكلام في هذه المقالة من الذين وقفنا على كلامهم الشيخ احمد بن المبارك في كتاب الابريز وقال انه فعل ذلك نصيحة للمسلمين والله ينفعه بقصده وهو من القادحين في هذه المقالة والحق ضالة المؤمن ياخذها عند من وجدها عنده ومن عرف الحق بالرجال تاه في مهامه الضلال

﴿ سؤال آخر منه لحضرته ﴾

سيدنا الهمام ادام الله به النفع على الدوام ذكرت لحضرتكم مسئلة الرؤيا وانها اشكلت على هذا الحقير من جهة التفرقة بين الرؤيا الصالحة والحلم لان الوارد ان الصالحة من الله وان الحلم من الشيطان ولم يظهر للداعي هذه النسبة لان العالم في النوم لا تفاوت بينهم فان كان بالنسبة الى صلاح الرأي وعدمه فكثير من اهل الصلاح يرون في منامهم اشياء ظاهرها الحلم وان كان لغير ذلك ارجو من السيادة بيان الامر كذلك ذكرت لسيادتكم ان انكار الرؤيا الذي حكاه في الموقف عن جمهور المتكلمين بقولهم انها خيالات هل يكفرون

بذلك ام لا فارجو كشف القناع عن هذه المسئلة بما يظهر به للداعي حل مشكل هذا الامر من كلام اهل الباطن والظاهر ومما تفضل الله به عليكم من الواردات الالهية واجراه على لسانكم من ينابيع الحكمة الصمدانية وربنا يجعلكم منهلاً لكل وارد والسلام عليكم ورحمة الله

﴿ والجواب ﴾

الحمد لله وحده والعلم عنده سامحوني في التاخير فاني ما وجدت وقتاً الا هذا ليعلم ان ادراك امر الرؤيا صعب على العقل من حيث ذاته وآلاته التي يقتنص بها العلوم لا من حيث استعداده وقبوله فهو يدرك ما هو اعظم من امر الرؤيا كالتجليات الالهية مع غموضها ولطفها ولا يدرك امر الرؤيا الا من علم الخيال المطلق والخيال المقيد وعلم ذلك ركن من اركان العلم بالله تعالى فنقول على جهة الايماء والاختصار ان الخيال المقيد مرتبة من مراتب الشعور تلطف الكثيف المقيد وتكثف اللطيف المقيد والرؤيا المنامية شعبة منه والحق تعالى جعل في عين الانسان وفي سائر قواه نورين نور يدرك به المحسوسات وقد يدرك بعض التخيلات يقظة كما الانبياء وبعض الاولياء وهو من المسائل الثلاث التي يجتمع فيها النبي والولي مناماً وغيبة وفناء لغيرهم ونور يدرك به التخيلات اما في النوم او حالة غيبة عن المحسوسات او في حالة الفناء او في اليقظة كما للانبياء ولاولياء وكل الادراكين في العين ولا يقدر الانسان ان يفرق بينهما الا اذا كان من الكمل وقد جعل الحق تعالى برزخا بين عالم المعاني المجردة عن المواد وبين الاجسام المادية وهو المسمى بالخيال المطلق وبالبرزخ وهو حضرة ذاتية معقولة اذا تنزلت المعاني المجردة عن المواد اليه تصورت بالصور المادية كما تصور العلم باللبن والقيد بالثبات وفي هذه الحضرة الخالية لكل شيء من الاجسام والمعاني المادية صورة روحانية خيالية لا تقبل التجزي ولا الخرق ولا الالتئام مثل الصور التي في اذهاننا فاذا نام الانسان او غاب عن المحسوسات بسبب شيء مما قد مناه واراد الحق ان يريه شيئاً من امر الملك الموكل بالمرأى بافاضة ذلك وكشفه للروح الانساني في حضرة الخيال المقيد اما بواسطة الشيطان وهو القاء ما فيه تحزين واما بواسطة النفس وهي الرؤيا التي فيها حديث النفس واما بواسطة الملك وهي البشرى المنسوبة الى الله تعالى وقد وردت التفرقة بين هذه الثلاث فيما رواه الترمذي قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب واصدقهم رؤيا اصدقهم حديثًا ورؤيا المسلم جزء من ستة واربعين جزءًا من النبوّة والرؤيا ثلاث فالرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا من تحزين الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء به نفسه فاذا رأى احدكم ما يكره فليقم وليتفل عن يساره ثلاثا ولا يحدث به الناس الحديث فبين صلى الله عليه وسلم ان التي من الله هي الرؤيا التي فيها بشرى كان يعمل الرائي عمل بر فيه اما يحثه على الزيادة منه وملازمته او يكون عمل سوء فيرى ما يحذره منه ويخوفه سوء عاقبة ذلك الفعل وبالجملة ان يرى كل ما ينتفع به في معاده ومعاشه والتي هي من الشيطان هي ان يرى ما يورثه همًا وحزنًا وقد يكون ذلك او لا يكون ولهذا لا تضره اذا لم يحدث بها احدًا وهنا ستر تركناه وبين صلى الله عليه وسلم دواء هذا التحزين والتعريض الشيطاني وهو ان يقوم وينقل عن يساره ثلاثًا ويستعيذ بالله من شرها فانها لا تضره كما ورد في عدة احاديث وهذا كما يوسوس الشيطان للانسان في يقظته ويلقي الله اشياء توجب له غمًا وحزنًا وقد لا تكون ابدًا لان الشيطان عدو الانسان يريد ادخال الضرر عليه يقظة ونومًا ونسبة هذا القسم الى الشيطان لكونه بواسطته والا فالكل من الله تعالى كما انقسمت الخواطر الى رباني وملكي وشيطاني ونفساني والكل من الله كما قال فالهمها فجورها وتقواها لاجل الواسطة والادب مع الحق تعالى في نسبة الخيرات اليه ونسبة الشرور الى الوسائط من المخلوقات وقولكم العالم لا تفاوت في النوم بينهم بل بينهم تفاوت عظيم كما هو في اليقظة فان النوم اخو الموت قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وورد في الحديث يموت المرء على ما عاش عليه فليس نوم من غالب اوقات يقظته حضوره مع الله ومراقبته للشارع في حركاته وسكناته وكلامه وصمته كنوم من غالب اوقات يقظته غفلة عن الله تعالى ولهوا وهذيانًا وانتقالا بالخلق عن الخالق فان الاول اذا نام نام على ما كان عليه في غالب يقظته فلا تكون رؤياه غالبًا الا من الله تعالى لانه اما معصوم كالنبي او محفوظ كالولي او معتنى به كخواص صلحاء المؤمنين اذ ليس للشيطان سلطان على عباد الله المخلصين في يقظتهم فكذلك في نومهم وان كانت رؤياه حديث نفس مما كان عليه في يقظته فهي ملحقة بما هي من الله فان كان في يقظته مع الله او مع احكامه فان حصل لهذا تحزين من الشيطان في رؤياه فهو نادر والنادر لا اعتداد به ولا اعتبار له ويكون ذلك ابتلاء يعود عليه بالخير كما اذا وسوس له في يقظته فانه من الذين اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون او يكون ذلك ليس تحزينًا في نفس الامر ولكن الخطأ في التعبير والثاني اذا نام نام على ما كان

عليه في يقظته ولا تكون رؤياه غالبًا الا من تلاعب الشيطان او من حديث النفس مما كان عليه في يقظته فاذا حصلت له رؤيا من الله تعالى نادرًا فاما ان يكون ممن سبقت له العناية الالهية وقد انتهت مدة قطيعته وتلاعب الشيطان به واما ان يكون لتلك الرؤيا تعلق بعبد من عباد الله الصالحين قال البخاري رضي الله عنه في صحيحه باب رؤيا اهل الشرك والسجون وساق ما ورد في قصة يوسف عليه السلام مع العزيز يشير الى ان اهل الشرك والفسق قد تصدق رؤياهم نادرًا قال بعض سادات القوم رضوان الله عليهم لا تصدق رؤيا المشرك وما في معناه من اهل الفسق الا اذا تعلق بها حق لمؤمن فليست رؤيا مطلق المسلم كرؤيا المسلم الصالح وقد ورد في روايات الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح فالمسلم المطلق محمول على المسلم المقيد ولا بد وقد تقدم في الحديث اصدقهم رؤيا اصدقهم حديثًا واما ما حكي عن جمهور المتكلمين من ان النوم يضاد الادراك وان الرؤيا خيالات باطلة فهذا القول مستبعد جدًا صدوره من مؤمن بكتاب الله وسنة رسوله كيف مع شهادة الكتاب والسنة بصحة الرؤيا ولو كشف الله تعالى لهذا القائل عن الخيال المطلق والخيال المقيد لعلم ان ادراك الخيال اصح من ادراك الحس لان الحس له غلطات كما قيل والخيال لا غلط في ادراكه وانما الغلط في التعبير وان صح هذا القول عن احد من العقلاء فمراده ان ما يتخيله النائم ادراكاً بالبصر رؤية وكون ما يتخيله ادراكاً بالسمع سمعًا باطل فلا ينافي هذا حقيقته بمعنى كونه امارة لبعض الاشياء لذلك الشيء نفسه او ما يضاهيه ويحاكيه والا فانكار الرؤيا انكار للضروريات الطبيعية فان كل انسان من مؤمن وكافر ومطيع وعاص يجدها من نفسه وتصلكم كلمات مختصرة في الخيال فطالعوها ان شئتم ثم ردوها علي

وهذا جواب لسؤال ورد منه ايضاً

الحمد لله الذي اطلعت عليه من كلام الائمة منه ما يفيد ان كون اول السنة القمرية المحرّم وآخرها ذو الحجة انما كان باتفاق الصحابة في خلافة عمر ومنه ما يفيد ان ذلك كان قديمًا سابقًا اما ما يفيد بظاهره ان ذلك قديمًا فقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض الآية قال الشيخ اسماعيل في تفسيره ان الله تعالى اجرى الشمس والقمر في السموات يوم خلق السموات والارض فبلغ عدد الشهور اثنا عشر شهرًا اولها المحرّم وآخرها ذو الحجة اه فهذا الكلام صريح في ان كون اول الشهور المحرّم عند الله في كتابه اي اللوح المحفوظ كما في آية ان عدة الشهور

وروى سعيد بن منصور في سننه بسنده الى ابن عباس انه قال في قوله تعالى والفجر الفجر شهر المحرّم وهو فجر السنة اخرجه البيهقي في الشعب واسناده صحيح ومثل هذا لا يقوله ابن عباس بالرأي قال ابن حجر في اماليه بهذا يحصل الجواب عن الحكمة في تاخير التاريخ من الهجرة وانما كانت في ربيع الاول اه وقال شارح اللمع بين العام والسنة فرق في الوضع العربي فالعام من اول المحرم الى آخر ذي الحجة والسنة من كل يوم الى مثله من القابل اه وقال ابو البقاء السنة في عرف الشرع من كل يوم الى مثله من القابل بالشهور الهلالية والعام من اول المحرّم الى ذي الحجة اه وقال ابن ابي خيثمة لما اختلف الصحابة في الشهر الذي يجعلونه اول السنة قام عثمان فقال المحرّم هو اول السنة وهو شهر حرام وهو اول الشهور في العدة اه فهذا صريح في ان كون اول الشهور في العدة من قديم الزمان قبل الاسلام وانما الصحابة ارادوا ان يجعلوا اول السنة شهرًا غير الذي جعله من كان قبلهم وفي الصحيح السنة اثنا عشر شهرًا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرّم ورجب فقد اختلف السلف كما في القسطلاني في عده صلى الله عليه وسلم هذه الاشهر الحرم هل هو من سنة واحدة او من سنتين فعن اهل المدينة انها من سنتين ذو القعدة وذو الحجة من سنة والمحرم ورجب من سنة وعن اهل الكوفة انها من سنة واحدة اولها المحرم ثم رجب ثم ذو القعدة ثم ذو الحجة فلو لم يكن للسنة اول عنده عليه السلام ما ظهرت ثمرة اختلافهم لانه اذا لم يكن للشهور ترتيب تكون الشهور كدائرة لا يعرف طرفها فليس لها اول ولا آخر وهذا من ابعد ما يكون وقال القسطلاني في قوله عليه السلام ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض اي عاد الزمان الى اصل الحساب والوضع الذي اختاره الله ووضعه يوم خلق السموات والارض اه فاستدارة الزمان ورجوعه الى اصله لا يكون الا بترتيب اجزائه ورجوع الاول اولاً والآخر آخرًا فيكون للشهور اول وآخر واما ما يفيد ان الصحابة هم الذين جعلوا اول شهور العام العربي المحرم فنقل الدماميني ان الصحابة اختلفوا باي شهر يبتدءون التاريخ فقال بعضهم برمضان وقال آخرون بالمحرم اه ونقل القسطلاني عن الحاكم ابن البيع ان عمر قال ارخوا بالمحرّم لانه منصرف الناس من حجهم فاتفقوا عليه اه ويبعد كل البعد عقلاً ان يكون الرسول عليه السلام ومن ارسل قبله الى العرب ومن مضى من ملوك العرب الذين ملكوا المغرب الى منتهى المعمورة والمشرق الى الصين لم يجعلوا لشهورهم اولاً ولا آخرًا ولا عرفوا ابتداء عامهم ولا

نهايته مع انهم سموا العام عاماً لعوم الشمس فيه جميع الفلك وقطعها الابراج فيعلمون
هذه المناسبة ويجهلون اول العام والجمع بين القوانين والله اعلم ان كون اول الشهور
في العدة المحرم معروف من قديم الزمان ولكن الصحابة ارادوا ان يجعلوا مبتدأ للسنة
باختيارهم ويخالفوا من قبلهم كما خالفوهم في التاريخ فان العرب كانت تؤرخ بعام الفيل
وبحرب الفجار وببناء الكعبة ونحو ذلك والله اعلم

وسأله حضرة العلامة السيد محمود افندي حمزه
مفتي دمشق الشام

ونص سؤاله الحمد لله وحده قد ورد في ايام الدجال يوم كسنة ويوم كشهر
ويوم كجمعة وكذلك اليوم الذي مقداره خمسون الف سنة هل المراد في كل منهما
طول المدد حقيقة ام لشدة الهول في كل منهما عبر عنه كذلك المعقول والمنقول في
ذلك وما هو حي عن ميت او ميت عن ميت معلوم فلنضرب عنه صفحاً

فاجابه بقوله

الحمد لله اما ايام الدجال فطولها لشدتها وكثرة الغيوم حتى يلتبس الليل بالنهار
لانه عليه السلام سئل عن الصلاة فقال اقدروا لها واوقات الصلاة اسباب بوجوبها
ولا تجب صلاة الا بوقتها فاليوم الذي كسنة تجب فيه خمس صلوات فقط واما اليوم
الذي مقداره خمسون الف سنة فاعلم ان امور الاخرة مبنية على اظهار القدرة عكس الدنيا
فانها مبنية على الحكمة فطوله لشدته ويكون هذا الطول في حق بعض الناس كقدر
صلاة ركعتي الفجر والقدرة تظهر الطويل قصيراً والقصير طويلاً وتظهر ما لا يتناهى
متناهياً فانها تجمع الاقدار وكل من قال ان قدرة الله لا تتعلق بالمستحيل عقلاً فهو
جاهل بالله تعالى

﴾ جواب لسؤال وارد منه ايضاً ﴿

الحمد لله وحده روى البخاري انه صلى الله عليه وسلم ما خير بين امرين الا اختار
ايسرهما ما لم يكن اثماً فان كان اثماً كان ابعد الناس منه ورواه الترمذي ما لم يكن اثماً بدون
زيادة فان كان اثماً الخ واعلم ان التخيير له صلى الله عليه وسلم اعم من ان يكون من الله
تعالى ومن الكفار والمنافقين وان الله تعالى قد يخير بين حكمين في حقه صلى الله عليه

وسلم او في حق الامة فان كان التخيير من الله تعالى له صلى الله عليه وسلم فيكون الكلام قد تم عند قوله ايسرهما فانه تعالى لا يخير رسوله بين ما يكون اثماً وبين غيره فانه تعالى لا يامر بالفحشاء وللعصمة الثابتة له صلى الله عليه وسلم ويكون قوله ما لم يكن اثماً بمثابة الاستثناء المنقطع وان كان التخيير من غيره تعالى فيحتاج الى زيادة ما لم يكن اثماً الخ اي ان كان التخيير من غيره تعالى فهو مقيد ما لم يكن اثماً وان كان التخيير بين ما يكون اثماً حقيقة او يؤل الى الاثم كان ابعد الناس منه صلى الله عليه وسلم

واجاب عن سؤال ورد اليه بقوله

اما قولك ارجو ان تتكرموا عليّ بكل ما تعلمونه بخصوص الصابئة فما اصلهم وما شريعتهم وما داعيهم لهذا المعتقد وهل هم اهل كتاب وما كتابهم الخ فاعلم اولاً ان التقسيم الضابط للملل والنحل هو ان نقول من الناس من لا يقول بمعقول ولا محسوس وهم السوفسطائية القائلون العالم كله خيال باطل لا حقيقة له لا ظاهراً ولا باطناً ومنهم من يقول بالمحسوس ولا يقول بالمعقول وهم الطبيعيون وعلى هذا المذهب اكثر اهل اوربا اليوم ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول ولا يقول بحدود واحكام وهم الفلاسفة الدهرية القائلون لا اله للعالم انما هي ارحام تدفع وارض تبلع وما يهلكنا الا الدهر ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول والحدود والاحكام ولا يقول بشرائع الانبياء ولا بالنبوّة وهم الصابئة المسؤل عنهم وسنبين مذاهبهم ومنهم من يقول بهذه كلها وبشريعة واسلام ولا يقول بشريعة محمد عليه السلام وهم اليهود والنصارى والمجوس ومنهم من يقول بهذه كلها وهم المسلمون وهؤلاء الفرق انقسموا الى من له كتاب محقق كالتوراة والانجيل والقرآن والى من له شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية فان الصحف التي نزلت على ابراهيم الخليل عليه السلام قد رفعت لاحداث احدثوها المجوس ولهذا يجوز عقد العهد والزمام معهم ولا تجوز مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ومنهم من ليس له كتاب ولا شبهة كتاب وهم ما عدا من ذكر من اهل الملل والنحل فاما الصابئة المذكورون في القرآن الكريم فهم طائفة كانوا في زمن الخليل عليه السلام فكانت الفرق راجعة الى اصلين ح احدهما الصابئة الثانية الحنفاء اتباع ملة الخليل عليه السلام فالصابئة كانت تقول انا نحتاج في معرفة الله تعالى ومعرفة طاعته واوامره واحكامه الى متوسط والمتوسط يجب ان يكون روحانيا لاجسمانيا وذلك لطهارة الارواح ونزاهتها وقربها من رب الارباب والجسماني بشر مثلنا ياكل كما ناكل ويشرب كما نشرب يماثلنا في الصورة والحقيقة والحنفاء وهم اصحاب ملة ابرهيم عليه السلام يقولون نحتاج في معرفة الله وطاعته الى متوسط من جنس البشر تكون

درجته في الطهارة والعصمة والتأييد والحكمة فوق الروحانيات يماثلنا من حيث البشرية ويباينا من حيث العصمة الروحانية يتلقى الوحي بطرف الروحانية ويلقى الى نوع الانسان بطرف البشرية فمدار مذهب الصابئة على التعصب للروحانيين كما ان مدار مذهب الحنفاء هو التعصب للبشر الجسمانيين والصابئة تدعي ان مذهبها هو الاكتساب والحنفاء تدعي ان مذهبها هو الفطرة فدعوة الصابئة الى الاكتساب ودعوة الحنفاء الى الفطرة والصابئة فرقتان اصحاب الروحانيات واصحاب الهياكل وهي السيارات السبع اما اصحاب الروحانيات فمذهبهم ان للعالم صانعاً فاضلاً حكيما مقدسا عن سمات الحدوث والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى جلاله وانما يتقرب بالمتوسطات المقربين اليه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهراً وفعلاً وحالاً فهم المقدسون عن المواد الجسمانية المنزهون عن الحركات المكانية والتغييرات الزمانية وانما ارشدنا الى هذا معلمنا الاول عاذيمون وهو شيث عليه السلام وهرمس وهو ادريس عليه السلام فنحن نتقرب اليهم ونتوكل عليهم وهم اربابنا وآلهتنا ووسائلنا وشفعاؤنا عند رب الارباب واله الآلهة فالواجب علينا ان نطهر نفوسنا عن دنس الشهوات الطبيعية ونهذب اخلاقنا عن علائق القوى الشهوانية والغضبية حتى تحصل مناسبة ما بيننا وبين الروحانيات فنسال حوائجنا منهم ونعرض احوالنا عليهم فيشفعون لنا الى خالقنا وخالقهم وهذا التهذيب لا يحصل الا باكتسابنا ورياضتنا وفطام انفسنا عن دنيات الشهوات باستمداد من جهة الروحانيات والاستمداد هو التضرع بالدعوات واقامة الصلوات وبذل الزكوات والصيام عن المطعومات والمشروبات وتقريب القرابين والذبائح وتبخير البخورات وتعزيم العزائم فيحصل لنفوسنا استعداد واستمداد من غير واسطة بل يكون حكمنا وحكم من يدعي الوحي على وتيرة واحدة قالوا والانبياء امثالنا في النوع واشكالنا في الصورة بشر مثلنا فمن اين لنا طاعتهم وباي مزية لهم نتابعهم واما الطائفة الاخرى من الصابئة فهم اصحاب الهياكل والاشخاص قالوا لا بد للانسان من متوسط ولا بد للمتوسط من ان يرى فيتوجه اليه ويتقرب اليه ويستفاد منه ففزعوا الى الهياكل التي هي السيارات السبع فتعرفوا اولاً بيوتها ومنازلها وثانياً مطالعها ومغاربها وثالثاً اتصالاتها على اشكال الموافقة والمخالفة مرتبة على طبائعها ورابعاً تقسيم الايام والليالي والساعات عليها وخامساً تقدير الصور والاشخاص والاقاليم والامصار عليها فعملوا الخواتم والعزائم والدعوات وعينوا يوم السبت لزحل مثلاً وراعوا فيه ساعته الاولى وتختموا بخاتمه المعمول على صورته ولبسوا اللباس الخاص به وكان يقضي حوائجهم ويحصل في الاكثر مرامهم وكذلك الحاجة التي تختص

بالمشتري في يومه وساعته وكذلك سائر الحاجات الى الكواكب وكانوا يسمونها اربابا آلهة والله تعالى هو رب الارباب وآله الآلهة ومنهم من جعل الشمس آله الآلهة ورب الارباب وكانوا يتقربون الى الهياكل وهي السيارات السبع تقربا الى الروحانيات ويتقربون الى الروحانيات تقربا الى الله تعالى لاعتقادهم ان الهياكل وهي السيارات ابدال الروحانيات ونسبتها الى الروحانيات نسبة اجسادنا الى ارواحنا فهم الاحياء الناطقون بحياة الروحانيات وهي تتصرف في ابدانها تدبيرا وتصريفا وتحريكا كما نتصرف نحن في ابداننا ولا شك ان من تقرب الى شخص فقد تقرب الى روحه ثم استخرجوا من عجائب الحيل المترتبة على عمل الكواكب العجائب والغرائب وهذه الطلسمات والسحر والتنجيم والتعزيم ونحوها كلها من علومهم واما الطائفة الثالثة من الصابئة فقالوا اذا كان لا بد للانسان من متوسط يتوسل به وشفيع يتشفع اليه والروحانيات وان كانت هي الوسائل والوسائط لا كنا اذا لم نرها بالابصار ولم نخاطبها بالالسن لم يتحقق التقرب اليها الا بهياكلها والهياكل قد ترى في وقت ولا ترى في وقت لان لها طلوعا وافولا وظهورا بالليل وخفاء بالنهار فلم يصف لنا التقرب بها والتوجه اليها فلا بد لنا من صور واشخاص موجودة قائمة منصوبة نصب اعيننا نعتكف عليها ونتوسل بها الى الهياكل فنتقرب بها الى الروحانيات ونتقرب بالروحانيات الى الباري تعالى فنعبدهم وهم يقربونا الى الله زلفى فاتخذوا اصناما اشخاصا على مثال الهياكل السبعة كل شخص في مقابلة هيكل وراعوا في ذلك جوهر الهيكل اعني جوهره الخاص به من الحديد وغيره وصوروه بصورته على الهيئة التي تصدر افعاله عنه وراعوا في ذلك الوقت والساعة والدرجة والدقيقة فتقربوا اليه في يومه وساعته وتبخروا بالبخور الخاص به وتختموا بخاتمه ولبسوا لباسه وتضرعوا بدعائه وعزموا بعزائمه وسألوا حاجتهم واولائك هم الذين اخبر القرآن عنهم بانهم عبدة الكواكب والاوثان فاصحاب الهياكل وهي السيارات السبع هم عبدة الكواكب لانهم قالوا بانها آلهة واصحاب الاشخاص وهم عبدة الاوثان لانهم سموها آلهة في مقابلة الآلهة السماوية والطائفة الاولى هم عبدة الارواح والملائكة وقد ناظر الخليل عليه السلام هاتين الفرقتين كما اخبر القرآن بذلك فابتدأ بمحاجة اصحاب الاشخاص فقال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وقال لعمه آزر أتتخذ اصناما آلهة اني اراك وقومك في ضلال مبين وقال يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وهذه الحجة هي التي قال الله تعالى فيها وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ثم عمد الى اصحاب الهياكل

السبعة بعد ان اطلعه الله تعالى على ملكوت السموات والارض كما اخبر تعالى بقوله
وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فاطلعه الله تعالى
على ملكوت الكونين والعالم تشريفًا له على الرهبانية وهياكلها وترجيحًا لمذهب الحنفاء على
مذهب الصابئة وتقريرًا ان الكمال في الرجال فاقبل على ابطال مذهب اصحاب الهياكل
السيارة السماوية فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبًا فقال هذا ربي على وجه الالزام
والا فما كان الخليل عليه السلام مشركًا ثم استدل بالافول والزوال والتغير والانتقال
بانه لا يصلح ان يكون ربًا الاهًا فان الاله لا يتغير فلو اعتقدتموه واسطة ووسيلة
فالافول والزوال غير عز الكمال الى آخر القصة وهي مذكورة في القرآن ومن
الصابئة جماعة يقال لهم الحرنانية قالوا الصانع المعبود واحد كثير فاما وحدته ففي
الذات والاصل والازل واما كثرته فلانه يتكثر بالاشخاص في رأي العين وهي الدراري
السبعة والاشخاص الارضية الخيرة العالمة الفاضلة فانه يظهر بها ويتشخص باشخاصها
ولا تبطل وحدته في ذاته وهو ابدع الفلك وجميع ما فيه من الاجرام والكواكب
وجعلها مدبرات هذا العالم وهم الآباء والعناصر امهات فتحصل الموالد بينهما ثم من
المواليد قد يتفق شخص مركب من صفوها دون كدرها ويحصل مزاج كامل
الاستعداد فيتشخص الاله به في العالم ثم ان الطبيعة الكل يحدث على راس كل
ستة وثلاثين الف سنة واربعمائة وخمس وعشرين زوجين من كل نوع من اجناس
الحيوانات ذكرًا وانثى من الانسان وغيره فيبقى ذلك النوع تلك المدة ثم اذا
انقضى الدور انقطعت الادوار ونسلها فيبتدىء دور آخر ويحدث قرن آخر من
الانسان والحيوان وهكذا ابد الابدين ودهر الداهرين وهم الذين اخبر القرآن
الكريم عنهم انهم قالوا ما يهلكنا الا الدهر ومن هذه المقالة نشأ التناسخ والحلول
فان التناسخ هو ان تتكرر الاكوان والادوار الى ما لا نهاية له ويحدث في كل
دور مثل ما حدث في الاول والثواب والعقاب عند هذه الطائفة في هذه الدار
لا في الدار الاخرى ومن هذا المذهب اخذ الدروز بعض مذهبهم واما ذكر الصابئة
في القرآن الشريف فانه تعالى اراد بذلك ان الصابئة ومن ذكر معهم من الطوائف
انهم مع جهلهم السابق وعقائدهم الفاسدة واقاويلهم الكاسدة اذا آمنوا بالله صدّقوا
بوجود الله تعالى ووحدانيته ونزاهته عن الشريك والمعين وصدّقوا باليوم الآخر
وهو يوم القيامة وصدّقوا محمدًا عليه السلام فيما جاء به من الوحي والشرائع وتركوا
ما كانوا عليه من الاعتقادات في الله تعالى وعملوا صالحًا فلهم اجرهم عند ربهم

ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يوم القيامة ولا يؤاخذهم بما سلف منهم من الجهالة في الاعتقادات وفي الاقوال والافعال واما قولك ثم من منهم الذين هادوا فاعلم ان اليهود هم امة موسى عليه السلام وانما سموا يهودًا لقول موسى عليه السلام انا هدنا اليك اي رجعنا اليك وكتاب هذه الامة اليهودية هو التوراة ومعنى التوراة الشريعة وهو اول كتاب نزل من السماء لان ما نزل على ابراهيم وغيره من الانبياء عليهم السلام ما كان يسمى كتابًا بل صحفًا وانزل على موسى عليه السلام ايضًا الالواح كانها مختصر ما في التوراة منقسم على الاقسام العلمية والعملية قال تعالى في القرآن الكريم وكتبنا له اي لموسى في الالواح من كل شيء موعظةً وتفصيلاً واليهود تدّعي ان الشريعة لا تكون الا واحدة وهي ابتدأت بموسى عليه السلام وتمت به فلم تكن قبله شريعة الا حدودًا عقلية واحكامًا مصلحية ولم يجيزوا النسخ في الشرائع فلم تكن شريعة بعد موسى عليه السلام ومسائلهم تدور على جواز النسخ ومنعه وعلى التشبيه ونفيه والقول بالقدر والجبر وتجويز الرجعة واحالتها ولمنع اليهود النسخ في الشريعة لم ينقادوا لعيسى عليه السلام وادعوا عليه انه كان مأمورًا بمتابعة موسى عليه السلام وموافقته التوراة فغير وبدل وعدوا عليه تلك التغييرات منها تغيير السبت الى الاحد ومنها تغيير اكل لحم الخنزير وكان حرامًا في التوراة ومنها ترك الختان والغسل من الجنابة وغير ذلك واختلفت اليهود على نيف وسبعين فرقة اشهرها العنانية نسبوا الى عنان بن داوود رئيس الجالوت يخالفون سائر اليهود في السبت والاعياد ويقتصرون على الطير والظبي والسمك ويصدقون عيسى عليه السلام في مواعظه واشارته ويقولون انه لم يخالف التوراة بل قررها ودعا الناس اليها وهو من انبياء بني اسرائيل المقيدين بالتوراة ومن المستجيبين لموسى عليه السلام الا انهم لا يقولون بنبوئه ورسالته ومن هوءلاء من يقول ان عيسى عليه السلام لم يدّع انه نبي مرسل وانه صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى عليه السلام بل هو من اولياء الله تعالى المخلصين العارفين باحكام التوراة والانجيل ليس كتابًا منزلاً عليه وحيًا من الله تعالى بل هو جمع احواله من مبتدئه الى كماله وانما جمعه اربعة من اصحابه الحواريين فكيف يكون منزلاً واليهود ظلموه حيث كذبوه اولا ولم يعرفوا دعواه وقتلوه ولم يعرفوا منزلته وقد ورد في التوراة ذكر المسيح في مواضع كثيرة وذلك هو المسيح عيسى ولكن لم ترد له النبوة ولا الشريعة الناسخة . الفرقة الثانية من الفرق المشهورة العيسوية نسبوا الى ابي عيسى اسحاق ابن يعقوب الاصفهاني وقيل اسمه عوبذ الوهيم اي عابد الله زعم ان الله تعالى كلمه وكلفه ان يخلص بني اسرائيل من ايدي الامم العاصين والملوك الظالمين وحرم الذبائح كلها ونهى

عن اكل كل ذي روح على الاطلاق طيرًا كان او بهيمة واوجب عشر صلوات كل يوم وخالف اليهود في كثير من احكام الشريعة المذكورة في التوراة وكان يوجب تصديق المسيح عليه السلام · الفرقة الثالثة من الفرق المشهورة البوزعانية نسبوا الى بوزعان كان يحث على الزهد وتكثير الصلوات وينهى عن اللحوم والا نبذة وكان يزعم ان للتوراة ظاهرًا وباطنًا وتنزيلاً وتأويلاً خالف عامة اليهود وخالفهم في التشبيه ومال الى القدر واثبت الفعل للعبد حقيقة ورتب الثواب والعقاب عليه · الفرقة الرابعة من الفرق المشهورة الموشكانية نسبوا الى مشكا كان يوجب الخروج على مخالفيه واثبت نبوة محمد عليه السلام الى العرب وسائر الناس غير اليهود لانهم اهل ملة وكتاب زعم ان الله خاطب الانبياء بواسطة ملك اختاره وقدمه على جميع الخلائق وكل ما في التوراة من وصف الله تعالى فهو وصف ذلك الملك وخبر عنه ولا يجوز ان يوصف الله بوصف وما ورد في التوراة ان الله كلم موسى انما هو ذلك الملك فلا يكلم الله بشرًا والشجرة المذكورة في التوراة هو ذلك الملك وحمل جميع ما ورد في التوراة مما نسب الى الله على ذلك الملك وقيل صاحب هذه المقالة هو بليامين اليهودي هو قرر هذا المذهب وقال الآيات المتشابهات في التوراة كلها منزلة وان الله لا يوصف باوصاف المخلوقات · الفرقة الخامسة من الفرق المشهورة السامرة وهم قوم يسكنون بيت المقدس ونابلس وقرى من اعمال مصر يتنظفون في الطهارة اكثر من سائر اليهود واثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع وانكروا نبوة من بعدهم من الانبياء الا نبيًا واحدًا وقالوا التوراة ما بشرت الا بنبي واحد يأتي من بعد موسى عليه السلام يصدق التوراة ويحكم بحكمها وافترقت السامرة الى دوستانيه ومعناها الفرقة الكاذبة والى كوستانيدو معناها الجماعة الصادقة وهم يقرّون بالآخرة واثبتوا الثواب والعقاب في الدنيا وقبلتهم جبل يقال له عزيم بين بيت المقدس ونابلس وهو الطور الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام تحوله داوود الى ايليا وبنى البيت ثمت وخالف الامر والسامرة تتوجه الى تلك القبلة دون سائر اليهود وزعموا ان التوراة كانت بلسانهم فنقلت الى السريانية والعبرانية واما قولك من هم الذين اشركوا فاعلم ان الشرك هو اثبات شريك لله تعالى في الوهيته وفي خلقه لمخلوقاته وفي افعاله يقال اشرك بالله كفر به فهو مشرك والشرك انواع شرك استقلال وهو اثبات الهين مستقلين كشرك المجوس وشرك التبعيض وهو تركيب الاله من آلهة كشرك من يدعى انه نصراني وليس بنصراني حقيقة فان النصارى الحقيقيين موحدون وشرك التقريب وهو عبادة غير الله ليقرب الى الله

كشرك متقدم الجاهلية من العرب وشرك التقليد وهو عبادة غير الله تعالى تبعاً للغير كشرك متأخري الجاهلية من العرب قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون وشرك الاسباب وهو اسناد التأثير الى الاسباب العادية كشرك الفلاسفة والطبيعيين ومن تبعهم على ذلك وشرك الاغراض وهو العمل لغير وجه الله تعالى بل لنيل غرض من الاغراض ونتكلم على شرك الاستقلال دون غيره فاننا لو تكلمنا عليه تفصيلاً وعلى غيره من انواع الشرك ما وسعتنا مجلدات فاعلم ان شرك الاستقلال هو اثبات الهين مستقلين كشرك المجوس والمانوية وسائر الفرق المجوسية واختصت الاثنينة بالمجوس لكونهم اثبتوا الهين اثنين قديمين يقتسمان الخير والشر والنفع والضر والصلاح والفساد ويسمون احدهم النور والثاني الظلمة وبالفارسية يزدان واهرمن ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين احداهما بيان سبب امتزاج النور بالظلمة والثانية بيان سبب خلاص النور من الظلمة وجعلوا الامتزاج مبدأ والخلاص معاداً وهم فرق اشهرها الكيومرثية اصحاب كيومرث اثبتوا اصلين يزدان واهرمن وقالوا يزدان قديم واهرمن محدث مخلوق قالوا ان يزدان فكر في نفسه انه لو كان له منازع كيف يكون وهذه الفكرة ردية غير مناسبة بطبيعة النور فحدث الظلام من هذه الفكرة وكان اهرمن مطبوعاً على الشر والفتنة والفساد والضر فخرج على النور وخالفه طبيعة وقولاً وجرت محاربة بين عسكر النور وعسكر الظلمة ثم ان الملائكة توسطوا في الصلح على ان يكون العالم السفلي خالصاً لاهرمن سبعة الاف سنة ثم يخلي العالم ويسلمه الى النور والذين كانوا في الدنيا قبل الصلح اهلكهم وابادهم وزعموا ان النور خير الناس وهم ارواح بلا اجساد بين ان يرفعهم عن مواضع اهرمن وبين ان يلبسهم اجساداً فيحاربون اهرمن فاختاروا لبس الاجساد ومحاربة اهرمن على ان تكون النصرة لهم من عند النور وعند الظفر باهرمن واهلاك جنوده تكون القيامة فذلك سبب الامتزاج وهذا سبب الخلاص ومن فرق المجوس الذروانيه قالوا ان النور ابدع اشخاصاً من نور نورانية ربانية والعظيم منها اسمه ذروان شك في شيء فحدث اهرمن الشيطان من ذلك الشك ولهم اقوال وخرافات تمجها العقول السليمة اضربنا عن ذكرها ومن فرق المجوس الزرادشتية اصحاب زرادشت قالوا النور والظلمة اصلان متضادان وكذلك يزدان واهرمن وهما مبدأ وجود العالم وحصلت التراكيب من امتزاجها وحدثت الصور من التراكيب المختلفة والباري تعالى خالق النور والظلمة وهو احد لا شريك له ولا يجوز ان ينسب اليه ايجاد الظلمة لكن

الخير والشر والصلاح والفساد انما حصلت من امتزاج النور والظلمة ولو لم يمتزجا لما كان وجود العالم وهما يتقاومان ويتغالبان الى ان يغلب النور الظلمة والخير الشر ثم يتخلص الخير الى عالمه والشر ينحط الى عالمه وذلك هو سبب الخلاص ومنهم صنف يقال له السيسانيه رئيسهم رجل كان زمزمياً في الاصل يعبد النيران ثم ترك ذلك ورفض عبادة النيران ووضع لهم كتاباً وامرهم بارسال الشعور وحرم الامهات والبنات ولاخوات وحرم الخمر وامر باستقبال الشمس عند السجود على ركبة واحدة وحرم الميتة وذبح الحيوان حتى يهرم وهم اعداء للمجوس الزمازمة ومن فرق المجوس المشهورة الثنوية وهم اصحاب الاثنيان الازليين يزعمون ان النور والظلمة ازليان قديمان بخلاف المجوس فانهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه وهؤلاء قالوا بتساويهما في القدم واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والخير والاجناس والابدان والمكان والارواح ومن فرق المجوس المشهورة المانوية اصحاب مانى اتخذ ديناً بين المجوسية والنصرانية كان يزعم ان العالم مصنوع مركب من اصلين قديمين احدهما نور والآخر ظلمة وانهما ازليان لم يزالا ولن يزالا وانكر وجود شيء لا من اصل قديم وزعم ان النور والظلمة لم يزالا قوتين حساستين سميعتين بصيرتين وهما مع ذلك متضادان في النفس والجوهر والعقل متحاذيان تحاذي الظل والشخص فجوهر النور حسن فاضل كريم صافٍ نقي طيب الريح حسن المنظر ونفسه خيرة كريمة حكيمة نافعة سالمة وفعله الخير والصلاح والنفع والسرور والترتيب والنظام وجوهر الظلمة قبيح ناقص لئيم كدر خبيث منتن الريح قبيح المنظر ونفسها شريرة سفيهة جاهلة ضارة وفعلها الشر والفساد والضر والاختلاف والى هذه الطائفة اشار المتنبي بقوله

وكم لظلام الليل عندي من يد تخبر ان المانوية تكذب

لان الظلام كان سبباً في وصاله بمن يهوى واحتجابه عن الرقباء واي نعم وخير اعظم من هذا ومن فرق المجوس المزدكية اصحاب مزدك قولهم كقول اكثر المانوية الا ان مزدك كان يقول ان النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق والنور عالم حساس والظلام جاهل اعمى وان المزاج كان على الاتفاق والخبط لا من القصد والاختيار وكان مزدك ينهى عن المخالفة والمباغضة والقتال ولما كان اكثر ذلك انما يقع بسبب النساء والاموال احل النساء واباح الاموال وجعل الناس كلهم شركة في النساء والاموال كاشتراكهم في الماء والنار والكلا الى غير هذا من الهذيان فلا نطيل به ومن فرق المجوس الديصانيه اصحاب

ديصان كان يقول النور عالم قادر حساس دراك منه تكون الحركة ومنه تكون الحركة والحياة والظلام ميت جاهل عاجز موات لا فعل له ولا تمييز والشر يقع منه طبعاً وخرقاً وان النور جنس واحد وكذلك الظلام جنس واحد وان سمعه وبصره وسائر حواسه وادراكاته شيء واحد فسمعه هو بصره وجميع حواسه وانما قيل سميع بصير لاختلاف التراكيب لا لانها في انفسها شيئان مختلفان وزعموا ان اللون هو الطعم وهو الرائحة الى غير هذا من اباطيلهم فلا نطيل بها ومن فرق المجوس المرقونيه اثبتوا اصلين متضادي النور والظلمة واثبتوا اصلاً ثالثاً هو المعدل الجامع وهو سبب المزاج بين النور والظلمة وقالوا الجامع دون النور في الرتبة وفوق الظلمة وحصل من الامتزاج هذا العالم ومنهم من يقول ان الامتزاج انما حصل بين الظلمة والمعدل اذ هو قريب منها فبعث النور الى العالم الممتزج روحاً مسيحية وهو روح الله وابنه يحثنا على المعدل السليم الواقع في شبكة الظلام الرجيم حتى يخلصه من حبائل الشياطين فمن اتبعه ولم يلابس النساء ولم يقرب الزهومات افلت ونجا ومن خالفه خسر وهلك قالوا وانما اثبتنا المعدل لان النور الذي هو الله تعالى لا تجوز عليه مخالطة الشيطان وايضاً فان الضدين متنافران طبعاً ويتمانعان ذاتاً ونفساً فكيف يجوز امتزاجهما فلا بد من معدل تكون منزلته دون النور وفوق الظلمة فيقع المزاج معه وكانوا يقولون المعدل هو الانسان الحساس الدراك اذ هو ليس بنور محض ولا ظلام محض وكانوا يرون المناكحة وكل ما فيه منفعة بدنية وروحية ويحترزون عن ذبح الحيوان لما فيه من الايلام ومن فرق المجوس الكينوية والصيامية وهم اصحاب التناسخ زعموا ان الاصول ثلاثة النار والارض والماء وانما حدثت الموجودات من هذه الاصول دون الاصلين اللذين اثبتتهما الثنوية قالوا النار بطبعها خيرة نورانية والماء ضدها في الطبع فما كان من خير في هذا العالم فمن النار وما كان من شر فمن الماء والارض متوسطة وهم يتعصبون للنار من حيث انها علوية نورانية لطيفة لا وجود الا بها ولا بقاء الا بامدادها والماء يخالفها في الطبع فيخالفها في الفعل — والارض متوسطة بينهما فتركب العالم من هذه الاصول والصيامية من هذه الفرقة امسكوا عن طيبات الرزق وتجردوا لعبادة الله تعالى وتوجهوا في عباداتهم الى النيران تعظيماً لها وامسكوا عن الذبائح والنكاح ايضاً وقالوا بتناسخ الارواح في الاجساد والانتقال من شخص الى شخص وما يلقى من الراحة والتعب فمرتب على ما اسلفه قبل وهو في بدن آخر جزاء على ذلك والانسان ابداً في احد امرين اما في فعل واما في جزاء وما هو فيه فاما مكافاة على عمل قدمه واما على ان ينتظر المكافاة

عليه والجنة والنار في هذه الابدان والمجوس انما يعظمون النار لمعان منها انها جوهر شريف علوي ومنها انها ما احرقت الخليل عليه السلام ومنها ظنهم ان التعظيم لها ينجيهم في المعاد من العذاب وبالجملة هي قبلة لهم ووسيلة واما قولك ان منطوق الآية الشريفة في سورة الحج ان المشركين ليسوا هم النصارى الخ فاعلم ان النصارى هم اتباع المسيح عليه السلام وامته ممن كان تابعاً للمسيح قبل ظهور محمد عليه السلام فهو من افضل الخلق واعلاهم درجة وبعد ظهور محمد عليه السلام من آمن به فله اجران ويحشر مع الناجين الآمنين ومن كفر بما جاء به محمد من النصارى وغيرهم فيسمى كافراً لا مشركاً الا من قال من النصارى في المسيح عليه السلام وانه ابن الله ومن اليهود في عزير انه ابن الله فهو مشرك والنصارى الحقيقيون هم الذين يعتقدون ان المسيح عليه السلام روح الله وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول عليها السلام وانه رسول الله الى بني اسرائيل بشرع ناسخ لبعض شرع موسى عليه السلام والانجيل المنزل عليه كلام الله تعالى حقيقة لا مجازاً وفرق النصارى واعتقاداتهم المختلفة انت اعلم بها فلا نطيل الكلام بذكر مذاهبهم وفرقهم وبالجملة فالنصارى اجهل الناس بالمعقول والالهيات والكفر اما كفر انكار وهو انه يكفر بقلبه ولسانه واما كفر جحود وهو ان يعرف الحق بقلبه ولا يقر بلسانه واما كفر عناد وهو ان يعرف بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين به وكفر نفاق وهو ان يقر بلسانه ولا يعتقد بقلبه والجميع سواء في انه من لقي الله تعالى بواحد منهم لا يغفر له فقد بان لك ان اهل الكتاب لا يقال فيهم مشركون وانما يقال لهم كفار فان الكافر اسم لمن لا ايمان له بمحمد وبما جاء به من الشرائع والاحكام ومن اخفى الكفر واظهر الايمان فهو المنافق وان طرأ عليه الكفر بعد الايمان فهو المرتد وان كان متديناً ببعض الاديان والكتب المنسوخة فهو الكتابي وان قال بقدم الزمان والدهر ونسب الحوادث له فهو الدهري وان كان لا يثبت الباري تعالى فهو المعطل وان كان يجعل مع الله الهاً آخر فهو المشرك وشريعة محمد عليه السلام نسخت الشرائع المتقدمة كلها فلا يقبل الله تعالى ديناً اليوم من احد ولو عبد الله تعالى بعبادة الثقلين الانس والجن الا من عبد اتباعاً لمحمد عليه السلام

﴿ ذكر مرضه ووفاته وما يتعلق بهما ﴾

نشأ الامير في صحة كاملة وعافية شاملة لم يتغير عليه في ايام شبوبيته وكهولته شيء

من قوته ولا من احواله ثم عرضت له امراض حال شيخوخته فتلقاها بقوة القلب وحسن الصبر ولكثرة الادوية وتعاقبها مع اختلاف موادها حدثت له امراض اخرى من اشدها ما اخبرني به اثناء اقامته الاخيرة في قصر دمّر ان من جملة امراضه ورم في خصيتيه يمنعه من الاسراع في المشي وانه عازم على عرض ذلك على طبيب خبير بفن الجراحة فاحضرت له جماعة من الاطباء فاخرجوا ما فيها من الماء ثم عرض لي سفر مع والدتي الى بيروت لقضاء فصل الشتاء فيها وفي آخر المدة بعث يامرني بالرجوع فوجدته متغير الاحوال متلاشي القوى واشد ما كان عليه وقتئذٍ حصر البول فاحضرت له طبيباً من بيروت عالماً بفن الجراحة مشهوراً فعالجه وحصلت له بعض الراحة ثم رجع الامر الى ما كان عليه ولما اشتد الالم احضرت جماعة من اطباء دمشق يتناوبون معالجته صباحاً ومساء ومن تعطفه عليّ وتوجهه بالرأفة والحنان اليّ انه كان في هذه الاحوال الشديدة لا يتناول دواء الا من من يدي ولا يقبل علاجاً الا بحضوري وان قيل له في استعمال شيء او تركه يستشيرني فيه واذا كنت غائباً يؤخر الجواب عنه الى ان احضر وهكذا في شأنه كله حتى انه اذا عرض عليه تغيير قميصه لا يجيب الى ذلك الا باطلاعي وهذا من فضل الله عليّ ومنته ومع ما كان يقاسيه من شدة الالم و يعانيه في معالجته لم يظهر ضجراً ولا رأيته تاوّه قط ولا ترك الصلاة في وقت من الاوقات وفي آخر مرضه كنت اجمه وكان قليل الكلام الا فيما يخص مرضه واستمر الاطباء يترددون عليه و يعالجونه خمسة وعشرين يوماً الى ان دعاه مولاه الى سعة رحمته ونقله الى فسيح جنته في الساعة السابعة من ليلة يوم السبت التاسع عشر من رجب سنة ثلاثمائة الف والرابع والعشرين من ايار سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة فلم يشعر الناس الا والصياح قد قام والعويل عم الخاص والعام فيا لها من ليلة سوداء شقت فيها الجيوب وكادت تنفطر من شدة هولها الاكباد والقلوب و يا له من مصاب اصطكت له الاسماع وارتجت به الاضلاع وفي الحال شاع خبره ونقلته الاسلاك التلغرافية الى سائر الاقطار ولما تعالى النهار حملناه الى دارنا في البلد فاهتزت دمشق بعموم اهلها كدراً وتقاطر الناس الينا زمراً زمراً وبعد تجهيزه والصلاة عليه في جامع بني امية حملت جنازته الى الصالحية يحفها سائر علماء البلد واشرافها وحكامها وخرج اهلها على اختلاف مللهم ونحلهم فلم يتخلف كبير ولا صغير عن تشيعها وصفوف العساكر السلطانية من حولها ودفن عند الشيخ الاكبر سيدي محيي الدين بن العربي داخل القبة دفن والاحشاء محترقة والاجفان بماء عيونها غرقة والمكارم تبدي شجوها لفقده والمحاسن تعثر في

استحال حدادها من بعده وفنون العلم تلطم خدودها وافانين المعارف تشق برودها

والسالكون سطت عليهم حيرة | وغوى لهم نهج وضل سبيل
والعارفون تنكرت احوالهم | فحجاب عين قلوبهم مسدول

فما اعظمه مفقوداً وما اكرمه موجوداً اتعب في حياته المادحين واطال بموته بكاء الباكين وبكاه الفضل والكرم وندبه السيف والقلم وركب على الاعناق بعد العتاق وعلى الاجياد بعد الجياد وعد مثابه في الاسلام ثلمة وفقد منه في العالم من كان يدعى لكل ملمة فانا لله وانا اليه راجعون تسليماً لقضاء الله واذعاناً لما حكم به وامضاه وقد كتب على شاهدة الضريح تاريخ وفاته الاديب الشيخ عبد المجيد الخاني وهو .

لله افق صار مشرق دارتي | قمرين هلاّ من ديار المغرب
الشيخ محيي الدين ختم الاوليا | قمر الفتوحات الفريد المشرب
والفرد عبد القادر الحسني الامير | قمر المواقف ذا الولي ابن النبي
من نال مع اعلى رفيق ارخوا | اذكى مقامات الشهود الاقرب

وفي ثاني يوم الوفاة اجتمع الاخوة والقرابة للمذاكرة فيمن يجمع امرهم ويلم شعثهم ولاول وهلة اتفقت كلمتهم عليَّ ووجهوا الرئاسة اليَّ واعطوني صفقتهم واظهروا لي طاعتهم ثم اجتمعوا مرة اخرى ووضعوا ايديهم على المصحف الكريم وحلفوا به رافعين اصواتهم انهم لا يخالفون كلمتي ولا يتجاوزون حوزتي وكتبوا في ذلك صكاً شرعياً امضاه كل واحد منهم بخطه ثم ختمه بختمه ونص الصك المذكور

الحمد لله الذي بيده التوفيق الى اقوم طريق والصلاة والسلام على من اختاره الله تعالى من خير فريق وآله واصحابه اولى الصدق والتصديق اما بعد فالذي وقع عليه اتفاقنا واجتمعت عليه كلمتنا بطواعية واختيار منا ونحن بالاحوال المعتبرة شرعا انسا عموم العائلة نقول بل قلنا ونطقنا بقول واحد ونطق متحد حسب ارادة مولانا المرحوم سيدنا الامير عبد القادر قدس الله سره المتكررة شفاهاً والمدونة بخطه الشريف ان سيدنا واخانا الكبير سعادة الامير محمد باشا هو حاكمنا والمتصرف فينا ولنا بما يراه صالحاً لنا ولاولادنا وجميع من يتعلق بنا وسائر لوازمنا يتوصل به الى قضاء حوائجنا هو منوط به وراجع اليه بحيث لا نظر لنا في ذلك ولا مداخلة بنوع ما والذي يراه حسناً لنا فهو الحسن والذي يراه قبيحاً لنا فهو القبيح لدينا واقمناه في ذلك كله مقام سيدنا ومولانا قدس الله روحه العزيز وكل من شذ منا وسولت له

نفسه الخروج عما وقع عليه الاتفاق واجتمعت عليه الكلمة فنحن برآء منه ظاهرًا و باطنًا وقولاً وفعلاً وبالجملة فنحن جميعًا يكون حالنا مع سعادة سيدنا المذكور كحالنا مع سيدنا ومولانا المرحوم رضي الله عنه ومن بدّل او غير او سعى في التبديل والتغيير فنحن مازمون برده الى السواد الاعظم والى ما اجتمعت عليه كلمتنا وسطرناه في هذه الورقة واشهدنا به على انفسنا وعلاوة على ذلك اننا نسأله تعالى ان ينتقم منه لمخالفته لنا في نفسه واولاده وماله وعياله وعلى هذا وقع الاتفاق وحصل الاشهاد وبالله تعالى التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل لا رب غيره ولا خير الا خيره حرر وقرر في يوم الاحد الواحد والعشرين من شهر رجب سنة ثلاثمائة والف

ابراهيم بن عبد القادر الحسني الهاشمي محيي الدين بن عبد القادر الحسني محيي الدين ابن مصطفى الحسني احمد بن محيي الدين الحسني محمد مرتضى الحسني محمد بن الحسن ابو طالب الحسني عبد العزيز الحسن ابو طالب الحسني عبد القادر بن ناصر عبد الباقي بن محمد سعيد الحسني علي بن الامير عبد القادر الحسني احمد بن الامير عبد القادر الحسني عبدالله بن عبد القادر عمر بن عبد القادر عبد الرزاق بن عبد القادر عبد المالك بن عبد القادر علي بن فريحة محمد بن فريحة احمد بن فريحة

فقبلت منهم ما اتفقوا عليه وجعلت انظر فيما يصلح بهم في مستقبلهم ورفعت امرنا الى الوالي احمد حمدي باشا فاظهر من لطفه وانسه ما ملأ القلوب مسره والصدور حبره وانهى في امرنا الى الاعتاب السلطانية وبينما انا انتظر الفرج والخروج مما وقعنا فيه من الحرج اذ انقضّ بعض اولئك الاخوة عليّ وفوقوا سهام العداوة اليّ واظهروا الخروج عن تبعيتهم للدولة العلية وعدلوا عنها الى الدولة الفخيمة الفرنساوية واصبحنا على غير ما امسينا عليه اغتباطًا لا لعلة بل خالف تعرف. ولما تعين لنا من احسان الدولة العلية ما تعين وجاءت البشرى به بعث الوالي الينا وبشرنا بذلك وامرنا باجتماع الكلمة والرجوع الى ما وقع عليه الاتفاق اولاً وبصحة التمسك باذيال الخلافة الاسلامية العثمانية نظرًا لوجوب طاعتها والاذعان لها شرعًا ولتعطفها علينا واحسانها بما احسنت الينا فما التفتوا الى ذلك بل اصرّوا على ما هم عليه من الخلوص لتلك الدولة ولما علمت صدقهم في التمسك بها والانتساب اليها عينت لهم مرتبًا كافيًا وتميز الفريقان وعلم كل اناس مشربهم وبلغوا مما قصدوه مأربهم وكان الوالي اخر قسمة ما رتبته الدولة العلية للعائلة منتظرًا بذلك فيئة الجماعة والعدول عما هم عليه ولما يئس منهم عين لي ولمن تبعني من الاخوة والقرابة واعيان المهاجرين ذلك الرتب وبالجملة فقد اوردتنا الدولة العلية موارد كرمها

وافاضت علينا سجال انعامها ولما انتشر خبر البشرى بانعام الدولة العلية علينا انتدب اعيان ملل دمشق لكتابة عرض محضر يشتمل على اداء الشكر وصالح الدعاء لحضرة سيدنا ومولانا امير المؤمنين وقدموه لدولة الوالي وهو رفعه للمقام العالي فحاز القبول ثم ابتدر المهاجرون الجزائريون الى المثول بين يدي الوالي وقدموا له شعائر العبودية مع عرض محضر التشكر والدعاء على نحو ما كتب اهل دمشق فاكرم وفادتهم واحسن مواجهتهم ولما استكشف امرنا ووقف على حقيقة صدقنا شملنا بانظاره واغنانا في نجاح مقاصدنا عن غيره فتغمده الله برحمته والحقه باهل جنته وادام ايام مولانا السلطان الاعظم والخاقان الافخم امير المؤمنين السلطان الغازي عبد الحميد خان الى آخر الدوران امين

﴿ ذكر رسائل التعازي والمراثي ﴾

لما وقع الامير في قبضة المرض · وعرض له من شدائده ما عرض · شاع امره · وبلغ الملوك واعيان العالم خبره · فلما انتقل الى سعة عفو الله نعيته بالاسلاك التلغرافية للذين كانوا يترقبون ما يبلغهم عنه فوردت عليَّ منهم اجوبة التاسف والتعزية بالتلغراف وهي وان كانت متقاربة اللفظ والمعنى اقتضى المقام اثباتها بحروفها

﴿ فنص جواب الصدر الاعظم سعيد باشا ﴾

اخذت تلغرافكم بخصوص وفاة والدكم فاوجب لدى الحكومة السنية غاية الاسف فنعزيكم ونبلغكم ان تعطفات الحكومة السنية الجليلة ستدوم في حق عائلتكم كما كانت

« ونص جواب وكيل فراشة امير المؤمنين في الحجرة النبوية »
﴿ السيد احمد اسعد افندي ﴾

خبر وفاة السيد والدكم موجب الاسف العظيم اعزي العائلة واتوسل الى الله تعالى ان يلهمكم الصبر

﴿ ونص جواب الاستاذ الشيخ محمد ظافر المدني ﴾

المصاب جليل والصبر احمد نعزي كافة العائلة ونرجو لكم بلوغ المأمول

« ونص جواب الاستاذ شيخ السجادة القادرية ونقيب الاشراف ببغداد »

❋ السيد سلمان افندي ❋

صبر جميل والله المستعان على ما جرى به القضاء بوفاة السيد الوالد الامجد المبرور فانها مصيبة اربت على جميع المصائب وحلت منازل الاشراف بجموع النوائب فجرت الدموع من العيون كالعيون انا لله وانا اليه راجعون احسن الله عزاكم ورحم والدكم ورزقكم الصبر وعظم لكم الاجر واقرَّ بكم عيون المجد وجعلكم كما نؤمل فيكم خير خلف لخير سلف

« ونص جواب الاستاذ شيخ السجادة الرفاعية ونقيب الاشراف بحلب »

❋ اليسد ابي الهدى افندي الصيادي ❋

اخذت تلغرافكم المعلن بارتحال والدكم الاكرم الى دار النعيم فطالعته بغاية الحزن واني ابتهل الى الله تعالى ان يحسن لذاتكم الهاشمية ولجميع العائلة العالية الصبر والثبات على هذا المصاب

❋ ونص جواب رئيس الجمهورية الفرنساوية ❋

ان الاخبار الاخيرة التي بلغتنا عن صحة الامير والدكم جعلتنا ننتظر النهاية المكدرة التي آلت اليها واخبرتمونا انتم بها الان بتلغرافكم فنحن مشتركون معكم في الكدر الملم بكم وفي حزن سائر العائلة فينبغي ان تصدقوا بما نحن عليه من الميل اليكم والاهتمام بكم كما اننا نعتمد على اخلاصكم

❋ ونص جواب وزير خارجية فرنسا ❋

علمت مع الاسف الكثير وفاة والدكم الشهير وفرنسا تشترك معكم في اظهار الحزن العمومي الذي احاط بالمسلمين والمسيحيين معًا اشكركم على التعريف بالواقع واعتبر علامات التعلق التي اظهرتموها كدين باسم فرنسا

❋ ونص جواب سفير فرنسا في الاستانة العلية ❋

انني اشترك معكم كل الاشتراك بالكدر الذي المَّ بكم وبالاحزان التي حافت بعائلة

الامير عبد القادر الذي طالما سلك مع فرنسا بطريق الشرف واعد نفسي سعيداً بكوني اهديكم السلام كوارث واقدم لكم الشكر على ما اظهرتموه من علامات المودة لحكومة الجمهورية التي ساعرب لها عن ذلك واما صداقتي الشخصية فمحفوظة لكم

ونص جواب وزير خارجية انكلترا

وصلني تحريركم المخبر بوفاة الامير والدكم فاؤكد لحضرتكم ان هذا الخبر قد كدرني جداً وجعلني اشترك معكم ومع عائلتكم في هذه الخسارة ولي الشرف في هذا الاشتراك

ونص جواب وزير خارجية هولاندة

ورد عليَّ تحريركم الذي تفضلتم فيه بالافادة عن وفاة والدكم الامير الشهير فلذلك بادرت باشتراكي معكم في الحزن على مصاب والدكم العزيز واطلب لكم طول العمر والنجاح وارجو قبول احترامي لكم

ثم تواردت علينا مكاتب التعزية والمراثي من سائر الاقطار اثبتنا منها هنا ما وقع عليه اختيارنا اقتصاراً واختصاراً . فمنها مكتوب الوزير الشهير خير الدين باشا الصدر الاسبق . ونصه المقام العلي النسب . المرجو من هلاله ان يكون بدراً كاملاً في سماء المجد والحسب . السيد محمد باشا اكبر انجال الامير . سيدي عبد القادر الشهير افاض الله تعالى عليه الصبر الجميل

اما بعد السلام فقد احزننا النبأ العظيم الذي لا محيص عن تلقيه بالقبول والتسليم من ارتحال المرحوم السيد والدكم فيا له من خطب كدر النفوس والله تعالى المسؤول ان يجزل ثواب آله ومحبيه على فقده ويجعل عقد بنيه على احسن انتظام من بعده ودمتم كما رمتم والسلام

ومنها مكتوب المشير جميل باشا ابن نامق باشا ونصه . حقاً اقول انه قد دهمني تأثير عظيم . لما طرق سمعي خبر وقوع الامر السماوي الذي اجرى حكمه المحتوم . في بيتكم العالي وقد حل في قلبي فملكه . وربط لساني فمنعه . وتاكدوا سعادتكم انني لست ابالغ بهذا القول ومن ثم كان سكوتي حتى الان عن ايفاء سنة التعزية خلافاً للروابط القلبية هو امر غير اختياري وهو من جهة مطابق لقول ورد في الحكم لا وسيلة لزوال الغم عن القلوب . غير التزام الصمت عند شدة الكروب

وحيث كانت درجة اشتياق عاجزكم القلبي الى سراج مجلس الوحدة كما هو معلوم لدى سعادتكم فاتمنى ان تتفضلوا وتحكموا بانني صادق الجنان وبذلك اكون اول قائم بالتعزية التي اقصى آمالي بها الحصول على تسلية من قبلكم بسنتها وان تتيقنوا ان هذه الآمال هي التي كانت شاغلة من جهة اخرى ايضاً للبال فهذه لعمرك هي بواعث السكوت فانظروا سعادتكم كيف تأثيري وما فعل بفكري ووجداني ولقد علمت الان بوجوب تلقي حكم الله تعالى هـذا بالقبول والرضاء فانتبهت وتيقظت من غفلة تلك الدهشة المظلمة وقمت متفقدا مهام مأموريتي مبادراً لاجراء مقتضيات الاخلاص غير ناظر الى كون الاتيان بذلك البحث يزيد في غمي وكدري واني اختم قولي بالدعاء بوقاية آل بيتكم الكريم من كافة الاكدار وهم محفوفون بالعافية والسرور ما دامت تلك الروح المقدسة الراجعة الى ربهـا آمنة مطمئنة راضية مرضية متلذذة بالنعيم المقيم متنعمة بتجلي الجمال من المولى العظيم والارادة لحضرتكم افندم

ومنها مكتوب السيد اسعد افندي وكيل فراشة امير المؤمنين ونصه

بعد ازكى التسليم واسنى التكريم قد ورد لمحبكم ما كدر خاطره من وفاة علامة الاقران ونادرة الاوان من كان كالبحر لا تكدره المسائل ولا يزحزحه عن مرتبة الفضل قول قائل والله يعلم ما عندي من الاسف ولا ينفع الا التسليم لقضائه والرضا ببلائه والصبر على هذا المصاب الذي ملاء الفؤاد ارتياعاً وتطير له القلوب انصداعاً وهذه سبيل درج عليها الاول والاخر وقضية استوى فيها الضعيف والقادر وغير خاف جناب سيادتكم ان جوار الله خير من جواره وان الدار الاخرة خير من داره ثم بعد ثاني يوم وفاة المرحوم وصل تلغراف لولي النعم بوفاته وعند العرض عليه كنت حاضراً وقرأ ولي النعم الخبر بانتقاله فحصل له غاية الاسف وبدأ بالدعاء له وقرأ الفاتحـة واهداها الى روحه الشريفة وبدأت اصف مناقبه الشريفة وهو يتحسر على فقـده وكذلك وصفت له سيادتكم والانجال الكرام فربنا يجعلكم خلفاً باقياً فاتحيين موضعه ولا يغلق لكم باباً هذا ما لزم مع تبليغ سلامنا على اخوانكم الكرام فرداً فرداً وبلغوهم مني العزاء ولا زالت اياديكم الكرام مبذولة على الدوام ودمتم في عز وسرور ونعم حبور (ومنها) مكتوب ابن عمنا العلامة السيد الطيب بن المختار بعثه من محل اقامته في القطر الجزائري ونصه

هذا هو الرزء لا الرزء الذي غبرا   فليتني كنت قبل اليوم تحت ثرا

هـذا يغم جميع الخلق قاطبةً سيان من غاب منهم عنه او حضرا
انساني فقد امير المجد فقد اخي محمد ومصابي جلّ بل كبرا
لم تبقَ لي رغبة في العيش بعدك يا فخر الملوك وختم السادة الكبرا
يا عين ابكي دماً يا قلب مت كمداً يا لهف نفسي عليهِ سيد الامرا
فلو رايت بنات العم سافحة دمع العويل على صفح الخدود جرى
اما انا فعدوُّ الدين يرحمني فسل خلي الحجى عن حالي كيف جرى
يحق لي قتل نفسي لو وجدت لهُ وجهاً و يرحم ربي مسلماً عذرا
فلا كثكلي في الايام من احدٍ من اجل ذاك فقدت السمع والبصرا

جل الخطب وعظم المصاب ٠ واستحكم الامر وتعددت الاسباب ٠ فخرس اللسان وفارق مقره الجنان ٠ وشل الذراع ٠ وتبدلت الطباع ٠ فالحال غير الحال وانا غير انا اشكو بثي وحزني الى الله ٠ وحقيق على العبد ان يفزع الى مولاه ٠ ربنا افرغ علينا صبرًا ولا تحرمنا مثوبة واجرًا اما بعد فيا سيدي ومولاي المقصور عليه بعد والده رجائي ومناي الامير الاسعد ٠ والامام الامجد ٠ سيدي محمد ٠ ويا ثاني الاميرين واصغر الشقيقين ٠ واقرب المحبين ٠ واحب الاقربين ٠ سيدي ومولاي محي الدين ٠ ويابنت عمي وعمتي ٠ وخل شقيقتي ٠ المشهورة بالحنانة والمعروفة بالديانة والصيانة التي ما قصرت عن بلوغ درجة الرجال الكاملين ٠ ولا وقفت دون غاية امهات المؤمنين ٠ في معرفة الصواب وحسن السمت سيدتنا ومولاتنا الست ويا بقية الاولاد عموماً من غير استثنا موالينا ذوي الالقاب الرفيعة والكنى اني والله لا اجد وجهاً لتعزيتكم ولا مساغاً لتسليتكم اذ لم يصب احد بمصابنا فنكون به نتعزى مع اشتراك المعزى اذ ذاك في المصيبة والمعزى فلا ادري اعزي نفسي ام اعزيكم اسليها ام اسليكم وان كان نفي من وبمن فانا لله وانا اليه راجعون كلمة يعتمد عليها اهل المصيبة العارفون نعم بكل اعتبار وعلى كل حال وان تعذر سبيل العزية وضاق المجال نعزي خلافة مولانا الامير الكبير ونائبه في مراعاة الحقوق وحسن التدبير الامير الاوحد سيدي ومولاي محمد اسعد الله ايامه واعلى مقامه ونشر في سماء السيادة الاميرية بنوده واعلامه فليتعز سيدي بسيد الوجود في ايجاد كل موجود النبي العربي القائل من عظمت عليه مصيبته فليتذكر مصيبته بي فحبذا من تلقى قوله بالقبول واطاعه وقال لامره سمعاً وطاعة اعزيه وانا هنا اعزى وان كنت لا ارى من يتعزى ولا من اتعزى لعدم المثل واستحالة وجود الشكل ثم ارجع واقول

انا معزوك لا انا على ثقة من الحياة ولكن سنة الدين

فلا المعزى بباق بعد ميته   ولا المعزي وان عاشا الى حين

وينبغي ان يختم الكلام بما يناسب ان ينتظم في هذا النظام لنسبة المقام بالمقام بيتين توأمين عزى بهما بعض العرب المتقدمين والحكماء الاولين سيدنا عبدالله بن عباس وقد جلس للناس برسم التعزية وانفرد لهم بعائية وهما

اصبر نكن بك صابرين فانما   صبر الرعية بعد صبر الراس

خير من العباس صبرك بعده   والله خير منك للعباس

وكان هذا العربي هو آخر الناس في تعزية ابن عباس فرجع اليه بهما فكره وقال والله ما عزاني احد غيره فعذراً سيدي فالحال لا يخفى عليك وما انا فيه غني انت فيه عن شرحه وكان اعتقادي انه ليس في الامكان وجود مصيبة تنسيني مصيبة اخي وشقيقي وانيسي ورفيقي حتى فاجاني خبر سيدي ومولاي شهد الله علم الله لو وجدت ان افديه بنفسي لفعلت والى الان فنرجو من الله ان يرزقك عنايته وان يورثك مقامه وان تكون لنا كما كان لنا ويديم عزك وعلاك ويحرس سناءك وسناك والسلام

ومنها مكتوب الفاضل الشيخ مصطفى الامام

ونصه الى حضور سيدي وفخري وابن سيدي وسندي ومولاي وذخري صاحب الشان السامي الشامخ والشرف الرفيع الباذخ الذي ذلت له الراسيات الشوامخ وزانت بمدائحهم الآيات البينات الرواسخ التي لا يرد على بنيانها ناسخ مشيد مباني اركان المكارم والمعالي المقدم في نتائج الفضائل وغيره التالي الامام الذي اقتدى به علماء الامصار واهتدى بعلومه الحيران من الاولياء والانصار واقتبس من مشكاة نوره خواص اولى الالباب والابصار احيا الله به معالم العلوم الدارسات فملكها والملك لمحيي الاموات كان رضى الله عنه بعيد مسافة العزم رابض الجاش شديد الحزم كما قيل لو شاهدته عيون النجوم جرت في التربيع سعداً او صافحته راحة الغمام امطرت كرماً ونجداً احاديث المكارم عنه تروى فتشفى بها المرؤة على شدة ظمائها وتروى

والناس كلهم لسان واحد   يتلو الثناء عليه والدنيا فم

له قدس سره في كل شرف فخر ملي وفي كل فضل ومجد قدم علي عرف عبير عطر عرفانه عطر المعمور وشرف شذا مسك نشر شمائله في الافاق مشهور بصوت صيت صداه طار باجنحة المدح والحمد في سائر الاقطار فكم سعى حاج لكعبة عرفانه من اولى البصائر وكم سعد في حرم حمايته من القى السمع وهو شهيد حاضر الضمائر حيثما اضاء

بطلوع طلعته نور الصباح وانفجر فتفجرت عيون الحقائق وفتح الفتاح فنادى معلم علوم عرفانه حيّ على الفلاح فقامت اكابر العرفاء خلفه صفوفاً صفوفاً وظلت اعاظم العلماء والفضلاء بسدته عكوفا وبينما هم في اطيب وقت واكمل حالة يتمتعون حسنه واحسانه وجماله نادى منادي العظمة والجلالة السلام عليكم يا اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة هذا هازم اللذات الفانيات ومفرق الجماعات والباقيات الصالحات فلقد فرق جمعنا وافزعنا فراقه مع انه امن من الفزعات ولقد تكدر ذلك الصفا وعظم به والله المصاب وقلنا على الدنيا العفا

عظيم مصاب مقعد ومقيم | له كدرٌ بين الضلوع مقيم
ونازح خطب حارب الصبر والكرى | فاصبح كلٌ وهو عنه هزيم
وحكم اذل الفضل عند اعتزازه | واوهى لركن الدين فهو سقيم
الا انما عين المعالي غضيضة | وان فؤاد المكرمات كليم
اقامت على قبر الرضا عاطر الثرى | سحابٌ ورضوانٌ ثم نسيم
الى ان يعود القبر انضر روضة | بها النبت شتى يانعٌ وجميم

وحينما فاقت من سكرتها بعدما خنقت بعبرتها تذكرت بعدما تنكرت ووجدت فشهدت وانشدت

ما بال ايدي النائبات تخونُ | وتديم رصف المجد وهو رصين
يا دهر لا عتبى عليك ولا رضى | كل المصائب بعد ذاك تهون
تعد الورى البؤسى فتسرع صدقها | واذا وعدت بما يسر تمين
لو كان يجدي النوح ميتاً قبله | نفعاً لناحت اعصرٌ وقرون
يا واعظاً بسكونه حركاتنا | ولانت بالوعظ المفيد قمين
امسى ضجيع الرمس الا انه | في قلب كل موحد مدفون
حفتك رحمة ذي الجلال وعفوه | وسقى ثرى جدث حواك هتون
وسرت محاسن ما صنعت حواملاً | حسن الثناء يحثها التامين

ولما احس قلب المشتاق بعظيم الم المصاب وحرقة الفراق بعد ما صحا موجداً فصاح مفصحاً ومنشداً

لم انض من يوم الفراق شؤني | نقضيت ان لم اجر ماء شؤني
اجود بالنفس النفيسة فيهم | واشح في شأني بدمع عيوني
ما للفؤاد يطيعني شغفاً بهم | وعن التصبر عنهم يعصيني

وادرت طرف العين نحو ديارهم ... فقضت علي بانة وحنيني
وتنكرت بعد التعرف واغتدت ... كمثال شك لاح بعد يقين
فالعين تنكرها افرط عفائها ... والقلب يعرفها بحل العين
وسالتها عن جيرة كانوا بها ... زمنًا ثووا في ربعها المسكون
فاستعجمت واجاب عنها حالها ... ولرب حال للجواب مبين
غربت بدور منزلي من افقها ... وغدت وراء الترب ذات كمون
وتقوضت مني قباب فضائلي ... لما انتهى للحي محيي الدين
مولاي عبد القادر الحبر الذي ... احيا العلوم وفات فخر الدين
نسل التهامي المصطفى ماحي الردى ... مردي العداة بسيفه المسنون
رب المعارف والعوارف تالك لل ... باغي العلوم وتالك المسكين
بحر تدفق بالعلوم اذا طمت ... امواجه اغرقن كل سفين
ادب كمثل الروض رف نباته ... غب الحيا من وقع كل هتون
اسفي على من فض عقد نظامه ... فنثرت من عيني در جفوني
عبثت به ايدي المنون فقطعت ... اسلاك ذاك اللؤلؤ المكنون
حتى ثوى في الترب تحت صفائح ... فعلمت حقًا انه من طين
بكرت على جدث له وسمية ... ذات ارتجاس بالحيا ودجون
تزجى ركائبها حداة جنائب ... بسياط برق مع رعود الجون
فسقى اصول مكارم تحت الثرى ... بسقت لنا زمنًا فروع غصون

قال تعالى لنبيه الصادق المامون انك ميت وانهم ميتون فانا لله وانا اليه راجعون تسليماً ان له الخلق والامر فقد والله اشتد كربنا حتى اطار قلبنا وضاعف المنا وصبرًا على هذا المصاب الذي اعقب القلب حزنًا مدى الاحقاب وانتم اهل بيت يتلقى امر الله بالتسليم ويلقى الخطوب الصارعة بقلب سليم ولولا ان التعزية سنة مشروعة وطريقة متبوعة لما اوردنا هذه المقالة ولا ابتدأناكم بهذه الحالة فلله الخلق والامر وليس علينا الا الصبر والاجر ونساله تعالى ان يجعلكم خلفاء بعده في كل فضيلة ومقام بجاه جدكم اكرم الرسل العظام ونسالكم ان لا تنسونا من مكاتباتكم فانا نرجو منكم ما كنا نرجوه من حضرة سيدنا وسيدكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته اهل البيت انه حميد مجيد هذا وارجو من شيم المكارم ان يكون كتابي هذا بالخصوص اليكم وغب ما تتلونه يكون منكم كرمًا

وجوداً لجميع ابناء سيدنا وولي نعمتنا تقرؤنه على كافتهم وتقون عنى بابلوغ تعزيتي هذه اليهم باجمعهم وان يكن من المعلوم ان اللائق تخصيص كل منكم بكتاب ولكن قسماً برب الارباب اني كتبته والقلب في غاية الحزن والاكتآب ودموع العيون تجري بانصباب وقسماً به تعالى من حينما سمعت هذا الخبر اصاب عيني شيء ما عهدته والى حدّ تاريخه أهو رمد او غيره ما عرفته فاسأله تعالى ان يتمم بالخير و يصرف عن عيوني هذا الضير انه القدير ودمتم

﴿ ومنها مكتوب العالم الفاضل الشيخ ابراهيم الاحدب ﴾

ونصه احمد من لا يحمد على المكروه سواه ولا يلجاء عند المصيبة بغير حماه واصلي واسلم على من عظمت بمصابه الرزية وعمت بفقده الارزآء عموم البرية وعلى آله الذين اشتدت بهم النوائب وصحبه الاولى اصابت بهم الاسلام سهام المصائب اما بعد فقد راع الخطب فؤاد المعالي وقرع الكرب هام العوالي واطلق العبرات وفجاء الانفس بالحسرات بفقد الامير الجليل والسيد لذي وجه عرفه جميل حامي حمى الاسلام وسيد من سما من ابناء سام غوث الطريد وخلف القصيد ومنتجع الآمال ومحط رحال الاقبال ومفزع من راعه زمانه وعدا عليه سلطانه ونابه نوائب الدهر وانصرف عن حاجاته عمرو المولى الذي اعتز جنابه واطردت كلرتع انسابه وطوقت كل انسان اياديه وغدت نحو كل طالب غواديه وطافت صلاته بعوائد لطائفه وتكر من الفقر من تعرف بطيب عوارفه سيدي المعروف وغوث كل ملهوف وحصن الدين الحصين ونقاب عصابة المسلمين من فقد بفقده الصلاح والورع وقرع كل هام مصابه وصدع فلقد اجرى عبرات الشؤن واوجب نزع دماء القلوب من العيون وزلزلت الارض بما صدم واسودت الدنيا بما من الظلام هجم وارتاعت الامة بما ناب من الاهوال والقى عليها من الهموم الثقال فشقت القلوب فضلاً عن شق الجيوب فكم قلب مملوك للاسى وعين جارية ونفس تسيل بنار في الاحشا ورية ولسان اعتقل من فرط العويل وسمع اصم بوقع هذا الخطب الجليل وهيهات ان تقوم جوارح انسان بواجب ندبه المشروع وحمول رزئه الذي هو على كاهل كل شريف موضوع فانا لله وانا اليه راجعون هذا قضاء ما كان بعد النبي الاعظم مثله ولا يكون قد عظم به الامر ولا بقى من هوله حصن صبر ولولا التأسي بمعاليكم من بعده لذاب كل فؤاد من الاسى على فقده فانكم تحيون رسوم

المكارم وتنيرون من شهب انواركم المعالم وتعيدون ما اندرس بالمصائب وانطمس بصدقه النوائب فيتروّح الفقيد بارواح انسكم ويستضيء بانوار شمسكم جادت ايدي الغوادي ذلك التراب الطيب وانهل عليه من سحب الرحمة والرضوان كل صيب وحفظكم الله بالطافه الخفية ولا غمزت قناتكم من عوادي الدهر رزية والقى عليكم الصبر وضاعف لكم بهذا المصاب عظيم الاجر وجعلكم في امن من الاسواء وحصن حصين من طوارق الارزاء آمين

﴿ ومنها مكتوب الاديب السيد حسن افندي بيهم ﴾

ونصه بعد تقبيل اذيالكم نعرض انه لقد دهمنا الخبر الذي لم يبق بنا اثرا بعد عين ونعى لنا البين فقد ركن الملة والدين وعماد المسلمين وحامي حماهم ملجاء الفقراء وكهف اللائذين سيادة الوالد الذي سرى الى رحمة ربه ورضوانه فكان يوم وفاته علينا يوم المحشر ومصيبة الجميع بسيادته الهول الاكبر نقدت منا الحواس وهد ركن اصطبارنا وقوانا وشقت منا القلوب واسودت الدنيا في وجوهنا وهطلت الدماء من اعيننا فابيضت من الاحزان وكيف لا نبكي من كان للدين قواماً وللملة حامياً ولاهل الفضل والصلاح اماماً وكيف لا نحزن على غياب شمس الوجود والفضائل والكرم وحسن الشمائل عين الكمال وتاج الايام وسيد الخاص والعام وركن المجد وفخر الاسلام اي فلم يستطيع على وصف ما نابنا من الاسف الشديد والكدر الذي ما عليه من مزيد اي لسان وبيان يقدر على استيفاء ما خصه الله به من الكمالات واولاه من المكرمات انا عنه لقاصرون فوا مصيبتاه وواسفاه على هذا الخطب الجسيم والمصاب العظيم انا لله وانا اليه راجعون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وهذا شان هذه الدار الفانية افرغ الله عليكم وعلى المسلمين الصبر الجميل واولاكم به الاجر الجزيل والله يجعله من المقربين ويسكنه في غرف الصادقين انه كان من عباده الصالحين وجزاؤهم عند ربهم مغفرة واجر عظيم وحفظ وجود سعادتكم خير خلف لخير سلف واطال للمسلمين بقاكم وبعين عنايته رعاكم آمين

« ومنها مكتوب الاديب الفاضل عباس افندي الايراني »

ونصه ايها الاميران الجليلان نيرا فلك النسب الشامخ المنيع وقمرا الحسب الباذخ الرفيع ادام الله مجدكما وبارك جدكما لقد كلّ لساني وعجزت قريحتي وجناني عن بيان ما

اصاب سلالة العترة الطاهرة خصوصاً والملة الباهرة عموماً لعمرك انها مصيبة تزعزعت منها اركان هذا الشعب المجيد وارتعدت منها فرائص الذين شغف قلوبهم حب ذلك المولى الجليل الفريد و تشتت شمل اهل التوحيد ونقطعت اكباد اهل التفريد والتجريد عندما سمعت منعاة ذلك الامير الوحيد فآه آه عما جرى من مبرم القضاء فضاق به الفضاء الا تلك مصيبة اضرمت نار الجوى في هذه الافئدة والاحشاء وقد اشتدت عواصف البلا وهاجت قواصف القضاء على شان استاصلت الشجرة التي اصلها ثابت في الارض وفرعها في السماء فناحت لها ورقاء البقاء على افنان سدرة المنتهى و يندبها المخلصون بالافق الاعلى فآه آه عما حل وصب وهوى ألا ألا تلك الرزية الكبرى والمصيبة العظمى قد ارتفع الضجيج وعمّ الصريخ والعويل واحترقت القلوب وضجت النفوس واضطرم الفؤاد وذابت الاكباد لما سمع صوت مناد ينعي سيد السادات فآه آه من هذه النازلة التي منها سالت السيول وفاضت الدموع عن اعين اهل الوفاء قد تزلزلت ارض السكون وانفطرت سماء الفنون وانكسفت شمس العلوم واكفهرّت غيوم الهموم وانهمرت مياه الغموم وانطمست نجوم الشرق فتزعزعت به الاركان ووهن العظم من اهل العرفان فآه آه من هذه البلية التي انهدم منها امتن بنيان من الاسلام يا ابني رسول الله وحيانكما ان القلوب قد تأججت فيها الجمرات وتدفقت من الاجفان سيول العبرات والافئدة من هذه النازلة العمياء لفي حسرات ليت شعري أهذه رجفة الرجعى والواقعة العظمى والطامة الكبرى ام ماتم سليل آل الرسول ومنعاة ذرية قرة عين البتول فآه آه قد احاط ظلام الاحزان على شان ناحت القبائل وحنت وانت قلوب الافاضل بما انهدم من ركن الفضائل وانطوى سجل المجد ومنشور الشرق الباهر الذي اتى بخصائل الاوائل فوا اسفا وواحزنا على هذا الفقيد المجيد والركن الشديد والطود العظيم والعلم المبين وحياتكما يا ابني رسول الله لم تكن سلوة لمحبيكم في هذا الفزع الاكبر الا انكما ايها الفرعان الاعليان ترثان فضائل ذلك الاصل الصادع البارع الفريد وتثمران بما يفوح منه روائح نوافح خصائل ذلك الشهيد السعيد ونستعوض ما اقتطفت يد ريب المنون من ايادينا في هذا الكرب الشديد ونسال الله ان يويدكم بتوفيقاته الصمدانية على اقتفاء اثره وآثاره لانكم ورثة مجده وافنان دوحة جده وكواكب افق سعده

«ومنها مكتوب الاديب الشيخ طاهر السمعوني الجزائري وكان وقتئذ في بيروت»

ونصه السيد الذي هو لجد الاسلاف وارث والسند الذي يتعلم منه الصبر عند اشد

الحوادث شريف الامراء وامير الاشراف مولانا وسيدنا محمد الشيم والاوصاف غب الدعاء ببقاء ظلك الوارق الذي يستظل به القاصي والداني ودوام عزك وحصولك على اقصى الاماني يعرض الداعي الذي لم يزل اليكم منسوبًا وفي عداد الصادقين في خدمتكم محسوبًا انه بلغه النبأ العظيم الذي اصم الاسماع واصمى القلوب وحكى حزن الناس وصبرهم فيه حزن يعقوب وصبر ايوب فضاقت عليه الارض وهو يسير في رحبها وودّ ان لو كان في قلبها وهذا امر يشركه فيه الوف الالوف ممن شملهم احسان ذلك القطب الذي سار فضله واحسانه مسير الشمس وصار اليهم احب من المال والاهل والنفس فلم يجد غير حزن القلب ودمع العين والتسليم لمن اختاره ليدنيه في جواره اعلى الحسنيين وقد سلاه ان ذاك القطب قد خلف بك من يقوم مقامه ويحيي مآثره وينشر اعلامه

تاسى بخير الخلق يا مفرد العلا ومن فضله لا يستطاع له حد
فان يكُ مولانا وسيدنا مضى فانك ماء الورد ان ذهب الورد

ومن مكاتيب المسيحيين ما كتبه

« حضرة البطرك الانطاكي الاسكندري ونصه »

لقد انسدل على آفاق هذه الاقطار المصرية الواسعة وشاح الحداد الذي التحفت به دمشق لا بل قد انبسط ذلك الثوب الاسود على جبال وبطاح الجزائر ومصر والشام. فرنسا ايضًا لدى سماعهن السنة البرق تنادي بحلول الخطب الجسيم ونظرهن وجوه الجرائد على اختلاف اجناسها ولغاتها موشاة بشارات الحداد فقد من كان للجزائر ابنا واميرا خطيرًا ولمصر كعبة احترام ووقار وللشام بركة ونعمة ولفرانسا حليفًا امينًا عاقدته منذ اعوام طوال ابدي الوقار والمسالمة اما الامة الاسلامية فقد خسرت به اماما فاضلاً طاهر الذيل ومثالاً حيًا للبسيطة الدينية والامة العربية استاذًا كبيرًا طالما تيمنت ببركة انفاسه واما الامة المسيحية فقد فقدت بشخصه الكريم ملاذا قويًا ودرعًا منيعًا تكسرت على شفاره لوف من السيوف كانت على حياتهم قاضية تذكر له سنة الستين وقلوبها تفيض بالمنة والشكر الجميل والسنتها تنتدى بالثناء الرطب اما نحن ايها الامير الخطير فندع تابين الامير الفقيد رهينة اقلام الجرائد اذ لا طاقة لنا على استيفاء تعداد فضائله وكمالاته ونقتصر على ابلاغ سعادتكم ما الم بنا من الاسف العظيم على هذه الخسارة المرة وبواسطة سعادتكم ننقل الى اعضاء العائلة الحسنية الشريفة الحسب والمجيدة النسب

تعازي مشاركتنا لها في التأثر الشديد من حلول هذا المصاب العظيم الذي اذوى ارومة مجدها الاثيل ونقض رهص شرفها المجيد الحسيب ولقد كانت الآمال قد خابت لو لم تتعلق حبال الرجاء ببقاء من ورث عن الامير الفقيد محبة القوم واعتبارهم وثقة الامة واخلاصها اعني به شخص سعادتكم الكريم الذي جمع شتات الفضل والكرم والنباهة والانس فكان محط الآمال والقيت اليه مقاليد الزعامة على العائلة الكريمة فكان ابهى خلف لابهى سلف نسأل الله الذي كسر القلوب بوفاة الامير المأسوف عليه ان يجبرها بدوام بقاء وحفظ وسعادة واقبال من شخصت عيون الآمال اليه ويصون لفيف العائلة الكريمة النبعتين خلفاء العزآء والفاء الهناء وهو تعالى خير مسئول

﴿ ومنها مكتوب الوجيه خليل افندي الخوري ﴾

« مدير البولتيك والمطبوعات في سوريا »

ونصه لقد شقت المرائر لا الجيوب وانكسرت الخواطر والقلوب للمصيبة العظمى والمحنة الكبرى التي جرحت اكباد العباد ورفعت لوآء الحداد في كل ناد لفقد الهمام الاشهر والامير الابر السيد السند الذي ذاعت محامده بين الملل والامم وعجزت عن بيان اوصافه والطافه السنة القلم والحكم الجليل المرحوم الذي فجعنا به القدر المحتوم انها رزيئة يعظم فيها الاسف وتعم الاحزان ومصيبة تضيق بها الصدور في كل مكان فبماذا آتيكما من التعازي والخطب اعظم وماذا اقول لكما واللسان ابكم لكن ما اشتهر عنكما من الفضل والرشاد والحزم والسداد يسلي البال ويعلق الامال بانكما لا تلقيان بذاتيكما الكريمتين الى مهاوي الحزن والكدر فلا فائدة منهما سوى فرط الحرقة والضرر والتسليم لاحكام المولى هو في كل حال بكما اولى وايُّ سلوة لسعادتكما اعظم من اليقين بان فقيدنا الخطير انما انتقل الى فسيحات الجنان تغمده الله بالرحمة والرضوان وجعل عوضنا بطول عمركما وحفظ وجودكما فخرًا وذخرًا للجميع انه المجيب السميع والتمس عدم اخراجي من دائرة الخاطر الشريف مدى الزمن وفي كل حال لكم الامر والمنن

﴿ ومنها مكتوب الوجيه نقولا افندي النقاش قال فيه ﴾

اما المعروض فالمقام يقتضي ان تفاض فيه العبرات وتصعد الزفرات ونفتت الاكباد وتلبس السواد [و ينذب الفضل ويرثى الشرف ويبكى الكرم ويغمد السيف ويكدم

القلم ويعم الاسف ويلم اللهف على مأمن النفوس ووافي الديار وغوث المستجير وغيث الفقير ومعدن المكارم والعوارف ومخزن الفوائد والمعارف كل ذلك حزنًا وأسى على ذلك السيد السند الكبير الخطير الهام المقدام الشهير المرحوم المبرور والدكم سيدي الامير عبد القادر اذ توفاه الله والناس راجية طول بقاه فكبر الخطب وجل المصاب وكان الخلق في الكآبة عليه سواء لشمول الخسار في كل الديار وعموم البلاء في ايّ الانحاء وما احد يجد من نفسه تجلدًا ولا صبرًا ولا يرى لعين لم يفض ماؤها عذرًا فكيف التقدم لسادتي الامراء الفخام في هذا المقام . أبالتأبين والرثاء فهو يزيد في لظى الحزن والاسى ام بالتأسية والتعزية فهو اجلُّ من ان يؤديها مثلي لمثلكم وعليه فلا يجدر بي الا موالاة الدعاء الى عزة الرحمن ان يتغمد هذا الفقيد المجيد بعزيز العفو والرضوان و يقيكم كل مكروه وحدثان و يلهمكم جميل الصبر وحسن العزاء معوضًا الامة بطول بقاكم ودوام علاكم .

ومنها مكتوب الشاعر الاديب سليمان افندي صوله ونصه

دموعي لا يكفكفها العزاء ... تفيض وكل ديمتها دماء
على ملك عليه الارض ناحت ... وسرت حين حلّ بها السماء

سبحان من هذا المصاب على مراده والصلاة والسلام على خير عباده الذين اعتصموا بسره المكنون واذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اللهمّ انا نسألك بقلب منكسر و بدمع منحدر ونتوسل اليك بانبيائك المرسلين وملائكتك المقرّبين ان تسكب سحائب الرحمة والغفران على حضرة ساكن الجنان وليك الشاكر الصابر الامير عبد القادر وتروّح روحه كل حين بارواح عليين وتلاحظ اشباله الاماجد وامهم السيدة الطاهرة بعين عنايتك القادرة وتحفظهم من سائر الاسواء وتفرغ عليهم احسن العزاء انك اكرم الاكرمين وارحم الراحمين اللهمّ بلوتنا ونحن غرباء وامتحنتنا ونحن ضعفاء فاسبغ علينا الصبر الجميل وامدد علينا ظلال الظليل ببركة ذلك الفيل وانصر انصاره البهاليل الذين سلوا الحسام على اللئام وانقذوا عبادك في حادثة الشام هب اللهمّ لهم اجرًا غير ممنون والطف بهم يوم لا ينفع مال ولا بنون

آمين آمين لا ارضى بواحدة ... حتى اضيف اليها الف آمينا

غب تقبيل اذيالكم الطاهرة والسؤال عن صحتكم اعرض بهذا اليوم العبوس المعتم بالنحوس بلغني الخبر المشؤم المصحوب بالهموم والغموم فآه ثم آه اقبلت على

طائفة الشوام تعزيتي بالملك الهمام دموعها ذارفة والوانها كاسفة تقول انتقل انتقل لرحمة الواحد الازل اميرنا الامير الطاهر السيد الحسني عبد القادر فيا لها من ساعة مريعة واخبارية فظيعة تخددت بها الخدود وتشققت القلوب قبل الجيوب وقامت بها مناحة مصر على ابن يعقوب سيدي كيف اعزيك وعمن اسليك افل القمر الباهر وغاض البحر الزاخر وماد طود الاطواد وغيظ الحساد العالم العامل والمولى الكامل فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

يا بهجة العيش ما للعيش بعدك من طعم اليه لذيذ العيش ينتسب

بيد ان من التجأ الى الله كفاه وخفف عناه فقد اصيب الناس بخير المرسلين وخاتم النبيين والتجأت لرب العالمين فجبر الله تلك الصدعة وسكن تلك الدمعة وكان الله الخالف عليهم من بعده ومعرفتي الاكيدة بالمعيتك الفريدة تبشرني بالتجائك اليه واتكالك عليه وبانه تبارك وتعالى سيكفيك ويغنيك ويجعلك خير خلف لخير سلف فحقق يا مولاي ظني بصبرك الجميل وفضلك الجزيل واقبل تعزيتي المختصرة فقد خنقتني والله العبرة واولادي ينوحون حولي نواح المقلات ويخمشون الجباه والوجنات ويقولون من خلف مثلك ما مات

فصرت اراه باقياً وهو ميت وكنت اراه حاضراً وهو غائب

ومثلك يامولاي لا يحتاج الى وصية ولكن عملاً بقوله تعالى فذكر ان نفعت الذكرى واقبلني عبداً لك كما كنت عبداً اميناً لسيدي ابيك المرحوم والرجا ان تنوب عني وعن عبيدكم اولادي وابنتي وعائلتي بتقديم التعازي لحضرة السيدة الطاهرة والدتكم ذات العصمة ولحضرة اسيادي اخوانكم المحترمين ومن يلوذ بالمقام الشريف وتشرفوني بخدمكم الجليلة عوضنا الله سلامتكم الغالية وجمل عزاءكم واهلك اعداءكم امين

ورثاه قدس الله سره جماعة من ادباء العصر وشعرائه

فمنهم السيد محمد بن محمد المبارك الجزائري

فانه رثاه برسالة فائقة سماها لوعة الضمائر ودمعة النواظر في رثاء الامير عبد القادر . ونصها

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من تفرد بالبقاء . وكتب على ما سواه الفناء . وانزل على امام اهل

العرفان . قوله تعالى كل من عليها فان. صلى الله عليه وسلم . وعلى من فوّض امره اليه وسلم وبعد فلما قضى القادر وحكم . بوفاة عبده السيد العلم . مولانا الامير . والقطب الشهير . واسطة عقد السياده . وعين ينبوع السعادة . سيدنا عبد القادر ابن سيدنا محيي الدين عزيت بفقده شعائر الاسلام والدين . ولبس المجد ثياب الحداد وصالت الخطوب باسنة السنة حداد . وخلعت الاكوان ملابس الانس . حزنا على من بكته الجن والانس . واكفهرّت وجوه الوجود . لافول بدر الكمال ونجم السعود والشمس يومئذ كايلة الطرف كاسفة المحيا . والعالم في ذهول كنما احتست صرف الحيا وكان يوماً اطول من ظل القناه . واحر من دمع المقلاه

فلم ار يوماً كان اشبه ساعة ... بيوم من اليوم الذي فيه ودّعا
مصيف افاض الحزن فيه جداولاً ... من الدمع حتى خلته عاد مربعا
ووالله لا تقضي العيون الذي له ... عليها ولو صارت من الدمع ادمعا

وعندما قضى نحبه . وفارق آله وصحبه . عز العزاء . وضاق رحب الفضاء . واصم الصائح بنعيه الاسماع . وزهّد في الحياة الآمال والاطماع

الا في سبيل الله مهجة ماجد ... يشاركنا في ندبه المجد والفخر
كريم افاد الدهر منه خلائقا ... فايامه منه محجلة غرُّ
يروع جيوش الحادثات يراعه ... ويفني الاعادي قبل اسيافه الذعر

فآه ثم آه لفقد الحليم الاواه لقد انقض ركن الشرق والغرب لجل الخطب وعظم الكرب فيا لها من مصيبة بسهامها للقلوب مصيبة قد اطارت النفوس شعاعاً وارعدت الفرائص ارتياعاً

فيا وحشة الدنيا وكانت أنيسة ... ووحدة من فيها لفرقة واحد
لان هي اهدت للاقارب لوعة ... لقد عفرت تربا خدود الاباعد
فما جابت الدنيا بسهل ولا الضحى ... بطالق ولا ماء الحياة ببارد

وليس احد الا تفجع لفقده وتكدر عليه صفو ورده الا جاهل بمقامه المحمود او حاسد وكل ذي نعمة محسود حيث كان رحمة لكل امة وهل يسمح الزمان بمثله بعد امه

هيهات لا يأتي الزمان بمثله ... ان الزمان بمثله لبخيل

فوا اسفاه على بدر هوى من رفيع الذرى وقد كانت تهتدي بسناه كل الورى ووا حسرتاه على فقد من هو بغية الآمال . ثمال اليتامى عصمة للارامل

لعمرك ما الرزية فقد مال ... ولا فرس تموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد حرّ يموت لموته خلق كثير

فاعظم به من مصاب به ترادفت الاحزان والاوصاب . جدير ان تسكب فيه العبرات وتذهب النفس عليه حسرات وكيف لا يندب الندب على هذا الكريم الندب وهو بهجة العالم و بضعة سيد ولد آدم

فتى كان كالتوريد في وجنة العلا وكالعقد حسنا في نحور المراتب
ولا انطبقت عين العلى بعد فقده ولا ابتسم الهندي في كف ضارب

وقد شيعه خلق لا يحصى عديدهم ولا ينادى وليدهم تشهد الكل من فرط الدهشة حيارى وترى الناس سكارى وما هم بسكارى يموج بعضهم يومئذ في بعض كانهم فوجئوا بهول يوم العرض ولهم زجل بذكر الله ترتج منه الارض فمنهم من اوشك ان تخنقه العبرة تاليًا آية ان في ذلك لعبرة ومنهم من توالت زفراته وتواصلت تلهفاته وحسراته ومنهم من كاد يتميز من الغيظ ويذوب من حرّ جوى اشد من نار القيظ ومنهم من تفطر قلبه وغاب رشده وذهل لبه ومنهم من تجرّع كاس الصبر فاحرز بذلك اعظم حسنة ممتثلاً بآية لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وهم يناجونه يا ابا الامراء يا كافل الايتام وكافي الفقراء لقد فجعنا بك الدهر وسطا علينا بصوارم القهر فصبر جميل وحسبنا الله ونعم الوكيل وهجيرهم في معاناة هاتيك الشجون انا لله وانا اليه راجعون وكلهم يتمنون فداءه بالنفوس والآباء لو كان القضاء يقبل منهم الفداء

يا بهجة العيش ما للعيش بعدك من طعم اليه لذيذ العيش ينتسب
فاليوم انفسنا للدهر آمنـة اذ ليس بعدك خطب منه ترتقب
فاذهب عليك سلام الله من ملك ما بعد مفقده رعب ولا رهب

وقد احاطت بجنازته طوائف البشر احاطة الهالة بالقمر والاكام بالثمر محفوفة بالملائكة الاخيار وارواح المقربين الابرار وهي ترفرف على الرؤس وتتبختر ولا تبختر عروس وقد لاح عليها من انوار الجلالة ما كشف عن عين المشاهد غين الاغيار وجلاله يكاد سناها يتخطف الابصار ويدهش الباب ارباب الاستبصار تتبادر حملها الخلائق لتلقي عن ظهرها اعباء الذنوب وقد شقت من شدة الاسف عليه جيوب القلوب ولا جرم انها لو وضعت عن اعناق الانام لتولت حملها الارواح العلوية والملائكة الكرام فهي التابوت المشتمل على السكينة والسر المجد وفيه بقية مما ترك آل محمد وتلك آية ملكه في الدار الآخرة دون مين فهنيئًا له بخاتمة الحسنى وسعادة الدارين

يا دهر بع رتب المعالي بعده　　بيع الكساد ربحت ام لم تربح
قدم وأخر من تشاء من الورى　　مات الذي قد كنت منه تستحي

ودفن مع استاذه الشيخ الاكبر ففاز برحمة ورضوان من الله اكبر في روضة ذات روح وريحان يشهد الجنان انها من رياض الجنان ولا غرو ان دعاه الى حسن جواره رجب الاصب لاشارة الحديث الشريف المرء مع من احب وفيه تنبيه على انهما من طينة واحدة فلهذا كان يقتفي آثاره ويتعهد معاهده وما زال يغترف من بحر فتوحاته ويقتبس من مشكاة تجلياته ويتحقق بنصوص فصوص حكمه ويتخلق بحسن اخلاقه وشيمه حتى حكاه في القول والفعل وسار على قدمه حذو النعل بالنعل فشيد اركان الشريعة والطريقة فهو محيى الدين في الحقيقة كان قدس الله سره العزيز يعرب عن دقائق المعاني بلفظ وجيز وله في فن التصوف المقام الشامخ والباع الطويل والقدم الراسخ ومواقفه الكريمة اعدل شاهد بكمال ذوقه في تلك المواقف والمشاهد على انه احرز قصب السبق في سائر الفنون وجمع ما تفرّق في غيره من حسن الاوصاف وبديع الشوءون

وليس على الله بمستنكر　　ان يجمع العالم في واحد

زان العلم بصالح العمل وجرى صيته في الورى جري المثل وانفرد بحسن السيرة وصفاء الطوية والسريرة حتى اعترفت له اعداؤه بجميل الثناء ولا ريب ان الفضل ما شهدت به الاعداء

فتى دهره شطران فيما ينوبه　　ففي بأسه شطر وفي جوده شطرُ
فلا من بغاة الخير في عينه قذى　　ولا من زئير الحرب في اذنه وقرُ

دأبه قضاء حوائج الخلق واصلاح ذات البين وجبر الخواطر بما تقرّ به العين وهمه اقامة الصلاة وحضور الجماعة وذكر الله جلّ جلاله في كل ساعة تكاد احاديثه تندرج في حديث خير الانام وكيف لا وكلام الامير امير الكلام ولا بدع في ذلك عند كل نبيل نبيه فان الفرع يزكو بطيب الاصل والولد سر ابيه وكان في الندا والسماحة رحب الصدر والساحة يرتاح الى الوافد والوارد ارتياح الظمآن الى عذب الموارد ويسد جزيل الفضل وجميل القرى فيقول لسان حاله . كل الصيد في جوف الفرا . وكم استوهب الذهب فلم يهب ان يهب صلاته تعم القريب والغريب ويصيب المرء منه اوفر نصيب بيد انها كانت لوجه الله وابتغاء رضوانه ودار علاه .

لقد علمته غاية الزهد نفسه　　فاصبح حتى في الحياة له زهد

ولم ارَ بدرًا قبله حازه الثرى   ولم ارَ بحرًا قبله ضمه لحدُ

وكان في الحماسة اسد الله ورسوله يجاهد في الله و يقاتل في سبيله وله وقائع دونها شرط الحداد وخرط القتاد قد سارت باحاديثها الركبان وعثر عليها كل قاص ودان وهل ينسى ما اسلفه في الجزائر حفظًا للرعايا وصونًا للحرائر من فتكاته العديدة وسطوته الشديدة

اذا شب نارًا اقعدت كل قائم   وقام لها من خوفه كل قاعد

يقدم على الجيش العرمرم بنفسه فيشتت شمل انسه ويحله في رمسه و يدهش الالباب بو ثباته عند النزال وثباته في كل معركة ومجال فهو الليث الغضنفر وحسامه الموت الاحمر

كأن الاعداء ذلا وبوسًا   ولراجي الجود عزا ومالا

كان وبالا للعفاة هتونًا   ولاحزاب العداة وبالا

كان للناس جميعًا كفيلاً   فكأن الخلق كانوا عيالا

وانىَّ لذوى الافهام درك غاية هذا السيد الهمام وهو وحيد دهره وفريد عصره قد منحه الله مكارم الاخلاق فعز وجوده في الامة على الاطلاق

يكاد يحكيه صوب الغيث منسكبًا   لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا

والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت   والليث لو لم يجر والبحر لو عذبا

وهل تبلى ما ثره او تندرس مفاخره وقد قلد اجياد الزمان قلائد من تفوق عقود الجمان

ينبي المواقف عنه انهُ سندٌ   ويخبر الروع عنه انه بطل

يعطي فيجزل او يدعى فينزل او   يوءتى لمحمل اعباء فيحتمل

اضحى لنا بدلاً منه بنوه به   والشبل من ليثه اما مضى بدل

على انه ما مات من بقي ذكره وظهر في اشباله كماله وسره فهم سادة كرام وقادة عظام تخالهم لدى الوغى اسودًا كاسرة وتحسبهم عند الندى بحورًا زاخرة

اذا حل منهم واحد في قبيلة   يشار اليه انه العلم الفرد

ولا سيما واسطة ذلك العقد وصاحب الحل والعقد سعادة الامير الاعظم السيد محمد باشا الافخم من آذنت اخلاقه الشريفة بانه خير خليفة وهل ينكر ذلك لا ذو جهل او حسد أليس هذا الشبل من ذلك الاسد

بلى وابي ان الامير محمدًا   اقطب الرحى مصباح تلك المشاهد

حمدت الليالي اذ حمت لي جنابه   ولست لهذا الفضل منها بجاحد

جعل الله الجميع خير خلف ووفقهم لاتباع سنة من سلف ٠ اقرَّ بوجودهم عين

الوجود واجرى بهم عين الكرم والجود ما بزغت الشمس ولاح القمر وناح الحمام في السحر على افنان الشجر فقال من ارقه البين وآلم موءرخاً وفاة فقيد العالم ·

سار الامير الفرد عبد القادر الا حسني اثر محمد والآل
اضحي نزيل الحاتمي اخي الندى حياهما صوب الحيا المتوالي
فرثاه حسن ثنائه بين الورى وغدا يوءرخ غاب بدر كمال

نفثة الوجد والغرام في تعزية آله الكرام

الصبر اجدر في الخطوب واليق والحزم اوفق بالنفوس وارفق
والحر يابى ان يميل مع الهوى وبغير تقوى الله لا يتعلق
والعيش ظل زائل في صفوه كدر فلا يغررك منه رونق
ما المرء في الدنيا سوى هدف غدا بسهام انواع الرزايا يرشق
يلهو بآمال كبرق خلب وسراب قاع ماؤه يترقرق
بينا يعلل بالاماني نفسه اذ بات منه الشمل وهو ممزق
ما فاز بالحسنى سوى عبد له قلب بمولاه الكريم تعلق
ما زال مشتاقاً الى راح اللقا حتى ادير عليه وهو معتق
ذاك الامير الفرد قطب زمانه من في العلى آثاره لا تلحق
لبى نداء الحق مرتاحاً الى روح وريحان شذاه يعبق
قد حل عند الحاتمي اشارة او وراثة اضحى بها يتحقق
فهو ابن محيي الدين طاب ثراهما وسقاه صيب رحمة يتدفق
جمعت شمائله من الاوصاف ما هو بين ارباب العلى متفرق
وله مواقف كالمثاني ذكرها ابداً على طول المدى لا يخلق
وبحكمة العدل المبين سما به الا غرب المبارك واستضاء المشرق
ولطالما قد طاولت بكماله كل البلاد ومن عليها حلق
مذ غاب عن عيني تحلل مهجتي فرط الاسى والروح كادت تزهق
يا ليتني كنت الفداء له وهل من بعده تحلو الحياة وتعشق
صبر جميل يا فوءاد فانه سهم على كل الانام مفوق
هو في سبيل الله افنى نفسه لمشاهد منها المشاهد يعبق
او ما علمت على اليقين بانه في الغيب عند الله حي يرزق

هذا وان عدنا بوحشة فقده ... والقلب كاد من الجوى يتمزق
فالسر في اشباله ووجودهم ... حصنٌ لنا من كل خطب يطرق
ما مات من ابقى وخلف سادة ... بثنائهم جيد الزمان مطوق
عقدوا على حسن الاخوة جمعهم ... فغدا الحسود بناره يتحرق
برعاية الشهم الهمام محمد ... لهمُ بعينٍ بالعناية يرمق
مولى به ركن الامارة راسخٌ ... وعليه رايات المعالي تخفق
يا معشر الامراء لابرحت بكم ... سحب المكارم والمراحم تغدق
وبمجدكم وجلالكم لا زالت الا ... حباب تفرح والاعادي تفرق

﴿ ومنهم الشيخ ابراهيم الاحدب الطرابلسي ونص مرثيته ﴾

اصمّ نداء الخطب للمجد مسمعاً ... وراع المعالي والعوالي بما نعى
وهدّ منار العزّ نفح سمومه ... وما صدّ عن هام العلى حين صدعا
تداعى له ركن الفخار وقد هوى ... بهِ كوكب العلياء هولاً بما دعا
فلا كان يوم السبت يوم مصائبٍ ... فقد جاء ظهراً فيه للنجم مطلعا
وقد راع اصحاب العبا وقع حادثٍ ... بفقد امام جلّ في الكون موقعا
والوى بعبد القادر الدهر عادياً ... على قدر ما ساء الكرام وروّعا
قضي نجل محيي الدين سيد من سما ... فسال عليه القلب مما تفجعا
قضى من اياديه قلائد أنعم ... فكم عقد احسان بها قد ترصعا
قضى من يرجّى للندى والعلى ومن ... ترجى الاماني والمعالي به معا
قضى من له الملهوف يفزع لائذاً ... اذا لم يجد من حادث الدهر مفزعا
قضى من يرد الخطب صدمة بأسه ... ويأمن في عليائه من تدرّعا
همام قضى نحباً وقد كان في الورى ... من الغيث اروى او من الليث اروعا
عليه ثناء القوم اضحى بندبه ... من الصبح اضوى او من الليث اضوعا
فكل فؤادٍ قد اصيب بخطبه ... فراح عليه بالاسا متفجعا
وصوح روض الفضل بالجدب سنة ... وقد كان من جدواه بالخصب امرعا
لقد زلزلت ارض المكارم والندى ... وبات العلى مما الم تزعزعا
ودوحة مجد راعها عاصف الردى ... وهبت بها النكبا سموماً وزعزعا
واخرس السن القوم هول مصابه ... وانطق بالحزن الجماد وفجعا

كما رجب الشهر الاصم بوقعه ⁂ له فتق الحزن المبرح مسمعا
اهاج عويل القوم فيه بلابلاً ⁂ وطوق بالنوح الحمام المرجعا
على مثله شق القلوب من الاسى ⁂ يرى فرض عين ان همت فيه مدمعا
من الغرب وافى الشرق يحيي ربوعه ⁂ فاشرقه بالغرب ما فاض ادمعا
وفي الشام قداضحى نزيلاً فزاحمت ⁂ به مطلع النيرين والقطب موضعا
مناقبه تعيا المناقب بعدها ⁂ وان اظهرت ما كان منها مبرقعا
تاصل نيل العز في باب جاهه ⁂ ومنه باقطار البلاد تفرعا
وقد كان للراجي به الانس والهنا ⁂ اذا اوحش الدهر الاريب وضيعا
فاغلق باب الشعر مصرع خطبه ⁂ بمدح فلم يفتح لراجيه مصرعا
واسبابه قد قطعتها يد النوى ⁂ واعجب الاسباب ان انقطعا
وكان لشعري من صلات جميله ⁂ عوائد فيها كان بالجود مبدعا
فاوجب فرض الندب نظم رثائه ⁂ لما كان بالاحسان فضلاً تطوعا
فها انا ارثيه واندب عهده ⁂ وارعى ايا ديه اذا قل من رعا
وكنت اهني النفس صوغ الهنا به ⁂ فاصبحت ابدي بالرثاء تفجعا
فوا أسفي قد سار عنا مخلفاً ⁂ نوائب نابت كل قلب تمزعا
سرى نعشه فوق الرقاب وطالما ⁂ عنت لمعاليه العريقة خضعا
فيا ويحهم ساروا بطود فضائل ⁂ به كل قلب من جواه تصدعا
يشيعه الفضل الذي شاع صيته ⁂ وعز علينا ان يكون مشيعا
يشيعه بالفقه مذهب مالك ⁂ فقد كان بالرضوان منه تمتعا
يشيعه سيف صقيل جلا الصدى ⁂ به اذ تروى من دم النحر مكرعا
يشيعه الرمح الاصم اذا غدا ⁂ بطعنه من ضل للحق مسمعا
يشيعه متن الجواد الذي سرى ⁂ به لم يدع في السبق للقوم مطمعا
يشيعه بيت من الشعر بعده ⁂ غدا بنواح في النواحي مفجعا
يشيعه المجد التليد وطارف ⁂ على هامة الشعرى سناه ترفعا
يشيعه العرف الذي طاب عرفه ⁂ بانفاسه المسك الفتيق تضوعا
يشيعه من حادث الدهر ضارع ⁂ لفقد علاه كان بالخطب أضرعا
يشيعه بالطبع اناث وآله ⁂ بآدابه الغر الحسان تطبعا
عفاء على الدنيا بفقد جنابه ⁂ فقد كان فيها سيد الكون اجمعا

فقدنا اماماً كان من شهب رأيه ... ثواقب لاحت في سما الدين طالعا
فيا راحل ابقى علينا مصابه ... رزايا لها رضوى وهي وتضعضعا
سريت الى دار البقاء من الفنا ... فكنت بجنات النعيم ممتعا
يناديك من قد ضاق ذرعًا وطالما ... مددت له كفًا من اللوح واسعا
تواضعت للراجي بنفس هنية ... وما كان صنع العرف منك تصنعا
ودست على كعب بنعلك في الندى ... فاصبح معنى الجود افظًا مصنعا
فكيف يوفي ندب فضلك شاعرٌ ... اليك برفض المعتدين تشيعا
واني لارجو الفوز بالخلد في غد ... بحبك اذ ادعو مجيبًا مشفعا
بني حسن انتم مصابيح دهرنا ... ومنكم جميع الخير فينا توزعا
محبتكم فرضٌ وعقد ولائكم ... يرى وصلة عند الاله ومرجعا
لذلك نرى ان لا غلوّ بما به ... نصوغ لكم عقد الرثاء مرصعا
فسر في جنان الخلد ريان بالتقى ... لديك جنى الاحسان بالعفو اينعا
وما كوكبي فضل انار سناهما ... افقد سناء البدر بالبين اربعا
بكم قد تاسينا وان عظم الاسا ... وجرع كلا خطبكم ما تجرعا
فنحمد في صنع الجميل محمدًا ... ونحيي بمحيي الدين قلبًا مروّعا
هما قرا مجد وفضل وسؤدد ... وعلم وجود نحو طالبه سعى
فلا عمرت ايدي الخطوب فناهما ... ولا مدت الندباء لقصر اصبعا
ولا راعت الارزاء الجمال سيد ... يلبون داعي الخير من قبل مادعا
ويحيون للعليا معالم بعده ... وكلٌ الى المعروف تلقاه مسرعا
وبيت قصيد المجد لا اختل وزنه ... ودام لاقمار الفضائل مطلعا
وحسبي ان ادعو باخلاص نية ... لدى سيد من عبده يقبل الدعا

﴿ ومنهم الشيخ طاهر السمعوني الجزائري فانه قال ﴾

هذه مرثية في من شهد اهل الغرب والشرق بفضله . وعقم الزمان عن ان ياتي بمثله . الامير الجليل مولانا عبد القادر الجزائري . كان له من زلال رضوان مولاه الكريم يوم الجزائري

خطب جسيم عم بالاكدار ... ما بعده اسواه من مقدار
لو يعتري صم الجبال لاصبحت ... دكًا تذر مثل نثر غبار
ولو اعترى نوع النبات لما نما ... ولصار مثل الترب والاحجار

ولو اعترى الشمس المنيرة اظلمت وغدا الانام بغير ضوء نهار
ولو اعترى زهر النجوم تقضضت ونحا بديع نظامها لنثار
ولو اعترى البحر المحيط تطايرت اجزاؤه وتحولت لبحار
ولو اعترى الفلك المدار لعطلت حركاته ولدار غير مدار
خطب تبدلت الدموع به دماً تجري كغيث هاطل مدرار
وغدت به الاكباد وهي كليمة حمراء حامية كجذوة نار
صعقت جميع الناس فيه كأنهم في طورسينا اذ تجلى الباري
ويحق ذاك وكيف لا والترب قد وارى امام السادة الاخيار
مهدي هذا العصر وسطى عقده بحر الحقائق كاشف الاسرار
الغوث عبد القادر السامي الذرى شمس الهداية مظهر الانوار
مولى مناقبه تجل وتعتلي عن عدها كالقطر في الامطار
واحسرتا للمعتفين فانهم من بعده في خيبة وخسار
ذهب الذي قد كان يجبر كسرهم ويثيب يمناهم اجل يسار
يعطيهم الآلاف معتذراً لهم طلق المحيا بادي الاسفار
واحسرتا للائذين فانهم من بعده في ضيعة وصغار
ذهب الذي يحميهم ويقيهم ويذود عنهم اعظم الاخطار
ويفل عنهم عضب كل ملمة فتراهم كالطير في الاوكار
واحسرتا للطالبين فانهم من بعده صاروا بغير منار
ذهب الذي يجلو الغوامض عنهم من بعد ما اعيت على الافكار
ويحل كل دقيقة معتاصة بادلة يسكتن كل مماري
واحسرتا لليل من ذا بعده يحييه بالطاعات والاذكار
وينير طرته بابهى غرة تربي محاسنها على الاقمار
ذهب الذي قد كان براً عابداً مستغفراً لله في الاسحار
لهفي على الفقراء من ذا بعده ينجيهم من تغلب الاعسار
ويرد ناب البوس عنهم نائباً وينيل ما راموا من الاوطار
لهفي على الايتام ماذا بعده يلقون من ضيق ومن اقتار
ذهب الذي قد كان خير اب لهم بوليهم فيض الندى المدرار
لهفي على الادباء من ذا بعده يلقونه ببدائع الاشعار

ذهب الذي قد كان يغلي سعرها ... ويجيز بيت الشعر بالدينار
صبرًا على هذا المصاب وان يكن ... زند الاسى والحزن فيه واري
فالله قد وعد الصبور مثوبة ... وجزيل انعام بدار قرار
لو كان في الموت الفداء فداه كل ... سميذع ندب من الاحرار
لكنه امرٌ على كل الورى ... متحتمٌ في سابق الاقدار
والموت عند ذوي البصائر نعمة ... عظمى لارباب التقى الابرار
ارواحهم ترقى الى اعلى العلى ... من بعده وتحل اكرم دار
حيّ الكريم البر روحك بالرضا ... واثابها منه بخير جوار
وادام طيب ثراك فضلاً انه ... يسمو بنفحته على الازهار
وانار قبرك مثل قلبك انه ... يوفي على الافلاك في الانوار
واقر اعيننا القريحة بالبكا ... ببقا بنيك الكمل الاخيار
لا سيما المولى الهمام ومن غدا ... في حلبة العليا بغير مباري
السيد السند الامير محمدٌ ... كنز الفضائل معدن الاسرار
وانا لهم خير الاماني انهم ... محيوا مآثر ذلك المختار

ومنهم الاديب حسن افندي بيهم البيروتي فقال

باي جناح سامنا صرفه الدهر ... ام الدهر خب من خلائقه الغدر
وعن حسد ما نابنا من خطوبه ... وما نابنا الاَّ الخديعة والمكر
هو الدهر لم يحسن لمن كان قبلنا ... ولا يرتجى خير الندى طبعه الشر
يمد لنا بالنائبات اكفه ... اليس لهذا المد عن مسنا جزر
ويبغي ولا يبغي البقاء لغيره ... ولا بد يومًا ان يذوق الردى الدهر
ويحسدنا في كل شهم سميذع ... ولا عجب اذ كان في طبعه كبر
فليس من الحزم الوثوق بعهده ... فما عهده الا الخلابة والخفر
لقد زادنا طعنًا فادمى قلوبنا ... وقابلنا بالكسر فامتنع الجبر
واوردنا ريب المنون مصيبة ... لها ارتجت الافلاك وانقضت الزهر
لها الارض مادت والجبال تزلزلت ... لها صعق الاخيار قد قضي الامر
بها جاء ناعي البرق يرعد قلبنا ... فامطرت الآماق ما ضمه الصدر
عشية عين الغرب حجب نورها ... دجى الشرق حتى لا يخال له فجر

مصاب به العلياء تبكي اميرها ... وكل امرء من ذا المصاب به شطر
اجل مات عبد القادر الحسني من ... به سادت السادات وافتخر الفخر
هو الجوهر الفرد الذي فيه ضمنت ... خلاصة روح الفخر والشيم الغر
امام هدى الله الانام بهديه ... ولي ولكن ما لاسراره حصر
افاض على الارواح نوراً به سرت ... الى العالم القدسي يحملها السر
قضى العمر شغلاً لم يذق طعم راحة ... وما شغله الا التفكر والذكر
وقام بامر الله حق قيامه ... فعز به عرف وذل به نكر
يراقب وجه الله في كل حالة ... وما للهوى نهي عليه ولا امر
غدا في جوار الله اكرم نازل ... وبين ملوك الارض كان له الصدر
وكان اذا ما قال فالفصل قوله ... ومن شعره الشعرى ومن نثره الدر
به ملتقى البحرين للعلم والندى ... ففي صدره بحر وفي كفه بحر
وكانت اياديه ولا منَّ بعدها ... مناهل جود ليس يسبقها نهر
فمن اضعاف الناس يحمي ذمارهم ... ومن لهم ذخر اذا بعده اضطروا
فباليمن يمناه تفيض كرامة ... ويسراه عن سحب اليسارة تفتر
فغيث اذا جدب المَّ وفيصل ... اذا اشتبكت حرب وحم لها جمر
فكم خاضها يروي الاوام بوردها ... يكر وللاعمار من كره فر
وان اعمل الصمصام انشد وقعه ... لنا الصدر دون العالمين او القبر
وان شق قلب الحرب يوم كريهة ... يرى الموت طوعاً او يرافقه النصر
شديد مراس زانه حلم قدرة ... هو الحر لا يلوي وان مسه الضر
يلاقي عناد الدهر ثبتاً جنانه ... وان ناب ضيم لا يزاح له ستر
ويلثم ثغر العز من جمرة الوغى ... مرابط ثغركم له ابتسم الثغر
سل الغرب عمن كان يحمي زمامه ... تنبيك في صحرائه انهر حمر
لقد كان فينا سيداً وابن سيد ... عميم الايادي لا يخصصها قصر
بقية فخر العرب ما بعده لهم ... ملاذ ولا ركن فانى لنا صبر
وعهدي يخشى الموت شدة باسه ... فيا موت ما هذا اما هالك الامر
فقدناه والآمال ترجو بقاءه ... وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
وساعة ساروا يحملون سريره ... لقد عرفوا من هولها ما هو الحشر
ترى الناس غرقى في بحار دموعهم ... على انه هول به اقفر البرُّ

سكارى وما دارت عليهم سلافة ... نشاوى ولكن الاسى لهم خمر
بكاه الندى والعلم والزهد والتقى ... بكته العوالي الزرق والبيض والسمر
بكت قبله الخنساء صخرا وانما ... على فقده جفن الحيا وبكى الصخر
فيا ليت ما عشنا الى رجب به ... راينا عجابا ما اتى مثله شهر
قضاء قضى فيه المصاب بحكمة ... وليس لمن لم يقض فيه أسى عذر
وان تمنع الاقدار موتي فانني ... سابكيه حتى ينقضي بالبكا العمر
لعمري ما الدنيا بدار اقامة ... ولكنها الدنيا لدار البقا جسر
وتحسبها اوهامنا ذات قيمة ... وما هي الا الصفر ليس له قدر
لجاهلها عذب مذاق عذابها ... ولكن لدى اهل النهى حلوها مر
فيا فوز من منها تزوّد بالتقى ... وكان كمولانا صنائعه البر
به افتخر الاحيا لكن بموته ... تفاخرها الموتى وحق لها الفخر
لئن مت يا مولاي والموت سنة ... ففضلك يحيي في الانام له ذكر
ولولا بنوه ورث المجد بعده ... طوى الموت مجدًا لا يعود له نشر
هم اهل الراجين والسادة الاولى ... على امراء الارض يسمو لهم قدر
ولا سيما الشهم الامير محمد ... عليه لتخليد العلى اخذ الاصر
بساعد محيي الدين يقوى عمادها ... هو العضد الاقوى يشد به الازر
حباهم جميعًا طيب العمر ربهم ... والهمهم صبرًا يلازمه الاجر
وامطر مولانا الامير مراحمًا ... وبلت ثراه بالرضا ديمة غزر
الى دعوة الرحمن لبى مهللاً ... وآخر دعواه لك الحمد والشكر

ومنهم محمود افندي الشهال الطرابلسي فقال

ما للمحاجر دمعها مستغرب ... لقد استحال دمًا وذلك اغرب
وشهاب افق الفضل يسرع نحو اط ... باق الثرى جزلا وفيها يغرب
والشرق اظلم بعد واضح نوره ... ولفقده امسى ينوح المغرب
او ما عجبت يا لقومي اذ غدت ... زهر الهدى عن افقها تتغرب
ذهبت بافئدة الكرام فاصبحت ... تبغي التصبر وهو برق خلب
ومرائر الاحرار بعد افولها ... شقت وضاق بها لعمري المذهب
والمجد قد تخذ الحداد مدارعًا ... من حزنه وعليه شد المعصب

وكذاك ابناء المعارف اصبحت — تنعي العوارف في الانام وتندب
وسحائب الرحمن تمطرنا اسى — ابداً واومض برقها لا يكذب
اوّاه من غدر الزمان كانه — بخداعه بين البرية ثعلب
ما اضحك الانسان قط بنية — الا وقد ابكاه وهو مجرب
ماذا جرى يا مطلع الاحسان ما — حتى انبرى في الترب ذاك الكوكب
يا بين حسبك لا حياة لنا وبالـ — علماء اظفار المنيـة تنشب
موت الافاضل ثلمة في الدين قد — صح الحديث بذا وجاء المذهب
الحان يوم الساعة الموعود فيـ — ها من اله وعده لا يكذب
فكانما يوم القيامة قد بدا — في ساعة من هولها يتعجب
يا نفس خلي عنك ما تبدينه — من ذي المسائل فالحقيقة اعجب
تالله ما يوم الحساب اشد من — يوم بـه فقد الامير الطيب
السيد المفضال عبد القادر الـ — حسني ذاك اللوذعي الانجب
هو كعبة العرفان في حرم التقى — ومحط ترحال الانام المخصب
علم الهدى بحر الندى مردي العدا — بمهند بدم الوريد مخضب
العارف الحبر الهمام المرتقي — اعلى مقام في المحبة يرغب
صنو الشريعة والحقيقة امه — واخو الولاية والكمال له اب
لله ما اسناه فوق منابر الـ — عرفان في علم الحقيقة يخطب
علم لدنيّ حباه الله فيـ — ه منة من غيره لا تطلب
وبحانة القدس العلي لقد صفا — خمر الوصال له وطاب المشرب
امسى التقى والحلم طي ردائه — شهم لغير الحق لم يكُ يغضب
اسفاً عليه من همام كان للـ — اسلام ركناً بالسلامة يرغب
حزنت عليه المكرمات واصبحت — عين العلاء عليه دوماً تسكب
قد كان كهفاً للانام فكم فتى — قد بات في نعمائه يتقلب
يا نفس فاصطبري لفرقته فذا — حكم الاله واين منه المهرب
بلقائه حور الجنان تباشرت — وغدت ملائكة الرضا تترحب
حياه مولاه بخير تحيـة — فيها يلذ على الدوام ويطرب
وسقى ضريح علاه من سحب الرضا — والعفو والغفران غيث صيب
واطال عمر بنيه اقمار العلى — من في سنائهم يضيء الغيهب

فانا التامي بعده ببقائهم … فهم ملاذ للفؤاد ومطلب
عرب بهم ربع الفضائل آهل … ابداً وثغر المجد فيهم اشنب
ما فيهم الا همام اروع … سامي المراتب بالعلوم مهذب
لا سيما رب العلاء محمد … من شكره بفم العلى مستعذب
وكذاك محيي الدين من اوصافه … حلى الكمال هي الطراز المذهب
هذا واني بالقصور لمذعن … واخو القصور بعجزه لا يعتب
انا لست من فرسان ذا الميدان بل … قصدي بذاك الى الحما اتقرب
اذ ان مدح علاه اعظم قربة … فيها الى رب الورى يتقرب
وثناه عذب في فم المداح وال … اوصاف منه في المسامع اعذب
فرثيته باقل ما فيه من ال … حسنى وعجزي عن قد وري معرب
هيهات يحصي المدح منه محامداً … مهما اطال المادحون واسهبوا
حاشا وكلاً ما لذلك غاية … اذ ان فضل علاه لا يستوعب
او لم يكن من آل بيت نبوة … يزدان فيهم في القيام الموكب
او ليس من نسل النبي محمد … من في القيامة يرتجيه المذنب
صلى عليه الله ما ابتهجت منى … وزهت بنور سنا النبوة يثرب
او جاء بدء طيبا برثائه … وختامه مسك شذاه اطيب

ومنهم محمد اسحاق افندي الادهمي الطرابلسي قال

قامت عليك قيامة العلماء … يا سيد العلماء والامراء
وبكتك اجفان المكارم والعلى … يوم اتوى ممزوجة بدماء
هذا مصاب ما اصيب بمثله ال … اسلام بعد السادة الخلفاء
من لليتامى والارامل يا ترى … بعد الامير ومن الى الفقراء
ومن الذي يولي الجميل تفضلا … ويجود بالصفراء والبيضاء
ومن الذي يرجى لهذا الدين ان … خفنا عليه سطوة الاعداء
من للمساجد والرياضات التي … ارضيت فيها عالم السمراء
تا لله من بعد الامير المرتضى … ما ثم الا كشف الضراء
مات الامير السيد الحسني عب … د القادر ابن السادة الكرماء
اسفاً على قمر بافق سما العلى … قد كان يخلف غرة الظلماء

القات الاوّاب من احيت موا　قفه لنا العربيُّ ذاك الطائي
علامة الآفاق ذاك العارف ال　رباني غوثي بضعة الزهراء
اسفي على من كان يستسقي به　صوب الغمام وصيب الانواء
اسفي على تلك الشمائل طالما　شملتني من معروفها تشائي
قد روعتنا النائبات بخير من　يرجى ليوم كريهة ووفاء
اسد الكتيبة والذي اخباره　في الخافقين سرت مسير ذكاء
كم منة قد طوقت اعناقنا　لابن النبي وكم يد بيضاء
ملك مآثره الشريفة في الورى　كالروض عطر سائر الارجاء
ملك لقد ملك القلوب برحمة　وبرأفة وتواضع لعلاء
هو سدة الشرف الذي يا طالما　كنا لها ناوي لنيل مناء
حكم الآله على الخليقة بالفنا　ما هذه الدنيا بدار بقاء
لله در فتى توشح للقا　من اشرف التقوى اجل رداء
قد قام في محراب طاعة ربه　متبتلا في الليلة الليلاء
فكأنه داود في محرابه　يثني على المولى بخير ثناء
قد ايقظ النوام صوت صلاته　وصلاته فاضت على الفقراء
وعلى يديه مصالح الدنيا وما　فيها لقد قضيت بفصل قضاء
كالسيد السند الذي في ذاته　يسمو رثائي دائماً وثنائي
لله عبدا قادر ارجو هما　في كل حادثة وكل بلاء
مولاي عبد القادر الحسني وعبـ　ـد القادر الجيلاني بالزوراء
ركن من الاسلام ما ركن النهى　من بعده يوماً الى الاهناء
انسان عين الدهر من قد كانت الـ　ـدنيا به في غبطة وهناء
ذاك الذي قد كنت معتزًا به　من سائر الدنيا وكان رجائي
اما حديث الجود منه والندى　عن واصل يروي لنا وعطاء
لم انس اذ قد قال لي متحدثًا　في انعم جلت عن الاحصاء
لما لقد وافيت اسأله ولي　شغف بما ابدى لدى الهيجاء
وانا بارض الشام منه بدمر　في بيته السامي على الجوزاء
اني غزوت ثلاثمائة غزوة　فيها وطئت سنام كل سماء
ولطالما قد خضت بحر مواكب　من جيشهم فرجت فيه بلائي

ولقد قتلت من الاعادي ماءتي — الف كما شهدت بذا اعدائي
والله يعلم ما لقيت من العدا — في كل معترك ويوم لقاء
الله اكبر كم لنا من وقفة — فزنا بها بالرتبة القعساء
ولقد نصرت الدين لولا انها — غدرت بنا فاس بغير مراء
قطعوا يد الاسلام بئوا حيلة — باؤا باقبح خزية شنعاء
حسدوا على النصر المبين سفاهة — اخوانهم فغدوا مع الاعداء
لم يبلغوا ما املوه بظنهم — لما غدوا لهم من الحلفاء
والله يجزي كل باغ في غد — عما جنى لا شك شر جزاء
عشرا من الاعوام قد حاربتهم — مع سنة والنصر تحت لوائي
ما غزوة لي فيهم الا وقد — رمت الشهادة فيها من مولائي
هذي جرائدهم وهذي كتبهم — تنبيك عن قتلي بهم وبلائي
ومن اعجائب ما بجسمي منهم — جرح ولا من طعنة شلاء
ما للجبان وعيشة قد عاشها — خل الجبان رهين ذاك الداء
خلع الرداء وقال هل من طعنة — فوجدته كالفضة البيضاء
هذا هو الشرف الذي يتنافس الا — متنافسون به بيوم علاء
وله بانواع العلوم مكانة — قد صيرته اعلم العلماء
يا نكبة ما رحت اذكر وقعها — الا وبت بحالة الخنساء
من لي لو اني من الامير فدائه — ولو ان اعداه تكون فدائي
هو ثالث القمرين بل هو ثالث الا — عمرين بل هو بهجة الغبراء
ايه بني الآداب مات عياذكم — وغياثكم من هول كل بلاء
هذا الامير مضى لرحمة ربه — سبحان ربي ارحم الرحماء
فابكوا والا ان قدرتم فاصبروا — فالصبر خير ذخيرة ورجاء
والدين اجدر بالحجا ولو انه — يجدي البكاء عليه نال بكائي
فتذكروا من قبله من بينكم — خطب له قد هان كل بلاء
اما الامير فقد غدا في جنة الـ — ماوى وجاور اكرم الكرماء
وغدا ينادي نلت ما املته — من خالقي وبلغت كل منائي
وسعادة الدارين حزت فارخوا — طيبا بحسن الظن من مولائي
والله نسأل بالنبي محمد — خير الانام وسيد الشفعاء

يبقي لنــا انجــاله ويقيهم ... من كل ما يخشى من الاسواء
المعتلين من الفخار مراتباً ... ورثت عن الاجداد والآباء
بيض الوجوه بكل مكرمة لهم ... منن ارتنا الف حاتم طائى
آل الشهامة والفتوة والتقى ... واولى الحجا والفضل والآراء
انحذري بعد الامير وفاتهم ... دعني من التحذير والاغراء
ابناء عبد القادر الحسني ابن محـ ... ـي الدين ساداتي واهل ولائي
وعلى محمد باشا وارث سره الـ ... ـسامي تلوح مخايل السعداء
كنز الحقائق تجتبي بدراية ... يسمو على الاشباه والنظراء
وكذاك محيي الدين باشا من زكا ... خلقا غنيت به عن الصهباء
اسد بيوم الروع الا انه ... شمس لقد لاحت بغير خفاء
قسما بعيش ابيهم وبآله ... عندي من المعروف والاسداء
انا لم ازل حسان مدح علاهم ... وبه فخار مدائحي وثنائي
والله يسقي قبر والدهم من الـ ... ـغفران صوب الديمة الوطفاء
ما ناح مشتاق لفقد احبة ... بانوا فبات ينوح كالورقاء

﴿ ومنهم الشاعر الاديب محمد افندي الهلالي الحموي قال ﴾

سهام قضاء الله ليس لها ردُّ ... وكاس الردى ما من اذاقته بدُّ
بلى كل شيء هالك غير وجه من ... له الحكم حتماً لا شريك ولا ضد
تعالى اذا جاء المقدر حيلة ... لمستعصم من ان يلم به كد
عناء حياتي كلها بعد سيد ... بـه فجع الاسلام والعلم والمجد
واظلمت الاوطان حين بجسمه ... تنورت الاكفان وابتهج اللحد
سقى وابل الرضوان اعظم مرقد ... حوى بحر فضل ما لتياره حد
كأن لم يكن برٌّ كأن لم يكن تقى ... كأن لم يكن صدقٌ كأن لم يكن رشد
طوى الكل بعد النشر بعض من الثرى ... فلم يبق الا الذكر والشكر والحمد
مضى الجود والاحسان والعفة انقضت ... وصاحبها العرفان والعلم والزهد
مضى ابن بني الزهراء حقاً لجده ... فيا حبذا الابناء والاب والجد
معز اليتامى والارامل كنزهم ... اذا الضبع الشهباء ذلت بها الاسد

بروحي بروحي آه لو يفتدى بها ... امير بامر الله جذبه الجذ
هنيا لجنات النعيم بقرب من ... ارانا جحيم الحزن من بعده البعد
هنيا لمحيي الدين قدس سره ... بجار حماه اليمن للجار والسعد
مصاب اصاب الدين لو ان بعضه ... على احد لاندك من هوله احد
قيامة رزء لو ترى الناس بالبكا ... محاجرهم جرحى واعينهم رمد
لهم زجل بالذكر لله والدعا ... وادمعهم سحب واعوالهم رعد
سكارى وما هم بالسكارى وانما ... وفاة ابن محيي الدين حق بها الوعد
سرى نعشه فوق الرقاب وحوله ... ملائكة الرحمن انوارهم تبدو
لقد جل عن ان يدفنوه بروضة ... هي الروح والريحان والمسك والند
تقي نقي جاور الله في البقا ... واقبل بالبشرى على القادر العبد
وقور غيور ناسك متواضع ... على انه المقدام والاسد الورد
على انه البسام يوم كريهة ... اذا عبست من تحت فرسانها الجرد
فتى من رجال الله كان على العدا ... حساماً صقيلاً لا يفل له حد
فتى كان لا يخشى من الخصم سطوة ... وليث الشرى حاشا يروعه القرد
فتى في سبيل الله كان مجاهداً ... وليس له الا رضا ربه جهد
همام كمي كم ازاح ملمة ... بسيف رقاب المعتدين له غمد
هزبر هصور في الجزائر كم له ... وقائع لا يقوى على حصرها عد
سراج على سرج الجواد كانما ... من الرعب والارهاب يقدمه جند
نعيناه للمحراب والحرب والندى ... فكل علاه الحزن والسهد والوجد
عطاء ولا من وعفو ولا حقد ... وجبر ولا كسر وود ولا ضد
حسان مزايا بانتقال حليفها ... تعطل جيد المجد وانفصم العقد
لحا الله داراً للزوال نعيمها ... واولها مهد وآخرها لحد
غرور حياة وهي غراء حية ... بانيابها سم يمازجه الشهد
فتاة تراها وهي شمطاء عجوزة ... كما الدهر لم يصرم حبائلها الشد
تصيد البرايا واحداً بعد واحد ... فلم ينج منها لا كريم ولا وغد
مجربة تباً لها من خؤونة ... ولا موثق منها يدوم ولا عهد
عروس ولكن المحال حليها ... لها المين مرط والخداع لها برد
لعوب كما الصهبا بالباب اهلها ... تروح بهم طوراً وطوراً بهم تغدو

فما شعت الاّ وغشت وهكذا | قياس قضاياها لنا العكس والطرد
شكونا ونرد الدهر ليس بسامع | وهل تنفع الشكوى اذا حكم النرد
فليس لنا الاّ التوكل والرضا | بما قد قضاه الواحد الاحد الفرد
فصبرًا جميلاً انها لمصيبة | يذوب اسى من حرها الحجر الصلد
ولكن اذا في نار حزن ثوى الحجا | خبت ومع التسليم اخمدها البرد
وآل رسول الله اولى من الورى | بان يتحلوا بالوقار ويعتدوا
هم الحسنيون الاولى صوب صيتهم | به السن الاحسان ما برحت تشدو
هم الكاظمون الغيظ والصابرون هم | رياحين زهرآء النبي اذا عدوا
وهم عهدتي في شدتي وذخيرتي | بدنياي والاخرى هم القبل والبعد
ولا سيما الجمال من قد مضى ومن | رحيق شراب الانس طاب له الورد
مصابيح فضل عظم الله اجرهم | ولا ساءهم من بعد من فقدوا فقد
وابقاهم الرحمن للناس رحمة | سحائبها يروى بها الغور والنجد
نعم كلهم نجبٌ كرامٌ ثوابتٌ | لدى الروع حتى ان اصغرهم طود
واكبرهم من دونه الدهر همة | بغيرة ندب اوحد ما له ند
محمد السامي سماء مقامه | على الشمس لا نكرٌ هناك ولا جحد
اميرٌ وجيه الوجه والجاه كوكبٌ | منيرٌ به العلياء تم لها السعد
لاحسانه تصبو العفاة وحسنه | تحن له ليلى وتشتاقه هند
بديع معانٍ عن اداء بيانها | لقد كلت الاقلام والالسن اللد
كفى بشذاه سيرة وسريرةٌ | فما الشيح والقيصوم والبان والرند
وما غايتي بالمدح الا تشرف | باروع من بيت القصيد هو القصد
اليه سرت اسرار والده الذي | بعدن مع الابرار طاب به الخلد
وسار الى المولى بتاريخه وقد | دعاه بجنات البقاء رجب الفرد
عليه من الرب الرحيم السلام ما | بكت مقلة وابتل من دمعها خد
وما ابن هلال راح ينشد قائلاً | سهام قضاء الله ليس لها ردٌ

ومنهم عمر البربير البيروتي فقال

لم اسودت الدنيا ولم يك غاسق | واظلمت الآفاق حتى المشارق
خليلي رعاك الله قل لي ما الذي | لقد صار في الدنيا فانك صادق

فهل آن خلي للقيامة وقتها ونفخ بصور ثم يصعق صاعق
وبعث الورى والحشر ثم وانه نقوم لرب العالمين الخلائق
ارى الكون مسودًا ارى الشمس لم تبن ارى البدر لم يسفر وما هو شارق
وان نجوم الافق غير طوالع فلم يبد مسبوق ولم يبد سابق
واين السما غير الظلام فلا يرى ولو حدق بالتحديق والوثق وامق
ازالت والا بالظلام تحجبت فما شأنها قل لي فصدري ضائق
ومالي ارى الاطواد ليس بحالها فكم قد هوى طود وكم دك شاهق
وما لي ارى الاطيار خرسا ولم يكن عن الصدح والتغريد يسكت ناطق
ومالى اراها لا تطير وانها وان هي قد قصت جناحًا خوافق
فما الخبر الشافي خليلي به اشفني فاني بالتحديث منك اواثق
فانت ابو الاخبار يروي صحيحها اخو الثقة الثبت الصدوق المصادق
وها لم ازل فيه الى ان اجابني وادمعه من مقلتيه دوافق
بصوت خفي تد يدق سماعه اجابة باك وهو بالدمع شارق
وقال نعم اودى خليفة مالك ومالك هذا العصر من لا يسابق
امام ذوي التحقيق قدم فيهم ونقديه فيهم عليه توافقوا
وجيه اولى التدقيق وهو اميرهم له نشرت فيه عليه البيارق
هو الشمس عبد القادر السيد الذي على فضله اهل العلوم تصادقوا
فكم قد محا جنحًا من الجهل داجيا فزال ولم يظهر من الجهل غاسق
هو البحر علمًا عنه حدث مبالغًا فانت على التحديث عنه موافق
هو البحر ينبوع الولاية رائقًا على سطحه ماء الصلاحة دافق
هو العلم المشهور في كل جانب فليث تفوق الغرب فيه المشارق
وخير شهود المرء بالفضل في الورى وعندهم فيه اشتهار يطابق
على فضله كل الافاضل اجمعوا ومنهم بدون الخلف تم التوافق
وقد اجمعوا ان لا يجارى مسابقًا كذا ويحوز السبق حين يسابق
وقد رضيت منه سجاياه كلها وقل الذي ترضيك منه السلائق
وطاب بحسن الخلق والخلق سيرة وصيتًا كما قد طاب منه الخلائق
كجود وحلم ثم حسن تواضع وفي حسن خلق الانام يخالق
ورفع الاذى والضر والنفع شأنه وقد أمنت في الدهر منه البوائق

دعاه الى الجنات داعي الهنا ضحي	فلبى مجيباً لم تعقه العوائق
وسار بجد السير وهو مشوقها	و يا قرب مقصود له سار تائق
وقد ساقه رضوان مولاه نحوها	و يا فوز من رضوان مولاه سائق
وسار الى الفردوس بالعفو والرضا	ونال خلوداً والنبي يرافق
فبشراه بالفوز العظيم وانه	يجاور مولاه وليس يفارق
ولكننا فيه اصبنا مصيبة	تجل كما قد عظمتها الخلائق
بها قصمت منا الظهور وقد وهت	كواهلنا عن حملها وعواتق
فما نبكه حتى القيامة ادمعاً	تسيل بها الاحداق وهي زواهق
وتبدو بها الارواح صاعدة لها	وتنزل مثل الودق والودق دافق
وحق علينا ان نشق قلوبنا	واكبادنا لا ان تشق البنائق
فيا ليته يفدى وكنا فداءه	وان يكن ممن له الموت لاحق
ولكنما بالموت ربي قد قضى	ومن كان ذا نفس فللموت ذائق
وان كان ذاق الموت والقبر حازه	فما زال حي الدهر ما بان شارق
فقد خلف الصيت الحميد وانه	لاذفر مسك مالىء الكون عابق
ومن عاش ذكراً فهو حي حقيقة	ومن لم يعش ذكراً فذلك وابق
وخلف فينا كل نجل مكرم	ولا سيما من بالمعارف غارق
سمي اجل المرسلين محمد	عليه صلاة الله ما لاح بارق
ابو العلم رب الفهم نجل مكرم	اخو الحذق يبدو لا يدانيه حاذق
تصدر للتاليف والنفع بعده	تصدر كفء وهو اهل ولائق
وان حاز فضلاً من أبيه فانه	وبشراكم سام عليه وفائق
ولا غرو فابن الليث ليث غضنفر	ولا عجب فابن البواشق باشق
فيا ايها المولى الذي قل مثله	فكالشمس لا مثل ولا فرق فارق
لئن كنت مولانا اصبت مصيبة	على هولها منا تشيب المفارق
تذكر بخير الرسل اعلى مصيبة	يقل لديك الخطب اذ انت ضايق
وصبراً فان الصبر اليق بالفتى	وعن اجره مولاي يقصر ناطق
وفيك لنا عمن اصبت اخا الحجا	به خلف منه استطيب الخلائق
واسال ربي الله حسن عزاكم	واعظامه اجراً به الفضل حائق
و يسكنه الفردوس قرب جواره	وفيه له بالدر تبنى الجواسق

ويسقي قبرًا ضمه غيث رحمة يقلب فيه وهو في ذاك غادق
مدى الدهر ما هبت رياح لوافح وما امطرت غب البروق البوارق
وما عمر البربير يسال قائلاً لم اسودّت الدنيا ولم يك غاسق

ومنهم خليل افندي البربير البيروتي قال

خطب الم بنا اجرى العيون دما لقد شكا الخلق من اهواله ألما
فليندب المجد في الاكوان مظهره اذ راع ركن العلى والعز فانهدما
يا للمصيبة من خطب سطا وغدا فلم نجد احدًا من حزنه سلما
يا للنوائب من هول به كسفت شمس الهدى فكسا افاقنا ظلما
رزء تداعت به شم الجبال وقد الوى به زعزع اضحت به عدما
يا للرزية من رزء بوقعته اثار في كل قلب بالاسا ضرما
كادت به الارض من حزن تميد كما غدت هشيماً به من هول ما صدما
هل بعد ذا الخطب ما بين الانام يرى خطب به كل جفن يرسل الديما
او هل ترى بعده في الكون مزعجة تخفي السرور وتبدي الحزن والسقما
كلا لعمري فهذا الخطب صدمته قد زعزعت كل رأس قد غدا علما
اضحى به رجب يبدي لنا عجبًا عشنا به فرأينا رزءه دهما
شهر اسمه به في الكون قد ظهرت نوائب اوقرت اسماعنا صمما
يد المنون به اغتالت امير علىً فاغتالت المجد والمعروف والكرما
نتيجة الدهر عبد القادر العلم الـ ـمولى الذي في البرايا قدره عظما
السيد السند الشهم الذي عظمت اخلاقه فاغتدى بين الملا علما
روح السيادة تاج المجد بهجته ثغر المعالي به قد كان مبتسما
انسان عين اولي العلياء سيد من سيب المكارم منهم سح وانسجما
امير مجد سما هام السهى شرفًا وكان للعز والعلياء خير حما
امير حزم حكت اراؤه شهبًا لكل ما رد خطب رائع رجما
غوث الطريد وغيث اللائذين الى حماه يمطرهم من جوده نعما
ناديه مصدر انواع الندى ابدًا ما منّ يومًا بما يعطي ولا سئما
اربى على كل ذي فخر بنسبته لسبط خير رسول بالافخار سما
تمجده سادت السادات وافتخرت وعقدهم بعلاه كان منتظما

اقواله درر افعاله غرر وجه المعالي بها قد كان مبتسما
مسدد الرأي ماضي العزم همته قد ادهشت بعلاه العرب والعجما
مولى يقصر عن ادراك غايته نجم السماء اذا ما حادث هجما
بكت عليه عيون المجد شاكية غبشاً الم بها من فقده وعما
بكت عليه عيون الفخر نادبة نبراسها من سناه قد جلا الظلما
بكت عليه عيون الصحف من أسف كما بكته عيون العلم والعلما
وكل طالب علم قد بكاه اسى اذ كان يكسبه من علمه حكما
بكت عليه سماء الفضل اذ فقدت بدراً سناه لجيش الجهل قد هزما
بكت عليه العوالي السمر حين سرى والبيض ريعت وامسى اسمها عدما
مولى مآثره تسمو مفاخرها والدهر عن مثله في المجد قد عقما
مولى لقد كان الايتام خير اب يذود عنهم صروف الدهر والنقما
مولى به خاننا الدهر الخؤون بما اتاه عمداً ولم يحفظ لنا ذمما
بفقده قد فقدنا كل منقبة كنا نفاخر في احرازها الامما
لكن باشباله الغر الكرام لنا حسن العزاء وان كان الاسى عظما
اكرم بهم خلفاً دلوا على سلف بالخلق والخلق والعرف الذي انتظما
وانهم خير ابناء لخير اب تمثال افضاله في الكون قد رسما
لا سيما درة العقد الفريد بهسم امير من ساد في العليا وكان حمى
محمد الذات ممدوح الصفات وم‍ دوح الخلال الذي فاق الورى شيما
وصنوه الشهم محيي الدين سيد من اضحى بكل كمال راسخاً قدما
داموا موالي هذا العصر يخدمهم سعد العلى ولحجاج المنى حرما
وجاد ترب ضريح ضم والدهم من الراحم غيث دام منسجما
ولا يزال من الرحمن يؤنسه فيه رضاه بيده كلما ختما

ومنهم الاديب شبيب بك الاسعد قال

اتدري بهذا العصر من غاله الردى ومن مدّ صرف الحادثات له يدا
ومن كان في عبء الرياسة قائماً فغادره ريب المنون موسدا
واي امام في الانام غدا له بافق سما العليا مقاماً ومقعدا
واي همام في البرية ذكره يغني اذا الحادي به في الدجى حدا

واي مقام في الحياة وبعدها | غدا في السما فوق السماك ممجدا
واي محيط قد احاط بفضله | جميع البرايا ضمن قبر توسدا
فذلك عبد القادر الشامخ الذرى | امير الورى من كان بالدهر مفردا
ثبير اذا يممت تلقاه دونه | وهيهات تلقى فيه مرقى الى العدا
فما قبله فوق البسيطة شاهق | بارض دمشق الشام قد صار ملحدا
هوى فهوى الدين العلي مكانه | وقد ثل عرش العلم والحلم والندى
مضى فمضى من بعده الزهد والتقى | بثوب خليق طالما منه جددا
قضى فقضى حفظ العهود فمن بها | معاهده في الناس لم تلف معهدا
نأى فنأى طيب الكرى ولقد جرى | من الجفن هتان دعاه مسهدا
وراح فراح الخير من بعدما غدا | فواها لدهر خان فيما به اعتدى
وولى فولى الفخر والفضل والحجى | وقد ترك العافين من بعده سدى
وقد عميت عين المعالى من البكا | وناظر ام المجد اصبح ارمدا
وذلك ثبير في عظيم مصيبة | لقد هد ركن الرشد فيها مع الهدى
ونادى منادى العز من لي كافل | فاني قد اصبحت بعدك مقعدا
ورب الولا امسى يقول ودمعه | حكى هيجان البحر مذ صار مزبدا
فيا كبدى الحرا عليه تقطعي | فان فؤادي ذاب مما تكبدا
لقد كان هذا الدهر ذو عزة به | ومذ بان اضحى شاحب الوجه اسودا
وحل الندى وابن الندى وابو الندى | برمس ثوى فيه الندى ابد المدى
وقد غاض بحر الجود والناس اصبحت | حيارى فلا يلفون بعدك موردا
فمن ذا الذي لم يدر ان بنى العلى | اصيبوا بخير الخلق فخرا وسؤددا
وان علوم المصطفى ربعها عفى | وبعدك شمل المجد امسى مبددا
لقد كان يا ريح الحمام بجانب | مليكا به نهج النجاح ممهدا
وكان بها دفاع كل ملمة | ومنجا لمن يبغي النجاة من الردى
وكان لاهل الفضل كهفا وملجأ | وكان بهم عينا وكان لهم يدا
فبات وخلى طيب الذكر والثنا | وابقى ايادى فضلها لن يعددا
فحزني له لا ينقضي ابدا وما | تقادم فيه العهد الا تجددا
ولو كنت ادري ان موت عميدنا | وسيد هذا الكون في الناس يفتدى
لكنت بطيب العيش اسمح دونه | وكانت لعمر المجد نفسي له الفدا

ومن عجب يا للانام لحادث رابناه عن ادراك ذا الخلق مبعدا
لقد غربت في الشرق شمس سنية ومشرقها من جانب الغرب قد بدا
فيا لمصاب فادح جمع الاسى وشمل الاسى في الناس اجمع بدّدا
اذا رمت صبرًا عنه فرّ واين لي على مثل هذا الرزء ان أتجلدا
ولما رآه الله في عالم الفنا حياه بقاء في النعيم مخلدا
ورضوان لاقاه برضوان ربه واكرم مثواه وبالبشر قد غدا
ونظمه الرحمن في سلك جده فطوبى لمن في الخلد جاور احمدا
وانزله سبحانه منزلا به ترى الملأ الاعلى ركوعًا وسجدا
رقى فوق كرسي الجلالة في الدنا وفي جنة الفردوس صرحًا ممددا
فيا علمًا في المشرقين هو الذي غدا بين الاعلام البسيطة مفردًا
لك النسب الوضاح من خير والد واشرف جد في العوالم اوحدا
تعالى الذي التي سمي ابيك في مكان له جاورت فيه ليسعدا
هو الاكبر الشيخ الاجل اجل من به نور علم العالمين توقدا
هو العربي العارف العالم الذي بمكنون اسرار الاله تفردا
فطبت وطاب الجار منك بطيب من بطيبة فخر الخلق جدا له غدا
فاكرم به من مفخر لك ينتمي على العالم العلوي قد بلغ المدى
فيا ايها السيف الذي فلل الردى سناه وقد كان انفلال للردى
اتغمد في غمد الصعيد وانما عهدناك قبل الآن سيفًا مجردا
وهل عهدت منك الشهامة ان يرى مناديك لا باقي مجيبًا سوى الصدى
لعمري ما نوديت في معضل عرى ونائب ولم تسرع لتلبية الندى
فاقسم لولا ان تغادر في الورى بعيدك يا شمس الورى قمري هدى
محمد خير الناس بعدك والرجا كذلك محيي الدين من فيه يقتدى
لكنا جعلنا ندب فقدك سنة وكنا اتخذنا القرح فرضًا مؤبدا
فانعم بمن خلفت فينا هم الاولى غدا موضع الآمال فيهم مشيدا
وما قيل من كهف المعالي وكنوها ومرجعها الا رأيت محمدا
اميرا له في الجد اسمى مكانة وشهما جليلا في البرية اوحدا
عظيم ايادبه جسام عظيمة وغير السحايا الغر ان يتعودا
وليس له من مشبه غير صنوه عميد بني العليا الكريم المسودا

هما القمران النيران فلم تجد بغيرهما في الشرق والغرب مهتدى
فيا سادة ما مر في سائر الملا وليداً لهم الا وعدوه سيدا
بمدحكم جادت بدائع فكرتي ونظمي حكى درا ثمينا منضدا
اليكم بني خير الانام قصيدة اذا انشدت تلقى لبيدا مابدا
بكم حسنت منكم زكت فيكم ازدهت بذكركم طالت فخاراً ومحتدا
لكم وجميع الناس اضحت عائمة به وغدا للعالمين مؤكداً
ولاء ولي وابلي لقد اتى سواه شبيب بن العلى بن اسعدا
فيا راحلاً لولا الذين تركتهم بكيتك من دمعي دماء مدى المدى
عليك من الله المهيمن رحمة يلازمها الغفران والعفو سرمدا
ولا زال من ابقيت في افق العلى لهم منزل ما غاب نجم وما بدا
وهنئت في قصر لشانك ارخوا باسمى مقام في النعيم تشيدا

ومنهم الاديب احمد افندي وهبي الحلبي قال

قلبٌ تغطى في أليم سقامه وتضرمت احشاؤه بضرامه
ونواجر جادت بفيض دموعها ونعت رفيع القدر يوم حمامه
وجوارح فتك النوى بفؤادها واراشه ظلماً بحد سهامه
وجوانحٌ ذابت اسى وتلوعاً وشكت مصاب الحتف وقت خدامه
ومصائبٌ ونوائبٌ قد حكمت ريب المنون فجار في احكامه
يا بين ويحك قد غدرت بفاضل فاق البرية حكمه بكلامه
الشهم عبد القادر المولى الذي عم العوالم في جدا انعامه
هو صاحب الفخر المؤثل والحجا بين الخليقة والوفا بذمامه
قضت المواهب والمكارم مذ قضى هذا المكرم شبه في عامه
ما للحماسة بعده من صاحب يحمي الذمار برمحه وحسامه
وغدا المطهم يسرع الجريان في ميدان حزن خانه بهمامه
نعت المعارف فقده وغدا التقى متفاخراً بصلاته وصيامه
رفعت ايادي المجد فوق رؤسنا نعشاً يسير النور من قدامه
ابت المعالي غيره لما رأت رايات عدل في على اعلامه
يا عصبة الفضلاء فابكوا فاضلاً خلقت مزايا الفضل من اكرامه

يا معشر العلماء فانعوا عالمًا	رشد الهداية كان من افهامه
يا زمرة الشعراء فارثوا من غدت	امواله تعتد من اخصامه
فرضٌ على الادباء نظم رثائه	والشهم من يرثيه في اقلامه
اسفًا على النائي مدى الاعوام ما	يومٌ تبدل صبحه بظلامه
حيث الجنان فتحت ابوابها	واستبشرت فرحًا على اقدامه
والحور والولدان كلٌّ منهم	في زينة ليكون من خدامه
والله قد اعطاه ما يرضى به	كرمًا من الخيرات طبق مرامه
صبرًا بني الحسنين لم يقض الذي	انجاله ورثوا عظيم مقامه
هم خيرة الاقوام ما بين الملا	في عنصر يزكو بطيب سنامه
نسل النبي المصطفى من خصهم	رب البرية بعده بسلامه
لا سيما المولى الامير محمدٌ	شهم جليل القدر في اقوامه
السيد المفضال من بذل الندى	هو حاتم الطائي في ايامه
علم المعارف من زها في عصره	بعلومه كالبدر عند تمامه
ورع بذكر الله اصبح مغرمًا	في سيره وقعوده وقيامه
اني على علم به ناديته	يا من مديحه نخرة بنظامه
يا هاشمي لاصل يا من مجده	يهديك نفح الطيب نشر خزامه
فانظر لمحسوب بساحة فضلكم	عهد القديم مخيمًا بخيامه
افضال والدكم عليه تقدمت	فكانه قد عدّ من ارحامه
ختم القريض بمدحكم وبقوله	ارخ له اوفى بمسك ختامه

﴿ومنهم الاديب سليم افندي قصاب حسن الدمشقي قال﴾

رزء على آفاق جلق خيما	فامتد حتى الكون منه اظلما
عظم المصاب فقل صبري عنده	الله اكبر ما اقلّ واعظما
شمس الحقيقة قد توارى نورها	في الترب والخطب العميم مخيما
شمل الاسى قلب الفخار فاصبحت	عين العلى تجري المدامع عندما
فقد الامير امرءٌ صاب كاسه	واحر احشاء به تقضي ظما
اصلى القلوب بنار وجد وهو في	غرفات جنات النعيم تنعما
مولاي عبد القادر الحسني الذي	فاق الملا علمًا وحلمًا وانتمى

شهم اقام الدين طول حياته هدياً وما ضل الطريق الاقوما
يمسي بمحراب التواضع عاكفاً يخشى ويرجو ربه مستعصما
متحقق متيقن متجرد لله ما عبد الاله توهما
علم على ورع على زهد على تقوى على جود على فضل نما
افنى بقهر النفس جسماً نائلا في طاعة الله البقاء الادوما
من بالمواقف بعده يحيي الدجى مستمنحاً ذاك التجلي الاعظما
ما زال يقفو اثر محيي الدين حتى حاز حسن جوار ذياك الحما
بشرى له من مؤمن هجر الدنا حتى اذا ناداه لبى مغرما
قولوا لمن بالماء يبغي غسله يكفيه من دمع المعالي ما هما
حنطه في حسن الثناء فانه من اكرم الاطياب كان الاكرما
يا ايها المولى المولى دفنه دعه ووكل فيه املاك السما
ما كان الا بحر فضل ذاخرا متدفقاً من كل علم قد طما
ما كان الا كعبة في شامنا تسعى له الآمال نيلا واحتما
نبكي على هذا الفقيد وانه لاقى مشاهد ربه متبسما
واذا اطلعت على القلوب فلا ترى قلب امرىء الا وذاب تالما
بالروح كنا نفتديه من الردى لكن امر الله كان محتما
كل يراقب يومه فاذا انقضت اوقاته كان المقدر مبرما
ما الناس الا نائمون باسرهم والموت يوقظ هؤلاء النوما
نفد القضاء فليس يجمل عنده الا الرضا والصبر احلى مغنما
ما مات من ابقى جميل الذكر في لوح الوجود على الدوام مترجما
من كل ندب للمعارج سابق بالمجد والاجلال ضاهى الانجما
لا سيما الشهم الامير محمد باهى الصفات الغر اسمى من سما
داموا باقبال ونرجو الله في حسن الخواتم للورى ان يختما

وقال بعضهم

نبأ اتى بتضعضع الاسلام لبست له الايام ثوب ظلام
وعرى جميع الارض منه رجفة وقواصف قد هد ركن الشام
وارى البلاد تمور مور سفينة من فوق امواج ببحر طام

فكأن يوم النفخ فاجأ معلناً … يدعو الانام ألا ائذنو اغيام
فغدوا سكارى حائرين كانهم … مرخي بهم عبثت يد الايام
فقدوا غياث العالمين وغوثهم … كهف الارامل كافل الايتام
رفعوه يحثون التراب فغبرت … غبراء جللت الورى بقتام
فتراهمُ والنعش فوق رقابهم … حملوا ثبيرًا طاشي الاقدام
حملوه والملكوت يرفدهم الى … أسنى مقام في البسيطة سام
في جنب محي الدين منبع فيضه … سر الوجود ومعدن الالهام
دفنوا عميد الطالبيين الاولى … في وصفهم تاهت اولو الافهام
كان السنان لهاشم ولسانها … في يوم معترك ويوم خصام
كيف انتحى صرف الزمان لمانع … منه ومن كل الحوادث حامي
هو فرع اصل في السماء غدت له … ام النوابت موطئ الاقدام
علم به ارتفعت يد المقدور مذ … ابقى لنا علماً من الاعلام
ذاك الامير محمد من حاز في … عليـاه اسمى مرتقى ومقام
وله ايادٍ كالنجوم لوامع … لم تحصَ بالاعداد والارقام
واذا نزغت الحداة بها جلا … ومحا سناها آية الاظلام
وكذاك محي الدين بدر لم تزل … بسناه تشرق اوجه الايام
أبنى النبيّ لكل ذي رزء اسى … بمصيبة عظمت على الاسلام
بكيت لها عين النبي محمد … وبنيه من شادوا بنا الاحكام
دمتم ملاذ العالمين ويستقى … غيث الرضى جدث الامير الشامي

ومنهم الاديب نعمان افندى ابو شعر قال

هذا تابين ورثاء لصاحب الشرف والمجد الرفيع انسان عين الدهر ونتيجة تاج الفخر مولاي الامير عبد القادر الحسني الجزائري تغمده الله برضوانه واسكنه فسيح جنانه

اجل وا اسفاه قضى الله ان قضى من كان للناس نورًا وتولى من بفقده اولى الكل ويلاً وثبورًا نعم واحسرتاه مات الحسني المحسن اللوذعي اللسن الامير عبد القادر فريسة الدهر الغادر نعم واويلاه صدع من كان جابر صدوع الرئاسة القابض على ازمة النفاسة والفراسة فها هو قد حجب عنا بسدال المات بعد ان كان وجهه جلاء

للمات نعم قد غال اسد المنية اسد البرية واقتنص غراب البين بازي الدارين فياويلنا لقد هدّ ركن الوطن الاعظم وتضعضعت أسس الامة فكادت ان تتهدم وتداعت حصون العلم والشرف الموثل المنيع وانتثرت عقود الفضل والكرم الرفيع وحيث ان قد يتمنا ياويحه الزمان افلا نقول له تشفياً كما تدين تدان فان كنت يتمتنا فقد صرت باعز ابنائك ثكلان على ان هذا التشفي لا يشفي لنا علة ولا يروي لنا علة فلايّ آياته نندب نائحين ام ايّ حسناته نبكي آسفين اغوثه الايتام والارامل ام جوده المغدق الوابل ام تمسكه بعروة الله الوثقى ام التزامه في كل أين وآن البر والتقوى نعم ان حاولنا ما ثره التعداد ينفد العدد وليس لها من نفاد فلنستعن اذن برثاه بالسيف الذي طالما دمت في يده مقلتاه الا اننا لا نثق ولو شقت عليه جيبها الدفاتر بل انشق القلب ونبر المحاجر فلا غرو اذن ان لبست عليه الحداد المنابر كما لا عجب ان تصدّعت عليه افئدة الصعاد والبواتر كيف لا وقد انفطرت عليه مرارة العلم والكرم وتشطرت لفقده مهجة المروءة والشيم وصفرت منذ هوى وهو بدر كل افلاك المنابر كما تنورت بسناء ضريحه ظلمات الاجداث والمقابر فليست هذه التي ترى دموع من العين تهمر بل هي النفوس تذوب اسى فتسيل فتمطر فالعيون تعارض القلوب بعارض دمعها الهتان والقلوب تباري رماحه بصيب دمها القان والجرد تتجرد للحزن الطويل كما عولت العيال على البكاء والعويل واني لاعجب كيف طلع بعده النيران ونورهما من ضياء وجهه مكتسب وكيف لم يمت لموته الثقلان وهو قطب رحى حياتهما ان شرق وان غرب فسيبقى ذكره فخراً لنا منقوشاً على صفحات الدهر لا الذهب وان ذهب لانه رفع له ذكراً وشرح لنا صدراً اذ جمع فاظهر مناقب العرب فعلم كاليم الزاخر وكرم كالغيث الهامر بحلم دونه كل حليم وجلال يجل عن كل عظيم وشجاعة تذاق سم الصفاة بنعيمها ومهابة تقعد الاعداء وتقيمها عقدت له لواء العز والنصر ايادي المكارم والفخر كما عقدت عليه الخناصر في هذا العصر معدن جمع كل جواهر الادب فكان فردها المختار فانسلت اليه من كل حدب في جدها الافكار ترفع عن كل منزلة يشاركه فيها احد وتفرد بكل منقبة فكان جوهرها الفرد فلا سكن الله روع الشامتين الذين لم يعرفوا له قدراً والذين يودون ان يطفؤا نور ذكره والله ليس بطافىء له ذكراً فان جهل احد قيمته فما هو الا الجماد والجهالة بعينها وان جحدت فئة قدره فما هذا الا من عماء بصيرتها لا عينها فلا يغرنّ قوماً مصرعه فان الحرب سجال وما تدري نفس بايّ ارض تموت وتغتال واذا كان هذا لسان حال ابناء الوطن في هذا الزمن نظمتها عقود حسن من منثور حبات القلوب

باسلاك الاسف العميق وعلقتها على كعبة الافكار في بيت المهج العتيق لا تمطر له بها مدرار رحمات الغفار وهو امي دموع كبارنا والصغار وليطوف كل مسلم ركنها حول بيت مجد بناه وشاده فيسمع تلبية منادي المكارم من آله واحفاده فيعرف انه بهم حي لا تموت مناقبه ولذلك صح القول بانه غالب الدهر فغالبه ثم اتبعها بقوله

هل مادت الارض ام سارت رواسيها ... ام قام ينعي ابن محيي الدين ناعيها
فخر الامامة طود المجد سيد من ... فوق الثرى قد سرى او حل عاليها
فمثلما عمت الدنيا فضائله ... اقواله تملاء الدنيا معانيها
ومثلما كانت القصاد تغنى به ... كذا القصائد ترثيه فيثريها
رب المعالى فبكر الدهر ما حملت ... بمثله او دنت من ذا امانيها
احسابه مثل ماء المزن طاهرة ... احسانه مثل ماء الغيث هاميها
ان امطرت في سماء الحرب راحته ... ناراً ففي السلم ابحار الندى فيها
يا ابن الذين جلوا وجه المعالى لنا ... كسوتنا حلة الاحزان ضافيها
فان تكن بزغت شمس المحامد من ... سناء وجهك وابيضت لياليها
فطالما اتشحت ثوب الحداد عدا ... لما بديت واطراف القنا تيها
كانت تطيعك رسل الموت ترسلها ... في لجة الجيش ما فلت مواضيها
حتى غدوت له طوعاً بعالجنا ... بفقدك انفساً قد كنت تحييها
قد كنت لله سهماً اين سدده ... يجلي الخطوب بعزم كان يفريها
حتى استخارك اخفاء لجنته ... قلنا لقد اعطيت قوس لباريها
يا ناعياً عدد الاوصاف في ملك ... له المكارم شعب وهو راعيها
هي الدراري عداً والسماك سما ... والبحر ذخراً فكيف الآن تحصيها
قل للعدا وقد التفت كتائبها ... كالنمل في قرية اذ شاء يبنيها
ان الحسام الذي كنا نصول به ... قد اغمدته المنايا في ذرى فيها
يا ناقل الروح هل لامطار في بطل ... قد طالما انجز العليا امانيها
تبكي العساكر تنعيه المنابر تر ... ثيه المنابر تابينا وراقيها
تبكي الذي كان في افق العلي قمراً ... وفي دجى المعضلات الدهم يجليها
ملا الاهاب مهاباً والسروج دجا ... والحرب ضرباً اذا ما قام يوريها
من يقري الضيف كوماء ويركبه ... اخرى فانداؤه غيثاً يواليها
من بعده يؤمن اللاجي وينزله ... حصناً ويلبسه حصناً ويقيها

من للخيول اذا سار العجاج بها / وارتجت الارض من ضرب الظبا فيها
ام للفوارس ان ضاق المجال بها / ولم تر ملجأ في الروع يحميها
ام للعوالي او بيض الصفاح اذا / رامت و روداً فاين الورد يرويها
ام للمكارم في العليا ينظمها / عقداً تزينه حمد لآليها
ام لليتامى اذا اخنى الزمان بهم / ورددوا من أليم الضر تاويها
يكسى الحداد عليه العلم والشرف اا / عالى وتندبه التقوى واوليها
ياهول يوم رأينا المعضلات قضت / في صحبه اذ طواه اليوم طاويها
يا خير من ابقت الدنيا لنا سنداً / وسيداً لنفوس الناس تحييها
يا عامراً لبيوت العلم اذ درست / يا ناشر الحاتميات وتحييها
ما كنا نحسب ان الناس تحمل بحـ / ـراً علا طود فضل من رواسيها
حتى رايناك تعلوها تحدبة / يحفها الروح والرضوان يحويها
بعض الاناس التي تترى رسائلها / تنعيك يا ليتنا شمناك تنعيها
قروا فضائلك الغراء واعترفوا / ياحسن ما اعترفت ما كان ينكيها
لو كان يفدى الامير بالنفيس وبال / نفس العزيزة كان الكل يفديها
لو يقبل الموت عن هذا الجليل فدا / لكان فديته الدنيا بما فيها
مضيت والحزن مثل الذكر متصل / باق الى النشر يا ذا النشر عاليها
لولا الذين لنا ابقيت من خلف / يا خير من ظلت الرايات يوفيها
اعني بهم سادة السادات من مضر / منهم ذرى تجدها منهم دراريها
ما كنا نرتاب ان الساعة اقتربت / او شق بدر السما واغتم باهيها
لولا محمد ما باتت على ثقة / عرب المدائن واطمنت بواديها
كذاك لولا محي الدين ماحييت / منها الامال ولا عاشت امانيها
اولاكم يا بني الزهراء ما نضبت / منا العيون ولا جفت اماقيها
ولا استقرت لنا كبد على مضض / منكم لما عندنا آس يداويها

وفي ذكر هذا القدر من المراثي والمراسلات كفاية ولو اردنا استقصاء كافة ما ورد علينا منها لاتسعت الدائرة لادراك الغاية ونسأل الله ان يفرغ علينا الصبر الجميل و يولينا بكرمه الاجر الجزيل آمين

خاتمة في ذكر نسبه الشريف

لما ان ذكرت من اخباره قدس سره ما طاب نشره وفاح في الخافقين عطره عنّ لي ان الحق ذلك بذكر عمود نسبه الشريف وحسبه العالي المنيف كما تلقاه الخلف عن السلف ودوّنه الحفاظ في كتب النسب والشرف كالحافظ الحجة سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي في جوهرة العقول في ذكر آل الرسول والشيخ احمد ابن محمد ابن ابي القاسم العشماوي ثم المكي في كتاب التحقيق في النسب الوثيق وخاتمة المحققين الشيخ محمد بن محمد بن احمد بن ابي القاسم الجوزي الرشدي المزيلي في فتح الرحمن شرح عقود الجمان والعلامة الفقيه الشيخ عبد الله الوانشريسي صاحب المعيار في نقد الامام مالك رضي الله عنه في كتاب البستان في ذكر العلماء الاعيان والفهامة المقري التلمساني في رياض الازهار في عدد آل النبي المختار وغيرهم ممن ثبت عندهم وزينوا به صحائف كتبهم وها انا أرويه كما تلقيته من فيه رضي الله عنه فهو عبد القادر بن محيي الدين • بن مصطفى • بن محمد • بن المختار • بن عبد القادر • بن احمد المختار • بن عبد القادر • بن احمد المشهور بابن خدّه وهي مرضعته ابن محمد • بن عبد القوي • بن علي • بن احمد • بن عبد القوى • بن خالد • بن يوسف • بن احمد • بن بشار • بن محمد • بن مسعود • بن طاووس • بن يعقوب ابن عبد القوى • بن احمد • بن محمد • بن ادريس الاصغر • ابن ادريس الاكبر ابن عبدالله المحض • بن الحسن المثنى • ابن الحسن السبط • ابن علي بن ابي طالب وامه فاطمة الزهراء بنت سيد الوجود • محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم • وشرّف وكرّم وعظم

اعظم بها من نسبة نبوية   علوية تنمى لاصل اطهر
قد شرفت بدأ باشرف مرسل   ونهاية بالسيد الحسن السري

وقد نظم هذا النسب الشريف الحسيب النسيب المتحلي من الفضائل باوفر نصيب العلامة السيد محمود افندي الحمزاوي مفتي دمشق الشام بقوله

يا حبذا الوعد والانجاز يصحبه   حاشا علاكم بان اخلف يعقبه
حيا فاحيا ظنونا غير نائبة   لولاه كانت قضت مما تراقبه
وافى البشير به والفكر في قلق   والقلب في حرق هم يقلبه
والجفن في ارق والعين في غرق   والصبر في فرق كرب يداعبه

ومذ تفوه قام الحزن مرتحلا عنا بعسكر لؤم لست اتحسبه
وباشر البشر في ضرب الخيام على قاع السرور فكم ذا كنت ارقبه
فالحمد لله حيث الفضل من ملك مسلسل الاصل يعلو حين تنسبه
العالم العامل الغازي اخو ورع الزاهد المتقي للخير ينتبه
السيد الفرد (عبد القادر) الحسني من سيفه ملك الافرنج يرهبه
نجل المحقق محيي الدين سيدا من ضاء من علمه شرق ومغربه
ابن الامام الهمام المصطفى كرماً من كل محمدة في الكون تطاربه
ابن المحجد ركن العز اوحدهم محمد من غدا سيف الحمد مذهبه
ابن الهمام هو المختار قدوتنا عند الثريا مقاماً كنت تحسبه
ابن السميذع عبد القادر الورع ال مزدان بالقدر رفعاً لست تنصبه
ابن الشريف هو المختار احمد من فعل المحامد والاحسان مترابه
ابن المحجد عبد القادر الحسن ال احلاق فوق الدراري كان مطلبه
ابن التقي الذي سموه احمد من وسائط الحمد للتوفيق تجذبه
ابن الذي مرّ في عز وفي شرف محمد من لذيل الفخر يسحبه
ابن المسمى بعبد للقوى لما ابداه في دين مولاه تطلبه
ابن الكريم عليّ من سما عظماً حتى غدا في علاه البدر يرقبه
ابن الجواد العفيف السمح احمد من اعيا اليراع انفصل فيه حاسبه
وهو ابن عبد القوي الله سدده قواه في ضمن تقواه تقربه
ابن الذي خلد الفردوس خالدهم فالحور في روضة الرضوان تخطبه
ابن المسمى الى الصديق يوسف من قميصه من عفاف قد جاذ به
ابن الهمام جليل القدر احمد من ساد المعالي بطرق المجد يركبه
ابن المجلى بشار الكرام ومن سمت لدى الخالق بالبشرى مراتبه
ابن المكرم فرع المجد اوحده محمد من صفات الحمد يصحبه
ابن المهذب مسعود الطوالع من في الشرق والغرب لا تخشى تحجبه
ابن المفاخر طاووس بنسبته الى المعالي ولا عجب بصاحبه
ابن المسمى الى يعقوب سيدنا من صبره لم تضق فيه مذاهبه
ابن الشديد لامر الله قدوتنا عبد القوي فذا يحلو تعصبه
ابن الكريم المعذي ذاك احمد من ركن المعالي به تسمو جوانبه

ابن المعظم نسل الملك قسوره محمد من سمت فينا رغائبه
ابن المتوج تاج الملك في رحم ادريس اصغرهم تزهو كتائبه
ابن المسمى بادريس المليك فكم خاض المفاخر فيه الدهر اشهبه
ابن المكمل عبد الله كاملهم من حصر اوصافه يعيا تطلبه
ابن الامام المثنى فصله حسن من جمع احسانه ما لست اكتبه
وهو ابن سبط الرسول المنتقى حسن من كان سيده المختار ناسبه
وهو ابن فاطمة الزهراء سيدة النـ ساء طرا كما الاخبار تعربه
وهي ابنة الخاتم الهادي محمدنا من شرف السلك في الانساب موكبه
صلى عليه مع التسليم خالقنا ما ضاء في العالم العلوي كوكبه
ولآل والصحب ما ارخت لي وطر يا حبذا الوعد والانجاز يصحبه

ولقد بلغ اسلافنا الادارسة في المغرب الاقصى من الشهرة مبلغا لا يكاد ان يلحقه لاحق ولا يطمع في ادراكه سابق

كانوا شموسا تضيء الدهر طلعتهم وفي طريق المعالي يقتدى بهم
غابت فلولا ثناهم كالبدور اضا من بعدهم تاه اهل الفضل في الظلم

فهم اقطاب اسرار ونخر وسؤدد وارباب انوار ومجد رفيع مخلد

كواكب مجد بل بدور فضائل فوارس بيد بل اسود عرين
اجلاء قوم بل صدور مجالس ملاذ عفاة بل عياذ حزين

واول من انتقل من اسلافنا الى افريقية الشمالية السيد عبد القوي الاول صاحب تفرسيت انتقل منها ونزل بقلعة بني حماد قرب سطيف من اعمال قسنطينه عند اشتداد الفتن في المغرب الاقصى وتفاقم الامر بين ملوك الموحدين وبني مرين ومن شاركهم في الاندلس وعدوة المغرب ولما استقلت الفتنة بين بني زيان ملوك تلمسان وبني توجين امراء تاهرت ومغوارة امراء مليانه وكثرت الحروب بينهم انتقل منها الى تاهرت فقابله امراؤها بالاكرام والاحترام واشركوه في النقض والابرام قال الشيخ احمد العشماوي في كتاب التحقيق واما عبد القوي صاحب تفرسيت مدينة مشهورة من اعمال الريف فانه خلف اربعة اولاد محمد واحمد وعبد السلام وعبد القوي ومنهم اهل الريف لجدهم السيد عبد القوي بن علي بن احمد بن عبد القوي بن خالد واستقصى النسبة الى الحسن رضي الله عنه وقال العارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسي في جوهرة العقول ومن اخيار الاشراف القطب السني السعيد عبد القوي صاحب تفرسيت وهو جد الاشراف ثم انتقل الى

تاكدمت وتوفي بها وخلفه ولده محمد وكان على علم وصلاح ولما توفي انتقل ولده احمد المعروف بابن خدة فسكن بوادي العبد قرب غريس وهو اول من اشتهر من اسلافنا في ذلك البلاد واضاءت بانوار عوارفه ومعارفه تلك النواحي والبلاد ذكره الجزولي في توسله ونص على ان من توسل به الى الله تعالى وضم اليه سيدي عليًا بن عومر وسيدي احمد بن يحيى قضيت حاجته وتعرض لذكره الامام الصباغ المستغاني في مناقب سيدي محمد بن يوسف صاحب مليانه والعلامة الفاسي في اثمد الابصار في آل النبي المختار والعارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسي في جوهرة العقول توفي في وادي العبد ودفن في تربة السيد عبد الله بن عبد الرزاق وقبره هناك مشهور يزار وبعد وفاته انتقل ولده السيد عبد القادر الى تسمط وقطن بكاشرو الفوقاني الكبير وقصده الخلق لاخذ العلم والطريق من كل بلد سحيق وفج عميق قال خاتمة المحققين محمد بن محمد الجوزي في فتح الرحمن ومنهم الرئيس الجليل النحوي اللغوي الحيسوبي الفرضي المحدث الامام ابو محمد السيد عبد القادر بن احمد المعروف بابن خدة هي مرضعته امام جليل القدر واسع الصدر مهاب عند الخاص والعام له تبحر في العلوم كالنحو والتوحيد والحساب والفرائض والفقه فتح الله عليه فيها حفظًا واطلاعًا ونقلاً وتوجيهًا مما لا مطمع فيه لسواه في زمانه حاز رئاسة عامة في غريس بعد موت اصحابه وشدت له الرحال من المشرق والمغرب ما سمعه احد حالة درسه الا ظن انه افنى عمره في ذلك الفن الذي يدرس فيه لشدة اتقانه له وما تكلم معه شخص في مناظرة الا افحمه ونفع الله به في وقته عالمًا كثيرًا وله عدة تاليف مفيدة في جملة فنون اخذ العلم عن اشياخ اجلاء منهم سيدي محمد السنوسي المشهور صاحب الصغرى والكبرى في التوحيد المدفون بتلمسان وفيها اخذ عنه وكان رضي الله عنه اقام في قسنطينة وصار شيخ العلماء فيها وعنه اخذ علماؤها وتآليفه متداولة في تلك الجهات سيما حاشيته في التوحيد

وذكر العلامة الشيخ سعيد قدوره الجزائري في شرحه على الصغرى عند كلامه على الفرق بين العلم والمعرفة منها كلامًا شافيًا قال في آخره قال شيخ شيوخنا ابو محمد عبد القادر بن احمد بن خدة في تعليقه على الصغرى وترجمه العلامة المقري التلمساني في رياض الازهار والتجاني في الجمان النفيس في اشراف غريس ولد في القرن العاشر وتوفي فيه وقد اجمع اهل الفضل في عصره على توحده في دهره كما اتفق علماء تلك الاقطار على تفرد ولده السيد احمد المختار فقد ظهرت انوار معاليه ظهور الشمس في

الاشراق وعمت آثار اياديه على عموم اهل تلك الآفاق وشدّت الرحال اليه من سائر الاقطار لاخذ العلم وتلقين الاذكار وعنه اخذ الفقيه اللغوي المورخ المحدّث ابو العباس احمد بن شعرون السلوكسني وذكره في سنده وقال الجوزي في فتح الرحمن السيد احمد المختار سكن محلة باب علي من مدينة معسكر واتخذ فيها خلوة لعبادة الله تعالى فكافه رئيس المدينة بما كاف به اهلها فدعا عليه فلم يلبث الا قليلاً ان اخذه الله اخذ عزيز مقتدر وله منظومة مشهورة سماها عقد جواهر المعاني في مناقب الغوث عبد القادر الجيلاني ذكر فيها مناقبه وكراماته واحوال المشايخ الذين اعترفوا بفضله وتقدمه على اولياء زمانه وجميع ما بلغه من احواله ومطلعها

اقول لمن اعيا الطبيب علاجه   وقد مل من شرب الدواء لعلة
الا لذ بمحيي الدين يا طالب المنى   وعوّل عليه في الامور المهمة

يقرؤها اهل القطر في الشدائد والنوائب ويستجلبون بها الرغائب والمطالب وشرحها الامام اليوسي في مجلد ضخم وخلفه ولده السيد عبد القادر فكان اعصف اهل عصره ريحاً واكثرهم في علم الحقيقة تلويحاً وتصريحاً ثم خلفه ولده السيد المختار وكان من العلماء العاملين والعباد الزاهدين يحسن لمن اساء اليه ويقابل من ظلمه بالحنان عليه ولد بنسمط في النصف الثاني من القرن الحادي عشر وتوفي في اوائل الثاني عشر وهو مسافر في بلاد بني عامر ودفن بها فاراد اهله نقله الى تربة اسلافه بغريس فمنعوهم من ذلك رجاء حصول بركاته في ارضهم فلما تحقق اهله الجد منهم اخرجوه من قبره الشريف ليلاً وذهبوا به ولما بلغ الخبر بني عامر فتحوا قبره فوجدوه فيه واشتهر عند العامة بابي قبرين ثم خلفه ولده السيد محمد المعروف بالمجاهد فكان اكمل اهل زمانه من غير مدافع واشهرهم بالفضل من غير منازع قد نال من السعادة الغاية وادرك من السيادة النهاية ولد في كاشرو سنة خمس وتسعين والف واستشهد سنة ثلاث وستين ومائة في حرب اسبانيا مع المسلمين وحمل من ساحة وهران الى تربة اسلافه في غريس مع بعد المسافة وترك ولده السيد مصطفى صغيراً فتولى اعمامه تربيته وقرأ على علماء غريس وغيرهم من حين ترعرع الى ان برع واشتغل بالطريقة الى ان صار كعبة الاولياء ومقتدى العلماء وسافر الى الحج مرتين وحج في كل واحدة حجتين وزار قبر المظلل بالغمام عليه افضل الصلاة واكمل السلام والمسجد الاقصى وارتحل الى دمشق ومنها الى بغداد ولقي الجم الغفير من الاولياء والعلماء واخذ عن كل فريق منهم فنه ولبس الخرقة القادرية من نقيب الاشراف ببغداد سيدي عبد الرحمن بن علي سليل الشيخ الرباني

سيدي عبد القادر الجيلاني واجازه بالواسطة امام اللغة والحديث نزيل مصر السيد مرتضى الحسيني الزبيدي شارح القاموس ولما رجع الى الوطن في الرحلة الاولى اختط قريته المعروفة بالقيطنه بوادي الحمّام وذلك سنة ست ومائتين ونشر الطريقة القادرية بعد ان طوى بساط ذكرها واحياها بعد ان درست آثار فخرها وتلمذ له الامراء فمن دونهم ومن تلامذته محمد باي حاكم معسكر وفاتح وهران من يد اسبانيا ولما وصل في الرحلة الثانية الى بروات وهو راجع الى وطنه اصابه مرض الموت وتوفي سنة اثنتي عشرة ومائتين عند ماء يعرف بعين غزالة وقبره شهير يتبرك بزيارته الكبير والصغير وخلفه سيدي الجد السيد محيي الدين فبلغ من المعارف اقصاها ومن العوارف منتهاها وشدّت اليه الرحال من الضواحي والامصار لتلقي العلوم وتلقين الاذكار وقد جبل الله النفوس على محبته والقلوب على مودته فما رمقه طرف الا واحب ان يفديه بسواده ولا نال احد دعوته الا وظهرت بركتها في نفسه وماله واولاده وقد حسده بعض معاصريه فوشى به الى حسن باي الذي انتهت به احكام الدولة العلية وقال له اني ارى هذا الرجل قد علت رتبته و بعد صيته وانه كما تراه مسموع الكلمة عند جميع الناس خصوصاً اهل هذه الولاية واخشى ان يكون على يده فساد امرك وخراب حكومتك فاثر فيه ذلك وبعث الى الجد يامره بالسكنى في وهران باهله وخاصته فامتثل وارتحل عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم اسمع واطع ولما انتقل عظم على الناس ذلك واحزنهم واشتد له كربهم وتواردت على الجد رسائل التسلي نظماً ونثراً فمن ذلك قول العلامة السيد السنوسي بن عبد القادر الحسني الراشدي

عوّل على الصبر لا تفزعك اشجان ... ولا ترعك بما فاجتك وهران

اما هي الدار لا تؤمن غوائلها ... بل هي الدار اغيار واحزان

شبت على الغدر لم تعطف على احد ... الا ومن غدرها صد وهجران

ما انت اول من ادهت وآخرهم ... ولا باوسط من خانته ازمان

انظر الى يوسف الصديق كم لبثت ... في السجن ذاته ما وافته خلان

وانظر الى ابن رسول الله ثم الى ... هلم جرًّا وما لاقاه عثمان

تلك العوائد اجراها على قدر ... مدبر الامر مهما شاء ديان

لم ينقموك اخي الدين عن زلل ... رأوا ولكن اغوى القوم شيطان

فعن قريب ايا كيد الصبر يخذل من ... من اجله قد عدا عليك سلطان

و يكظم الغيظ من خصم ومن حكم ... و يكشف الغيب عن افعال من خانوا
بل لا عليك وان ساءت ظنونهم ... سيهزم الجمع او ينفض ديوان
ان العواقب في القرآن ثابتة ... للمتقين وصدق القول قرآن
وانت ما زلت تهدينا الى سنن ... تهدي الى الحق لم يثنيك طغيان
تقري الضيوف وتسعى في حوائجهم ... وتحمل الكل لا غش ولا ران
من يستجر بك يامن ان عداه عدت ... تحمي الذمار ويرجى منك احسان
جفيت ليلك لم تألف مضاجعه ... و يومك الدهر جوعان وعطشان
تبيت جنح الدجى تتلو المفصل عن ... قلب و تصبح مثل البدر تزدان
تدرس العلم احيانًا وآونة ... تلقن الذكر فالظمآن ريان
والله اسأل ان اراك مكرمًا ... تسعى وما لك حراس واعوان
ومنه ارغب ان القاك معتدلاً ... كالحال قبل وقد امتك ركبان
ثم الصلاة على النبي وآله ... والصحب طرًا ما نما ايمان

ثم ان اهل الديوان من دائرة الباي وخاصته قد تحققوا فضل سيدي الجد وولايته وما انطوى عليه ضميره وثبت لديهم ان ما رمي به مجرد افك وبهتان وحسد وعدوان نعرّفوا بذلك سيدهم ولما تحقق صفاء طويته اطلق سراحه وكان قبل هذه الواقعة عازمًا على الحج فمنع منه ثم جدد النية واخذ الأهبة للسفر واختار لرفقته سيدي الوالد وخلف على امور دائرته ولده الاكبر السيد محمد سعيد ثم سار برًا الى تونس وبحرًا الى مصر وسافر من السويس الى جدة ثم الى مكة المكرمة فحج واعتمر ويمم الى المدينة المنورة فزار قبر النبي المختار ثم توجه الى الشام واقام بدمشق شهورًا وسمع فيها هو وسيدي الوالد على الامام المحدث الشيخ عبد الرحمن الكزبري بعضًا من صحيح البخاري بمسجد بني امية ثم توجه الى بغداد وزار ضريح القطب الرباني سيدي عبد القادر الجيلاني قدس سره واجتمع في هذه الرحلة بكثير من العلماء والاولياء واخذ عنهم واخذوا عنه واستمد منهم كما استمدوا منه ولبس الخرقة القادرية من يد الاستاذ نقيب الاشراف وخليفة سيدنا الشيخ قدس سره سليلة السيد محمود واجازه مشافهة وكتابة ثم رجع على طريقه الى المدينة المنورة ومنها الى مكة المكرمة فحج وزار وتم له بذلك ثلاث حجات ثم رجع الى الوطن وجعل طريقه على برقات لزيارة والده السيد مصطفى واستمر سائرًا برًا الى تونس ومنها الى الجزائر فتلقاه حاكمها الاكبر بالتوقير والاحترام ثم توجه الى وهران فكان خبر قدومهم عيدًا و يوم وصولهم يومًا مشهودًا

ثم اقام في منزله معتزلا عن جميع الاعمال مشتغلا بعبادة ذي الجلال عاكفًا على بث علوم الشريعة والحقيقة واشهار الاذكار والطريقة والف في التصوف كتابًا جليلاً سماه ارشاد المريدين ولعمري قد طابق اسمه مسماه ولد رضي الله عنه سنة تسعين ومائة والف وتوفي يوم الاحد سنة تسع واربعين ومائتين وخلف من الاولاد الذكور ستة اكبرهم عمي السيد محمد سعيد ويليه في السن سيدي الوالد وهو اشهرهم ذكرًا وابعدهم صيتًا واجلهم قدرًا ولد طاب ثراه في قرية القيطنة من اعمال وهران يوم الجمعة الثالث والعشرين من رجب سنة اثنين وعشرين ومائتين والف هجرية وسبعة وثمانمائة والف مسيحية ونشاء على عفة وصيانة مرضي الحال محمود الاقوال والافعال اخذ الفقه عن والده وغيره من العلماء ورحل الى وهران واخذ عن علمائها وكان حافظًا لكثير من اللغة العربية والقدر الوافر من صحيح البخاري عن ظهر القلب مجازًا فيه عن والده وسمعه من الشيخ الامام المحدث ابي احمد عبد الرحمن الكزبري بدمشق الشام ايام اقامته فيها صحبة والده واخذ ايضًا عن الامام ضياء الدين مولانا الشيخ خالد النقشبندي السهروردي وكان يكثر التردد اليه وانتفع منه وبرع في فنون علوم الشريعة والحقيقة وله تآليف عديدة وحسبك منها كتاب المواقف في علم الحقيقة وهو لعقد تآليفه واسطة النظام ولمطالع نجده بيت القصيد وحسن الختام ومن امعن النظر في خطبته ادرك منها فضله واقر بعلو مرتبته ونصها بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حمدًا يوافي نعمه ويكافي مزيده اللهم صلِّ وسلم على رحمة العالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه هذه نفثات روحيه والقاآت سبوحيه بعلوم وهبيه واسرار غيبيه من وراء طور العقول وظواهر النقول خارجة عن انواع الاكتساب والنظر في كتاب قيدتها لاخواننا الذين يؤمنون بآياتنا اذا لم يصلوا الى اقتطاف اثمارها تركوها في زوايا امكنتها الى ان يبلغوا اشدهم ويستخرجوا كنزهم وما قيدتها لمن يقول هذا افك قديم واساطير الاولين ويحجر على الله تعالى ويقول اهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا من علماء الرسم القانعين من العلم بالاسم فاننا نتركهم وما قسم الله تعالى لهم فاذا اظهروا لنا ملامًا وخصامًا تلونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا ونعيرهم اذنا صماء وعينا عمياء ونقول لهم آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون ولا نجادلهم بل نرحمهم ونستغفر لهم ونقيم لهم العذر من انفسنا في انكارهم علينا اذ جئناهم بامر تخالف لما تلقوه من مشايخهم المتقدمين وما سمعوه من آبائهم الاولين فالامر عظيم والخطب جسيم والعقل عقال والتقليد وبال

فلا عاصم الا من رحم ربي وطريقة توحيدنا ما هي طريقة المتكلم ولا الحكيم المعلم ولكن طريق توحيد الكتب المنزلة وسنة الرسل المرسلة وهي التي كانت عليها بواطن الخلفاء الرشدين . والصحابة والتابعين . والسادات العارفين . وان لم يصدق الجمهور والعموم فعند الله تجتمع الخصوم وقد اشرت الى بعض ما ذكرت في شبه مقامة لي وهي قولي حضرت محاضرة من محاضرات الشرفاء ومسامرة من مسامرات الظرفاء في ناد من اندية العرفاء فجاؤا في سمرهم بكل طرفة غريبة ومستظرفة عجيبة وكان الحديث شجونًا والوانا وفنونًا الى ان تكلم عريف الجماعة ومقدم اهل البراعة فقال احدثكم بحديث هو اغرب من حديث عنقاء مغرب فاشرأبوا لسماعه ومدوا اعناقهم وفرغوا قلوبهم وحدقوا احداقهم فقال ان في الوجود معشوقة غير مرموقة الأهوية اليها جانحة والقلوب بحبها طافحة والابصار الى رؤيتها طامحة يطير الناس اليها كل مطار ويرتكبون الاخطار يستعذبون دونها الموت الاحمر ويركبون لطلبها المكعب الاسمر ولا يصل اليها الا الواحد بعد الواحد في الزمان المتباعد فاذا قدر لاحد مشارفة حماها ومقاربة مرماها القت عليه اكسيرًا لا له مادة ولا مدة ولا هو عين ممتدة فيحصل انقلاب عينه وجميع الاعيان في عينه الى عين هذه المعشوقة التي هي غير مرموقة المعلومة المجهولة المعمودة المسلوله الباطنة الظاهرة المستورة الساترة الجامعة للتضاد بل ولجميع انواع المنافاة والعناد ولا يقدر يعبر عنها بعبارة ولا يشير اليها باشارة اكثر من قوله اني وصلتها وحصلتها وبعد التعب والعنا ومعاناة العنا وجدت هذه المعشوقة انا وتبين لي انني الطالب والمطلوب والعاشق والمعشوق فما كان هجري للذاتي الا في طلب ذاتي ولا كانت رحلتي الا لنحلتي ولا وصولي الا اليّ ولا تفتيشي الا عليّ ولا كان سفري الا فيّ اليّ فيقال له هل رايت محياها وشممت رياها حتى قلت انا اياها فيقول رأيت وما رأيت وما رميت اذ رميت ويأتي في اوصافها بما تنبو عنه العقول ولا تتحمله ظواهر النقول ما طرق الاسماع ولا طمعت في فهمه الاطماع يرفع الضدين تارة وتارة يجمعهما ويجمع النقيضين ويضعهما فيقال له هذا الذي تقوله ثبت عندك بدليل او برهان فيقول لا دليل بعد عيان

وكيف يصح في الاذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل

فيراجع فلا يرجع ويغلط فلا يسمع وحينئذ يحكم الناس عليه بالجنون والعته والسفه والبله ويجهلونه ولو كان اعلمهم ويسفهونه ولو كان احلمهم ويستبيحون منه العرض في الطول والعرض ويجعلونه مرمى غمزهم ولمزهم ونبزهم ووكزهم يهجره الحميم

العاطف ويقليه الصديق الملاطف وهو مع هذا ناعم البال بما لديه قرير العين بما حصل بين يديه ولا يلتفت الى قطعهم وهجرهم ولا يبالي بلغوهم وهجرهم فلما تمت القصة واجتليت عروسها على المنصه وما كاد ان ينقضي اعجابنا منها واستغرابنا لها قلت لهم يا قوم الستم تعلمون اني طلاع الثنايا وسباق الكتيبة الى معترك المنايا فانا آتيكم بحقيقتها ومجازها وافك لكم المعمى من الغازها او اموت فاعذر وما عليَّ ان لم اقبر فقال لي بعض المتبصرين من الحاضرين وكان ممن جرب هذا الامر وفر عن تجربته الدهر ان صدقت لهجتك وهانت عليك مهجتك واردت الوصول الى ذلك الجناب وقطع تلك الجبال و البحار والهضاب فاركب نسرًا وغراب وانه لا ينال ما قصدت الا من كان عليّ الهمه قوي العزمه

اذا هم القى بين عينيه عزمه ونكب عن طرق العواقب جانبا
ولم يستشر في رأيه غير رمحه ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

لا يصرفه صارف ولا تحركه العواصف حاس من احلاس الخيل ملّه النهار والليل اسد في شجاعته خنزير في حملته كلب في وقاحته اذنه صماء عن العاذل وعينه عمياء عن الحاجر والواصل وطريق مطلوبك طامسه واعلامها دارسه بحرها تيار وهواؤها نار وارضها مفاوز وقفار اسدها كواسر واعوالها عن انيابها حواسر مهامه فسيح تجاهل العارف فيها جاهل والدليل الخريت بها حائر والتيه فيها هلاك حاضر فقلت له جهتها اي الجهات فقال لى هيهات هيهات لا يستفهم عنها بمتى ولا اين ولا يرشد اليها اثر ولا عين فاعتمدت على الواحد الاحد وسرت لا الوي على احد فمررت في طريقي على فرق من فريق فرايتهم بين سادم باهت لا هو بالحاصل ولا الفائت وبين حائر واقف التبست عليه المواقف وبين غريق في لجج تلك البحار وتائه في المفاوز القفار وبين من تعبت راحلته وآخر دبرت زاملته وبين من يدبُّ دبيب النمل حافيًا بلا نعل مررت على جماعة منهم في بعض المشاهد فانشدوني قصيدة فيها نحو العشرين بيتا رجعت الى الحس ببيت واحد منها وهو

ايا من نحن في تعب الجبال وذاك يسير فيها لا يبالى

وما زلت ممتطيا صهوتي النسر والغراب محملا لنفسي كل مكروه مستعذبًا لانواع العذاب لا تطمئن بي دار ولا يستقرُّ لي قرار الى ان ظهرت لى الاعلام التي ظهرت لمن قبلي من الوفدين الاعلام ونادى المنادى وحدى الحادي

ابشر بوصل فهذه العلامات كم طالبين ودون الوصل قد ماتوا

والقى علي ما القى عليهم وثبت لدي ما ثبت لديهم ولما وصلت حيث وصلوا وحصلت على ما عليه حصلوا طلبت الاباحة والجواز الى التقدم والجواز وقد عرفت الحقيقة والمجاز فقيل لي لا تخط رقاب الصديقين ارجع فما وراء موقفك الا العدم المحض لا اثبات ولا دحض وحين رجعت الى الاصحاب قالوا ما وراءك يا عصام فقلت القول ما قالت حذام ولكن يا قوم لا تعجلوا بالعتب واللوم ارأيتم لو جاءكم عنين عديم الذوق وقال عرفوني لذة الجماع بم كنتم تفهمونه علم ذلك وتعلمونه فقالوا لا سبيل الا الذوق لما هنالك فقلت لهم وهذا من ذلك فمنهم من سلم وانصف ومنهم من لج وتعسف وربك اعلم بمن هو اهدى سبيلاً واقوم قيلاً وعندما ينجلي الغبار يتبين راكب الفرس من الحمار ولما انفتح الباب وارتفع الحجاب واجتمعت الاحباب على الشراب اللذيذ المستطاب دبت الافراح حيثما دبت الراح وبعد ان طار السكر والمحو ونزل الحضور والصحو رأيت شمسنا طالعة مشرقة ساطعة والناس في ظلمة وليل ومرج وويل فقلت ما بال الناس فقيل انهم في عمى وافلاس وما لكم ولهم انهم عالم وانتم عالم والله غالب على امره الحاكم العزيز العالم . وله رضي الله عنه نظم اذا سمعته وعيته ونثر اذا لحظته حفظته وبشر يترقرق ماؤه في غرته ويتفتق نور الشرف بين اسرته وشجاعة هي مظهر الجلالة والقهر ومصدر الحماسة في ابناء الدهر واني والحمد لله من صلبه خرجت وعلى يده تخرجت ولا اعد لنا من الفضل كثر لدينا ام قل الا منه ابتداؤه واليه انتهاؤه وكنت له والمنة لله اطوع من قلمه لكلامه ما ملت عن نهجه ولا تنحيت من حين عقلت الى يوم التحيت وكان حريصاً على فائدة يلقنها عليّ وعائدة يجرّ نفعها اليّ قرأت عليه التوحيد والنحو والحديث واستفدت منه ما يفتخر بمثله في القديم والحديث وكان رضي الله عنه معتدل القامة عظيم الهامة ممتلىء الجسم حنطي اللون اسود الشعر كث اللحية اقنى الانف اشهل العينين يخضب بالسواد متقناً للخياطة سيما الشبكة واللعب بالشطرنج توفي في الساعة السابعة من ليلة السبت التاسع عشر من رجب سنة ثلاثمائة والف ومن غريب الاتفاق انه ولد في رجب وبويع في رجب وتوفي فيه . وها هنا جواد المقال بنا قد وقف . واقر لسان اليراع بالعجز عن استقصاء مناقبه واعترف . وقصر الباع مع قلة المتاع يوجبان لهذا الفقير العذر . والم الفراق الذي لا يطاق برهان التبلد والحصر . وغاية ما اقول العذر عند خيار الناس مقبول والحمد لله في البدء والختام وعلى حبيبه الاعظم وآله واصحابه افضل الصلاة والسلام

﴿ بيان الخطأ والصواب الواقع في الجزء الثاني من تحفة الزائر ﴾

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٧	١٩	السياسي	السياسة
٩	١٦	وش	وبش
١٠	١٧	حاكم	وحاكم
١٠	٢١	فتحوذون	فتجوزون
١٢	١	مراية عظيمة	قصر عظيم
١٣	٥	فوصل بها	فوصل اليها
١٥	٢١	عتنائكم	اعتنائكم
١٧	١٢	الاكدر	الاكدار
١٧	١٧	لا تذمن	لا تذمنّ
١٨	٢٧	وعادا	وعاد
١٩	١٧	الاسرى	الاسر
١٩	١٧	بيسرا	بيسر
١٩	١٩	ما كتبه	ما كتبته
٢٠	٣	النقيه	النقيبة
٢٠	١٦	عذرا	عذر
٢٧	٩	ربيع واربعين الاول	ربيع الاول
٢٧	١٠	تسع وثمانمائة	تسع واربعين وثمانمائة
٢٨	٤	فن	في
٥٥	٢٦	ابى	ابا
٥٩	٣	الى	من
٥٩	١٦	التعب	العتب
٦١	٧	وشوق	وشوقه
٦٧	١٤	توالت	توانت

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٦٧	٢١	حسن	حسين
٦٩	١٩	اليافين	اليقين
٧١	١	فرا	فوا
٧٦	١١	حرامي	حذام
٧٧	٣	بجوار ما	بجوارها
٨٠	١٦	لمختار	المختار
٨٢	٢٦	شاد	شاده
٨٣	٤	ساد	شاد
٨٥	١٤	يد	بدا
٨٥	٢٠	برح	برحت
١٠١	٨	التي اوروبا	التي لها اوروبا
١٠٢	١٩	في امنهم	في انهم
١٠٨	٢٤	الرصافة	الرصانة
١٠٩	٥	تشرع	شرع
١١٣	١٣	لامور يس	لامور يسر
١١٥	٢٧	فكتب	كتب
١١٩	١١	بامير	الامير
١٣٠	٩	ثبت	نبت
١٣٥	١٥	الصحيحين رضي الله عنهما	الصحيحين يشهد
١٣٦	١٣	رد	سد
١٣٦	٢٦	عنها	عنه
١٣٧	٢٥	ذو الفقار	ذا الفقار
١٤٠	١٤	الاحقاب	الاحباب
١٤٩	١٦	الجان	وغيطان
١٤٩	١٧	آمان	ايمان
١٥٠	٣	مثلي	والعاجز مثلي

صحيفة	سطر	خطا	صواب
١٥٥	٢٥	وارضي	و رضي
١٧٢	٢	يثل	ينثل
١٨٩	١٩	بعيد	بالعيد
١٨٩	٢٣	غنية	غنيمة
١٩٢	١٣	وشان	واساءت
٢٠٤	٢٣	رقبه	ربة
٢٠٥	٢٥	مراسلات	مرسلات
٢٠٧	٥	ومفدا	ومغدا
٢٠٧	٨	عمدا	غمداً
٢٠٩	١٢	انتظار	انتظام
٢١١	٢٣	الصادعين	الصاعدين
٢١٦	١ .		السطر الاول والثاني من صحيفة ٢١٦ خطاء ومحلهم السطر الاول والثاني من صحيفة ٢١٧ من قوله نداء الى قوله سنتين
٢١٦	٥	يحركها	يحركه
٢١٦	٨	اجناد	اخبار
٢١٦	٢٣	لاماك	لاماًلاك
٢١٧	١		السطر الاول والثاني من صحيفة ٢١٧ خطاء ومحلهم السطر الاول والثاني من صحيفة ٢١٦ من قوله ولم يتلفظ الى قوله ثانياً
٢١٧	٩	واحد	واحداً
٢١٧	٢٥	الثاني	الشأن
٢٢٣	١٣	عند	عنه
٢٣٠	٨	ايناقض	يناقض
٢٣١	١٤	يتخبطن	يتخبطون
٢٤٣	١	متقدم	متقدمي
٢٤٣	٨	الاثنية	الاثينية
٢٤٦	٨	وانه ابن	انه ابن
٢٤٧	٦	مثابه	مصابه

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٢٤٧	٦	ملمة	ثلمة
٢٤٧	١١	الامن من	الامن
٢٤٧	٢١	اصطكت	صمت
٢٧٠	٢٢	الايث	المسك
٢٧٤	٢١	سميقع	سميدع
٢٧٨	١	للفوآد	للوفود
٢٨٥	١	آلهنا ضحى	آلهنا قلبي
٢٨٥	١١	وان يكن	وان لم يكم
٢٩٩	١٠	ولاآل	والاآل
٣٠٠	٣	بواي	بوادى
٣٠٣	٤	لم يثنيك	لا يثنيك
٣٠٧	١٨	يلقنها	يلقيها

